مكتبة ابن قتيبة

أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة

٢١٣ — ٢٧٦ هـ

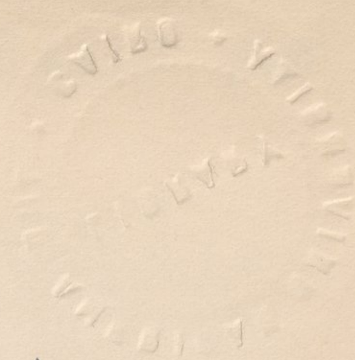
الكتاب الأول

تأويل مشكل القرآن

بشرح وتحقيق

السيد أحمد صقر

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابى الحلبى وشركاه



مكتبة ابن قتيبـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

أ كبرت ابن قتيبة منذ أن قرأت له فى فجر الشباب ؛ وصبت نفسى إلى كتبه ، فتطلبتها ، وحرصت على دراستها بعزمة قوية ، وهمة فتية ؛ ونفس مشوقة ، وحس جميع . وكنت كلما أمعنت فى قراءتها ، وأدمنت النظر فيها ــ تجلت لى عظمتها ، وظهرت قيمتها ؛ وتبينت دقائقها ، وتهديت إلى مراميها ؛ واستبان لى ــ : من نضرة طلاوتها ، ورفافة مائيتها ؛ ورصانة أسلوبها ، وجمال عرضها ، وحسن تنسيقها وتبويبها ــ ما يزيدنى إعجاباً بها ، وإعظاماً لمؤلفها .

ثم تعاقبت الأعوام، وتنوعت القراءات ، وتغيرت القيم ، وتبدلت الأنظار ؛ وظل إعجابى بابن قتيبة وكتبه مكيناً ركيناً ، بل ازداد تأصلا وتمكناً ؛ بما ازددت من معرفة به ، وبصر بكتبه . وابن قتيبة خليق بالإعجاب ، جدير بالإعظام ؛ فقد أخلص نفسه وفكره وعقله ، لدينه ولغته ؛ وقضى حياته مجاهداً فى سبيل إعزازها ، والتمكين لهما فى نفوس شباب الإسلام ؛ ودرء شبه أعداء الدين والعربية والعرب ، بما ألف من كتب ؛ ودرس من دروس . لا يبتغى بذلك طلب المثالة بين الناس ، أو المنالة منهم ، أو الجاه عندهم . بل ابتغى بما عمل وجه الله ، وتحقيق المثل العظيم الذى رسمه لنفسه منذ أن عقل أمرها ؛ وهو الجهاد الدائب فى سبيل الدين واللغة ؛ حتى قضى نحبه رضى النفس ، مذكوراً بلسان الصدق فى الآخرين .

وقد أثابه الله على إخلاصه ، بما أفاض على كتبه من القبول ، وعطف نحوها من القلوب والعقول . فلست ترى أديباً أو متأدباً قرأ من كتبه ، إلا وهو يحس نحوها بالمودة ، ونحوه بالتقدير .

وقد دفعنى إعجابى بابن قتيبة ، وعرفانى بقدر كتبه ـ : أن أنشر مابقى منها ، نشراً قويما : يسهل سبل الانتفاع بها ، ويظهر القراء على مافيها : من روائع العلوم ، وبدائع الآداب والفنون . والحق : أن كتب ابن قتيبة دائرة معارف شاملة ، تمثل أرقى ماوصل إليه الفكر الإسلامى ، فى القرن الثالث الهجرى . ومن ثم فهى خليقة بالدرس ، جديرة بالنشر .

***

وابن قتيبة : من أسرة فارسية ، كانت تقطن مدينة « مرو » . ولسنا نعرف عن نسبه ، أكثر : من أنه : « عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم المروزى » .

وقد ولد فى سنة ٢١٣ ، فى أواخر خلافة المأمون . وقد اختلف المؤرخون له فى تعيين المدينة التى ولد بها ؛ فقال السمعانى ، والقفطى : إنه ولد ببغداد ؛ وقال ابن النديم ، وابن الأنبارى ، وابن الأثير : إنه ولد بالكوفة . وقد اتفقوا على أنه نشأ ببغداد التى كانت تموج حينئذ بأعلام العلماء فى كل فن ، وتهوى إليها أفئدة المثقفين والمتعلمين من كل أنحاء المملكة الإسلامية .

وقد كان ابن قتيبة ـ منذ شبابه الباكر ـ : ذا نفس طُلَعة ، تواقة إلى المعرفة ؛ دفعته إلى أن يتعلق من كل علم بسبب ، وأن يضرب فيه بسهم . وقد اقتضاه ذلك : أن يغشى مجالس علماء الحديث والتفسير والفقه والنحو واللغة والكلام والأدب والتاريخ ؛ فغشى من مجالسهم ما غشى ، وثقف عنهم ماثقف ؛ مما مكّن له من أسباب القوة ؛ وهيأ من وسائل التفوق والتبريز .

***

وقد تتلمذ ابن قتيبة لطائفة من أعلام عصره ؛ وروى عن جمع من مشاهير دهره ؛ وأخذ عن كثير من أعيانه وأماثله . نذكر منهم مايلى :

١ ـ والده مسلم بن قتيبة . وقد أشار إلى ذلك فى عيون الأخبار ٢/٣٠٧ ، ١/١٤٢ حيث يقـول : « حدثنى أبى عن أبى العتاهية » و « حدثنى أبى ، أحسبه عن الهيثم بن عدى » .

٢ ـ أحمد بن سعيد اللحيانى ، صاحب أبى عبيد القاسم بن سلاّم ، وقد حدثه اللحيانى : بكتاب الأموال ، وكتاب غريب الحديث لأبى عبيد ؛ فى سنة ٢٣١ . وكان عمر ابن قتيبة ـ إذ ذاك ـ ثمانية عشر عاما .

٣ ـ أبو عبد الله محمد بن سلاّم الجمحى البصرى ، صاحب طبقات الشعراء ؛ (١٣٩ـ٢٣١) .

٤ ـ أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم ، المعروف : بابن راهويه ؛ (١٦١ـ٢٣٨) . وهو إمام جليل فى الفقه والحديث ، صحب الشافعى وناظره ؛ وروى عنه البخارى ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وأحمد بن حنبل الذى قال عنه : « لاأعرف لإسحاق بالعراق نظيرا » .

٥ ـ حرملة بن يحيى التجيبى ، صاحب الشافعى ؛ (١٦٦ـ٢٤٣) .

٦ ـ القاضى يحيى بن أكثم ، المتوفى : سنة ٢٤٢ . وقد أخذ ابن قتيبة عنه بمكة .

٧ ـ أبوعبد الله الحسين بن الحسين بن حرب السلمى المروزى ، المتوفى : سنة ٢٤٦ .

٨ ـ دعبل بن على الخزاعى الشاعر ؛ (١٤٨ـ٢٤٦) .

٩ ـ أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق بن بكير بن البهلول الباهلى البصرى ، المتوفى : سنة ٢٤٨ .

١٠ ـ أبوإسحاق إبراهيم بن سفيان الزيادى ، تلميذ سيبويه ، والأصمعى ، وأبى عبيدة ؛ المتوفى : سنة ٢٤٩ .

١١ ـ أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى ، المتوفى : سنة ٢٤٨ أو ٥٠ أو ٥٥ .

قال الأزهرى فى مقدمة التهذيب (ص ١١) : « وكان أبو حاتم السجستانى : أحد المتقدمين ؛ جالس الأصمعى ، وأبا زيد ، وأبا عبيدة . وله مؤلفات حسان ، وكتاب فى قراءة القرآن جامع ... وقد جالسه شِمْر ، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة ؛ ووثقاه . » .

١٢ ـ محمد بن زياد بن عبيد الله بن زياد بن الربيع الزيادى البصرى ، الملقب : بيؤيؤ ؛ المتوفى : سنة ٢٥٢ .

١٣ ـ أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن محمد الصواف الباهلى البصرى ، المتوفى : سنة ٢٥٣ .

١٤ ـ أبوعبد الله محمد بن يحيى بن أبى حزم القُطَعِىُّ البصرى ، المتوفى : سنة ٢٥٣ .

١٥ ـ أبو الخطاب زياد بن يحيى بن زياد الحسّانى البصرى ، المتوفى سنة ٢٥٤ .

١٦ ـ شبابة بن سوار ، المتوفى : سنة ٢٥٤ .

١٧ ـ أبوعثمان الجاحظ ، المتوفى : سنة ٢٥٤ . وقد أجاز ابن قتيبة ببعض كتبه ؛ كما صرح به ابن قتيبة فى عيون الأخبار ، حيث يقول ٣/١٩٩ و ٢١٦ و ٢٤٩ : « وفيما أجاز لنا عمرو بن بحر : من كتبه ؛ قال ... » .

١٨ ـ أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشَّهيد البصرى ، المتوفى : سنة ٢٥٧ .

١٩ ـ أبو طالب زيد بن أخزم الطائى البصرى ، الذى قتله الزنج : فى سنة ٢٥٧ .

٢٠ ـ أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشى ، تلميذ الأصمعى ؛ الذى قتله الزنج بالبصرة وهو قائم يصلى فى مسجده ، سنة ٢٥٧ .

٢١ ـ أبو سهل الصفّار عبدة بن عبد الله الخزاعى الكوفى ، نزيل البصرة ، المتوفى : سنة ٢٥٨ .

٢٢ ـ عبد الرحمن بن بشر بن الحكم بن حبيب بن مهران العبدى ، المتوفى : سنة ٢٦٠ .

٢٣ ـ أبو بكر محمد بن خالد بن خداش بن عجلان المهلبى البصرى الضرير .

٢٤ ـ أبو سعيد أحمد بن خالد الضرير . قال أبو منصور الأزهرى عنه فى مقدمة التهذيب (ص ١١) : « وكان طاهر بن عبد الله استقدمه من بغداد ، فأقام بنيسابور ، وأملى بها كتبا فى معانى الشعر والنوادر ؛ وردّ على أبى عبيد حروفا كثيرة من كتاب غريب الحديث . وكان لقى ابن الأعرابى ، وأبا عمرو الشيبانى ؛ وحفظ عن الأعراب نكتا كثيرة . وقدم عليه القتيبى : فأخذ عنه » .

٢٥ ـ عبد الرحمن بن عبد الله بن قريب (ابن أخى الأصمعى) ؛ الذى عده الزبيدى فى الطبقة الخامسة من اللغويين البصريين .

***

أخذ ابن قتيبة عن هؤلاء الأعلام ، كما أخذ عن غيرهم ممن أعرب عن أسمائهم ، وممن أبهموا واكتفى بأن يقول : « حدثنا بعض مشايخنا » أو نحو ذلك . كما أخذ عن الكتب المسموعة وغير المسموعة من كتب العرب والعجم . وهذه ينابيع ثقافته الغزيرة ، ومناهل معارفه الجمّة .

وليس يكفى أن يكون الإنسان جم المعرفة ، غزير الثقافة ، ليكون مؤلفا ممتازا . بل لابد له ـ مع ذلك ـ : من طبيعة مواتية ، وفكر مرتب ، وعقل مركز ، وذوق مصفى ، وذهن ناقد ، وبيان ساحر ، وحافز نفسى غلاب . وكل ذلك قد توافر لابن قتيبة ، وتهيأ له ؛ فمكّنه من أن يؤلف كتبا عظيمة : امتازت بالأصالة والجدّة والطرافة والدقة ؛ وحسن الترتيب والتنظيم . وكانت لونا جديدا خلا من شوائب الاستطراد والتخليط ومساوى التأليف والتصنيف .

***

صنف ابن قتيبة مصنفات كثيرة ، بلغت عدتها ـ فيما يقول أبو العلاء المعرى ـ : خمسة وستين مصنفا ؛ نذكر من أنبائها ، ماعلمناه ؛ فيما يلى :

(١) كتاب الوزراء :

لم يذكره أحد ممن ترجم له ؛ وقد ذكره ابن منظور فى لسان العرب ١٣/١٤٣ ؛ إذ يقول : « والعرب تسمى من يعمل جفون السيف خلّالا . وفى كتاب الوزراء لابن قتيبة فى ترجمة أبى سلمة حفص بن سليمان الخلال فى الاختلاف فى نسبه فروى عن ابن الأعرابى أنه منسوب إلى خلل السيوف من ذلك » .

(٢) كتاب آلة الكتاب :

لم يذكر كذلك فى ترجمته ، وقد ذكره ابن السِّيد البطليوسى فى الاقتضاب حيث يقول ص ٨٧ : « ويقال للشحمة التى تحت برية القلم : الضرَّة ، شبهت بضرَّة الإبهام ، وهى اللحمة التى فى أصلها . كذا قال ابن قتيبة فى آلة الكتاب ، وهو المعروف ، وخالف ذلك فى أدب الكتاب فقال : الألية : اللحمة التى فى أصل الإبهام ، والضرّة : اللحمة التى تقابلها » وفى ص ٨٨ : « وقال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة فى كتاب : آلة الكتاب ... » وفى ص ٥٩: « وقد ذكر ابن قتيبة هذا الكلام فى آلة الكتاب وغير ذلك من كتبه » وكذلك ذكره فى ص ٨٤ .

(٣) كتاب صناعة الكتابة :

وهو غير معروف كسابقيه ، ولكن نقل منه الخزاعى فى كتابه « تخريج الدلالات السمعية » ص ٣٥٨ عند كلامه على كلمة ديوان وأن جمعها دواوين ودياوين : « وقال ابن قتيبة فى صناعة الكتابة : وإنما جمعوه بالياء على لفظه . قال : وداله بالكسر ولا تفتح » . ومما يوثق صحة هذا النقل من صناعة الكتابة ، وأنه كتاب غير أدب الكتاب ـ أن الخزاعى

ذكر فى الباب الرابع من كتابه ، وهو الذى عقده لذكر أسماء التواليف التى خرّج منها كتابه ـ فى كتب اللغة « أدب الكاتب لأبى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة » ، وفى كتب الأدب: « عيون الأخبار لابن قتيبة والمعارف له . . وصناعة الكتابة لأبى جعفر أحمد بن محمد ابن النحاس ، وصناعة الكتابة لابن قتيبة » .

(٤) كتاب الألفاظ المغربة ، بالألقاب المعربة :

ومنه نسخة خطية بمكتبة جامع القرويين ، رقم ١٢٦٢ ـ لغة .

(٥) كتاب الوحش :

ذكره ابن قتيبة فى « الأنواء » ص ٤١ ؛ حيث يقول : « قال ابن مضرّس الأسدى :

ويوم من الشعرى كأن ظباءه   كواكب مقصور عليها صقورها

يريد : أنها قد كنست ؛ وقد ذكرت هذا فى كتاب « الوحش » بأكثر من هذا الشرح » .

(٦) كتاب الصيام :

ذكره أيضا فى الأنواء ص ١١٨ حيث يقول : « ويتعرف من المنازل بأن الهلال إذا طلع فى أول ليلة من شعبان فى « الشرطين » ، فإن كان شعبان تاما طلع فى أول ليلة من شهر رمضان فى «الثريا» ؛ وإن كان شعبان ناقصا طلع فى «البطين» : وهذا أمر يضيق ويصعب على الناس ، ويكثر فيه التنازع والاختلاف ؛ فنسخة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : إذا غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين . وقد ذكرت مثل هذا فى الكتاب الذى ألفته فى الصيام » .

(٧) كتاب غريب الحديث :

وكان إلى منتصف القرن الرابع ، يعد ثانى اثنين ذهبا بإعجاب العلماء وتقديرهم فى هذا الفن .

قال أبو سليمان الخطابى فى مقدمة كتابه غريب الحديث : « ... فكان أول من سبق إليه ، ودل عليه ؛ أبو عبيد القاسم بن سلام . فإنه قد انتظم عامة مايحتاج إلى تفسيره من مشاهير غريب الحديث؛ فصار كتابه إماما لأهل الحديث، به يتذا كرون ، وإليه يتحا كمون. ثم انتهج نهجه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، فتتبع ما أغفله أبو عبيد من ذلك ، وألف فيه كتابا لم يأل أن يبلغ به شأو المبرز السابق » .

ولم يودعه شيئا: من الأحاديث المودعة فى كتاب أبى عبيد؛ إلا مادعت إليه حاجة من زيادة شرح وبيان ، أو استدراك أو اعتراض . فجاء مثل كتاب أبى عبيدة أو أكبر منه .

وقد قال ابن قتيبة فى مقدمته : «وكنت زمانا أرى أن كتاب أبى عبيد قد جمع تفسير غريب الحديث ، وأن الناظر فيه مستغن به . ثم تعقبت ذلك بالنظر والتفتيش والمذاكرة ، فوجدت ماترك نحوا مما ذكر ؛ فتتبعت ماأغفل ، وفسرته على نحو مما فسر . وأرجو أن لايكون بقى بعد هذين الكتابين : من غريب الحديث. مايكون لأحد فيه مقال ».

ثم قال الخطابى بعد أن ذكر جماعة من مصنفى الغريب: وأثنى عليهم: « ثم إنه ليس لواحد من هذه الكتب التى ذكرناها، أن يكون شىء منها على منهاج أبى عبيد فى بيان اللفظ، وصحة المعنى ، وجودة الاستنباط ، وكثرة الفقه . ولا أن يكون من جنس كتاب ابن قتيبة فى إشباع التفسير ، وإيراد الحجة ، وذكر النظائر ، وتخليص المعانى » .

ولم يبق من غريب الحديث إلا الثلث الأول والثلث الأخير، فى الخزانة الظاهرية بدمشق برقمى ٣٤ ، ٣٥ _ لغة .

وقد ذكره ابن قتيبة فى كتاب أدب الكاتب ص ٧٠ وكتاب عيون الأخبار ٢/٢٤٤ ، ٩/٤ وكتاب الأشربة ص ١٠٩ وكتاب تأويل مختلف الحديث ص ١٤ ، ٢١١ ، ٢٦٨ وكتاب المسائل ص ١٥ وكتاب الشعر والشعراء ٢/٦٨٤ وتأويل مشكل القرآن ص ٢٨ ، ٥٨ ، ٩٩ ، ٢٠٥ .

وقد ألف الحسن بن عبد الله الأصبهانى ، المعروف بلغدة ، كتابا فى نقده أسماه « الرد على ابن قتيبة فى غريب الحديث » .

(٨) إصلاح الغلط فى غريب الحديث لأبى عبيد :

استدرك ابن قتيبة فيه على أبى عبيد فى نيف وخمسين موضعا ، وهذا الكتاب ـ فيما أرى ـ من أهم كتب ابن قتيبة وأعظمها أثرا فى تاريخه ، فقد تعاظم كثير من العلماء ـ فى عصره وبعد عصره ـ أن يعرض مثله بالنقد لأبى عبيد .

وترجع قيمته كذلك ، إلى أنه من بواكير كتب النقد العلمى .

وقد قدم له بمقدمة رائعة : مليئة بالمعانى والأفكار ، وبدأها بدءاً ظريفا إذ يقول : « لعل ناظرا فى كتابنا هذا ينفر من عنوانه ، ويستوحش من ترجمته ؛ ويربأ بأبى عبيد ، رحمه الله عن الهفوة ، ويأبى له الزلة ؛ ويتحشم قَصْبَ العلماء ، وهتك أستارهم . ولا يعلم ماتقلّدناه من إكمال ماابتدأ : من تفسير غريب الحديث ، وتشييد ماأسس ؛ وأن ذاك هو الذى ألزمنا إصلاح الفساد ، وسد الخلل . على أنا لم نقل فى ذلك الغلط : إنه اشتمال على ضلالة ، أو زيغ عن سنة . وإنما هو فى رأى قضى به على معنى مستتر ، أو حرف غريب مشكل .

وقد يتعثر فى الرأى جِلّة أهل النظر والعلماء المبرزون ، والخائفون لله الخاشعون ؛ فهؤلاء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم : وهم قادة الأنام ، ومعادن العلم ، وينابيع الحكمة ، وأولى البشر بكل فضيلة ، وأقربهم من التوفيق والعصمة . ليس منهم أحد قال برأيه فى الفقه إلاوفى قوله مايأخذ بهقوم ، وفيه مايرغب عنهآخرون ... وكذلك التابعون... والناس يختلفون فى الفقه، ويرد بعضهم على بعض فى الحلال : أنهحرام ، وفى الحرام : أنهحلال وهذا طريق النجاة أو الهلكة ؛ لا كالغريب والنحو والمعانى التى ليس على الهافى فيها كبير جناح ؛ كالشافعى يرد على الثورى ، وأصحاب الرأى ، وعلي معلمه مالك بن أنس . وأبو عبيد يختار من أقاويل السلف فى الفقه ، ومن قراءتهم ، ويرذل منها ، ويدل على عورات بعضها

بالحجج البينة . وعلماء اللغة أيضا يختلفون ، وينبه بعضهم على زلل بعض . والفرّاء يرد على إمامه الكسائى ، وهشام يرد على الفرّاء ، والأصمعى يخطئ المفضل ... وهذا أكثر من أن يحاط به، أو يوقف من ورائه .

ولا نعلم أن الله عز وجل أعطى أحداً من البشر موثقا من الغلط ، وأمانا من الخطأ ، فنستنكف له منها ، بل وصل عباده بالعجز ، وقرنهم بالحاجة ، ووصفهم بالضعف والعجلة ، فقال: ﴿ وخلق الإنسان ضعيفا ﴾ و﴿خلق الإنسان من عجل﴾ ، ﴿وفوق كل ذى علم عليم﴾ ولا نعلمه خص بالعلم قوما دون قوم ، ولا وقفه على زمن دون زمن ، بل جعله مشتركا مقسوما بين عباده ، يفتح للآخر منه ماأغلقه عن الأول ، وينبه المقل منه على ماأغفل عنه المكثر . ويحييه بمتأخر يتعقب قول متقدم ، وتال يعتبر على ماض . وأوجب على كل من علم شيئا من الحق أن يظهره وينشره ، وجعل ذلك زكاة العلم ، كما جعل الصدقة زكاة المال. وقدقيل : اتقوا زلة العالم ؛ وزلةالعالم لاتعرف حتى تكشف ، وإن لم تعرف هلك بها المقلدون؛ لأنهم يتلقونها من العالم بالقبول ، ولا يرجعون إلا بالإظهار لها ، وإقامة الدلائل عليها ، وإحضار البراهين .

وقد يظن من لايعلم من الناس ، ولايضع الأمور مواضعها — : أن هذا اغتياب للعلماء ، وطعن على السلف ، وذكر للموتى ؛ وكان يقال : اعف عن ذى قبر . وليس ذاك كما ظنوا؛ لأن الغيبة سب الناس بلئيم الأخلاق ، وذكرهم بالفواحش والشائنات ؛ وهذا هو الأمر العظيم المشبه بأكل اللحوم الميتة . فأما هفوة فى حرف ، أوزلة فى معنى ، أوإغفال ، أو وهم أو نسيان — فمعاذ الله أن يكون هذا من ذلك الباب، أو أن يكون له مشاكلا أو مقاربا ، أو يكون المنبه عليه آثما ، بل يكون مأجوراً عند الله، مشكورا عند عباده الصالحين ، الذين لايميل بهم هوى ، ولا تدخلهم عصبية ، ولا يجمعهم على الباطل تحزب ، ولا يلفتهم عن استبانة الحق حسد . وقد كنا زمانا نعتذر من الجهل ، فقد صرنا الآن نحتاج إلى الاعتذار

من العلم ؛ وكنا نؤمل شكر الناس بالتنبيه والدلالة ، فصرنا نرضى بالسلامة . وليس هذا بعجيب مع انقلاب الأحوال ، ولا ينكر مع تغير الزمان ؛ وفى الله خلف، وهو المستعان .

ونذكر الأحاديث التى خالفنا الشيخ أبا عبيد ، رحمه الله ، فى تفسيرها ، على قلتها فى جنب صوابه ، وشكرنا مانفعنا الله به من علمه ؛ معتدين فى ذلك بأمرين : أحدهما : ماأوجبه الله على من علم فى علمه ، والآخر : أن لايقف ناظر فى كتبنا على حرف خالفناه فيه، فيقضى علينا بالغلط. ونحن من ذلك ، إن شاء الله سالمون ، وما أولاك ـ رحمك الله ـ بتدبر مانقول ، فإن كان حقا ، وكنت لله مريدا ـ أن تتلقاه بقلب سليم . وإن كان باطلا ، أو كان فيه شىء ذهب عنا ـ أن تردنا عنه بالاحتجاج والبرهان ، فإن ذلك أبلغ فى النصرة ، وأوجب للعذر ، وأشفى للقلوب » .

(٩) تفسير غريب القرآن :

وهو فى حقيقة أمره متمم لمشكل القرآن . وقد قال ابن قتيبة فى المشكل ص ٢٥ : « وأفردت للغريب كتابا كى لايطول هذا الكتاب » .

وقال فى مقدمة الغريب : « نفتتح كتابنا هذا بذكر أسمائه الحسنى، وصفاته العلى؛ فنخبر بتأويلهما واشتقاقهما ، ونتبع ذلك ألفاظا كثر ترددها فى الكتاب لم نر بعض السور أولى بها من بعض ؛ ثم نبتدئ فى تفسير غريب القرآن دون تأويل مشكله إذ كنا قد أفردنا للمشكل كتابا جامعا كافيا بحمد الله . وغرضنا الذى امتثلناه فى كتابنا هذا أن نختصر ونكمل ، وأن نوضح ونجمل ؛ وألا نستشهد على اللفظ المبتذل ، ولا نكثر الدلالة على الحرف المستعمل ؛ وألا نحشو كتابنا بالنحو وبالحديث والأسانيد ؛ فإنا لو فعلنا ذلك فى نقل الحديث : لاحتجنا أن نأتى بتفسير السلف رحمة الله عليهم ، بعينه ؛ ولو أتينا بتلك الألفاظ كان كتابنا كسائر الكتب التى ألفها نقلة الحديث . . » .

ثم ذكر أنه لم يذكر اختلاف العلماء ، ولم يقم الدلائل على المختار منها ؛ لأنه لو

تـكلف ذلك : لأسهب فى القول ، وأطال الـكتاب ، وقطع منه طمع المتحفظ ، وباعده من بغية المتأدب . ثم ذكر : أن كتابه هذا مستنبط من كتب المفسرين ، وكتب أصحاب اللغة العالمين ؛ لم يخرج فيه عن مذاهبهم ، ولم يتـكلف فى الحروف التى ذكرها إلا اختيار أولى الأقاويل فى اللغة ، وأشبهها بقصة الآية ؛ وبين : أنه نبذ منـكر التأويل ، ومنحول التفسير، ثم سرد نماذج مختلفة : من هذا المنـكر والمنحول ؛ وقال على إثره : « وبالله نستعين ، وإياه نسأل التوفيق للصواب » .

(١٠) كتاب الأنواء :

ذكره ابن قتيبة فى كتاب المعانى ١/٣٧٥ ، ٧٣٨ .

وقال فى مقدمته :

« هذا كتاب أخبرت فيه بمذاهب العرب فى علم النجوم : مطالعها ومساقطها ، وصفاتها وصورها ، وأسماء منازل القمر منها وأنوائها ، وفرق ما بين يمانيها وشاميها ، والأزمنة وفصولها ، والأمطار وأوقاتها ؛ واختلاف أسمائها فى الفصول ، وأوقات التّبدّى لتتبع مساقط الغيث ، وارتياد الـكلإ ؛ وأوقات حضور المياه ، وما أودعته العرب أسجاعَها فى طلوع كل نجم : من الدلالات على الحوادث عند طلوعه . وعن الرياح وأفعالها ، وتحديد مهابها ، وأوقات بوارحها ، وعن الفلك والقطب والمجرّة والبروج والنجوم ، والخُنَّس ، والشمس والقمر ودَرَارِىّ الـكواكب ومشاهرها ، والاهتداء بها . وعن السحاب ومخائله ؛ ماطره ومُخْلِفه ؛ والبروق : خُلَّبها وصادقها ؛ وأمارات خِصْب الزمان وجُدوبته . إلى غير ذلك .

وكان غرضى فى جميع ماأتيت به ، الاقتصار على ماتعرف العرب فى ذلك وتستعمله ، دون مايدعيه المنسوبون إلى الفلسفة : من الأعاجم ، ودون مايدعيه أصحاب الحساب . فإنى رأيت علم العرب هو : العلم الظاهر للعيان ، الصادق عند الامتحان : النافع لنازل البر ،

وراكب البحر، وابن السبيل، يقول الله جل وعز: ﴿وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر﴾، فكم من قوم حاد بهم الليل عن سواء السبيل فى لجج البحار، وفى المهامه والقفار، حتى أشرفوا على الهلاك، ثم نجاهم الله بنجم أمره، أو بريح استنشأوها.

وقال ابن أحمر وذكر فلاة:

يُهِلُّ بالفَرْقَدِ رُكْبانُها كما يُهِلُّ الراكبُ المُعْتَمِرْ(١)

وهؤلاء قوم: ضلوا الطريق، وتمادت بهم الحيرة، حتى خشوا الهلكة، ثم لاح لهم الفرقد: فعرفوا به سَمْتَ وجهتهم، فرفعوا أصواتهم بالتكبير كما يرفع المُعْتمر صوته بالتلبية.

ويقال: إن أعلم العرب بالنجوم: كلب وبنو شيبان، وإن العلم من كلب فى ماوية، ومن شيبان: فى مُرَّة.

وصحبنى رجل من الأعراب فى فلاة ليلا، فأقبلتُ أسأله عن محال قوم من العرب ومياههم، وجعل يدلنى على كل محلة بنجم، وعلى كل خباء بنجم، فربما أشار إلى النجم وسماه، وربما قال لى: تراه، وربما قال لى: وَلِّ وجهك بنجم كذا ـ أى: اجعل مسيرك بين نجم كذا ـ حتى تأتيهم. فرأيتُ النجوم تقودهم إلى موضع حاجاتهم، كما تقود مَهايع الطريق سالك العمارات. ولحاجتهم إلى التقلب فى البلاد والتصرّف إلى المعاش، وعلمهم أن لاتقلب ولا تصرّف فى الفلوات إلا بالنجوم ـ عُنُوا بمعرفة مناظرها.

ولحاجتهم إلى الانتقال عن محاضرهم إلى المياه، وعلمهم أن لانُقلة إلا لوقتٍ صحيح يوثق فيه بالغيث والكلإ ـ عُنُوا بمطالعها ومساقطها.

هذا مع الحاجة إلى معرفة وقت الطَّرْق، ووقت النّتاج، ووقت الفِصَال، ووقت غَوْر مياه الأرض وزيادتها، وتأبير النخل؛ ووقت يَنْع الثمر، ووقت جِداده، ووقت الحصاد، ووقت وباء السنة فى الناس وفى الإبل وغيرها من النَّعَم؛ بالطلوع والغروب.

(١) غير منسوب فى اللسان ١٤/٢٢٦

وقد يحتاج نازل المدن ، وسالك العمارات ـ وإن كان مستغنيا فى بعض الأحوال عن هـذا الشأن ـ إلى معرفته ، مُسْتَظْهِراً به النوائب فى الأسفار والنكبات ، ومعرفة ما يعرفون : من علامات الخصب والجدْب ، وعلامات السحاب الماطر ، والسحاب المُخْلِف ، والبروق الصادقة والكاذبة ، والرِّياح اللاقِحَة والحائلة ؛ ومعرفة المغارب والمشارق ، والزَّوال ، والفَجْرَين ، والشَّفَقَيْن ؛ ومعرفة سَمْت القبلة .

وقد كان هذا الشأن عزيزاً ، والمَعْنيُّون به قليلا ؛ والأدب غَضٌّ ، والزمان زمان ـ فكيف به اليوم : مع دُثُور العلم ، وموت الخواطر ، وإغراض الناس ؟ ! .

وقد قيدّت بهذا الكتاب أطرافاً : من هذا الفن ؛ أدركتُ بعضَها بالتوقيف ، وبعضها بالاعتبار ؛ واستخرجت بعضها من الأشعار ؛ ونبهت على إغْفال من أغفل من الشعراء ، وخالَفَ ما عليه أكثرهم ، لشبهة دخلت عليه .

وما أبْرَأ إليك بعدُ من العَثْرَة والزَّلة ، وما استغنى منك ـ إن وقفت على شىء ـ من التنبيه والدلالة ؛ ولا أستنكف من الرجوع إلى الصواب عن الغلط . فإن هذا الفن لطيف خفىّ ، وابن آدم إلى العجز والضعف والعجلة ﴿ وَفَوْقَ كلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيم ﴾ . ونحن نسأل الله أن ينفعنا وإياك بالعلم ، ويعرّفنا قدره ؛ ويجعل شغلنا بالعمل المقرّب منه ، ويؤتينا بفضله أفضل ما آتاه من أمّله بخير نيَّة ، وأرشد هدًى إليه ، إنه الواسع الكريم » .

وقد ذكر ابن قتيبة فى كتاب «الأنواء» من كتبه : كتاب « تأويل مشكل القرآن » فقد ذكر فى ص ٩ رأيا فى قوله تعالى ﴿ ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة » ثم قال : « وهـو قول أبى عبيدة ، وهذا قول قد بينت فساده فى كتابى المؤلف فى تأويل مشكل القرآن » .

ولم ينص فى المشكل على أن هذا الرأى لأبى عبيدة ، بل نسبه « لبعض أهل اللغة » وقد قلت فى التعليق عليه : « يلوح لى أن ابن قتيبة يقصد بقوله هذا أبا عبيدة . . . راجع تأويل مشكل القرآن ص ١٥٣ـ١٥٧ .

وذكر أيضاً كتاب الميسر والقداح فى ص ١٠ ؛ فإنه أنشد قول الراعى :

إذا لم يكن رِسْلٌ يعود عليهمُ ضربنا لهم بالشَّوْحَطِ المتقوَّبِ

ثم قال : « والشوحط المتقوب : يعنى القداح التى يضرب بها . وقد بينت هذا فى كتاب الميسر » . وما أشار إليه موجود فى كتاب الميسر والقداح ص ٥٢ .

وذكر أيضا كتاب « الوحش » فى ص ٤١ ؛ وهو من الكتب المفردة .

(١١) كتاب فضل العرب والتنبيه على علومها :

ذكره ابن قتيبة فى كتاب الشعر والشعراء ١/٨ ، ٥٠ ، وفى عيون الأخبار ٢/١٨٥ ؛ ونقل منه نتفة فى وصف الشعر . وقد طبع قسم : مما وجد منه ، فى كتاب رسائل البلغاء للأستاذ محمد كرد على .

(١٢) كتاب الميسر و القداح :

ذكره ابن قتيبة فى كتاب إصلاح الغلط (لوحة ٢٦ـب) ؛ حيث يقول : « وقد ذكرت هذا فى كتاب الميسر بأكثر من هذا الشرح ، ولم يحتمل هذا الكتاب أن نتجاوز فيه مقدار ماذكرنا . فإذا آثرت أن تعرف أمر الميسر وكيفيته ، ويضح لك ماذكرته فى هذا الحديث أكثر من هذا الوضوح ـ : نظرت فى ذلك الكتاب إن شاء الله » .

وقد طبعه الأستاذ محب الدين الخطيب سنة ١٣٤٢ هـ .

(١٣) كتاب المعارف :

ذكره ابن قتيبة فى مقدمة عيون الأخبار . وقد طبع مرارا ؛ وأول من طبعه المستشرق « وستنفل » سنة ١٨٥٠ م .

وقد جاء فى مقدمة كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة ص ١ : عن أحمد بن عبيد الله بن أحمد قال : « أملى علينا أبو بكر محمد بن يحيى الصولى ، رحمه الله ، هذا الكتاب ؛ وكان سبب

إملائه إياه علينا : أن رجلا ممن كان يحضر مجلسه ، يحضر مجلس أبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى ، رحمه الله ؛ فرأى يوما فى يده كتابا ، فأخذه يقرأه ، فوجده مجلدا من كتاب الزاهر ؛ فقال : هذا منقول من كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة ؛ كما نقل أبو محمد بن قتيبة كتابه فى المعارف ، من كتاب المحبر لابن حبيب ... ». وقد طبع كتاب المحبر فى الهند سنة ١٣٦١هـ ، بتصحيح الدكتورة إيلزه ليحتن شتيتر إحدى العالمات بأمريكا . وقد قرأت كتاب المحبر ، وقارنت بينه وبين المعارف ؛ فتبينت تجنى الصولى، وإسرافه فى قوله : إن المعارف منقول منه . وتفصيل القول فى ذلك يقع فى موضعه : من مقدمة طبعة المعارف إن شاء الله . وأظن أن المسعودى يقصد كتاب المعارف ، فى كلامه على تاريخ أبى حنيفة أحمد ابن داود الدينورى المتوفى سنة ٢٨٢ هـ ؛ حيث يقول : « إن ابن قتيبة أخذ ما ذكره ، وجعله عن نفسه » .

وقد ذكر ابن قتيبة كتاب الشعر والشعراء ، فى كتاب المعارف ص ٢٣٨ .

(١٤) كتاب عيون الأخبار :

وفيه عشرة كتب :

كتاب السلطان	كتاب الزهد
« الحرب	« الإخوان
« السؤدد	« الحوائج
« الطبائع والأخلاق	« الطعام
« العلم	« النساء

وقد طبعته دار الكتب المصرية فى سنة ١٣٤٣هـ ، طبعة يشيع فيها التصحيف والتحريف. ولعل مرد ذلك إلى أنه من أوائل الكتب التى تولى القسم الأدبى تحقيقها . وقد أشار ابن قتيبة فى مقدمته إلى كتاب الأشربة ، كما أشار إليه فى ٣٢٥/١ ، وإلى كتاب أبيات المعانى

١٥٨/١ ، وكتاب الشعر والشعراء ١٨٥/٢ ، ٢٤٧/٣ ، وكتاب العرب ١٨٥/٢ ، وكتاب غريب الحديث ٢٤٤/٢ ، ٩/٤ .

وقال أبو بكر بن دريد ، وقد تذاكر مع جماعة من جلسائه متنزهات الدنيا ، وسمّى كل منهم أنزه مكان رآه : « هذه متنزهات العيون ، فأين أنتم عن متنزهات القلوب ؟ فقالوا له : وماهى ؟ فقال عيون الأخبار لِلقُتَبِىِّ ، والزّهرة لابن داود ، وقلق المشتاق لابن أبى طاهر » .

(١٥) كتاب أدب الكاتب :

ويحتوى على أربعة كتب :

كتاب المعرفة	كتاب تقويم اللسان
« تقويم اليد	« الأبنية

وقد طبع منه اثنا عشر بابا فى ليبزج سنة ١٨٧٧ م ، ثم طبع كاملا فى ليدن سنة ١٩٠١ م ، وطبع بعد ذلك بمصر مرارا .

وقد شرح خطبته أبو الكرم المبارك بن الفاخر المتوفى سنة ٥٠٠ ﻫ .

وأبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى المتوفى سنة ٣٥٠ ﻫ . ومنه نسخة خطية بدار الكتب المصرية كتبت سنة ٥٨٦ ﻫ .

وشرح أبياته أحمد بن محمد الخارزنجى المتوفى سنة ٣٤٨ .

وقد شرحه أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن السيد البطليوسى المتوفى سنة ٤٢١ ﻫ وسمى شرحه : الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب . وقد جعله ثلاثة أجزاء ، قصر الأول منها على شرح الخطبة ، والثانى على التنبيه على الأغلاط ، والثالث على شرح الأبيات . وقد طبع ببيروت سنة ١٩٠١ م .

وجاء فى بغية الوعاة ــ فى ترجمة أحمد بن محمد بن أحمد المرسى أبى العباس بن بلال المتوفى

قريبا من سنة ستين وأربعمائة ـ : « ونسب إليه ابن خلصة النحوى شرح أدب الكاتب المسمى بالاقتضاب ، وذكر : أن ابن السيد البطليوسى أغار عليه وانتحله » . وقد شرحه أيضا أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقى المتوفى سنة ٥٣٩ هـ ؛ وقد طبع بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ ، وقدم له المرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعى .

كما شرحه سليمان بن محمد الزهراوى تلميذ أبى القاسم الزجاجى .

وشرحه أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابى صاحب ديوان الأدب .

وشرحه أبو جعفر أحمد بن داود بن يوسف الجذامى المتوفى سنة ٥٩٧هـ .

وشرحه أبو الحزم الحسن بن محمد بن يحيي بن عليم البطليوسى المتوفى سنة ٥٧٦ هـ .

وقد ألف أبو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان ـ : كتابا فى نقده ، أسماه : « غلط أدب الكاتب » .

وقال ابن خلدون فى مقدمته ص٥٥٣ أثناء كلامه على علم الأدب : « وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين ، وهى أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبى على القالى البغدادى ، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها ، وفروع عنها ! » .

وقال ابن خلكان فى « وفيات الأعيان » ٢٤٧/٢ : « والناس يقولون : إن أكثر أهل العلم يقولون : إن أدب الكاتب خطبة بلا كتاب ، و « إصلاح المنطق » كتاب بلا خطبة . وهذا فيه نوع تعصب عليه ، فإن أدب الكاتب قد حوى من كل شيء ، وهو مُفَنَّن ، وما أظن حَمَلهم على هذا القول إلا أن الخطبة طويلة ، و « الإصلاح » بغير خطبة .. »

(١٦) كتاب الشعر والشعراء :

طبع هذا الكتاب للمرة الأولى فى ليدن سنة ١٨٧٥م ؛ ثم أعيد طبعه فيها سنة ١٩٠٢م بتحقيق المستشرق الكبير دى غويه . وطبع بعد ذلك عدة طبعات فى مصر وفى غيرها ،

وكان آخرها طبعة الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر التى طبعها فى مطبعة عيسى الحلبى فى سنة ١٣٦٤، ١٣٦٦هـ ؛ وهى فى جزءين عرضت لها بالنقد فى مجلة الكتاب فى عدد يونيه ١٩٤٦ صفحة ٢٩٥ـ٣٠٩ وعدد ديسمبر ١٩٥٠م، صفحة ٩٢٨ـ٩٣٤

وقد ذكر ابن قتيبة فى هذا الكتاب ـ من كتبه ـ : كتاب الأشربة ١/١٣٨، ٢/٨٢٧، وكتاب العرب ١/٨، ٥٠، وكتاب غريب الحديث ٢/٦٨٤.

(١٧) كتاب المسائل والأجوبة، فى الحديث واللغة :

طبعه الأستاذ حسام الدين القدسى، فى مطبعة السعادة سنة ١٣٤٩هـ.

ويبدو أن هذه الطبعة غير كاملة ؛ لأنى وجدت ابن السيد قد نقل منه نصا فى ص ٢٠٧ ليس له أثر فيها.

وقد أشار ابن قتيبة فى هذا الكتاب، إلى غريب الحديث ص ١٥.

(١٨) كتاب الاختلاف فى اللفظ، والرد على الجهمية والمشبهة :

وقد طبعه القدسى فى مطبعة السعادة سنة ١٣٤٩هـ بتحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثرى.

(١٩) كتاب تأويل مشكل الحديث :

طبع بمطبعة كردستان العلمية بالقاهرة سنة ١٣٢٦هـ باسم : « تأويل مختلف الحديث ».

وهو كتاب فريد، تحدث فيه عن موقف علماء الكلام من أهل الحديث، وما تحدثوا عنهم به : من شتى التهم والمثالب ؛ وعرض بالنقد لما ذهب إليه النظام : من اعتراضه على أبى بكر وعمر وعلى، وطعنه على ابن مسعود وحذيفة وأبى هريرة. ونقد كذلك ثمامة بن الأشرس، ومحمد بن الجهم البرمكى والجاحظ، وأبا الهذيل العلاف، وغيرهم ؛ وعرض لأهل الرأى، وأبان عن منابذتهم للكتاب والسنة. وأدار الجزء الأكبر من كتابه على الأحاديث : التى ادعِى عليها التناقض والاختلاف ومخالفة القرآن ؛ والأحاديث : التى زعموا

أن النظر يدفعها ، وحجة العقل تدمغها ؛ فكشف عن معانيها التى صرفهم عن فقهها الهوى الجموح ، ولفتهم عن وجه الحق فيها إلحاد الضمائر والقلوب والعقول .

(٢٠) كتاب الأشربة :

طبعه المجمع العلمى العربى بدمشق سنة١٣٦٦هـ ، بتحقيق الأستاذ محمد كرد على ؛ وهى طبعة رديئة ، مليئة بالتصحيف والتحريف ؛ وقد نقدت بعض مافيها فى سلسلة مقالات نشرتها بمجلة الرسالة سنة ١٩٤٩م فى العدد ٨٢٩ وما بعده .

(٢١) كتاب المعانى الكبير :

قال ابن النديم : « إنه يحتوى على اثنى عشر كتابا ، منها :

كتاب الفرس ، ستة وأربعون بابا .

« الإبل ، ستة عشر بابا .

« الحرب ، عشرة أبواب .

« القدور ، عشرون بابا .

« الديار ، عشرة أبواب .

« الرياح ، أحد وثلاثون بابا .

« السباع والوحوش ، سبعة عشر بابا .

« الهوام ، أربعة عشر بابا .

« الأيمان والدواهى ، سبعة أبواب .

« النساء والغزل ، باب واحد .

« الشيب والكبر ، ثمانية أبواب .

« تصحيف العلماء ، باب واحد » .

وقد طبع ماوجد من هذا الكتاب فى الهند سنة ١٣٦٨ هـ ، فى ثلاثة مجلدات بلغ عدد صفحاتها ١٢٧٠ صفحة من القطع الكبير ، غير فهارسها .

وقد أشار ابن قتيبة إلى هذا الكتاب ، فى عيون الأخبار ١٥٨/١ ؛ حيث يقول : « وقد فسرت هذا الشعر فى كتابى المؤلف فى أبيات المعانى ، فى خلق الفرس » ؛ وما أشار إليه موجود فى المعانى ١/١١٠-١١٢ .

وقد أشار فى المعانى إلى كتاب الأنواء ص ٣٧٥ ، ٧٣٨ .

والكتاب الثانى عشر من كتاب المعانى- وهو : « تصحيف العلماء » . - من الأقسام الضائعة من الكتاب ؛ وقد ألف ابن المرزبان عبدالله بن جعفر بن درستويه (٢٥٨-٣٤٧) ، فى نقده ، كتابا جعل عنوانه : « الرد على ابن قتيبة فى تصحيف العلماء » .

(٢٢) كتاب عيون الشعر :

قال ابن النديم : « يحتوى على عشرة كتب ، منها :

كتاب المراتب

« القلائد

« المحاسن

« المشاهد

« الشواهد

« الجواهر

« المراكب » .

(٢٣) كتاب التقفية :

قال ابن النديم : « هذا كتاب رأيت منه ثلاثة أجزاء ، نحو ستمائة ورقة ، بخط برك ،

وكانت تنقص على التقريب جزءين . وسألت عن هذا الكتاب جماعة : من أهل الخط ؛ فزعموا : أنه موجود ؛ وهو أكبر من كتاب البندنيجى ، وأحسن من كتبه » .

(٢٤) كتاب العلم :

قال ابن النديم : « نحو خمسين ورقة » .

(٢٥) كتاب جامع النحو الكبير .

(٢٦) « جامع النحو الصغير .

(٢٧) « الحكاية والمحكى .

(٢٨) « الخيل .

(٢٩) « إعراب القرآن .

(٣٠) « ديوان الكتاب .

(٣١) « فرائد الدر .

(٣٢) « خلق الإنسان .

(٣٣) « القراءات .

وقد أشار إليه فى تأويل مشكل القرآن ص ٤٥ .

(٣٤) كتاب دلائل النبوة ، ويسميه القاضى عياض فى المدارك : « أعلام النبوة » .

(٣٥) « جامع الفقه .

(٣٦) « حكم الأمثال .

(٣٧) « آداب العشرة .

(٣٨) « التفسير ، ذكره القاضى عياض .

(٣٩) كتاب معجزات النبى صلى الله عليه وسلم ، ذكره أبو الطيب الحلبى فى مراتب النحويين .

(٤٠) « تأويل الرؤيا ، ذكره ابن قتيبة فى مقدمة عيون الأخبار .

(٤١) « استماع الغناء بالألحان .

(٤٢) « الرد على القائل بخلق القرآن .

(٤٣) « آداب القراءة .

(٤٤) « الجوابات الحاضرة .

(٤٥) « تأويل مشكل القرآن .

أشار إليه ابن قتيبة فى أدب الكاتب ص١٩ وفى تأويل مختلف الحديث ص٨٣ ، ٣١٤ وفى كتاب « الأنواء » ص ٩ وفى كثير من صفحات تفسير غريب القرآن .

وقد ذكر فيه من كتبه : كتاب « القراءات » ص٤٥ وكتاب تفسير غريب الحديث ص ٢٨ ، ٤٥ ، ٥٨ ، ٩٩ ، ٢٠٥ ، وكتاب تفسير غريب القرآن ص ٢٥ .

(٤٦) كتاب الجراثيم .

وتوجد منه نسخة خطية عتيقة، فى المكتبة الظاهرية (٥٩ لغة) ، تقع فى ٤٤٠ صفحة؛ كتب عليها : « كتاب الجراثيم ، مستوعب لأسماء أصول العالم والبهائم والوحش والطير والسباع والهوام ، وكل نسمة تعرف ؛ ومتصرفاتهم ، وأفعالهم ؛ وأسماء أنواع الأرض والشجر والنبات ؛ وغير ذلك ؛ والوحوش ، وقوافى الشعر . تأليف : أبى محمد عبد الله بن مسلم » . ومجلد كتاب الجراثيم هذا يحتوى على عدة كتب لغوية ، نشر منها الأب موريس بويجس كتاب: «النعم والبهائم والوحش والسباع والطير ، وحشرات الأرض»؛ سنة ١٩٠٨م ونسبه لأبى عبيد القاسم بن سلام .

كما نشر الدكتور « أوغست هفنر » كتاب: « النخل والكرم » فى مجلة المشرق، ونسبه للأصمعى. ثم أعاد نشره « الأب لويس شيخو » فى المجموعة اللغوية التى سماها: « البلغة فى شذور اللغة ». ولكنه لم يرتض نسبته للأصمعى، ونسبه لأبى عبيد؛ وقال: « ومما يحملنا إلى نسبته لأبى عبيد: أن الشروح للمفردات توافق ماجاء فى لسان العرب والمخصص، منسوبا لأبى عبيد أكثرمنها للأصمعى؛ ومن المحتمل أيضا: أن يكون الكتاب لأبى حاتم السجستانى تلميذ الأصمعى ... ».

وقد نشر « شيخو » أيضا -من كتاب الجراثيم- كتاب: « الرحل والمنزل »؛ وشك فى نسبته لابن قتيبة، لأنه لم يذكره أحد ضمن مصنفاته؛ ومال إلى أنه لأبى عبيد، لأن معظم مضامين هذا الكتاب قد رويت فى اللسان والمخصص، منسوبة له.

وقد نشر أيضا منه تلك المجموعة فصلا عنوانه: « أبواب اللبن والشراب »؛ ولم يحاول نسبته إلى أحد غير ابن قتيبة.

ولسنا نستطيع أن نتبين: هل هذه الكتب المنشورة من كتاب الجراثيم لابن قتيبة؟ أم هى ملحقة به؟: لأنا لم نحصل بعد على صورة منه؛ كما لانستطيع كذلك: أن ندفع الكتاب عن ابن قتيبة؛ لأن المترجمين له لم يذكروه فى كتبه؛ ولا لأن بعض شروح الكتب التى يحتويها توافق مانسب فى كتب اللغة لأبى عبيد، أو للأصمعى، أو لغيرهما؛ فمن طبيعة التأليف اللغوى النقلُ ولا سيما عن أعلامها السابقين؛ ولم يزعم المترجمون ولا زعم لهم زاعم: أن الكتب التى يذكرونها لمن يترجمون لهم، هى على سبيل الحصر والاستقراء.

(٤٧) كتاب معانى القرآن:

وقد قرأه عليه قاسم بن أصبغ، المتوفى سنة ٣٤٠ هـ. وذكره القاضى عياض فى ترجمة ابنه أحمد.

هذه أسماء كتب ابن قتيبة بعد إسقاط ما كرره المترجمون له: فقد ذكروا له كتبا كثيرة، وهى فى حقيقة أمرها أجزاءمن كتب؛ ككتاب: « الفرس » الذى ذكره القفطى

وهو من « معانى الشعر » ؛ وكتاب: « تقويم اللسان » الذى أشار إليه صاحب كشف الظنون، فإنه من « أدب الكاتب » ؛ وكتاب: « المراتب والمناقب » الذى ذكره ابن النديم وهو من « عيون الشعر » ؛ وكتاب: «الأبنية» الذى ذكره القاضى عياض ، فإنه من « أدب الكاتب » .

وعدة الكتب التى ذكرناها هنا: سبعة وأربعون كتابا ، منها أربعة كتب تشتمل على اثنين وخمسين كتابا ، كما سبق . فأين بقية كتبه التى قال أبو العلاء المعرى : إنها خمسة وستون كتابا ؟ .

هل هى كتب أخرى مستقلة ضل عن التاريخ ذكرها ؟ أم هى أجزاء من تلك الكتب المشتملة على كتب عدّها العادون كتبا مفردة ؟ . علم ذلك عند علام الغيوب .

ولست أميل إلى تصديق صاحب « التحديث بمناقب أهل الحديث »، فى قوله الذى انفرد به: إن كتب ابن قتيبة زهاء ثلاثمائة كتاب . فلو كان ذلك كذلك : لاهتم ابن النديم ببيانها ؛ كما صنع فى تراجم المؤلفين المكثرين : من أمثال أبى عبيدة ، والمدائنى ، وهشام الكلبى .



وقد نسب إلى ابن قتيبة كتاب مشهور شهرة بطلان نسبته إليه؛ وهو كتاب : « الإمامة والسياسة » ؛ وهل يسيغ هذه النسبة عقل مع عرفانه : بأن مؤلف « الإمامة والسياسة » ذكر : أنه استمد معارفه من أناس حضروا فتح الأندلس فى سنة ٩٢هـ ، وأن موسى بن نصير غزا مدينة مراكش فى زمن الرشيد ؛ مع أن ابن قتيبة ولد فى سنة ٢١٣ ، ومات فى سنة ٢٧٦ ؛ ولم تبن مدينة مراكش إلا فى سنة ٤٥٤ هـ : فى عهد يوسف بن تاشفين ، سلطان المرابطين . ؟! .

إن هذا وحده يدفع نسبة الكتاب إلى ابن قتيبة ، فضلا عن قرائن وأدلة أخرى كلها يثبت تزوير هذه النسبة .

***

وقد نسبت إليه أيضا : « وصية إلى ولده » ؛ نشرها الدكتور إسحاق موسى الحسينى فى مجلة الجامعة الأميريكية ببيروت ، عن مجموعة خطية محفوظة بمكتبة تلك الجامعة ، كتبت فى الإسكندرية سنة ٤٨٦ . وقد أقبلت على قراءة هذه الوصية : فرحا مشوقا ؛ وما إن فرغت من قراءتها حتى كان الشك فى نسبتها إليه قد قرّ قراره فى نفسى ؛ لأن معانيها سطحية مفككة ، وأفكارها ساذجة مختلجة ؛ وأسلوبها يباين أسلوب ابن قتيبة المشرق الرصين .

وإن شئت فاقرأ فيها قول كاتبها : « يابنى إذا لقيت أحداً من إخوانى وأصحابى : فأقرهم منى السلام ؛ وأخبرهم عنى بالله عزّ وجلّ ، قال : ﴿ أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه ، كمن متَّعناه متاع الحياة الدنيا ﴾ ، ﴿ فلا تغرّنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ . واعلم : أن الله عز وجل بنى دراً لمن لادار له ، يجمع فيها من لافعل له ! » .

«يابنى قدصحبت لك طوائف من الناس ، وبلوت أخبارهم ؛ فما رأيت طائفة أجلّ وأعظم قدرا من أهل الفقر إلى الله عز وجل ، والفاقة والمسكنة إلى الله عز وجل ؛ فالزمهم وجالسهم واخدمهم بنفسك ، وتواضع لهم بجسمك ؛ وتقرب إلى الله عز وجل بالنظر إليهم ، وواسهم بما قدرت عليه ، وتغافل عن زلاتهم ، وأحسن ظنك بهم ؛ فإن الله عز وجل يؤيدهم إذا ماتوا إن شاء ! »

«وعليكَ بمجالسة الفقراء أهل الفقر والمسكنة إلى الله ، واخدمهم بنفسك ، وتحبّب إلى الله عز وجل فى المحبة لهم ، وابذل لهم مالك وجاهك ، وتبرك بدعائهم ، ودم على صحبتهم ؛ فإن لهم يوم القيامة دولة ، وعند الله تعالى شفاعة »

« يابنى أنا راغب إلى الله فى مسألتى له : أن يجعلك خلفا من بعدى ، تخلفنى فى علمى ومذهبي . »

« يابنى طب عن الأمة نفسا، وارض بالرحمن أنسا، فماعليها أحد يعدل فى الخبرة فَلْسا».

وما أظن إلا أن هـــذه الفقرات ستثير فى نفسك الشك : إن كنت لـكتب ابن قتيبة من القارئين ؛ كما أنى لاأعلم لابن قتيبة مذهبا صوفيا ، يتمنى أن يخلفه ابنه فيه . ولو كان لتحدث عنه الصوفية وغيرهم . على أن هذه « الوصية » قطعة من كتاب لم يصل إلينا كاملا ؛ وآية ذلك ماجاء فى صفحة ٧ : « واعلم يابنى : أن أصول البدع كلها من خمسة : من القدريّه ، والمرجئة ، والجهمية ، والرافضة، والخوارج . ومنها تتشعب الفرق كلّها حتى تنتهى إلى ثلاث وسبعين فرقة ؛ للذى جاء به الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة : اثنتان وسبعون منها هالـكة ، والواحدة منها ناجية : الذى أنا عليه وأصحابى . والجهمية : الذين يقولون : إن القرآن مخلوق ؛ ويؤمنون بالقدر ؛ ويقولون : إن الله عز وجل حالّ فى كلّ شىء ، كالشىء فى الشىء ، وكالروح فى الجسد . والخوارج : هم الذين يقولون بتقديم الشيخين : أبى بكر وعمر ؛ ويرون إمامتهما ، ويتبرءون من عثمان وعلى . وقد بينت وسميت أئمتهم فى هذا الـكتاب ! » .

وليس فى « الوصية » بيان عن الخوارج ، ولا تسمية لأئمتهم وكان خليقا بناشرها أن يشير إلى ذلك .

ولو كانت تلك الوصية لابن قتيبة حقا : لـما كانت إلا لابنه أحمد ؛ ولو كانت له : لحدّث بهـا فيما حدث عن أبيـه ، ولأكثر من التحديث بها لأسباب شتى : من حوافز النفس ، ودواعى الاجتماع .

***

وكان من شأن ابن قتيبة : أن يخلو إلى نفسه فى بيته ، فيؤلف كتبه ، ويجوّد تأليفها ؛ ثم يخرجها للناس ، ويُقرئها لمن شاء : من طلاب علمه وأدبه . وقد تتلمذ له عدد كبير نذكر منهم ما يلى :

(١) ابنه أحمد ، قال القاضى عياض فى ترجمته له فى كتاب « المدارك » : «أبو جعفر ابن قتيبة ؛ هو : أحمد بن عبد الله بن مسلم الدينورى ، البغدادى النشأة . كان : مالـكىّ المذهب،

من أهل العلم والحفظ لكتب أبيه ؛ وكان يحفظها كما يحفظ القرآن ، ويردّ فيها من حفظه النقطةَ والشكلة : ومامعه نسخة! كان أبوه أبو محمد حفّظها إياه فى اللوح! وعدتها أحد وعشرون مصنفا : كتاب المشكل ، معانى القرآن ، غريب القرآن ، غريب الحديث ، عيون الأخبار ، مختلف الحديث ، التفسير ، الفقه ، المعارف ، أعلام النبوّة ، العرب والعجم ، الأنواء ، طبقات الشعراء ، معانى الشعر ، إصلاح الغلط ، أدب الكتاب ، الأبنية ، النحو ، المسائل ، القراءات .

سمع منه خلق عظيم من الجِلّة ـ بالعراق ومصر ـ كأحمد بن ولاّد ، وأبى جعفر النّحاس ، وأبى عاصم المظفّر بن أحمد ، وأبى على القالى ؛ وغيرهم : من جلّة أهل الأدب والرواية .

وكان مجلسه: لعيون الناس ، وأعيان النبهاء . ولم يكن عنده حديث إلا مافى كتب أبيه . ولى قضاء مصر سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة. ورَدَها: وقد لبس السَّواد؛ وحكم فى جامعها، واستخلف الفقيه أبا الذكر المالكى على فَرْض النساء . وكان فى خلقه حدّة . وتوفى فى ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين بمصر ، بعد صَرْفه . وكانت ولايته القضاء بمصر: ثلاثة أشهر .

وله ابن اسمه : عبد الواحد ، روى عن أبيه ؛ سمع منه أبو عبيد الله الوشاء المصرى ». وقال الخطيب البغدادى فى ترجمة عبد الواحد ١١/٨ : « يكنى عبدُ الواحد : أبا أحمد . ذكر: أنه ولد ببغداد فى سنة سبعين ومائتين ، وانتقل إلى مصر فسكنها ، وروى بها ـ عن أبيه عن جدّه ـ كتبه . سمع منه أبو الفتح بن مسرور البَلْخى ، وقال : كان ثقة » .

ومن الكتب التى قرأها أبو على القالى (٢٨٨ ـ ٣٥٦ هـ) على أبى جعفر أحمد بن عبدالله ابن مسلم بن قتيبة ـ : كتاب عيون الأخبار ، وأدب الكاتب .

وقد قرأ عليه كتب أبيه كلّها : أبو القاسم الآمدى ، المتوفى سنة ٣٧٠ هـ . وقد قرأها

جميعا على الآمدى : أبو غالب محمد بن بُشْرَان بن دينار ، المتوفى سنة ٤٠٩ ﻫ .

وقد قرأ على أحمد أيضاً : أبو الفتح محمد بن جعفر المراغى ، وأبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى : شارح خطبة أدب الكاتب .

(٢) أحمد بن مروان المالكى ، المتوفى سنة ٢٩٨ ﻫ . ومما رواه عنه : كتاب تأويل مختلف الحديث؛ وقد وصل إلينا بروايته .

(٣) أبو بكر : محمد بن خلف بن المَرْزُبان ، المتوفى سنة ٣٠٩ ﻫ .

(٤) أبو القاسم : ابراهيم بن محمد بن أيوب بن بشير الصائغ ، المتوفى سنة ٣١٣ﻫ. وقد روى عن ابن قتيبة ، كل مصنفاته .

(٥) أبو محمد : عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عيسى السكّرى، المتوفى سنة ٣٢٣ﻫ. وقدسمع منه غريب الحديث ، وإصلاح الغلط فى سنة ٢٦٨ ﻫ . وقد وصل إلينا من روايته عنه ، كتاب المسائل والأجوبة ، وإصلاح الغلط .

(٦) أبو القاسم : عبيد الله بن أحمد بن عبد الله بن بكير التميمى ، المتوفى سنة ٣٣٤ ﻫ .

(٧) الهيثم بن كليب الشّاشى ، المتوفى سنة ٣٣٥ ﻫ . وقد أخذ عنه الأدب خاصة .

(٨) قاسم بن أصبغ الأندلسى (٢٤٧ ـ ٣٤٠ ﻫ) ، الذى رحل إلى المشرق فى سنة ٢٧٤ . وقد قرأ عليه المعارف ، وشرح غريب الحديث .

(٩) عبد الله بن جعفر بن دُرَسْتَويه الفَسَوِىّ (٢٥٨ ـ ٣٣٥ ﻫ) . وقدوصل إلينا من روايته عنه ، كتاب الأشربة .

(١٠) أبو القاسم : عبيد الله بن محمد بن جعفر بن محمد الأزْدِىّ ، المتوفى سنة ٣٤٨ ﻫ .

(١١) أبو بكر : أحمد بن الحسين بن ابراهيم الدينورى. وقد روى عنه : تأويل مختلف الحديث .

(١٢) أبو بكر : أحمد بن محمد بن الحسن الدينورى. قرأ عليه : تأويل مختلف الحديث؛ كما قال ابن بطّة .

(١٣) أبو عبد الله محمد بن أبي الأسود البلخى ، المتوفى سنة ٣٤٣ ھ .

(١٤) أبو اليسر : ابراهيم بن أحمد الشيبانى البغدادى ، المتوفى سنة ٢٩٨ ھ .

***

هؤلاء هم الذين وقفنا على أنهم تتلمذوا لابن قتيبة ، وقرأوا عليه كتبه كلها أو بعضها، ونهضوا بأمانة نشرها فى الآفاق .

ولقد كان ابن قتيبة : كريما بعلمه ، سمْحًا فى إقراء كتبه ؛ لم يؤثر عنه : أنه حبسها عن طلابها حتى يقبض أجره ؛ كما أُثِرَ عن قرينه : أبى العباس المبرد (٢١٠ـ٢٨٥) ؛ الذى كان يساوم طلابه ، ويمتنع عن تحديث جماعتهم: إذا كان فيهم فرد واحد لم يدفع أجره مقدما ؛ ولو كان هذا الفرد غريبا حَرِيا.

***

وظل ابن قتيبة : يقرئ كتبه ببغداد ، إلى حين وفاته فى خلافة المعتمد الذى بويع سنة ٢٥٦، ومات سنة ٢٧٩ .

وكان سبب وفاة ابن قتيبة فيما يقول تلميذه أبو القاسم إبراهيم الصائغ ـ : « أنه أكل هريسة : فأصاب حرارة ، ثم صاح صيحة شديدة ، ثم أغمى عليه إلى وقت صلاة الظهر ، ثم اضطرب ساعة ، ثم هدأ ؛ فما زال يتشهّد إلى وقت السحر ، ثم مات . وذلك : أول ليلة من رجب سنة ست وسبعين ومائتين » .

وقد روى الخطيب البغدادى رواية أخرى عن تاريخ وفاته ، فقال : (١٠/١٧٠) : « قرأت على الحسن بن أبى بكر ، عن أحمد بن كامل القاضى ، قال : ومات عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينورى ، فى ذى القعدة سنة سبعين ومائتين ». وهى رواية مدخولة ؛ لأن الثابت الذى لم يشبه شك : أن قاسم بن أصبغ الأندلسى سمع منه لما رحل إلى بغداد ؛ وكانت رحلته فى سنة ٢٧٤ ھ .

وقد جاء فى المنتظم لابن الجوزى ١٠٢/٥ : « وذكر بعض أهــل النقل : أنه مات بالـكوفة ، ودفن إلى جنب قبر أبى حازم القاضى » ؛ وهو قول مجهول ، لم يعبأ به أحد: من المؤرخين .

وقدجاء فى ص ٢٠٠ من طبقات النحويين واللغويين لأبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى المتوفى سنة ٣٧٩ هـ : أن ابن قتيبة «توفى سنة ست وتسعين ومائتين». ولا مراء فى أن «تسعين» محرفة عن « سبعين » .



لم يتول ابن قتيبة من المناصب ـ فيما علمنا ـ إلا منصب القضاء بالدِّينَوَر ؛ ولذلك قيل له : الدِّينَوَرِىّ . ولسنا نعرف: فى أى سنة تولى قضاء هــذه المدينة ، ولا مدة بقائه على قضائها ، ولا سبب خروجه منه ؟ ولا نعلم : من الذى ولاّه ؟ وإن كان يغلب على ظننا: أن الذى ولاه : الوزير أبو الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ؛ وزير المتوكل ثم المعتمد . وكان المتوكل قد استوزر محمد بن الفضل الجرجرائى مديدة بعد قتله لمحمد بن عبـد الملك الزيات فى سنة ٢٣٣هـ؛ ثم كثرت السعايات به فعزله ، وقال : أريد حدثا أستوزره ؛ لأنى قد ضجرت من المشايخ . فأشير عليه : بعبيد الله بن يحيى بن خاقان . وظل عبيد الله وزيراً حتى قتـل المتوكل فى سنة ٢٤٧ ؛ وفى سـنة ٢٤٨ : نـكبه الخليفة المستعين ونفاه إلى بَرْقَة ؛ وعاد عبيد الله إلى بغداد سنة ٢٥٣ ؛ ثم استوزره المعتمد فى شعبان سنة ٢٥٦ ، ولبث فى وَزَارته حتى مات ؛ وكان سبب موته : أنه لعب فى الميدان مع خادم له اسمه : « رشيق » ؛ فصدمه : فسقط عبيد الله عن فرسه ، ومات من يومه ؛ فصلى عليه « الموفّق » ومشى فى جنازته ؛ وذلك : يوم الجمعة لعشر خلون من ذى القعدة سنة ثلاث وستين ومائتين .

وقد كان بين ابن قتيبة وبين عبيد الله ، مودّة حملتـه على أن يصنّف له كتاب : « أدب الـكاتب » ؛ وأن يقول عنه فى مقدمته : « ...فالحمدلله الذى أعاذ الوزيرَ أباالحسن

أيده الله من هذه الرّذيلة ، وأبانَهُ بالفضيلة ؛ وحباه بخيم السّلف الصالح؛ وردّاه رداء الإيمان وغشاه بنوره ؛ وجعله هدى من الضّلالات ، ومصباحاً فى الظلمات ؛ وعرّفه ما اختلف فيه المختلفون ، على سنن الكتاب والسنة؛ فقلوب الخيار له مُمْتَلِقَةٌ ، ونفوسهم إليه مائلة،وأيديهم إلى الله فيه ـ مظانّ القبول ـ ممتدة ؛ وألسنتهم بالدعاء له شافعة : يهْجَعُ ويستيقظون ، ويغفُل ولا يغفلون ؛ وحُقّ لمن قام لله مقامه ، وصبر على الجهاد صبره ، ونوى فيه نِيَّتَهُ ـ : أن يُلبسه اللهلباسَ الضمير، ويُرَدِّيه رداء العمل الصالح، ويَصُور إليه مختلفات القلوب، ويسعده بلسان الصدق فى الآخرين » .

والذى رجح ظنى ـ فى أن عبيد الله بن يحيى هو الذى ولى ابن قتيبة قضاء «الدينور» ـ قول أبى القاسم الزجاجى فى شرح خطبة أدب الكاتب ص ٣٨ ـ تعقيبا على قول ابن قتيبة : « فالحمدلله الذى أعاذ الوزير أبا الحسن » ـ : «يعنى : الخاقانى ؛ وهو عبيد الله بن يحيى الخاقانى لأنه عمل له هذا الكتاب ، فأحسن صلته ، واصطنعه وصرّفه » .

وإنى أرى : أن ابن قتيبة ألف «أدب الكاتب» لعبيد الله فى وزارته للمعتمد؛ لافى وزارته للمتوكل ؛ وقد وزر للمعتمد من سنة ٢٥٦ إلى سنة ٢٦٣ هـ . وهذا الرأى الذى ارتأيتهُ ، يتعارض على ماذهب إليه ابن السيد والجوالبقى ؛ فإنهما ذهبا إلى أنه ألفه له فى وَزارَته للمتوكل ؛ حيث يقول ابن السيد فى الاقتضاب ص ٢٤ : «يعنى عبيدالله بن يحيى بن خاقان؛ وكان وزير المتوكل فعمل له ابن قتيبة هذا الكتاب ، وتوسل به إليه ؛ فأحسن عبيد الله صلته، واصطنعه، وعنى به عند المتوكل ، حتى صرفه فى بعض أعماله»؛ ويقول الجواليقى فى شرحه ص ٤٤ : «يعنى بالوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، كاتب المتوكل. لأنه عمل له هذا الكتاب ، فاصطنعه ، وأحسن صلته » .

ولا مراء فى أنهما أخطآ فى ذلك خطأ مبيناً ؛ والدليل على خطئهما لاَحِبٌ لا ينفذ فيه طعن طاعن ، ولا يطُورُ به رَيْبُ مُرتاب ؛ فقد قال ابن قتيبة بعيد كلامه على الوزير : «وأى

موقف أخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتّاب ، اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه، وارتضاه لسره : فقرأ عليه كتابا ذكر فيه « حاضرُ طيئ » فصحّفه تصحيفاً أضحك الحاضرين ».

وقال ابن السيد فى شرحه ص ٢٧ : « هذا الكاتب هو : شجاع بن القاسم ، كاتب أوتامش التركى ؛ وكان يتولى عرض الكتب على المستعين أحمد بن محمد المعتصم . وكان جاهلا لايحسن القراءة» . وقال الجواليقى فى ص ٥١ : « هذا : شجاع بن القاسم كاتب أوتامش التركى ؛ قرأ على المستعين، وصحّف هذه اللفظة ، فقال: حاء ضرطى». ولو قد فطن ابن السِّيد والجواليقى لِما نقلاه عن الزجاجى: من أن ابن قتيبة يقصد بالكاتب: شجاع بن القاسم؛ وبالخليفة: المستعين؛ لما تردّيا فى هذا الخطأ ؛ فإن المستعين : قد بويع بالخلافة سنة ٢٤٨ ، وخلع فى سنة ٢٥٢ هـ.

فكيف يتصور أن يؤلف ابن قتيبة هذا الكتاب لعبيد الله أيام وزارته للمتوكل ، مع أنه يذكر فى مقدمته قصة جرت للخليفة المستعين مع كاتبه شجاع بن القاسم ؟ ! حقا إن هذا لشيء عجاب .

***

وقد اتصل ابن قتيبة بالأمير : محمد بن عبد الله بن طاهر؛ فأغدق عليه من معروفه ؛ لعرفانه بقدره ، ولأن إكرام العلماء والأدباء سجية من سجاياه النبيلة ، ورثها عن أبيه عبد الله بن طاهر، أمير خراسان ، المتوفى سنة ٢٣٠ هـ . ومن مظاهر إكرام عبد الله للعلماء : مواقفه الخالدة مع أبى عُبيد القاسم بن سلام ، المتوفى سنة ٢٢٣ هـ . عرض عليه أبو عبيد كتابه : « غريب الحديث » ؛ فاستحسنه وقال : إن عقلا بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب ، لحقيق أن لا يُحْوَج إلى طلب المعاش . وأجرى له عشرة آلاف درهم فى كل شهر . وكان كلما أهداه أبو عبيد كتابا من مؤلفاته : حمل إليه مالا خطيراً . وكرم عبد الله بن طاهر ، إرْثٌ كذلك من والده طاهر بن الحسين . نزل طاهر ـ حين مضى إلى خراسان ـ بمدينة مَرْو، فطلب رجلا يحدثه، فقيل له : ماههنا إلا رجل مؤدِّب ؛ فأدخل عليه

أبو عبيد القاسم بن سلاَّم ، فوجده أعلم الناس بأيام الناس ، والنحو ، واللغة ، والفقه ؛ فقال له : من المظالم تركك أنت بهذا البلد . فدفع إليه ألف دينار ، وقال له : أنا متوجه إلى خراسان إلى حرب ، وليس أحب استصحابك ؛ شفقا بك ؛ فأنفق هذا حتى أعود إليك . فألّف أبو عبيد « الغريب المصنف » إلى أن عاد طاهر من خراسان ، فحمله معه إلى سُرَّ مَنْ رَأَى.

ومن مظاهر إكرام « آل طاهر » للعلماء ، ماصنعه « طاهر بن عبد الله » : من استقدامه لأبي سعيد الضرير من بغداد إلى نَيْسابُور ، وتكفّله بمعيشته : ليفرغ إلى تعليم الناس ماحمل من علم وأدب . وقد قدم عليه ابن قتيبة من بغداد : فأخذ عنه ، وانتفع به ؛ وكان له قدوة حسنة .

ومن مظاهر إكرامهم العلماء كذلك ، استقدامهم إلى هراة : الحافظ أباجعفر السرخسى المتوفى بنيسابور سنة ٢٥٣ هـ .

وقد جرى محمد بن عبد الله بن طاهر ، على شاكلة قومه : فى العناية بالعلماء والأدباء ، والإلطاف لهم ؛ وعرَف هؤلاء قَدْرَه ، ونبهوا من ذكره ـ وما كان خاملا ـ وأهدوا إليه مؤلفاتهم وما جادت به قرائحهم ؛ منذ أن كان شاباً يافعاً .

ولقد سجّل ابن قتيبة شعوره نحوه فى رسالة كتب بها إليه ، وأثبتها فى عيون الأخبار ٢/٢٢٢ ؛ حيث يقول : «وكتبتُ إلى محمد بن عبدالله بن طاهر :

أما شكرى للأمير على سالف معروفه : فقد أغار وأنْجَد . وأما ابتهالى إلى الله فى جزائه عنى بالحُسْنى : فإخلاص النية عند مظان القبول . وأما أملى : فأحياه ـ على بعد العهد ـ بلاؤه عندى ـ: إذ كان ما تقدم منه شافعا فى المزيد ـ وفُسْحَةُ وعده إياى عند مفارقتى له : إذ كان مُؤْذِناً بالإنجاز . وأما زللى فى التأخر عما أوجب الله على له : فمقرونٌ بالعقوبة فيما حُرِمته من عِزِّ رياسته ، ونباهة صُحْبته ، وعلوِّ الدرجة به ؛ وإن كنت سائر أيام انقطاعى عنه ، مُعْتَلِقاً بسبب لا خِيارَ معه » .

ولست أعلم لابن قتيبة علاقة بعظماء عصره، سوى علاقته بعبيد الله بن يحيي بن خاقان، ومحمد ابن عبد الله بن طاهر.

وقد أشار هو إلى علاقة لم يفصح عنها: فانهم أمْرُها علينا؛ حيث يقول في عيون الأخبار ٢٨/١: «وكتبتُ إلى بعض السلاطين كتابا، وفي فصل منه: ولم يزل حَزَمَةُ الرجال يستحْلون مرارةَ قول النُّصحاء، ويستهدون العيوبَ، ويستثيرون صواب الرأى من كلِّ حتى الأمة الوَكْعاء.

ومن احتاج إلى إقامة دليل على مايدّعيه ـ: من مودته، ونقاء طويّتِه. ـ فقد أغنانى الله عن ذلك بما أوجبه الاضطرار؛ إذ كنت أرجو بدوام نعمتك، وارتفاع درجتك؛ وانبساط جاهك ويدك ـ زيادة الحال».

***

آراء العلماء فى ابن قتيبة:

١ ـ قال أبو منصور الأزهرى (٢٨٢ ـ ٣٧٠ هـ) فى مقدمة كتاب التهذيب ص ١٣: «وإذ فرغنا من ذكر الأَثبات المتقدمين، والثِّقات المبرزين: من اللغويين؛ وتسميتهم طبقة، إعلاما لمن غَبِي عليه مكانهم من المعرفة، كى يعتمدوهم فيما يجدون لهم من المؤلفات المروية عنهم ـ: فلنذكر بعقب ذكرهم، أقواماً: تسموا بسمة المعرفة، وعلم اللغة؛ وألفوا كتبا: أودعوها الصحيح والسقيم؛ وحشوها بالمُزَال المفسد، والمصحَّف المغيّر: الذى لا يتميز ما يصحّ منه إلا عند النّقّاب المبرِّز، والعالم الفطن. لنحذر الأغمار اعتماد مادونوا، والاستنامة إلى ما ألفوا. فمن المتقدمين: الليث بن المظفر... وقطرب...»؛ ثم عرض الأزهرى للجاحظ وتلميذه ابن قتيبة، فقال ص ١٥: «وممن تكلم فى لغات العرب بما حضر

لسانه ، وروى عن الأئمة فى كلام العرب ماليس من كلامهم ـ: عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ وكان أوتى : بسطة فى لسانه ، وبيانا عذبا فى خطابه ، ومجالا واسعا فى فنونه ؛ غير أن أهل المعرفة بلغات العرب ذمّوه ، وعن الصدق دفعوه ؛ وأخبر أبو عمر الزاهد : أنه جرى ذكره فى مجلس أحمد بن يحيى [ثعلب] ، فقال : أعزبوا عن ذكر الجاحظ ، فإنه غير ثقة ولا مأمون.

وأما أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى : فإنه ألف كتبا فى مشكل القرآن وغريبه ، وألف كتاب غريب الحديث ، وكتابا فى الأنواء ، وكتاباً فى أدب الكتبة ؛ ورد على أبى عبيد حروفا فى غريب الحديث ، سماها : « إصلاح الغلط » ؛ وقد تصفحتها كلها ، ووقفت على الحروف التى غلط فيها وعلى الأكثر الذى أصاب فيه . فأما الحروف التى غلط فيها : فإنى أثبتها فى مواقعها من كتابى ، ودللت على موضع الصواب فيما غلط فيه .

وما رأيت أحدا يدفعه عن الصدق فيما يرويه : عن أبى حاتم السجزى ، والعباس ابن الفرج الرِّياشى ، وأبى سعيد المكفوف البغدادى .

فأمّا ما يستبد فيه برأيه ـ: من معنى غامض ؛ أو حرف : من علل التصريف والنحو ؛ مشكل ، أو حرف غريب ـ: فإنه ربما زلّ فيما لايخفى على من له أدنى معرفة .

وألفيته يحدث بالظن فيما لا يعرفه ، ولا يحسنه .

ورأيت أبا بكر بن الأنبارى : ينسبه إلى الغفلة ، والغباوة ، وقلّة المعرفة . وقد ردّ عليه قريبا من ربع ما ألّفه : من مشكل القرآن » .

وللأزهرى عنه كلمة أخرى، وردت فى اللسان ١٣/٣٣٦ : «وقال القتيبى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ ؛ أى: فرقنا؛ وهو من زال يَزُول وأزلتُه أنا. قال أبو منصور: وهذا غلط من القتيبى ؛ ولم يميز بين زال يزول ، وزال يَزِيل ؛ كما فعل الفرّاء » .

وقد عرض أبو منصور الأزهرى للـكلام على رواية ابن قتيبة ، أثناء حديثه عن أبى حامد الخَارَزَنْجى البُشْتِى ، فى مقدمة التهذيب ؛ إذ يقول : « وممن ألف فى عصرنا هذا فصحَّف وغيَّر ، وأزال العربية عن وجهها ـ : أحمد بن محمد البشتى ؛ فإنه ألف كتابا سمّاه : « التـكملة » ؛ أومأ إلى أنه كمَّـل بكتابه كتاب : « العين » المنسوب إلى الخليل بن أحمد . ونظرتُ فى أول كتاب البشتى ، فرأيته أثبت فى صدره الـكتب المؤلفة التى استخرج منها كتابه ، فعدّدها وقال : استخرجت ماوضعته فى كتابى من هذه الـكتب ؛ ولعل بعض الناس يبتغى العَنَتَ بتهجينه والقدْح فيه : لأنى أسندت مافيه إلى هؤلاء العلماء من غير سماع ؛ وإنما إخبارى عنهم إخبارٌ عن صحفهم ، ولا يزرى ذلك على من عرف الغثّ من السمين ، وميّز بين الصحيح والسقيم ؛ وقد فعل مثلَ ذلك أبو تراب صاحب كتاب : « الاعتقاب » ؛ فإنه روى عن الخليل وأبى عمرو بن العلاء ، والـكسائى ؛ وبينه وبين هؤلاء فترة ؛ وكذلك القُتَيْبىّ : روى عن سيبويه ، والأصمعى ، وأبى عمرو : وهو لم ير منهم أحداً » .

ثم عقّب الأزهرى على قول البشتى هـذا ، بقوله ص ١٦ : « قد اعترف البشتى : بأنه لاسماع له فى شىء من هذه الـكتب ، وأنه نقل مانقل إلى كتابه من صحفهم ؛ واعتل : بأنه لا يزرى ذلك بمن عرف الغثّ من السمين . وليس كما قال ؛ لأنـه اعترف : بأنه صَحَفى ، والصَّحفى إذا كان رأس ماله صحفاً قرأهـا : فإنه يصحِّف فيـكثر ؛ وذلك : أنه يخبر عن كتب لم يسمع بها ، ودفاتر لا يدرى : أصحيـح ما كتب فيها أم لا ؟ وإن أكثر ما قرأنا : من الصحف التى لم تضبط بالنقط الصحيح ، ولم يتول تصحيحها أهـلُ المعرفـة . ـ لسقيمة ، لا يعتمد عليها إلا جاهل . وأما قوله : إن غيره من المصنفين ، رَوَوْا فى كتبهم عمَّن لم يسمعوا منه ؛ مثل أبى تُراب والقُتَيْبىّ ؛ فليس رواية هذين الرجلين عمّن لم يرياه ، حجّة له : لأنهما وإن كان لم يسمعا من كل من رَوَيا عنه ، فقد سمعا من جماعة : من الثقات المأمونين . فأما أبو تراب ... وأما القُتَيْبىّ : فإنه رجل سمع من أبى حاتم السِّجْزِى كتبه ، وسمع من

الرياشي فوائد جمّة ؛ وكانا من المعرفة والإتقان : بحيث يثنى بهما الخناصر ؛ وسمع من أبي سعيد الضرير ، وسمع كتب أبي عُبيد ، وسمع من ابن أخي الأصمعي .

وهما (أي أبو تراب وابن قتيبة) : من الشهرة وذهاب الصِّيت ، والتأليف الحسن ؛ بحيث يُعْفى لهما عن خطيئة غلط ، ونَبْذِ زلّة تقع في كتبهما ... » .

***

٢ ـ قال أبو الطيّب الحلبي ، المتوفى سنة ٣٥١ هـ ، في كتاب : « مراتب النحويين » ؛ ص ١٣٧ : « وكان أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينوري : أخذ عن أبي حاتم ، والرِّياشي ، وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي . وقد أخذ ابن دريد عن هؤلاء كلّهم ، وعن الأُشْنَانْدَانِيّ . إلا أن ابن قتيبة خلط عليه بحكايات عن الكوفيين ، لم يكن أخذها عن ثقات .

وكان يشرع في أشياء لا يقوم بها ، نحو تعرّضه لتأليف كتابه في النحو ، وكتابه في تعبير الرّؤيا ، وكتابه في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، وعيون الأخبار والمعارف ، والشعراء ، ونحو ذلك : مما أَزْرَى به عند العلماء ؛ وإن كان نَفَقَ بها عند العامة ومن لا بصيرة له » . وهذا كلام لا نَعُوج به ، ولا نعرّج عليه ؛ لأنه لم يصدر إلا عن عالم : قد أعمى الحقد قلبه الذي في صدره ، وأضلّه الحسد المستكن في أطواء نفسه ؛ وجعلت « العصبية » البغيضة على عينه غشاوة : تحجب عنه نور الحق ، وتنطقه بغير الصدق . وليس أدل على فساد هذا الرأي ، وانتكاس هذا الحكم ؛ من أن ابن قتيبة ظل نافقا بكتبه عند ذوي البصائر والعقول : من الخاصة والعامة ؛ وظلت مكانته ملحوظة من العلماء بعيون الإجلال والإكبار ، على اختلاف الأجيال والأعصار ؛ منذ كان إلى يوم الناس هذا .

ولكنها العصبية المقيتة ـ قاتلها الله ـ : ما قاربت شيئا إلا أفسدته وحطت من قدره ، ولا داخلت إنسانا إلا شانته ، وغضّت من ذكره .

٣ ـ قال الحاكم : أبوعبد الله محمد بن عبد الله الضبيّ النيسابوري ، المعروف بابن البيّع (٣٢١ـ٤٠٥) : « كان ابن قتيبة يتعاطى التقدّم فى العلوم ، ولم يرضه أهل علم منها ! وإنما الإمام المقبول عند الكل : أبو عبيد » .

وهذا كلام يقطر حقدا وعصبية وحسداً .

وقد ألهبت نار الحسد الموقدة عقل الحاكم ، واطلعت على فؤاده : فهذى هذيان المحموم ، وهمز ابن قتيبة ولمزه بقوله : « أجمعت الأمة على أن القتيبيّ كذاب » !!!

وقد نقل هذه الكلمة الجائرة الفاجرة ، الحافظ الذهبي فى ميزان الاعتدال ٣/٧٧ ؛ وعقب عليها بقوله : « هذه مجازفة قبيحة ، وكلام من لم يخف الله » ؛ ونقلها مرّة أخرى وقال فى إثرها : « هذا بغى وتخرّص ؛ بل قال الخطيب : هو ثقة » ؛ وعقب عليها مرّة ثالثة فقال : « ماعلمت أحداً اتهم القتيبيّ فى نقله ، مع أن الخطيب : قدوثقه ؛ وما أعلم الأمة أجمعت إلا على كذب الدّجال ومسيلمة » .

٤ ـ وقال الحافظ السِّلَفِى أبو طاهر : أحمد بن محمد الأصبهانى الجروانى ، المتوفى سنة ٥٧٦ـ : « كان ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة ؛ ولكن الحاكم بضده : من أجل المذهب » .

وقد فسرت كلمة « المذهب » فى قول السلفى هذا ، بتفسيرين : فقال الصلاح العلائى : إن السلفى أراد بالمذهب مانقل عن البيهقى والدراقطنىّ : من أن ابن قتيبة كان كراميا يميل إلى التشبيه ، منحرفا عن العترة .

ثم قال العلائى : « وهذا لايصح عنه ، وليس فى كلامه مايدل عليه ؛ ولكنه جار على طريقة أهل الحديث : فى عدم التأويل » .

وقال الحافظ ابن حجر شهاب الدين أحمد بن على المتوفى سنة ٨٥٢ فى لسان الميزان ٣/٣٥٨ : « والذى يظهر لى أن مراد السِّلَفِى بالمذهب : النَّصْب ؛ فإن فى ابن قتيبة انحرافا عن أهل البيت ، والحاكم على ضد من ذلك . وإلا : فاعتقادهما معا ـ فيما يتعلق بالصفات ـ واحد » .

٥ ـ قال الدارقطنى أبو الحسن : على بن عمر بن أحمد بن مهدى (٣٠٦ ـ ٣٨٥) :

« كان ابن قتيبة : يميل إلى التشبيه ، منحرفا عن العترة . وكلامه يدل عليه » .

٦ ـ قال البيهقى أبو بكر أحمد بن الحسين (٣٨٤ـ٤٥٨) : « كان ابن قتيبة : يرى رأى الكرّامية » .

٧ ـ قال ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ٣/٧٥ـ بعد أن نقل كلام الدارقطنى والبيهقى ـ : « وكان ابن قتيبة : خبيث اللسان، يقع فى حق كبار العلماء » .

٨ ـ قال ابن النديم أبو الفرج محمد بن إسحاق :

« كان ابن قتيبة : صادقا فيما يرويه ، عالما باللغة والنحو ؛ وكتبه مرغوب فيها » .

٩ ـ قال مسلم بن قاسم :

« كان ابن قتيبة : لغويا كثير التأليف ، عالما بالتصنيف ؛ صدوقا ، من أهل السنة » .

١٠ـ قال الخطيب البغدادى (٣٩٢ـ٤٦٣) فى تاريخ بغداد ١٠/١٧٠ : « هو صاحب التصانيف المشهورة ، والكتب المعروفة ؛ وكان : ثقة ، دينا ، فاضلا » .

وقال عنه فى كتاب « المتفق والمفترق » : « شهرته ظاهرة فى العلم ، ومحلّه من الأدب لا يحقر » .

١١ـ قال نِفْطَوَيْه أبو عبد الله : إبراهيم بن محمد بن عرفة (٢٤٤ـ٣٢٣) : « كان ابن قتيبة : إذا خلا فى بيته وعمل شيئا ـ : جوّده ؛ وما أعلمه حكى شيئا فى اللغة ، إلا : صدق فيه » .

١٢ـ قال ابن حزم أبو محمد على بن أحمد بن سعيد (٣٨٤ـ٤٥٦) :

« كان ابن قتيبة : ثقة فى دينه وعلمه » .

١٣ـ قال إمام الحرمين أبو المعالى : عبد الملك بن عبدالله الجُوينى (٤١٩ـ٤٧٨) :

« ابن قتيبة : هَجّام وَلُوج فيما لا يحسنه » . وقد نقل ابن حجر هذه الكلمة فى لسان الميزان ، ثم علق عليها بقوله : « كأنه يريد كلامه فى الكلام » .

١٤ـ قال الحافظ الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣ـ٧٤٨) فى ميزان الاعتدال ٧٧/٢ : «أبو محمد: صاحب التصانيف ، صدوق ، قليل الرواية » ؛ وقال فى تذكرة الحفاظ ١٨٧/٢ : « ابن قتيبة : من أوعية العلم ؛ لكنه قليل العمل فى الحديث » .

١٥ـ قال ابن الجوزى أبو الفرج عبد الرحمن بن على ، المتوفى سنة ٥٩٧ ، عنه فى المنتظم ١٠٢/٥ : « وكان: عالما ثقة دينا فاضلا ، وله التصانيف المشهورة » .

١٦ـ قال الحافظ ابن كثير إسماعيل بن عمر ، المتوفى سنة ٧٧٤ ، فى البداية والنهاية ٤٨/١١ ، ٥٧ : « ابن قتيبة النحوى اللغوى : صاحب المصنفات الكثيرة ، البديعة المفيدة ، المحتوية على علوم جمة نافعة ؛ أحد العلماء والأدباء ، والحفاظ الأذكياء ؛ كان : ثقة نبيلا » .

١٧ـ قال أبو بكر بن دريد (٢٢٣ـ٣٢١) وقد سئل عن ابن قتيبة ، فقال : « ربوة بين جبلين » ؛ يريد : أن ذكره قد خمل بنباهة ثعلب والمبرّد؛ كما قال الجرجانى .

١٨ـ أما ابن تيمية تقى الدين : أحمد بن عبد الحليم ، المتوفى سنة ٧٢٨ ؛ فقد ذكر فى تفسير سورة الإخلاص ص ١٢١ : أن الإمام أحمد بن حنبل يذهب إلى أن الراسخين فى العلم يعلمون التأويل الصحيح للمتشابه ؛ ثم عقب على ذلك بقوله : « وهذا القول اختيار كثير من أهل السنة ، منهم: ابن قتيبة ، وأبو سليمان الدمشقى وغيرهما . وابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق بن راهويه ، والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة ، وله فى ذلك مصنفات متعددة ؛ قال فيه صاحب « التحديث بمناقب أهل الحديث » : وهو أحد أعلام الأئمة والعلماء الفضلاء ، أجودهم تصنيفا ، وأحسنهم ترصيفا ؛ له زهاء ثلاثمائة مصنف . وكان يميل إلى مذهب أحمد وإسحاق ؛ وكان معاصرا لإبراهيم الحَرْبىّ ، ومحمد بن نصر المَرْوزى ؛ وكان أهل المغرب : يعظمونه ، ويقولون : من استجاز الوقيعة فى ابن قتيبة يتهم بالزندقة ! ويقولون : كل بيت ليس فيه شىء من تصنيفه لاخير فيه . ويقال : هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة ؛ فإنه خطيب السنة ، كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة » .

١٩ ـ وقال ابن خلكان أبو العباس أحمد بن محمد (٦٠٨ ـ ٦٨١) عنه فى وفيات الأعيان ٢/٢٤٦ :

« كان : فاضلا ثقة ؛ وتصانيفه كلها مفيدة ... » .

تلك هى أراء العلماء الأقدمين فى ابن قتيبة : أوردناها كما رأيناها ؛ ويعنينا هنا : أن نتبين وجه الحق فيما قُرِفَ به : من تهم ؛ وعُضِه به : من مثالب . وسبيلنا إلى ذلك : أن نوازن بين ماقالوه عنه ، وما قاله غيرهم ، وما قاله فى كتبه ـ موازنة دقيقة ، قوامها : العدل الخالص من شوائب الهوى ، والإنصاف الباسل الذى لايبالى : على من وجبت الحجة ، وحقت كلمة الخطأ والضلال .

فإن كان ماقالوه حتما : أيدناه بالمثل والشواهد التى تجعل القلوب إليه صاغية ، والعقول جانحة جنوحا لاخيار فيه . وإن كان ماذهبوا إليه مَيْناً : أبدينا عواره ، وهتكنا أستاره ؛ بما نورده : من الأدلة الناصعة ، والبراهين القاطعة ؛ ثم قدمنا إليهم ، فكشفنا عن أسباب ضغنهم عليه ، وكراهيتهم له ؛ وبينا أسرار اختلاقهم عليه ، ومنازع وقيعتهم فيه .

لقد اتهمه الحاكم : بأنه كذاب قدأجمعت الأمة على كذبه ؛ ولم يؤيد دعواه بمثال واحد بل : لجأ إلى التهويل والتهويش بإجماع الأمة . وتلك أكذوبة بلقاء : لم تجد مصدقا أو مظاهرا ولا تستحق أن نعرض لها بالتوهين . وحسبها نقد الذهبى لها ؛ وحسبنا إجماع الأزهرى ، والخطيب البغدادى ، ومسلم بن قاسم ، والحافظ السلفى ، وابن النديم ، ونفطويه ، وابن حزم وابن كثير ، وابن الجوزى ، وابن خلكان ـ حسبنا إجماع هؤلاء الأعلام : على أن ابن قتيبة كان : ثقة فى قوله ، صادقا فى روايته ، مُصَدَّقا .

وقد اتهمه الدارقطنى : بأنه كان يميل إلى التشبيه ، منحرفا عن العترة .

واتهمه البيهقى : بأنه كان كرّاميا .

وليس بين هذين الاتهامين من فرق فى المعنى : فكلاهما ينسبه إلى التشبيه ، والانحراف

عن آل البيت رضوان الله عليهم؛ فإن الكرّامية (الذين تابعوا محمد بن كرّام على رأيه) كانوا يذهبون إلى التجسيم والتشبيه ؛ ويتهمون علياً : فى صبره على ما جرى مع عثمان ، وسكوته عنه ؛ ويرون تصويب معاوية فيما استبد به من الأحكام الشرعية : قتالا على طلب قتلة عثمان ، واستقلالا ببيت المال .

فهل كان ابن قتيبة يذهب حقاً إلى التشبيه ؟ وهل كان منحرفا عن آل البيت ؟ أم أن هذا وذاك قد افترى عليه ورمى به بغير الحق ؛ كما رمى بالكذب زوراً وبُهْتَاناً ؟ .

أما نسبة ابن قتيبة إلى التشبيه والتجسيم : فهى من منكر القول وزوره .

وكيف يصح فى الأذهان أن يكون ابن قتيبة من المشبهة ؛ وهو مؤلف كتاب : « الاختلاف فى اللفظ ، والرد على الجهمية والمشبهة » ؟ ! .

كيف يكون منهم : وهو القائل فى كتابه هذا ص ٢٩ : « فنحن نقول كما قال الله ، وكما قال رسوله ؛ ولا نتجاهل ؛ ولا يحملنا ما نحن فيه : من نفى التشبيه ؛ على أن ننكر ما وصف به نفسه ؛ ولكنا لا نقول : كيف البيان ؟ وإن سئلنا : نقتصر على جملة ما قال ، ونمسك عمّا لم يقل » ؟ ! .

كيف يكون منهم : وهو الذى يقول فى ص ٣٢ : « فنحن نؤمن بالنفخ وبالرّوح ؛ ولا نقول : كيف ذلك ؟ لأن الواجب علينا أن ننتهى فى صفات الله إلى حيث انتهى فى صفته أو حيث انتهى رسولُه ﷺ ؛ ولا نزيل اللفظ عمّا تعرفه العرب وتضعه عليه ؛ ونمسك عمّا سوى ذلك » ؟ ! .

كيف يكون منهم : وهو الذى يقول فى ص ٤٥ : « ... ولما رأى قوم من الناس إفراط هؤلاء فى النفى : عارضوهم بالإفراط فى التمثيل ؛ فقالوا : بالتشبيه المحض ، وبالأقطار والحدود... وكلا الفريقين غالط ، وقد جعل الله التوسط : منزلةَ العدل ؛ ونهى عن الغلو فيما دون صفاته : من أمر ديننا ؛ فضلا عن صفاته ؛ ووَضَع عنا أن نفكر فيه : كيف كان ؟ وكيف قدّر ؟

وكيف خلق ؟ ولم يكلفنا مالم يجعله فى تركيبنا ووُسْعِنا . وعَدْلُ القول فى هذه الأخبار : أن نؤمن بما صحّ منها بنقل الثقات لها ؛ فنؤمن : بالرّؤية والتجلّى ، وأنه يَعْجَبُ ، وينزل إلى السماء ، وأنه على العرش استوى ؛ وبالنفس واليدين من غير أن نقول فى ذلك بكيفيّة أو بحدٍّ أو أن نقيس على ماجاء مالم يأت . فنرجوا : أن نكون فى ذلك القول والعقد ، على سبيل النجاة غداً ؛ إن شاء الله تعالى » ؟ ! .

أيقول هذا القول السَّوىَّ ، من يقول بالتشبيه والتجسيم ؟ : إن ابن قتيبة قد نهج فى كلامه هذا، نهج النمط الأوسط من السلف الصالح ، وسلك سبيلهم متبعا غير مبتدع .

قال أبو الفتح : محمد بن عبد الكريم الشهرستانى (٤٧٩ ـ ٥٤٨) فى كتابه : « الملل والنحل » ـ : « وأما السلف الذين لم يتعرضوا للتأويل ، ولم يهدفوا للتشبيه ؛ فمنهم : أحمد ابن حنبل ، وسفيان الثورى ، ومالك بن أنس ؛ إذ قال : الاستواء معلوم ، والكيفية مجهولة ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » .

فهل بين قول مالك بن أنس وبين قول ابن قتيبة ، فرق ؟ : كلا ؛ ولكن البيهقىّ والدارقطنىّ قد كذبا عليه حين رمياه بالتشبيه، كما كذب الحاكم فى رميه بالكذب .

***

وأما القول : بأن ابن قتيبة كان منحرفا عن آل البيت ؛ فمحض افتراء عليه ، كسابقيه . وقد لجأ قارفوه بهذه التهمة الخطيرة ، إلى إلقاء الحكم إلقاءً : دون تثبيته فى النفوس بالمثال ؛ شأنهم فى كل ماراموه به : من تهم ؛ وألصقوا به : من وصمات . ولكن دفع هذه التهمة عنه هيّن ليّن : لايحوج إلى إعمال فكر ، أو إجالة رويّة ، أو كد خاطر ؛ ولكنه يحتاج إلى قليل : من الأناة ؛ فى قراءة قوله الذى أفصح به عن رأيه فى على كرم الله وجهه ، وأعرب به عن تقديره لمكارمه ومفاخره ، ومكانه السامى من رسول الله ودين الله ، ومكانته من الفضل والبأس ، والعلم والدين جميعا .

قال ابن قتيبة فى كتاب « الاختلاف فى اللفظ والردّ على الجهمية والمشبّهة » ص ٤٧ :

« ... وقد رأيت هؤلاء أيضا ـ حين رأوا غلو الرّافضة : فى حب علىّ ، وتقديمه على من قدّمه رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وصحابته عليه ؛ وادعاءهم له شركة النبى صلى الله عليه وسلم : فى نبوّته ، وعلم الغيب للأئمة : من ولده ؛ وتلك الأقاويل ، والأمور السرّية : التى جمعت إلى الكذب والكفر إفراط الجهل والغباوة ؛ ورأوا شتمهم خِيارَ السّلف ، وبُغضهم وتبرأهم منهم ـ : قابلوا ذلك أيضا ، بالغلو : فى تأخير علىّ كرم الله وجهه ، وبخسِه حقّه ؛ ولحنوا فى القول ؛ وإن لم يصرحوا إلى ظلمه ؛ واعتدوا عليه : بسفك الدماء بغير حق ، ونسبوه إلى المهالأة على قتل عثمان رضى الله عنه ؛ وأخرجوه بجهلهم من أئمة الهُدَى إلى جملة أئمة الفتن ؛ ولم يوجبوا له اسم الخلافة : لاختلاف الناس عليه ؛ وأوجبوها ليزيد بن معاوية : لإجماع الناس عليه ؛ واتهموا من ذكره بخير . وتحامى كثير من المحدّثين : أن يحدّثوا بفضائله كرّم الله وجهه أو يُظهروا ما يجب له . وكلّ تلك الأحاديث لها مخارج صحاح . وجعلوا ابنه الحسين عليه السلام خارجيًّا ، شاقا لعصا المسلمين ، حَلالَ الدّم ؛ لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « من خرج على أمّتى : وهم جميع ؛ فاقتلوه كائنا من كان » . وسووا بينه ـ : فى الفضل ـ وبين أهل الشورى : لأن عمر لو تبيّن له فضلُه لقدّمه عليهم ، ولم يجعل الأمر شورى بينهم . وأهملوا من ذكَرَه ، أو روَى حديثا من فضائله ؛ حتى تحامى كثير من المحدّثين : أن يتحدّثوا بها . وعُنوا بجمع فضائل عمرو بن العاص ومعاوية : كأنهم لا يريدونهما بذلك ، وإنما يريدونه . فإن قال قائل : « أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم : علىّ ، وأبو سبطيه : الحسن والحسين ؛ وأصحاب الكساء : علىّ وفاطمة والحسن والحسين » ـ : تمعّرَت الوجوهُ ، وتنكّرت العيونُ ، وطرّتْ حسائك الصدور . وإن ذكرَ ذاكرٌ قول النبى صلى الله عليه وسلم : « من كنت مولاه فعلىّ مولاه » ؛ و : « أنت منى بمنزلة هارون من موسى » ؛ وأشباه هـذا ـ : التمسوا لتلك الأحاديث المخارج ، لينتقصوه ويبخسوه حقّه : بغضا منهم للرافضة ، وإلزاما لعلىّ عليه السلام ـ بسببهم ـ مالا يلزمه . وهذا هو الجهل بعينه .

والسلامة لك : أن لاتهلك بمحبّته ، ولاتهلك ببغضته ؛ وأن لاتحمل عليه ضغنا : بجناية غيره . فإن أنت فعلت : فأنت جاهل مُفْرِط فى بغضه .

وأن تعرف له مكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالتربية والأخوّة والصّهر ، والصبر فى مجاهدة أعدائه ، وبذْل مُهجتِه فى الحروب بين يديه ؛ مع مكانه : فى العلم والدين ، والبأس والفضل ـ من غير أن تتجاوز به الموضع الذى وضعه به خيار السلف : لِمَا تسمعه من كثير : من فضائله ؛ فهم كانوا أعلم به وبغيره ؛ ولأن ماأجمعوا عليه هو : العِيان الذى لايُشك فيه . والأحاديثُ المنقولة قد يدخلها تحريف وشَوْبٌ .

ولو كان إكرامُك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو الذى دعاك إلى محبة من نازَع عليا وحاربَه ولعنه ـ : إذ صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخَدَمه ، وكنت قد سلكت فى ذلك سبيل المستسلم ـ : لَأَنْتَ بذلك فى علىٍّ عليه السلام ، أولى : لسابقته ، وفضله ، وخاصّيته ، وقرابته ؛ والدناوة التى جعلها الله بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم : عند المُبَاهلة ؛ حين قال تعالى : ﴿قل تعالوا نَدْعُ أبناءنا وأبناءكم﴾ : فدعا حسنا وحسينا ؛ ﴿ونساءنا ونساءكم﴾ : فدعا فاطمة عليها السلام ؛ ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾ : فدعا عليا عليه السلام . ومن أراد الله تَبْصِيرَه : بصَّرَه ؛ ومن أراد به غير ذلك : حيَّره » .

هذا كلام ابن قتيبة الذى صوّر فيه ـ فى قوة ووضوح ـ مشاعره نحو على وآله ؛ وعبّر عما يجنه فؤاده : من محبتهم وإجلالهم ، وحسن الرأى والاعتقاد فيهم .

فهل يصدر هذا الكلام العذب عمن يجتويهم ، ويسىء الظن بهم ؟ وهل يدخل فى نطاق المعقول : أن يقوله من يتهم بالانحراف عنهم ؟ .

ولكن القوم أصموا آذانهم عنه ، وأطبقوا أعينهم دونه ؛ واستغشوا ثياب العصبية الصّفيقة ؛ ثم ذهبوا : يتناقلون رميه ببغض آل البيت ، والميل عن مودّتهم ؛ لموجدة يجدون مسّها فى نفوسهم عليه . ولعل من أسباب هذه الموجدة ، تلك الرواية التى رواها عن الشعبى

فى «تأويل مشكل القرآن» ؛ حيث يقول ص ١٨١ : « وكان أصحاب رسول الله صلى عليه ورضى عنهم ـ : وهم مصابيح الأرض ، وقادة الأنام ، ومُنْتَهى العلم . ـ إنما يقرأ الرجل منهم السورتين والثلاث والأربع ، والبعض والشطر من القرآن ؛ إلا نفراً منهم : وفقهم الله لجمعه ، وسهل عليهم حفظه . قال الشعبى : توفى أبو بكر ، وعمر ، وعلى ـ رحمهم الله ـ : ولم يجمعوا القرآن. وقال : لم يختمه أحد من الخلفاء غير عثمان . ورُوى عن شريك ، عن إسماعيل بن أبى خالد : أنه قال : سمعت الشعبى يحلف بالله عز وجل : لقد دخل على حفرته وما حفظ القرآن » .

ولقد أثارت هذه الرواية ثائرة أبى الحسين : أحمد بن فارس ، المتوفى سنة ٣٩٥ ؛ فقال فى كتاب الصاحبى ص ١٧٠ : « وابن قتيبة يطلق إطلاقات منكرة ، ويروى أشياء شنعة ؛ كالذى رواه عن الشعبى : أن أبا بكر وعمر وعليا توفوا ، ولم يجمعوا القرآن ؛ وأن عليا دخل حفرته ، وما حفظ القرآن. وهذا كلام شنع جداً ... » .

***

أما قول إمام الحرمين : « إن ابن قتيبة هجّام ولوج فيما لا يحسنه » ؛ فإنه يريد : كلامه فى الكلام ، كما قال ابن حجر . ولابن قتيبة كلام عن هذا العلم ، لا يروق فى نظر رجل انغمس فيه من فرقه إلى قدمه ، وقضى حياته فى تحقيق مسائله ؛ كإمام الحرمين . فقد قال فى كتاب «الاختلاف فى اللفظ، والرد على الجهمية والمشبهة» ص ١٢ ـ أثناء رده على ما تأولته الجهمية ـ : « ولم أعد فى أكثر الرد عليهم طريق اللغة ؛ فأما الكلام فليس من شأننا ؛ ولا أرى أكثر من هلك إلا به ، وبحمل الدين على ما يوجبه القياس ... » .

وقال فى كتاب « تأويل مختلف الحديث » ص ١٥ : « وقد تدبرت مقالة أهل الكلام فوجدتهم يقولون على الله ما لا يعلمون ، ويعيبون الناس بما يأتون ؛ ويبصرون القذى فى عيون الناس وعيونهم تطرف على الأَجْذَاع ؛ ويتهمون غيرهم فى النقل ولا يتهمون آراءهم فى التأويل . ومعانى الكتاب والحديث ، وما أودعاه ـ : من لطائف الحكمة، وغرائب اللغة ـ

لايدرك بالطفرة والتولد، والعرض والجوهر، والكيفية والكمية والأينية. ولوردوا المشكل منهما إلى أهل العلم بهما وضح لهم المنهج، واتسع لهم المخرج؛ ولكن يمنع من ذلك طلب الرياسة، وحب الأتباع، واعتقاد الإخوان بالمقالات؛ والناس أسراب طير يتبع بعضها بعضا..».

وقال فى ص ٧٤: «وكنت فى عنفوان الشباب، وتطلب الآداب؛ أحب أن أتعلق من كل علم بسبب، وأن أضرب فيه بسهم؛ فربما حضرت بعض مجالسهم ــ: وأنا مغتر بهم، طامع أن أصدر عنه بفائدة؛ أو كلمة تدل على خير، أو تهدى لرشد. ــ فأرى من جرأتهم على الله، تبارك وتعالى، وقلة توقيهم، وحملهم أنفسهم على العظائم ــ: لطرد القياس، أولئلا يقع انقطاع ــ ما أرجع معه خاسرا نادماً».

***

وأما قول ابن تغرى بردى: «كان ابن قتيبة خبيث اللسان، يقع فى حق كبار العلماء»؛ فغير صحيح أيضاً. والذى دفعه إلى هذا القول أنه من الأحناف أصحاب الرأى والقياس. وقد عرض لهم ابن قتيبة بالنقد، فى كتاب «تأويل مختلف الحديث» وقال فى ص ٦٢: «ثم نصير إلى أصحاب الرأى، فنجدهم أيضا يختلفون ويقيسون، ثم يدعون القياس ويستحسنون؛ ويقولون بالشىء ويحكمون به ثم يرجعون»؛ ثم ضرب لذلك أمثلة خطيرة رجع فيها أبوحنيفة عن رأيه؛ رواها عن أستاذه إسحاق بن راهويه، الذى قال عنه فى ص ٦٥: «ولم أر أحداً ألهج بذكر أصحاب الرأى وتنقصهم، والبعث على قبيح أقاويلهم، والتنبيه عليها ــ من إسحاق ابن إبراهيم الحنظلى، المعروف بابن راهويه. وكان يقول: نبذوا كتاب الله تعالى وسنن رسوله صلى الله عليه وسلم؛ ولزموا القياس». وعدد ابن قتيبة من ذلك، مسائل كثيرة رواها عنه؛ كما روى مسائل أخرى تدل ــ كما يقول ابن راهويه ــ: «على تحكم أبى حنيفة فى الدين، ومخالفة كتاب الله». ثم قال ابن قتيبة فى ص ٧٠: «وكيف يطرد لك القياس فى فروع لاتتفق أصولها والفرع تابع للأصل؟! وكيف يقع فى القياس: أن يقطع سارق عشرة دراهم

ويمسك عن غاصب مائة ألف درهم ؛ ويجلد قاذف الحرّ ، ويعفى عن قاذف العبد العفيف ؛ وتُستبرأ أرحام الإماء بحيضة ، ورحم الحرة بثلاث حيضات ؛ ويحصن الرجل بالعجوز الشوهاء السوداء ، ولا يحصن بمائة أمة حسناء ؛ ويُوجب على الحائض قضاء الصوم ، ولا يوجب عليها قضاء الصلاة ؛ ويجلد فى القذف بالزنا أكثر من الجلد فى القذف بالكفر ؛ ويقطع فى القتل بشاهدين، ولا يقطع فى الزنا بأقل من أربعة ؟ ! » .

فأنت ترى: أن ابن قتيبة لم يكن خبيث اللسان فى حديثه عن أهل الرأى، وإنما عرض لهم بالنقد العلمى فى بعض ما ذهبوا إليه ، وروى عن أساتذته ما تدعو ضرورة البحث إلى روايته ؛ وإذا تحدث عن رأيه : تحدث بأسلوب مهذب مؤدب ، لا يصح وصفه بالخبث ، ولا نعته بالوقيعة. وقد خدعت كلمة ابن تغرى بردى هذه ، الأستاذ محمد كرد على ، وجعلته يقول فى مقدمته لكتاب الأشربة ص ٤ : « اشتد ابن قتيبة على مخالفيه ولاسيما المعتزلة منهم وفى كتابه تأويل مختلف الحديث : طعن مبرّح فى الجاحظ ، قال فيه : إنه أكذب الأمة ، وأوضعهم لحديث ، وأنصرهم لباطل ، فتجلى حسده تجليا ظاهراً ؛ هجّن ابن قتيبة الجاحظ وكفّره ، ورماه بأعظم كبيرة وهى الكذب ؛ وسجل عليه : أنه أكذب واحد فى الأمة؛ لأنه كتب فى أشياء تنفع فى تربية العقول فى الدنيا ، كما كتب كلّ ماينفع فى الدين ؛ وابتدع أدبا يسلى ويعلّم . فهل من العدل أن يرمى بوضع الحديث وتشدده وتشدّد أهل مذهبه ــ : فى تحرى السليم من السقيم فى الحديث. ــ لا يحتاج إلى دليل ؟ ! » .

إن ابن قتيبة لم يظلم الجاحظ ، ولم يهجنه حسدا من عند نفسه ؛ ولم يتهمه بالكذب ، لمازعمه الأستاذ ، بل أنصفه ، وقال فيه ماله ، كاملا غيرمنقوص ؛ ونقده فى بعض رأيه بما لا يسع المسلم الحقيقىّ إلا نقده وردّه على قائله : كائنا من كان . وإليك نص كلام ابن قتيبة فى كتابه تأويل مختلف الحديث ، قال فى ص ٧١ : «ثم نصير إلى الجاحظ؛ وهو آخر المتكلمين والمعاير على المتقدمين ، وأحسنهم للحجة استثارة ، وأشدهم تلطفا لتعظيم الصغير حتى يعظم،

وتصغير العظيم حتى يصغر ؛ ويبلغ به الاقتدار أن يعمل الشيء ونقيضه ؛ ونجده يقصد فى كتبه للمضاحيك والعبث ، يريد بذلك استمالة الأحداث وشراب النبيذ .

ويستهزئ من الحديث استهزاء لا يخفى على أهل العلم ؛ كذكره كبد الحوت وقرن الشيطان ؛ وذكر الحجر الأسود ، وأنه كان أبيض فسوده المشركون ، وقد كان يجب أن يبيضه المسلمون حين أسلموا ويذكر الصحيفة التى كان فيها المنزَّل فى الرضاع تحت سرير عائشة فأكلتها الشاة . وأشياء من أحاديث أهل الكتاب ، فى تنادم الديك والغراب ، ودفن الهدهد أمّه فى رأسه ، وتسبيح الضّفدع ، وطوق الحمامة ، وأشباه هذا مما سنذكره فيما بعد ، إن شاء الله . وهو ـ مع هذا ـ من أكذب الأمة، وأوضعهم لحديث، وأنصرهم لباطل » .

هذا هو رأى ابن قتيبة فى الجاحظ ، وهو يلقف ما يقول عنه الأستاذ . ولست أدرى: كيف استباح لنفسه الطعن فى ابن قتيبة بذلك الأسلوب التهكمى مع أنه لم يستطع أن ينقد مما قاله حرفاً واحداً ؟ ! أتُراه كان ينتظر منه تقريظ الجاحظ لاستهزائه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! .

ومن دلائل وضع الجاحظ للأحاديث ، ماحدث به أبو العيناء بعد توبته عن وضعها ؛قال: « أنا والجاحظ وضعنا حديث فَدَكَ، وأدخلناه على الشيوخ ببغداد ، فقبلوه إلا ابن أبى شيبة العلوى ، فإنه قال : لا يشبه هذا الحديث أوله ؛ وأبى أن يقبله » .

وكذلك وضع الجاحظ فى كلام العرب ما ليس منه ، ونسب ذلك إلى أئمة اللغة ؛ وقد سجّل عليه ذلك أبو العباس ثعلب ، إذ يقول : « أُعزبوا عن ذكر الجاحظ : فإنه غير ثقة ولا مأمون » .

ولا مراء فى أن الجاحظ قد صنع كثيرا من نصوص الأدب؛ وعزاها إلى غيره من العرب تارة ، والأعاجم أخرى .

وهذه كلها دلائل تدل على أن ابن قتيبة لم يصف أستاذه الجاحظ إلا بماعرفه من خلاله ونوازعه؛ ولم يحاول: «أن يسحب عليه ذيل النسيان »؛ كما يقول الأستاذ محمد كردعلى رحمه الله.

وأعجب مماسبق، قول الأستاذ عن ابن قتيبة : « ورمى أيضا أبا الهذيل العلاّف بماليس فيه ؛ ووصفه بأنه كذاب أفّاك، وطعن فيه أشنع طعن. وكذلك كان حظ ثمامة بن الأشْرَس منه ـ وهما من الأئمة ـ ورمى هذا برقة الدين ، وتنقّص الإسلام ، والاستهزاء به . وطعن فى النظام أيضا وهو الذى رد على الملحدين والدهريين ، شطرا كبيرا من عمره » .

ولست أدرى : من أين علم الأستاذ أن ابن قتيبة افترى على أبى الهذيل الكذب ، ووصفه بما ليس فيه ؟ هل قرأ كتب « التوحيد » فألفى فيها ما يكذبه ؟ أم هل قرأ كتب «التراجم» فوجد فيها تكأة له فى تكذيبه ؟ إنه لم يقرأ شيئا من هذه ولا تلك ! وآية ذلك أن وصف ابن قتيبة له بالبخل ورقة الدين ؛ مسطور فيها جميعاً . وقد كرر الجاحظ فى كتبه وصفه له بالبخل ، وقال عنه : « إنه كان أبخل الناس » . ووصفه كذلك بأوصاف كثيرة فى طليعتها النفاق ! واتفق المترجمون له والباحثون فى مذهبه الكلامى على أن دينه كان أوهى من بيت العنكبوت . قال الخطيب البغدادى فى ترجمته ٣/٣٦٦ : « وكان أبو الهذيل خبيث القول ، فارق إجماع المسلمين ، ورد نص كتاب الله إذ زعم أن أهل الجنة تنقطع حركاتهم فيها حتى لا ينطقوا بكلمة ولايتكلموا بكلمة ؛ فلزمه القول بانقطاع نعيم الجنة عنهم ، والله يقول: ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ ﴾. وجحَد صفات الله التى وصف بها نفسه ، وزعم أن علم الله هو الله ، وقدرة الله هى الله ! فجعل الله علما وقدرة ، تعالى الله عما وصفه به علوا كبيرا » .

ومذهب أبى الهذيل ـ : فى انتهاء حركات أهل الجنة والنار . ـ قريب من مذهب جهم ابن صفْوان الذى زعم أن الجنة والنار تفنيان وتبيدان ، ويفنى من فيهما ، حتى لايبقى إلا الله وحده ، كما كان وحده لا شىء معه . بل إن مذهبه شر من مذهب جهم ـ كما يقول

البغدادى فى « الفرْق بين الفِرَق » ـ . « لأن جهما ـ وإن قال بفناء الجنة والنار ـ فقد قال : إن الله قادر بعد فنائهما ، أن يخلق غيرهما » ؛ وأبو الهذيل زعم أن ربّه لا يقدر بعد انتهاء الحركات ـ : على تحريك ساكن ، أو إحياء ميت ، أو إحداث شيء » . ويقول البغدادى عنه أيضا فى ص ٧٢ : « وفضائحـه تترى ، تـكفره فيها سائر فرق الأمة : من أصحابه فى الاعتزال ، ومن غيرهم » .

أفبعد ذلك ، يصح اتهام ابن قتيبة بأنه وصف أبا الهذيل بما ليس فيه ، طعنا بغير الحق وتشنيعا ؟ !

وكما كان ابن قتيبة منصفا صادقا فى حكمه على أبى الهـذيل العلاّف ـ فإنه كان كذلك صادقا منصفا فى حكمه على « ثمامـة بن الأشرس » بأنه كان يتنقص الإسلام ورسول الإسلام ، ويحقد عليهما حقدا غليظا منـكرا . ولا أريد أن أنقل من حصائد لسانه ، ونزوات بنانه ؛ فى ذلك شيئا . وحسبى أن أورد بعض ما قال البغدادى عنه فى ص ١٠٢ ، ٢٠٤ : « وكان زعيم القدرية فى زمان المأمون والمعتصم والواثق ؛ وانفرد عن سائر أسلافه المعتزلة ، ببدعتين أكفرته الأمة كلها فيهما » .

وأما طعن ابن قتيبة فى « النظام » فشاهـده من الصدق والأمانة ، قول البغدادىّ فى الفرق بين الفرق ص ٨٠ : « وجميـع فرق الأمـة ـ : من فريقى الرأى والحديث ، مع الخوارج والشيعة والنجّاريّة ، وأكثر المعتزلة ـ متفقون على تـكفير النظام » .

ويتضح من ذلك كـله : أن ابن قتيبة لم يغال « فى طعنه بما لم يناسب عظمة علمه وأخلاقه » ؛ ويتبين أنه إنما انتهج فيه النهـج الذى رسمه لنفسه ؛ وهو أن يُصْحِر بالحق فيما ارتأى ؛ لا يجنح لظلم ، ولا يتبع الهوى .

***

وكان من أشد العلماء عداوة لابن قتيبة : أبوبكر محمدبن القاسم الأنبارى (٢٧١ـ٣٢٨)، تلميذ أبى العباس ثعلب ؛ ورائد تلك الطائفة التى رمته بالـكذب ، وعداوة العترة ، والذهاب إلى التشبيه والتجسيم . فقد كان ابن الأنبارى أستاذا للدارقطنى ؛ وكان الدارقطنى أستاذا للحاكم ؛ وكان الحاكم أستاذا للبيهقى .

وقد نسبه إلى الغفلة والغباوة ، وقلة المعرفة ؛ وردّ عليه قريبا من ربع ما ألفه من مشكل القرآن ؛ كما حدث الأزهرى . وعمل « رسالة المشكل » التى قصرها على نقـده ونقدأستاذه أبى حاتم السجستانى ؛ وأملى كتاب « المشكل » فى سنين كثيرة، ولم يبلغ فيه إلا إلى سورة طه .

ولم يصل إلينا من كتبه التى تناوله فيها بالنقد ، غير كتاب : « الأضداد » ؛ الذى نقد فيه بعض ما ذهب إليه فى كتابيه : إصلاح الغلط ، وتأويل مشكل القرآن .

وقد سلك فى نقده له غير سبيل الحق ؛ وسجل عليه العلماء الذين قرأوا كتبه ـ : أنه كان يردّ عليه أقواله كلها ، ويتعسف فى طعنه ، ويحتج لردّه بأوابد اللغة وشواذّها .

قال الشريف المرتضى (٣٥٥ـ٤٣٦) فى كتابه : « غرر الفوائد ودرر القلائد » المشهور بالأمالى ١٣/٢ : « ووجدت أبا بكر محمد بن القاسم الأنبارى ، يطعن على جواب من أجاب فى قوله تعالى : ﴿ وبلغت القلوب الحناجر ﴾ ؛ بأن معناه : كادت تبلغ الحناجر . ويقول : كاد لا تضمر ، ولا بد من أن يكون منطوقا بها ؛ ولو جاز ضَمِيرُها لجاز : « قام عبد الله » ؛ بمعنى : كاد عبد الله يقوم ؛ فيكون تأويل « قام عبد الله » : لم يقم عبدالله ؛ لأن معنى « كاد عبد الله يقوم » : لم يقم .

وهـذا الذى ذكره ابن الأنبارى غير صحيح . ونظن أن الذى حمله على الطعن فى هذا الوجه ، حكايته له عن ابن قتيبة ؛ لأن من شأنه أن يرد كلّ ما يأتى به ابن قتيبة ؛ وإن تعسف فى الطعن عليه ! ! !

والذى استبعده غير بعيد ؛ لأن « كاد » قد تضمر فى مواضع يقتضيها بعض الكلام وإن لم تكن فى صريحه . ألا ترى : أنهم يقولون : أوردت على فلان :ــ من العتاب والتوبيخ والتقريع .ــ مامات عنده ، وخرجت نفسه ؛ ولما رأى فلان فلانا لم يبق فيه روح ؛ وما أشبه ذلك . ومعنى جميع ماذكرناه : المقاربة ؛ ولا بد من إضمار « كاد » فيه ... وإذا كان الأمر على ماذكرنا ، لم يمتنع أن يقال : قام فلان ، بمعنى : كاد يقوم ؛ إذا دلت الحال على ذلك ؛ كما يقال : مات ؛ بمعنى : كاد يموت .

فأما قوله : « فيكون تأويل قوله : قام عبد الله ؛ لم يقم عبد الله » فخطأ ؛ لأنه ليس معنى كاد يقوم : أنه لم يقم ؛ كما ظن ؛ بل معناه : أنه قارب القيام ، ودنا منه . فمن قال : قام عبد الله ، وأراد : كاد يقوم ؛ فقد أفاد مالا يفيده : لم يقم » .

ومعلوم : أن هوى المرتضى ليس مع ابن قتيبة ؛ فهو لايكاد يصرّح باسمه إلا فى معرض النقد والتخطئة . ولكن غلو ابن الأنبارى فى تحامله على ابن قتيبة ، دفعه إلى أن يقول ذلك ، وأن يقول تعقيبا على نقد آخر : « إن ماذكره ابن الأنبارى لايقدح فى كلام ابن قتيبة » .

وقال ابن تيمية فى تفسير سورة الإخلاص ص ١٣٣ : « وأما اللغويون الذين يقولون : إن الراسخين لايعلمون معنى المتشابه ؛ فهم متناقضون فى ذلك ؛ فإن هؤلاء كلهم يتكلمون فى تفسير كل شىء من القرآن ، ويتوسعون فى القول فى ذلك ؛ حتى ما من أحد إلا وقد قال فى ذلك أقوالا لم يُسبق إليها ، وهى خطأ . وابن الأنبارى الذى بالغ فى نصرة ذلك القول ، هو من أكثر الناس كلاما فى معانى الآى المتشابهات ، يذكر فيها من الأقوال مالم ينقل عن أحد من السلف ؛ ويحتج لما يقوله فى القرآن بالشاذ من اللغة ، وهو قصده بذلك الإنكار على ابن قتيبة . وليس هو بأعلم بمعانى القرآن والحديث ، وأتْبَع للسنة من ابن قتيبة ، ولا أفْقه فى ذلك ؛ وإن كان ابن الأنبارى من أحفظ الناس للغة . لكن

باب فقه النصوص ، غير باب حفظ ألفاظ اللغة» .

وترجع عداوة ابن الأنبارى لابن قتيبة إلى أسباب ثلاثة ، تجمعها كلمة واحدة، وهى: «التعصب»؛ أولها : أن ابن الأنبارى من نحاة الكوفة المتعصبين ، وابن قتيبة من البصريين ، ولكنه لم يكن متعصبا لمذهبه ، بل مزج بين المذهبين ؛ فتعصب عليه ابن الأنبارى ؛ كما تعصب على معاصره أبى الحسن بن كيسان الكوفى المتوفى سنة ٢٩٦ لأنه مزج بين النحويين ، وكان ميله إلى مذهب البصريين أكثر . قال أبو على القالى ، تلميذ ابن الأنبارى : «كان أبو بكر بن الأنبارى شديد التعصب على ابن كيسان ، والتنقص له ؛ وكان يقول : خلط فلم يضبط مذهب الكوفيين ، ولا مذهب البصريين . وكان يفضل الزجاج عليه» ؛ مع أن أبا بكر بن مجاهد يقول عنه : أبو الحسن بن كيسان أنحى من الشيخين ؛ يعنى ثعلبا والمبرد .

والسبب الثانى فى تنقص ابن الأنبارى لابن قتيبة : تلك الرواية التى رواها فى تأويل مشكل القرآن ، عن الشعبى : من أن عليا دخل حفرته وما حفظ القرآن . فقد أحفظته عليه ، كما أحفظت ابن فارس ، والشريف المرتضى .

والسبب الثالث : تأليف ابن قتيبة لكتاب «إصلاح الغلط» . وقد ذكر هذا السبب ابن تيمية ، فى تفسير سورة الإخلاص ص ١٣٣ ؛ حيث يقول : «وقد نقم ابن الأنبارى وغيره ، على ابن قتيبة كونه رد على أبى عبيد أشياء من تفسير غريب الحديث . وابن قتيبة قد اعتذر من ذلك ، وسلك فى ذلك مسلك أمثاله من أهل العلم . وهو وأمثاله يصيبون تارة ، ويخطئون أخرى» .

إن ابن قتيبة لم يخطئ فى فكرة نقده لأبى عبيد، كما لم يخطئ فى فكرة مزجه بين النحويين ؛ فما كان أبو عبيد – على جلالة قدره وسمو مكانته – إلا إنسانا يخطئ ويصيب، ويؤخذ من كلامه ويرد ؛ وقد أخطأ وعرف معاصروه وغيرهم خطأه ، كإسحاق الموصلى ، وأبى سعيد الضرير وأبى سليمان الخطّابى. وما خصّ مذهب الكوفيين بالصواب فى كل مسألة من مسائله. وما

كان نقد ابن قتيبة لأبى عبيد، ولامزجه بين المذهبين ـ إلا مظهرا من مظاهر التحرر العقلى الذى فطر عليه ، وجعله دائما يثنى على كل من أتى بحسن من قول أو فعل، ويرد الردىء منهما على صاحبه ، غير ناظر إلى شرفه ولا تقدمه . وقد شرح ذلك فى غير موضع من كتبه ، فقال فى مقدمته لكتاب « الشعراء » ص ٦: « ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر ، مختارا له، سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، وإلى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره ؛ بل نظرت بعين العدل على الفريقين ، وأعطيت كلا حظه ، ووفّرت عليه حقه؛ فإنى رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعه فى متخيَّره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه قيل فى زمانه ، أو أنه رأى قائله .

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : لقد كثر هذا المحدَثُ وحسن حتى لقد هممت بروايته. ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خصّ به قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده فى كل دهر، وجعل كل قديم حديثا فى عصره ». وكذلك قال فى مقدمة عيون الأخبار: « وكذلك مذهبنا فيما نختاره من كلام المتأخرين وأشعار المحدثين إذا كان متخيَّر اللفظ لطيف المعنى ، لم يُزْرِ به عندنا تأخر قائله ، كما أنه إذا كان بخلاف ذلك لم يرفعه تقدمه ؛ فكل قديم حديث فى عصره ؛ ومن شأن عوام الناس رفع المعدوم ، ووضع الموجود ، ورفض المبذول ، وحب الممنوع ، وتعظيم المتقدم ، وغفران زلته ، وبخس المتأخر والتجنّى عليه . والعاقل منهم ينظر بعين العدل لا بعين الرضا، ويزن الأمور بالقسطاس المستقيم » .

وأبلغ من ذلك كله ـ فى الدلالة على تحرر عقله، وانطلاقه من إسار التقليد والتزمت ـ روايته لأدب المجون ، ودفاعه عن ذلك، حيث يقول : « وسينتهى بك كتابنا هذا إلى باب المزاح والفكاهة ، وما روى عن الأشراف والأئمة فيهما. فإذا مرّ بك أيها المتزمت حديث تستخفه

أو تستحسنه، أو تعجب منه، أو تضحك له ـ: فاعرف المذهب فيه وما أردنا به . واعلم أنك إن كنت مستغنيا بتنسكك فإن غيرك ممن يترخص فيما نشددت فيه ، محتاج إليه. وأن الكتاب لم يعمل لك دون غيرك فيهيأ لك على ظاهر محبتك . ولو وقع فيه توقى المتزمتين لذهب شطر بهائه ، وشطر مائه ؛ ولأعرض عنه من أحببنا أن يقبل إليه معك . وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين . وإذا مرّ بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف فاحشة ـ: فلا يحملنك الخشوع أو التخاشع على أن تصعّر خدك ، وتعرض بوجهك؛ فإن أسماء الأعضاء لا تؤثم ، وإنما المأثم في شتم الأعراض وقول الزور والكذب، وأكل لحوم الناس بالغيب . . . ولم أترخص لك في إرسال اللسان بالرفث على أن تجعله هِجِّيراك على كل حال ، وديدنك في كل مقال ؛ بل الترخص منى فيه عند حكاية تحكيها، أو رواية ترويها تنقصها الكناية، ويذهب بحلاوتها التعريض. وأحببت أن تجرى في القليل من هذا ، على عادة السلف الصالح في إرسال النفس على سجيتها ، والرغبة بها عن لبسة الرياء والتصنع ؛ ولا تستشعر أن القوم قارفوا وتنزهت ، وثلموا أديانهم وتورعت » .

وهذا كلام رائق معجب ، ينبغى أن نتلقاه بالتقدير والإجلال ، ولاسيما إذا تمثلنا أنه قيل في القرن الثالث ، وأن قائله رجل من رجال الدين يؤلف في التفسير والحديث ، وينصب نفسه للدفاع عنهما ضد نزعات الشك الفلسفى التى نجمت نواجمها في ذلك العصر .

***

وكان كتاب « تأويل مشكل القرآن » ثمرة طيبة من ثمار ذلك الدفاع القويم الذى أبلى فيه ابن قتيبة بلاء حسناً . فقد هاله ما رأى من كثرة الشكوك التى تثار حول القرآن ، والمطاعن التى تسدّد نحوه ؛ وخشى أن تكون عاقبة أمرها خسراً للأغمار والأحداث؛ فانتدب نفسه لِدَرْئها ، وتبيين عِوَجها ، وردّ كيدها إلى نحور أصحابها . وقد أعانه على ذلك امتلاكه لزمام

البيان المشرق الرصين ، واقتداره على النقد العلمى المتين ؛ وشمول معارفه وزكاء مداركه ؛ وسعة عقله الذى تمثّل أدبين ، وتثقف ثقافتين ؛ هما العربية ؛ والفارسية .

يحدثنا ابن قتيبة ـ عما بعثه إلى تأليف هذا الكتاب ، وماصنعه فيه ـ فيقول ص ١٧ :

« وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ، ولَغَوْا فيه وهجروا ، واتبعوا ﴿ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله﴾ ؛ بأفهام كليلة ، وأبصار عليلة، ونظر مدخول؛ فحرّفوا الكلام عن مواضعه ، وعدلوه عن سبله ؛ ثم قَضَوْا عليه بالتناقض ، والاستحالة فى اللحن ، وفساد النظم ، والاختلاف . وأدْلَوْا فى ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغُمْر ؛ والحدَثَ الغِرّ ؛ واعترضت بالشبه فى القلوب ، وقدحت بالشكوك فى الصدور . . . فأحببت أن أنضح عن كتاب الله ، وأرمى من ورائه بالحجج النيّرة، والبراهين البينة، وأكشف للناس مايلبسون، فألَّفْتُ هذا الكتاب جامعاً لتأويل مشكل القرآن ؛ مستنبطاً ذلك من التفسير بزيادة فى الشرح والإيضاح ، وحاملا مالم أعلم فيه مقالا لإمام مطلع على لغات العرب ؛ لأرى المعاند موضع المجاز ، وطريق الإمكان ؛ من غير أن أحكم فيه برأى ، أو أقضى عليه بتأويل ، ولم يجز لى أن أنص بالإسناد إلى من له أصل التفسير ؛ إذ كنت لم أقتصر على وحى القوم حتى كشفته ، وعلى إيمائهم حتى أوضحته ، وزدت فى الألفاظ ونقصت ، وقدّمت وأخرت ؛ وضربت لذلك الأمثال والأشكال حتى يستوى فى فهمه السامعون » .

وقد عرض لما صنع مرّة أخرى ـ بعد أن شرح معنى المتشابه والمشكل ـ إذ يقول فى ص ٧٤ : «وأصل التشابه أن يشبه اللفظُ اللفظَ فى الظاهر والمعنيان مختلفان ... ومنه يقال: اشتبه علىّ الأمر ؛ إذا أشبه غيره فلم تكد تفرق بينهما . وشبّهت علىّ ؛ إذا لبّست الحق بالباطل. ثم يقال لكل ماغمض ودقّ : متشابه ؛ وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره .

ومثل المتشابه : المشكل ؛ وسمّى مشكلا لأنه أشكل ، أى دخل فى شكل غيره ، فأشبهه وشاكله . ثم يقال لما غمض ـ وإن لم يكن غموضه من هذه الجهة ـ : مشكل . وقد بينت

ما غمض من معناه لالتباسه بغيره ، واستتار المعانى المختلفة تحت لفظه ؛ وتفسير المشكل الذى ادُّعِىَ على القرآن فساد النظم فيه » .

وقد ذكر ابن قتيبة فى مقدمته : أن فضل القرآن لايعرفه إلا « من كثر نظره ، واتسع علمه ؛ وفهم مذاهب العرب ، وافتنانها فى الأساليب ؛ وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللغات ؛ فإنه ليس فى جميع الأمم ، أمة أوتيت - : من العارضة والبيان ، واتساع المجال - ما أوتيته العرب ... » ؛ ثم ذكر حال العرب فى مبانى ألفاظها وإعرابها ، وألوان فروقها بين معانى الألفاظ ؛ وتحدث عما لها من الشعر « الذى أقامه الله لها مُقام الكتاب لغيرها ، وجعله لعلومها مستودعا ، ولآدابها حافظا ، ولأنسابها مقيدا ؛ ولأخبارها ديوانا لا يرث على الدهر ولا يبيد على مرّ الزّمان ... » ، ثم قال فى ص ١٥ : « وللعرب المجازات فى الكلام ؛ ومعناها طرق القول ومآخذه . ففيها : الاستعارة والتمثيل ، والقلب ، والتقديم والتأخير ؛ والحذف والتكرار ، والإخفاء والإظهار ، والتعريض والإفصاح ، والكناية والإيضاح ؛ ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع ، والجميع خطاب الواحد ، والواحد والجميع خطاب الاثنين ؛ والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم ، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص .

وبكل هذه المذاهب نزل القرآن . ولذلك لا يقدر أحد من التراجم ؛ على أن ينقله إلى شىء من الألسنة ؛ كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرّومية ، وترجمت التوراة والزّبور وسائر كتب الله تعالى بالعربية ؛ لأن العجم لم تتسع فى المجاز اتساع العرب . ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ ؛ لم تستطع أن تأتى بهذه الألفاظ مؤدية عن المعنى الذى أودعته ؛ حتى تبسط مجموعها ، وتصل مقطوعها ، وتظهر مستورها ؛ فتقول : إن كان بينك وبين قوم هُدْنَةٌ وعهد - فخفت منهم خيانة ونقضا - فأعلمهم أنك قد نقضت ماشرطت لهم ، وآذنهم بالحرب ؛

لتكون أنت وهم فى العلم بالنقص على استواء . وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ ؛ إن أردت أن تنقله بلفظه لم يفهمه المنقول إليه ؛ فإن قلت أنمناهم سنين عددا ؛ لكنت مترجما للمعنى دون اللفظ . وكذلك قوله : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ ؛ إن ترجمته بمثل لفظه استغلق وإن قلت : لم يتغافلوا ؛ أديت المعنى بلفظ آخر » .

وأعتقد أن كلام ابن قتيبة فى مسألة ترجمة القرآن هوالقول الفصل الذى يجب التمسك به ، وعدم العدول عنه .

***

بدأ ابن قتيبة كتابه بالحكاية عن الطاعنين ؛ فسرد مطاعنهم على اختلاف أنواعها ؛ ثم عقد أبوابا للرد عليهم فى وجوه القراءات ؛ وما ادعوه على القرآن من اللحن ؛ وما نحلوه من التناقض والاختلاف بين آيه ؛ وما قالوه فى المتشابه . كما أجاب عن قولهم : ماذا أراد بإنزال المتشابه فى القرآن ، من أراد لعباده الهدى والبيان ! ؟ .

ثم ذكر بعد ذلك أبواب المجاز ؛ لأن أكثر غلط المتأولين كان من جهته ؛ وبسببه تشعبت الطرق ، واختلفت النحل .

وطريقته فى إيراد أبواب المجاز أنه يذكر ما أتى منها فى كتاب الله ، ويُعقبه بأمثاله : من الشعر ولغات العرب ، وما استعمله الناس فى كلامهم .

وقد بدأ بباب الاستعارة ، ثم باب المقلوب ، وباب الحذف والاختصار ، وباب تكرار الكلام والزيادة فيه ، وباب الكناية والتعريض ، وباب مخالفة ظاهر اللفظ معناه .

ثم ذكر باب الأبواب فى الكتاب ، وهو باب تأويل الحروف التى ادعى على القرآن بها الاستحالة وفساد النظم ؛ فتحدث عن الحروف المقطعة ، واختلاف المفسرين فيها . ثم خلص من الكلام عليها إلى الكلام على مشكل سور القرآن ؛ فيذكر مافى السورة منه ثم يؤوله ؛ ولكنه لم يرتب السور على حسب ترتيبها المعروف فى المصحف ؛ بل ذكرها حسبما عَنَّ له من مشاكلها . وقد لايستوفى الكلام على مشاكل السورة التى يذكرها فيعيد ذكرها مرة

أو مرات ؛ مثل مافعل فى سورة البقرة والأنعام ، وسورة النحل والنساء .

فقد تحدّث عن مشكل السورتين الأولين فى أربعة مواضع ، وتحدث عن مشكل الثانيتين فى ثلاثة — كما أنه لم يعرض لكل سور القرآن . والسورةُ الوحيدة التى استوفى تأويلها ، وشرحها كلها — من بين السور التى ذكرها — هى سورة الجن ؛ لما فيها من إشكال وغموض ؛ بما وقع فيها من تكرار « إن » واختلاف القراء فى نصبها وكسرها ؛ واشتباه مافيها من قول الله وقول الجن .

وبعد أن فرغ ابن قتيبة من تأويله لمشكل السور التى ذكرها ، عقد بابا عظيم القدر ، بالغ الأهمية ؛ وهو « باب اللفظ الواحد للمعانى المختلفة » ؛ تحدث فيه عن نيف وأربعين لفظا من الألفاظ التى جاءت فى القرآن متحدة المبانى ، مختلفة المعانى ؛ كالقضاء والبلاء ، والأمة والرؤية والإمام والإسلام ، والفتنة والسلطان ، والضلال والنسيان ، والحساب والكتاب .

ثم ذكر ابن قتيبة بعد ذلك « باب تفسير حروف المعانى ، وما شاكلها من الأفعال التى لاتتصرف » ؛ كأين ، وأنى ، ولولا ، ولوما ، ولا جرم ، وتعالى ، وهلم ، ورويدا ، ولدن .

ثم ختم كتابه بباب « دخول بعض حروف الصفات مكان بعض » ومما هو جدير بالملاحظة : أن عنوان هذا الباب والذى قبله ، مظهر من مظاهر مزج ابن قتيبة بين كلام الكوفيين والبصريين ، فحروف المعانى تعبير بصرى ؛ ذكر المفضل بن سلمة الكوفى فى كتاب « البارع » الحروف التى جاءت لمعان — بعد أن ذكر أبنية الكلام — فقال : « والحد الثالث من الكلام الأحداث ؛ وهى التى يسميها أهل البصرة : حروف المعانى » .

وحروف الصفات تعبير كوفى ؛ قال السيوطى فى همع الهوامع ٢/١٩ « حروف الجر ، ويسميها الكوفيون حروف الإضافة ؛ لأنها تضيف الفعل إلى الاسم ، أى توصله إليه ؛ وحروف الصفات لأنها تحدث صفة فى الاسم ، فقولك : جلست فى الدار ؛ دلت « فى » على أن الدار وعاء للجلوس ، وقيل لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات » .

***

ولأبواب المجاز التى ذكرها ابن قتيبة فى هذا الكتاب ، قيمة تاريخية كبيرة ؛ لأنها ستضيف إلى معارفنا عن تطور البلاغة شيئاً جديدا . فالشائع الذائع بين الخاصة وغيرهم أن البلاغة العربية طفرت من نثار الجاحظ المبثوث فى كتبه ، إلى « بديع » ابن المعتز ، طفرة واحدة . ولم يعرف أحد أن ابن قتيبة قد أسهم فى تكوينها وتطورها بنصيب موفور . فظهور تلك الأبواب فى هذا الكتاب يظهرنا على تلك الحلْقة المفقودة فى تاريخ البلاغة ؛ ويضيف إلى أمجاد ابن قتيبة مجداً آخر عظيم الشأن ، سيذكره الذاكرون كلما تحدثوا عن تاريخ البلاغة ونشأتها .

ولن يستطيع باحث أن يغفل صنع ابن قتيبة فى استخراج ما فى القرآن من أنواع المجاز وتبويبها أبواباً مفصلة بلغت عدة صفحاتها أربعا وخمسين ومائة ؛ قبل أن يؤلف ابن المعتز كتاب « البديع » فى سنة أربع وسبعين ومائتين ؛ بسنوات وسنوات .

***

ولباب اللفظ الواحد للمعانى المختلفة ، كذلك قيمة تاريخية عظيمة ، فقد أرجع ابن قتيبة المعانى المختلفة للفظ الواحد ، إلى أصل واحد نشأت منه ، وتفرعت عنه .

ومن أمثلة ذلك أنه ذكر كلمة « القضاء » ، وبين معانيها المختلفة التى تصير إليها ؛ ثم ختم بحثه بقوله ص ٣٤٣ « وهذه كلها فروع ترجع إلى أصل واحد » . وكذلك قال بعد تبيينه لمعانى « القنوت » ص ٣٥٠ « ولا أرى أصل هذا الحرف إلا الطاعة ؛ لأن جميع هذه الخلال من الصلاة والقيام فيها ، والدعاء وغير ذلك يكون عنها » ؛ وقال بعد ذكره لمعانى كلمة « الأمر » ص ٣٩٤ « وهذا كله وإن اختلف فأصله واحد » .

وبذلك ، يكون لابن قتيبة فضل السبق إلى القول برد مفردات المادة اللغوية ، إلى أصولها المعنوية المشتركة ؛ لأنه أسبق من ابن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ ، ومن أستاذه أبى على الفارسى المتوفى سنة ٣٧٧ ، ومن ابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ . بل إنى أذهب إلى أن فكرة

ابن قتيبة هذه، هى التى أوحت إلى ابن فارس تأليف كتابه «مقاييس اللغة»؛ كما أوحت إليه تلك المباحث اللغوية ـ التى تضمنها تأويل مشكل القرآن ـ تأليف كتاب «الصاحبى» فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها. والذى يقارن بين الكتابين، يجد أن ابن فارس قد اعتمد على تأويل مشكل القرآن كل الاعتماد، وانتفع بمباحثه انتفاعا عظيما، ونقل منها إلى كتابه نقولا كثيرة: من غير أن يشير إلى ذلك؛ وإن أشار ـ وقليلا مايصنع ـ فإنما يشير إشارة مبهمة غامضة؛ كقوله فى ص ١٢: «وقال بعض علمائنا»؛ وقوله فى ص ١٢٤: «وقال بعضهم». وقد أشرت إلى بعض مانقله فى مواضعه من الكتاب.

وابن فارس حريص على أن لايذكر اسم ابن قتيبة، إلا إذا حاول نقده. وهو فى نقده له مغرض متحامل متعجل؛ وقد دفعته العجلة إلى الخطأ، وعدم التمييز بين كلام ابن قتيبة، وبين قول نقله عن الفراء فى «لاجرم»؛ فنسب قول الفراء إلى ابن قتيبة وخطأه فيه كما أشرت إلى ذلك فى تعليقى على صفحة ٤١٨.

***

وقد عمد أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مطرِّف الكنانى القرطبى (٣٨٧ـ٣٥٤)، إلى كتابى: تأويل مشكل القرآن وتفسير غريب القرآن فجمع بينهما ـ كما يقول ـ فى كتاب أسماه «القرطين» وهذا العمل ليس ـ من العلم، ولا من التأليف ـ فى شىء؛ ولا يدل إلا على سوء التفكير والتدبير. بل هو مسخ للكتابين، وتقطيع لأوصالها، وبعثرة لمضمونهما بعثرة تُضِلُّ الأفهام والأفكار، ولاتسيغها الأذواق ولا العقول.

ولقد زعم ابن مطرف فى مقدمته أنه لم يحل الكلام فى كلا الكتابين عن جهته ولا غير من لفظه، ولا زاد فيه، ولا نقص منه. ولكن فعله خالف قوله؛ فقد نقص منهما كثيرا وزاد فيهما قليلا؛ واتبع فيما حذف هواه الذى أضله عن سنن العلماء، وليس أدل على ذلك من أنه حذف من تأويل مشكل القرآن صفحة ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥؛ وعلل حذفه لهذه

الصفحات، بقوله ٢/١٥: « وباقى الباب لم أكتبه ؛ لما فيه من الطعن على حمزة ؛ وكان أورع أهل زمانه ، مع خلو باقى الباب من الفائدة! ». وسيعلم كل قارئ لهذه الصفحات ماتضمنته من الفوائد العلمية والتاريخية الجليلة ؛ وسيحكم بأن ابن مطرف كان ينطق عن الهوى فى حكمه .

* * *

وقد اعتمدت فى نشر هذا الكتاب على ثلاث نسخ؛ الأولى: نسخة دار الكتب المصرية (٥١٨ تفسير) وهى بخط أبى طالب بن عبد الواحد بن عبد المحسن بن أبى الوفاء الأنصارى الدمشقى، المعروف ببرهان الدين، وقد كتبها فى سنة ٥٥٨ هـ، وقد قرئت على أبى منصور الجواليقى وعدد أوراقها ١٣٤ ورقة ، وتنقص من أولها ورقة ، ومقاسها ١٥ × ١١ سم وتشتمل الصفحة منها على خمسة عشر سطرا ، وعلى هوامشها بعض تعليقات ، وهى مضبوطة بالحركات ورمزها « ج » .

والنسخة الثانية : نسخة مكتبة مراد ملا ، كتبت سنة ٥٣٢هـ وهى فى ١١٧ ورقة، ومقاسها ١٩،٥ × ٢٥،٥ سم وعدد سطور صفحتها ٢٠ سطرا .

والنسخة الثالثة : نسخة دار الكتب المصرية (٦٦٣ تفسير) وهى مكتوبة فى سنة ٣٧٩ هـ بخط محمد بن أحمد بن يحيى ، وعدد أوراقها ٨٥ ورقة ومقاسها ١٥ × ٢١سم وعدد سطور الصفحة ٢٦ سطراً . ولئن كانت هذه النسخة أقدم النسخ عهداً ، فإنها أقلهن وزنا ؛ لأن كاتبها كان يجتوى الشعر فكان إذا مر بشعر حذفه ، ولم يفلت منه إلا قليل . وهى كذلك تنقص كثيرا من النصوص. ولكثرة المحذوف منها ، واستحالة الإشارة إلى أوله وآخره فى هوامش الصفحات دون التطويل الممل - رأيت إثبات الفروق بين النسخ فى آخر الكتاب . ولعل ذلك مما يريح جمهرة القراء .

ولقد حرصت فى شرحى لهذا الكتاب على تخريج أبياته ، وربط موضوعاته بأماكنها

صورة الصفحة الأولى من النسخة المرموز إليها بحرف « د »

عن مكان من ١٦٥

قال الله تبارك وتعالى هو الذي يقبل التوبة عن عباده أي من عباده ○
وتقول أخذت هذا عنك ومنك ○ وقد لا يكون
مكان عن تقول لقيت من فلان أي عنه ووجدني فلان من فلان
أي عنه ○

على بمعنى عند

قال الله تبارك وتعالى ولهم علي ذنب أي عندي ذنب ○

الى مكان اللام

قال الله تبارك وتعالى ما خلقناهما إلا بالحق أي للحق ○

تم كتاب المشكل

والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على محمد النبي سرمدا دائما
وآله وسلم كثيرا وحسبنا الله حيوتنا وبعد وفاتنا
ونعم الوكيل والمعين ربنا ونعم المولى ونعم النصير ○

وكتب محمد بن أحمد بن يحيى رحمه الله في شهر ربيع الآخر
من سنة تسع وسبعين وثلثمائة رحم الله كاتبه ومن نظر
فيه من المسلمين آمين رب العالمين ويقول سوف يبلى يدي
ويبقى الكتاب وقال

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

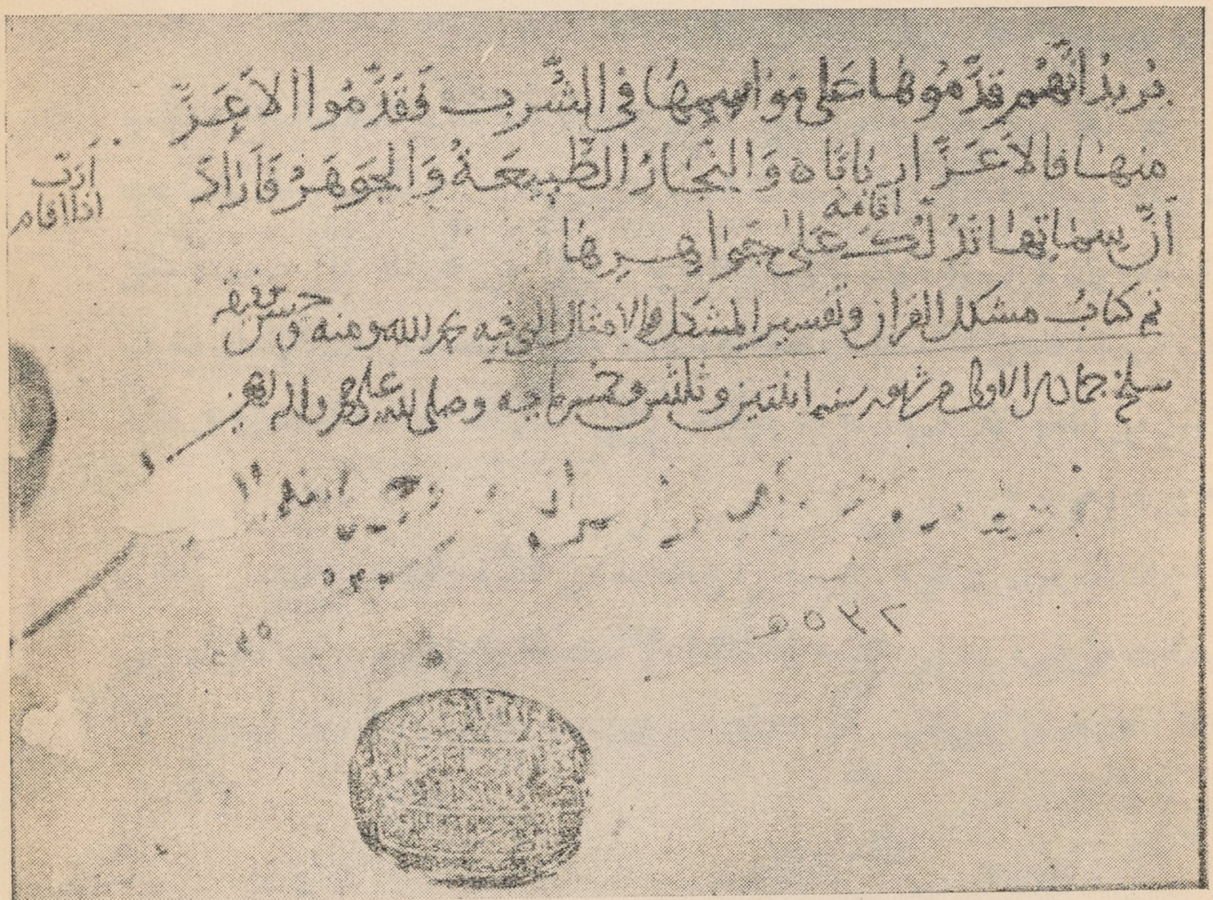
اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا به وزدنا علما
ينفعنا ○ الحمد لله بجميع محامد الله ما علمنا منها
وما لم نعلم على جميع نعم الله ما علمنا منها وما لم نعلم
أدى جميع خلق الله ما علمنا منهم وما لم نعلم ○

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة المرموز إليها بحرف « د »

بسم الله الرحمن الرحيم رب أعن

الحمد لله الذي نهج لنا سبل الرشاد وهدانا بنور الكتاب ولم يجعل
له عوجا بل أنزله قيما مفصلا بينا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد وشرفه وكرمه ورفعه وعظمه وسماه
روحا ورحمة وشفاء وهدى ونورا وقطع منه بمعجز التأليف
أطماع الكائدين وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين وجعله
متلوا لا يمل على طول التلاوة ومسموعا لا تمجه الآذان وغضا
لا يخلق على كثرة الرد وعجيبا لا تنقضي عجائبه ومفيدا لا تنقطع
فوائده ونسخ به سالف الكتب وجمع الكثير من معانيه في القليل من
لفظه وذلك معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم فإن
شئت أن تعرف ذلك فتدبر قوله سبحانه خذ العفو وأمر بالعرف
وأعرض عن الجاهلين كيف جمع له بهذا الكلام كل خلق عظيم
لأن في أخذ العفو صلة القاطعين والصفح عن الظالمين وإعطاء المانعين
وفي الأمر بالعرف تقوى الله وصلة الأرحام وصون اللسان عن
الكذب وغض الطرف عن الحرمات وإنما سمي هذا وما أشبهه
عرفا ومعروفا لأن كل نفس تعرفه وكل قلب يطمئن إليه وفي الإعراض
عن الجاهلين الصبر والحلم وتنزيه النفس عن مماراة السفيه ومنازعة
اللجوج وقوله سبحانه إذ ذكر الأرض فقال أخرج منها ماءها ومرعاها
كيف دل بشيئين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتا ومتاعا للأنام من

صورة الصفحة الأولى من النسخة المرموز إليها بحرف « م »



فريد انهم قدموها على مواضعها في الشرب فقدموا الاعز
منها فالاعز ايابا باه والبخار الطبيعة والجوهر فاراد
ان يسمايها تدل على جواهرها
تم كتاب مشكل القرآن وتفسير المشكل والامثال التي فيه بحمد الله ومنه وحسن توفيقه
سلخ جمادى الاولى من شهور سنة اثنتين وثلثين وخمسمائة وصلى الله على محمد واله الغر

اقامه

أرب
اذا اقام

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة المرموز إليها بحرف «م»

من كتب الأدب والتفسير ؛ ونقلت ـ من الآراء ـ مادعت إليه ضرورة البحث ؛ وأومأت إلى مالم أنقل . وكان قصدى فى ذلك إما تعضيد رأى ، أو توهين قول ؛ أو تفصيل مجمل ، أو توضيح مبهم ؛ أوالإشارة إلى مصدر فكرة ، أو اتفاق خاطر . ليكون الدارس للكتاب على بينة مماذكره ابن قتيبة من مشكل القرآن ؛ محيطا بفقه المسائل التى عرض لها ، جامعا لأطراف الآراء ووجوه المذاهب فيها .

وما أريد أن أعرض لما صنعت بتزكية أو توثيق ، تأدبا بأدب السلف الصالح ، وتأسيا بقول أبى سليمان الخطَّابى فى ختام مقدمته لتفسير غريب الحديث: « فأما سائر ماتكلمنا عليه فإنا أحقاء بأن لا نزكيه ، وأن لانؤكد الثقة به ؛ وكل من عثر منه على حرف أو معنى يجب تغييره ، فنحن نناشده الله فى إصلاحه ، وأداء حق النصيحة فيه . فإن الإنسان ضعيف لا يسلم من الخطإ ؛ إلا أن يعصمه الله بتوفيقه ، ونحن نسأل الله ذلك ، ونرغب إليه فى دركه إنه جواد وهوب » .

واقتداء بقول ابن قتيبة : « وما أبرأ إليك بعد من العثرة والزلة ؛ وما أستغنى منك ـ إن وقفت على شىء ـ : عن التنبيه والدلالة ؛ ولا أستنكف من الرجوع إلى الصواب عن الغلط . فإن هذا الفن لطيف خفى ؛ وابن آدم إلى العجز والضعف والعجلة ؛ (وفوق كل ذى علم عليم) .

ونحن نسأل الله أن ينفعنا وإياك بالعلم ، ويعرفنا قدره ، ويجعل شغلنا بالعمل المقرب منه ، ويؤتينا بفضله أفضل ما آتاه من أمّله بخير نية ، وأرشد هُدًى . إنه الواسع الكريم » .

القاهرة فى يوم الاثنين : ٥ من ذى القعدة ١٣٧٣ هـ
٥ يوليه ١٩٥٤ م

السيد أحمد صقر

تأويل مشكل القرآن

لابن قتيبة

٢١٣ - ٢٧٦

شرحه ونشره

السيد أحمد صقر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَة :

الحمد لله الذى نهج لنا سُبل الرّشاد ، وهدانا بنور الكتاب ، ﴿ولم يَجْعَل لَهُ عِوَجًا﴾(١) بل نزّله قيماً مفصّلا بيّنا ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيد﴾(٢) وشرّفه وكرّمه ، ورفعه وعظّمه ، وسماه رُوحاً(٣) ورحمة(٤)، وشِفاء(٥) وهدًى ونورا(٦) .

وقطع منه بمعجز التّأْليف أطماع الكائدين ، وأبانه بعجيب النّظم عن حِيَل المتكلِّفين ، وجعله مَتْلُوًّا لا يُمَلّ على طول التِّلاوة ، ومسموعاً لا تمجُّه الآذان ، وغَضًّا لا يَخْلَق على كثرة الرد ، وعجيباً لا تنقضى عجائبه ، ومفيداً لا تنقطع فوائده .

ونَسَخ به سالف الكتب ، وجمع الكثير من معانيه فى القليل من لفظه ، وذلك معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُوتيتُ جوامع الكلم »(٧) .

فإن شئت أن تعرف ذلك فتدبر قوله سبحانه ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾(٨) كيف جمع له بهذا الكلام كل خُلُق عظيم ؛ لأن فى أخذ العفو صِلة القاطعين ، والصفح عن الظالمين ، وإعطاءَ المانعين .

---

(١) سورة الكهف ١ .

(٢) سورة فصلت ٤٢ .

(٣) فى سورة الشورى ٥٢ . وفى الإتقان ١/٨٦ « اعلم أن الله سمى القرآن بخمسة وخمسين اسما . . . »

(٤) فى سورة الجاثية ٢٠ .

(٥) فى سورة فصلت ٤٤ .

(٦) فى سورة الشورى ٥٢ .

(٧) فى اللسان ٩ / ٤٠٤ « يعنى القرآن وماجمع الله عز وجل بلطفه من المعانى الجمة فى الألفاظ القليلة كقوله عز وجل : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وفى صفته صلى الله عليه وسلم أنه كان يتكلم بجوامع الكلم ، أى أنه كان كثير المعانى ، قليل الألفاظ » وقال الجاحظ فى معرض حديثه عن بلاغة الرسول : « والذى يدلك على أن الله عز وجل خصه بالإيجاز وقلة عدد اللفظ مع كثرة المعانى قوله صلى الله عليه وسلم : نصرت بالصبا وأعطيت جوامع الكلم » راجع البيان والتبيين ٢ / ٢٨ .

(٨) سورة الأعراف ١٩٩ .

وفى الأمر بالعرف: تقوى الله ، وصِلة الأرحام ، وصون اللسان عن الكذب ، وغَضّ الطَّرْف عن الحرمات .

وإنما سُمِّىَ هذا وما أشبهه عُرْفاً ومعروفا ؛ لأن كل نفس تعرفه ، وكل قلب يطمئنّ إليه .

وفى الإعراض عن الجاهلين: الصبر والحلم ، وتنزيه النفس عن مُمَاراة السَّفيه ، ومنازعة اللَّجوج

وقوله تعالى إذ ذَكَرَ الأرض فقال : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾(١) كيف دَلَّ

[٢] بشيئين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتاً ومتاعاً للأنام ، من / العُشب والشجر ، والحب والثمر والحَطَب ، والعَصْفِ(٢) واللِّبَاس والنّار والملح ؛ لأن النار من العيدان ، والملح من الماء .

وينبئك أنه أراد ذلك قوله تعالى : ﴿ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ .

وفكِّرْ فى قوله تعالى حين ذكر جنات الأرض فقال : ﴿ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ ، وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فى الأُكُل ﴾(٣) كيف دَلَّ على نفسه ولُطفه ووحدانيته ، وهَدَى للحُجَّة على من ضلّ عنه ؛ لأنه لو كان ظُهور الثمرة بالماء والتُّربة لوجب فى القياس ألا تختلف الطعوم ، ولا يقع التَّفاضُل فى الجنس الواحد إذا نبَت فى مَغْرِسٍ واحد ، وسُقى بماء واحد ، ولكنّه صنع اللطيف الخبير .

ونحو قوله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُم ﴾(٤) يريد اختلاف اللُّغات ، والمناظر ، والهيئات .

وفى قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾(٥) يريد أنها تُجمعُ وتُسيَّرُ ، فهى لكثرتها كأنها جامدةٌ واقفةٌ فى رَأْىِ العين ، وهى تسير سير السحاب .

وكل جيش غَصّ الفضاءُ به لكثرته وبُعْد ما بين أطرافه فقصُرَ عنه البصر ــ فكأنه

---

(١) سورة النازعات ٣١ .

(٢) فى اللسان ١١ / ١٥٢ « العصف : ورق الزرع وما لا يؤكل منه »

(٣) سورة الرعد ٤ .

(٤) سورة الروم ٢٢ .

(٥) سورة النمل ٨٨ .

فى حسبان الناظر واقف وهو يسير . وإلى هذا المعنى ذهب الجَعْدِىّ فى وصف جيش فقال :

بأَرْعَنَ مثلِ الطّود تحْسَبُ أنهم وُقوفٌ لِحاجٍ والرِّكابُ تُهَمْلِجُ(١)

وفى قوله جلّ ذكره : ﴿ وَلَكُمْ فِى القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِى الأَلْبَاب ﴾(٢) يريد أن سافِكَ الدّم إذا أُقِيد منه ارتدع عن قتل من كان يَهُمُّ له بالقتل ، فكأن / فى القصاص حياة [٣] وهو قتل .

وأخذه الشاعر فقال :

أَبلِغْ أبا مالك عَنِّى مُغَلْغَلَةً وفى العِتَاب حياةٌ بين أقْوام(٣)

يريد أنهم إذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتاب فكفُّوا عن القتل ، وكان فى ذلك حياة .

وأخذه المتمثّلون فقالوا : بعض القتل إحياء للجميع(٤) . وقالوا : القتل أقلُّ(٥) للقتل.

وتبيَّن قوله فى وصف خَمْرِ أهل الجنة ﴿ لا يُصَدَّعونَ عنهَا وَلا يُنْزِفون ﴾(٦) كيف نفى عنها بهذين اللفظين جميع عيوب الخمر ، وجمع بقوله « ولا يُنْزِفون » عدم العقل ، وذَهاب المال ، ونفادَ الشراب .

وقوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كانُوا لَا يَعْقِلُونَ ، وَمِنهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى العُمْىَ وَلَوْ كانُوا لا يُبْصِرُون ﴾(٧) كيف دَلّ

---

(١) البيت للنابغة الجعدى فى اللسان ٤ / ٢٣٥ ، وقد نسبه له ابن قتيبة فى كتاب المعانى ٢ / ٨٩١ وقال : أرعن : جيش كثير مثل رعن الجبل ، والرعن : أنف يتقدم من الجبل فيفسل فى الأرض . والطود : الجبل : أى من كثرتهم تحسب أنهم وقوف وركابهم تسير . . . » وانظره فى تفسير الطبرى ٢٠ / ١٥ .

(٢) سورة البقرة ١٧٩ .

(٣) البيت غير منسوب فى اللسان ١٤ / ١٨ وهو فى أمالى اليزيدى من أبيات لبعض المتقدمين ، وفى عيون الأخبار ١/ ٩١ لأبى القمقام الأسدى . وفى العقد الفريد ١ / ٨٠ لهشام الرقاشى ، وفى البيان والتبيين لهمام الرقاشى ٢ / ٣١٦ ، ٣/٢٠٢ ، ٤/٨٥ . وفيه وفى العقد وأمالى اليزيدى: «أبلغ أبا مسمع» والمغلغلة ـ بفتح الغين ـ الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد ، كما فى اللسان ١٤/١٨ .

(٤) فى البيان والتبيين ٢/٣١٦ : « وقال بعض الحكماء : قتل البعض إحياء للجميع » .

(٥) فى الصناعتين ص ١٣١ ، والنكت فى إعجاز القرآن ص ٢ « القتل أنفى للقتل »

(٦) سورة الواقعة ١٩ .

(٧) سورة يونس ٤٣ .

على فضل السّمع على البصر، حين جعل مع الصمم فقدان العقل، ولم يجعل مع العمى إلا فقدان النظر.

وقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلهِ﴾(١) فدلَّ على أن المنافقين شرٌّ مَنْ كفر به، وأَوْلاهم بمقته، وأبعدهم من الإنابة إليه؛ لأنه شرط عليهم في التوبة الإصلاح والاعتصام، ولم يشرط ذلك على غيرهم، ثم شرط الإخلاص؛ لأن النفّاق ذنب القلب، والإخلاص توبة القلب.

ثم قال: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولم يقل: فأولئك هم المؤمنون.

ثم قال: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ولم يقل: وسوف يؤتيهم الله [٤] بُغضاً لهم، وإعراضاً عنهم، وحَيْدا بالكلام عن ذكرهم/.

وقوله في المنافقين: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ، هُمُ الْعَدُوُّ﴾(٢) فدلّ على جُبنهم، واسْتِشرافهم لكل نَاعِرٍ، ومُرْهِجٍ(٣) على الإسلام وأهله.

وأخذه الشاعر ـ وأنَّى له هذا الاختصار ـ فقال:

ولو أنَّها عصفورةٌ لحسِبْتَها ... مُسوّمةً تدعو عُبَيْداً وأَزْنَما(٤)

يقول: لو طارت عصفورة لحسبتها من جُبْنك خيلا تدعو هاتين القبيلتين.

وقال الآخر:

---

(١) سورة النساء ١٤٦.

(٢) سورة المنافقون ٤.

(٣) في اللسان ٣/١٠٩ «الرهج: الغبار، والشغب» وفيه ٧/٧٨ «الناعر: الصائح».

(٤) قال ابن قتيبة في كتاب المعاني ٢ / ٩٢٧ «وقال العوام بن شوذب في بسطام بن قيس يصفه بالجبن وفر يوم العظالى: ولو انها عصفورة ... وأزنما، أى لو أن عصفورة طارت لحسبتها من جبنك خيلا معلمة، تدعو عبيداً وأزنما، أى شعارهم: يال عبيد يال أزنم» والبيت من قصيدة للعوام في النقائض ص ٥٨٥ وله في اللسان ١٥ / ١٦٩ والعقد ٥ / ١٩٥ ومعجم الشعراء ص ٣٠٠، ولعميرة بن طارق في نقائض جرير والأخطل، ولمغيرة بن طارق في أمالي اليزيدي ص ٦٦ ولجرير في شرح شواهد المغني ص ٢٢٧ وللبعيث أو جرير في حماسة البحتري ص ٢٦١ وغير منسوب في الحيوان ٥/ ٢٤٠، وديوان المعاني ١ / ١٩٥ والمقاييس ١ / ١١٨ وعيون الأخبار ١ / ١٦٦.

ما زلت تحسبُ كل شيء بعدهم   خيلاً تـكُرُّ عليـكم ورجالا(١)

وهذا فى القرآن أكثر من أن نستقصيه .

***

وقد قال قوم بِقُصور العـلم وسوء النظر فى قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ، وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ﴾(٢) : ما فى هذا الـكلام من الفائدة ؟

وما فى الشمس إذا مالت بالغَداة والعَشِىّ عن الـكهف من الخبر ؟

ونحن نقول : وأىّ شىء أَوْلى بأن يكون فائدة من هـذا الخبر ؟ وأىّ معنى ألطف مما أَوْدَعَ الله هذا الـكلام ؟

وإنما أراد عز وجل أن يُعرِّفنا لطفه لِلْفِتْية ، وحِفْظه إياهم فى المَهْجَع ، واختياره لهم أصلح المواضع للرّقود ، فأَعْلمنا أنه بوَّأهم كهفاً فى مَقْنأة(٣) الجبل ، مستقبلا بنات نَعْش(٤) ، فالشمس تزوَرُّ عنه وتستدبره طالعة وجارية وغاربة ، ولا تدخل عليهم فتؤذيَهم بحرِّها وتلفحهم بسمومها ، وتُغيِّر ألوانهم ، وتُبلى ثيابهم . وأنهم كانوا فى فجوةٍ من الـكهف أى مُتّسعٍ منه ينالهم / فيه نسيم الريح وبردها ، وينفى عنهم غُمَّةَ الغار وكربه . [٥]

وليس جهلهم بما فى هذه الآية من لطيف المعنى بأعجب من جهلهم بمعنى قوله : ﴿ وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴾(٥) حتى أبدَوْا فى التعجُّب منه وأعادوا ، حتى ضرب به بعض المُجّان لبارد شعره مثلا .

---

(١) البيت لجرير يهجو به الأخطل ، كما فى نقائض جرير والأخطل ص ١٨٩ وديوانه ص ٤٥١ والحيوان ٥ / ٢٤٠ والمختار من شعر بشار ص ٩ وشرح شواهد الشافية ص ١٢٥ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٢٢٧ وغير منسوب فى الصناعتين ص ١٦٦ وحماسة البحترى ٢٦١ .

(٢) سورة الكهف ١٧ وفى اللسان ٥ / ٤٢٣ « قال الفراء : وازورارها فى هذا الموضع أنها كانت تطلع على كهفهم ذات اليمين فلا تصيبهم ، وتغرب على كهفهم ذات الشمال فلا تصيبهم . وقال الأخفش : تزاور عن كهفهم أى تميل . . »

(٣) فى اللسان ١ / ١٣٠ « المقنأة : الموضع الذى لاتصيبه الشمس » .

(٤) فى اللسان ٨ / ٢٤٨ « وبنات نعش : سبعة كواكب أربعة منها نعش لأنها مربعة ، وثلاثة بنات »

(٥) سورة الحج ٤٥ وانظر تفسير الطبرى ١٧ / ١١٥ – ١١٧ .

وهل شيءٌ أبلغُ فى العِبرة والعِظة من هذه الآية ؟ لأنه أراد: أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها فينظروا إلى آثار قوم أهلكهم الله بالعُتوّ ، وأبادهم بالمعصية ، فيروا من تلك الآثار بيوتاً خاويةً قد سقطت على عروشها ، وبئرا كانت لشرب أهلها قد عُطِّل رِشاؤُها وغار مَعينُها ، وقصراً بناه مَلِكُهُ بالشِّيد[١] قد خلا من السَّكْن ، وتداعى بالخراب فيتعظوا بذلك ، ويخافوا من عقوبة الله وبأسه ، مثل الذى نزل بهم .

ونحوه قوله : ﴿ فأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلّا مَسَاكِنُهُمْ ﴾[٢] .

ولم يزل الصالحون يعتبرون بمثل هذا ، ويذكرونه فى خطبهم ومقاماتهم ، فكان سُليمان صلى الله عليه وسلم إذا مرّ بخراب قال : يا خَرِب الخربين أين أهلك الأوّلون ؟

وقال أبو بكر رضى الله عنه فى بعض خُطبه : أين بانو المدائن ومُحَصِّنوها بالحوائط ؟ أين مُشيِّدو القصور وعامروها ؟ أين جاعِلو العجيب فيها لمن بعدهم ؟ تلك منازلهم خالية ، وهذه منازلهم فى القبور خاوية ، هل تحسّ منهم من أحدٍ أو تسمع لهم رِكْزاً[٣] ؟ .

وهذا الأسْوَدُ بن يَعْفُرُ[٤] يقول :

ماذا أُؤَمِّل بعدَ آل مُحرِّقٍ ... تركوا منازلهم وبعد إيادِ[٥]
أهل الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ وَبَارِقٍ ... والقصر ذى الشُّرُفَاتِ من سِنْدادِ/[٦] [٦]

---

(١) فى اللسان ٤ / ١٢٠ « الشيد ـ بالكسر ـ كل ماطلى به الحائط من جص وبلاط » .

(٢) سورة الأحقاف ٢٥ .

(٣) فى اللسان ٧ / ٢٢٢ « الركز : الحس والصوت الخفى » .

(٤) جعله ابن سلام فى الطبقة الخامسة من شعراء الجاهلية ص ١٢٢ـ١٢٤ وترجم له أبو الفرج فى الأغانى ١١ / ١٣٤ـ١٣٩ وابن قتيبة فى الشعر والشعراء ١ / ٢١٠ـ٢١١ وأبياته من قصيدة فى المفضليات ص ٢١٧ ، وهى فى العقد ٣ / ٢٨٩ ومعجم البلدان ٥ / ١٥ .

(٥) محرق : لقب للملك عمرو بن هند ملك الحيرة ، وسمى محرقا لأنه حرق بنى تميم ، وقيل : بل حرق نخل اليمامة . وهو لقب الحارث الأكبر الغسانى ، انظر العمدة ٢ / ٢١٧ ـ ٢١٩ ، وإياد : قبيلة مشهورة ، وانظر لمهلكها : الشعر والشعراء ١/١٥١ ـ ١٥٢ والأغانى ٢٠ / ٢٣ ـ ٢٥ .

(٦) م « أرض الخورنق » والخورنق : قصر بالحيرة . والسدير : نهر أو قصر بالحيرة . بارق : ماء بالعراق . سنداد : نهر كان بين الحيرة إلى الأبلة .

نزلوا بأنقرةٍ يسيل عليهم ماءُ الفراتِ يَجِيءُ من أَطْواد[1]
أرضٌ تخيَّرها لِطِيب مَقِيظِها كعب بن مامَة وابن أمّ دُؤَاد[2]
جرَت الرياح على محلّ ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد
فأَرَى النعيم وكلَّ ما يُلْهَى به يوماً يصير إلى بِلًى ونَفَاد[3]

***

وهذه الشّعراءُ تبكي الديار ، وتصِفُ الآثار ، وإنمـا تسمعهم يذكرون دِمَنًا وأوتاداً ، وأثافِيّ ورماداً ، فكيف لم يعجبوا من تذكُّرهم أهل الديار بمثل هـذه الآثار ، وعجبوا من ذكر الله سبحانه أحسن ما يُذْكَرُ منها وأوْلاه بالصِّفة ، وأبلغه فى الموعظة ؟

---

(١) أنقرة التى يعنيها الشاعر : بلد بالحيرة بالقرب من الشام . والأطواد : جمع طود ، وهو الجبل .

(٢) كعب بن مامة الإيادى الذى ضرب به المثل فقيل : أجود من كعب بن مامة ، راجع مجمع الأمثال ١ / ١٩١–١٩٢ . وأمثال الضبى ٦١–٦٢ . وابن أم دؤاد : هو أبو دؤاد الإيادى الشاعر المعاصر لكعب بن مامة ، راجع ترجمته فى الشعر والشعراء ١ / ١٨٩ - ١٩٢ والأغانى ١٥ / ٩٥ - ٩٩ .

(٣) فى المفضليات « فإذا النعيم » .

باب ذكر العرب وما خصهم الله به من العارضة والبيان واتساع المجاز

وإنما يعرفُ فضل القرآن من كثُرَ نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللغات؛ فإنه ليس في جميع الأمم أمّةٌ أُوتيت من العارِضة(١)، والبيان، واتساع المجال، ما أُوتيَته العرب خِصِّيصَى من الله لما أَرْهَصَه(٢) في الرسول، وأراده من إقامة الدليل على نبُوّته بالكتاب، فجعله عَلَمَه، كما جعل عَلَمَ كل نبي من المرسلين من أَشْبه الأمور بما في زمانه المبعوث فيه.

فكان لموسى فَلْقُ البحر، واليد، والعصا، وتفجُّرُ الحجر في التِّيه بالماء الرَّوَاءِ(٣)، إلى سائر أعلامه زمن السّحر.

وكان لعيسى إحياء الموتى، وخلق الطير من الطين، وإِبْرَاء الأَكْمَه(٤) والأبرص، إلى سائر أعلامه زمن الطب.

وكان لمحمد صلى الله عليه وسلم الكتاب الذى لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا
[٧] بمثله لم يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، إلى سائر أعلامه زمن البيان /.

***

فالخطيبُ من العرب إذا ارتجل كلاماً في نكاح أو حَمَالة(٥)، أو تَحْضِيضٍ أو صُلح أو ما أشبه ذلك، لم يأت به من وادٍ واحد بل يَفْتَنّ فيختصر تارةً إرادة التّخفيف، ويُطيل تارة إرادة الإفهام، ويكرِّر تارةً إرادة التوكيد، ويُخفى بعض معانيه حتى يغمض على أكثر السامعين، ويكشف بعضها حتى يفهمه بعض الأعجميين، ويشير إلى الشيء ويكني عن الشيء.

---

(١) في اللسان ٩ / ٤٣ «العارضة: قوة الكلام وتنقيحه، والرأى الجيد».

(٢) في اللسان ٨ / ٢١٠ «وقد أرهص الله فلانا للخير أى جعله معدنا للخير ومأتى. والإرهاص: الإثبات».

(٣) في اللسان ١٩ / ٦٤ «ماء رواء - ممدود مفتوح الراء - أى عذب».

(٤) في اللسان ١٧ / ٤٣٣ «الكمه في التفسير: العمى الذى يولد به الإنسان».

(٥) في اللسان ١٣ / ١٩١ «الحمالة - بالفتح: ما يحتمله الإنسان عن غيره من دية أو غرامة، مثل أن يقع حرب بين فريقين تسفك فيها الدماء، فيدخل بينهم رجل يتحمل ديات القتلى ليصلح ذات البين».

وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال ، وقدرِ الحَفْل ، وكثْرةِ الحَشْد ، وجلالة المَقام .

ثُمَّ لا يأتى بالكلام كلّه ، مُهذَّباً كلَّ التَّهذيب ؛ ومُصَفًّى كلَّ التَّصْفِيَة ، بل تجدُه يَمْزُجُ ويَشُوبُ[١] ؛ لِيَدُلَّ بالنَّاقِص على الوافِر، وبالغَثّ على السمين. ولوجعَلَه كلَّه نَجْراً[٢] واحدا لَبَخسه بهاءَه ، وسلَبه ماءَه .

ومثل ذلك الشِّهابُ من القَبَسِ تُبْرِزُه للشّعاع والكوكبان يقترنان فينقُصُ النُّوران ، والسِّخابُ[٣] يُنظم بالياقوت والمَرْجان والعقيق والعِقْيان ولا يجعل كلَّه جنسا واحدا من الرفيع الثّمين ولا النفيس المصون .

***

وألفاظ العرب مبنية على ثمانية وعشرين حرفا، وهى أقصى طَوقِ اللّسان.

وألفاظُ جميع الأمم قاصرةٌ عن ثمانية وعشرين ، ولست واجدا فى شىء من كلامهم حرفا ليس فى حرفنا إلا مَعْدُولاً عن مَخْرجه شيئا ، مثل الحرف المتوسط مخرجى القاف والكاف ، والحرف المتوسط مَخْرَجَى الفاء والباء .

فهذه حال العرب فى مبانى ألفاظها .

***

ولها الإعراب الذى جعله الله وَشْيا لكلامها، وحِلْيَةً لنظامها، وفارِقاً فى بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمَعْنَيَيْنِ المختلفين / كالفاعل والمفعول لا يُفرقُ بينهما إذا تساوت [٨]
حالاهما فى إمكان الفعل أن يكون لكلٍّ واحدٍ منهما إلا بالإعراب ، ولو أن قائلا قال : هذا قاتلٌ أخى بالتنوين ، وقال آخر : هذا قاتلُ أخى بالإضافة ، لدَلَّ التنوين على أنه لم يقتله ، ودلَّ حذف التنوين على أنه قد قتله .

---

(١) فى اللسان ١ / ٤٩٢ « شاب الشىء شوبا : خلطه » .

(٢) النجر : اللون ، كما فى هامش م واللسان ٧ /٤٥ .

(٣) فى اللسان ١ /٤٤٤ « السخاب عند العرب : كل قلادة كانت ذات جواهر أو لم تكن » .

ولو أن قارئا قرأ ﴿ فلا يَحزُنْكَ قَوْلُهُم ، إِنَّا نَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وما يُعْلِنُونَ[١] ﴾ وترك طريق الابتداء بإِنَّا وأَعْمَلَ القوْلَ فيها بالنصب على مذهب من يَنصِبُ أَنَّ بالقول كما ينصبها بالظن ـ لقلبَ المعنى عن جهته وأزاله عن طريقته ، وجعل النبيَّ عليه السلام محزوناً لقولهم إنَّ الله يعلمُ ما يُسِرُّون وما يُعْلنونَ ، وهذا كُفرٌ ممن تعمَّدَه[٢]، وضَرْبٌ من اللحن لا يجوز الصلاة به ، ولا يجوز للمأمومين أن يتجوزوا فيه .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يُقتل قرشي صَبْراً[٣] بعد اليوم » . فمن رواه جَزْماً أَوْجَبَ ظاهرُ الكلام للقرشي أن لا يُقتل إن ارتد ، ولا يُقتَصّ منه إن قَتَل .

ومن رواه رفعا انصرفَ التأْويلُ إلى الخَبَرِ عن قريش أنه لا يَرتدُّ منها أحدٌ عن الإسلام فيَسْتَحِقّ القتل .

أفما تَرَى الإِعْرابَ كيف فرق بين هذين المعنيين .

***

وقد يفرقون بحركة البناء فى الحرف الواحد بين المعنيين[٤] فيقولون : رَجُلٌ لُعْنَةٌ ، إذا كان يَلعنه الناس ، فإن كان هو الذى يلعن الناس، قالوا : رجلٌ لُعَنَةٌ ، فحركوا العين بالفتح ، ورجلٌ سُبَّةٌ إذا كان يسبه الناسُ، فإن كان هو يسبُّ الناسَ قالوا : رجل سُبَبَةٌ، وكذلك هُزْأَةٌ وهُزَأَةٌ ، وَسُخْرَة وَسُخَرَة ، وَضُحْكَة وَضُحَكَة، وخُدْعَة وخُدَعَة .

[٩] وقد يفرقون بين المعنيين المتقاربين / بتغيير حرف فى الكلمة حتى يكون تقارب ما بين اللفظين كتقارب ما بين المعنيين، كقولهم للماء الملح الذى لا يشرب إلا عند الضرورة: شَرُوب، ولما كان دونه مما قد يتجوَّز به : شَريب .

وكقولهم لما ارفضَّ على الثوب من البول إذا كان مثلَ رءوسِ الإبَر : نضْحٌ[٥] ،

(١) سورة يس ٧٦ .

(٢) راجع البصائر والذخائر لأبى حيان التوحيدى ١ / ١٨٢ وتفسير الكشاف ٣ / ٢٩٣

(٣) فى اللسان ٦ / ١٠٧ « أصل الصبر :الحبس . والصبر : نصب الإنسان للقتل » .

(٤) قارن الصاحبى ص ١٩٢ .

(٥) فى اللسان ٣ / ٤٥٧ « حكى الأزهرى عن الليث : النضح كالنضخ ربما اتفقا وربما اختلفا » .

ورشٌّ الماء عليه يُجزِئُ من الغسل ، فإن زاد على ذلك قليلا قيل له : نضخٌ ولم يُجزِئ فيه إلا الغَسْل .

وكقولهم للقبض بأطراف الأصابع : قَبْصٌ ، وبالكف : قَبْضٌ .

وللأكل بأطراف الأسنان : قَضْمٌ ، وبالفم : خَضمٌ .

ولما ارتفع من الأرض : حَزْنٌ ، فإن زاد قليلا قيل : حَزْمٌ .

وللذى يجد البرْدَ : خَصِرٌ(١) ، فإن كان مع ذلك جوعٌ قيل : خَرِصٌ .

وللنار إذا طُفِئَت : هامِدة ، فإن سكَن اللّهبُ وبقى من جمرها شىءٌ قيل : خامِدَةٌ .

وللقائم من الخيل : صائم(٢) ، فإن كان ذلك من حَفًى أو وَجًى قيل : صافِن .

وللعطاء : شُكْدٌ ، فإن كان مُكافأةً قيل: شُكْمٌ(٣) .

وللخطأ من غير التعمد : غلط ، فإن كان فى الحساب قيل : غلَتٌ .

وللضيق فى العين : خوَصٌ ، فإن كان ذلك فى مؤخّرها قيل : حوَصٌ .

***

وقد يكتنف الشيء معان فيشتقّ لكل معنى منها اسم من اسم ذلك الشيء ، كاشتقاقهم من البطن لِلخَمِيص : مُبَطَّن ، وللعظيم البطن إذا كان خِلْقةً : بَطِين ، فإذا كان من كثرة الأكل قيل : مِبْطان ، وللمنهوم : بَطِنٌ ، وللعليل البطن : مَبْطون .

ويقولون : وَجَدْتُ الضَّالةَ(٤) ووَجدْتُ فى الغضب ، ووَجدتُ فى الحُزن ، ووجدتُ فى الاستغناء ، ثم / يجعلون الاسم فى الضّالة وُجودًا ووِجدانًا ، وفى الحزن وَجداً ، وفى الغضب [١٠] مَوْجِدَةً ، وفى الاستغناء وُجْدا .

فى أشياء كثيرة ليس لاستقصاء ذكرها فى كتابنا هذا وجه .

---

(١) اللسان ٥ / ٣٢٦ .

(٢) اللسان ١٥ / ٢٤٤ .

(٣) فى اللسان ١٥ / ٢١٦ « قال الجوهرى : الشكم ـ بالضم ـ الجزاء ، فإذا كان العطاء ابتداء فهو الشكد ـ بالدال ـ تقول منه شكمته : أى جزيته » .

(٤) أدب الكاتب ٢٤٤ .

وللعرب الشِّعرُ الذى أقامه الله تعالى لها مُقام الـكتاب لغيرها، وجعله لعلومها مُستودعا، ولآدابها حافظا ، ولأنسابها مقيِّدًا ، ولأخبارها ديوانًا لا يَرِثُّ على الدَّهر ، ولا يبيدُ على مرِّ الزَّمان، وحرَسَه بالوَزْن والقَوافى وحُسن النَّظم وجودة التَّحْبير من التدْليس والتَّغيير، فمن أراد أن يُحدث فيه شيئا عسُر ذلك عليه ، ولم يخف له كما يخفى فى الـكلام المنثور .

وقد تجد الشاعر منهم ربما زال عن سننهم شيئا فيقولون له : سانَدت ، وأقويت ، وأ كفأْت ، وأَوْطَأْت[١] . وإنما خالف فى السِّناد بين رِدْفين، أو حرفين قبل ردفين كقول عمرو بن كُلْثُوم :

أَلاَ هُبِّى بصَحنِكِ فاصْبَحِينَا ولا تُبْقِى خُمـورَ الأَنْدَرِينَا[٢]

وقال فى بيت آخر :

كأن مُتُونَهُنَّ مُتُونُ غُدْرٍ تُصَفِّقُها الرياحُ إذا جَرَينا

فالحاء من فأصبحينا رِدْفٌ وهى مكسورة ، والراء من جرينا رِدْفٌ وهى مفتوحة .

وخالف فى الإقواء بحرف نقصه من شطر البيت الأول كقول الآخر[٣] :

حنَّت نَوارُ ولاتَ هَنَّا حنَّت وبدا الذى كانت نَوارُ أَجَنَّتِ

لمَّا رَأَتْ ماءَ السَّلا[٤] مَشْرُوباً والفَرْث يُعصَرُ فى الإناء أَرَنَّتِ

(١) انظر معنى السناد والإقواء والإكفاء والإيطاء فى الشعر والشعراء ١ / ٤٢ ـ ٤٤ والموشح ١٤ ـ ٢٦ ونقد الشعر ٧٠ ـ ٨١ والعمدة ١/١٤١ ـ ١٤٧ .

(٢) مطلع معلقته ، شرح الزوزنى ص ١١٩ .

(٣) انظر المؤتلف والمختلف ص ٨٤ والشعر والشعراء ١ / ٤٢ واللسان ١٩ / ١٢٠ ، ٢٠ / ٣٧٥ وشواهد المغنى ٣١١ وخزانة الأدب ٢ / ١٥٧ ـ ١٥٨ .

(٤) فى الخزانة : « السلا ؟ ـ بفتح السين المهملة والقصر ـ وهى الجلدة الرقيقة التى يكون الولد فيها من المواشى ، وهى المشيمة له . والفرث ـ بالفتح ـ السرجين مادام فى الكرش . وأرنت من الرنة ، وهى الصوت . وإنما صاحت نوار وبكت لأنها تيقنت فى تلك المفازة الهلاك حيث لا ماء إلا مايعصر من فرث الإبل وما خرج من المشيمة من بطونها .

وهذان البيتان اختلف فى قائلهما ، فقيل : شبيب بن جعيل التغلبى ، وهو جاهلى ، وإليه ذهب الآمدى فى المؤتلف والمختلف قال: وشبيب هذا كان بنوفينة الباهليون أسروه فى حرب كانت بينهم وبين بنى تغلب ، فقال شبيب هذين البيتين لما رأى أمه نوار أرنت، وهى بنت عمرو بن كلثوم . وقيل: هو حجل بن نضلة ، وهو جاهلى أيضا ، وهو قول أبى عبيد ، وتبعه ابن قتيبة فى كتاب الشعراء ، وأبو على فى المسائل البصرية ، قالوا : قالها فى نوار بنت عمرو بن كلثوم لما أسرها يوم طلح ، فركب بها الفلاة خوفا من أن يلحق » .

وكقول حُميد بن ثَوْر :

إنّى كَـبِرْتُ وإنَّ كلَّ كبيرٍ ممّا يُظَنُّ به يَمَلُّ ويَفْتُرُ(١)

وخالف فى الإكفاء بأن رفع قافية وخفض أخرى .

وخالف فى الإيطاء بأن أعاد قافيةً مرتين .

وقال ابن الرِّقَاع يذكر تنقيحه شعره :

وقصيدةٍ قد بِتُّ أجمعُ بينها حتى أُقوِّمَ مَيْلها وسِنادَها(٢)

نظر المُثَقِّف فى كُعوبِ قناته حتى يُقيمَ ثِقَافُهُ مُنآدَها

وقال ذو الرُّمّة :

وشِعْرٍ قد أَرِقْتُ له غريبٍ أُجانبُه المُسَاند والمُحَالا(٣)

هذا قول أبى عبيدة .

وبعضهم يجعل الاقواء رفع قافية وجرّ أخرى .

وقول أبى عبيدة أجود عندى ؛ لأن الاقواء من القوّة، والقوّة طاقة من الحبل ، يقال : ذهبت قوّة من الحبل ، إذا ذهبت منه طاقة ، وكذلك إذا ذهب جزء من البيت ، وهو الذى يسمى المزاحف ، فقد ذهبت منه قوة ، كما ذهبت قوة من الحبل ، كما قال ذلك :

* لمّارأت ماء السلا مشروباً * فقد ذهب منه شىء ، فلو قال: «شروبة لـكان مستويا /. [١١]

* * *

وللعرب المجازات فى الـكلام ، ومعناها طرق القول ومآخذه . ففيها الاستعارة ، والتمثيل،

---

(١) فى الشعر والشعراء ١ / ٤٣ « مما يضن به » .

(٢) الشعر والشعراء ١ / ٢٤ والموشح ١٣ والطرائف الأدبية ص ٨٩ وخزانة الأدب ٤ / ٤٧٠ ومعجم الشعراء ٢٥٣ والاغانى ٨ / ١٧٧ والحيوان ٣ / ٦٤ والبيان والتبيين ٣ / ٢٤٤ .

(٣) ديوانه ٤٤٠ ومجاز القرآن ١١٥ـ١ واللسان ٤ / ٢٠٧ والموشح ص١٣ وفيه « له طريف » . وأساس البلاغة ٢ / ٢٠٧ وبعده :

فبت أقيمه وأقد منه قوافى لاأعد لها مثالا

غرائب قدعرفن بكل أفق من الآفاق تفتعل افتعالا

أى تبتدع ابتداعا غير مسبوق إلى مثله » .

والقَلْب ، والتقديم ، والتأخير ، والحذف ، والتكرار ، والإخفاء ، والإظهار ، والتعريض ، والإفصاح ، والكناية ، والإيضاح ، ومخاطبة الواحد مخاطبةَ الجميع ، والجميع خطابَ الواحد ، والواحد والجميع خطاب الاثنين ، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم ، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص ؛ مع أشياء كثيرة ستراها فى أبواب المجاز ، إن شاء الله تعالى .

وبكل هـذه المذاهب نزل القرآن ؛ ولذلك(١) لا يقدِر أحدٌ من التراجِم(٢) على أن ينقله إلى شىء من الألسنة ، كما نُقل الإنجيلُ عن السّريانية إلى الحبشيّة والرُّومية ، وتُرجمت التوراةُ والزبور ، وسائر كُتب الله تعالى بالعربية ؛ لأن العجم لم تتَّسع فى المجاز اتِّساع العرب .

ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾(٣) لم تستطع أن تأتى بهذه الألفاظ مؤديةً عن المعنى الذى أُودِعَتْه حتى تبسط مجموعها ، وتصل مقطوعها ، وتُظهِرَ مستورَها فتقول : إن كان بينك وبين قوم هُدْنَةٌ وعهد نخِفْتَ منهم خيانةً ونقضاً فأَعْلِمْهُم أنك قد نقضت ماشرطت لهم ، وآذِنْهم بالحرب ؛ لتكون أنت وهم فى العلم بالنَّقْض على استواء .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾(٤) إن أردت أن تنقله بلفظه لم يفهمه المنقول إليه ، فإن قلت : أَنَمْنَاهُمْ سنين عدداً ، لكنت مُترجماً للمعنى دون اللفظ .

وكذلك قوله ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾(٥)
[١٢] إن ترجمته بمثل لفظه اسْتَغْلَقَ ، وإن قلت : لم يتغافلوا / أدَّيْت المعنى بلفظ آخر .

---

(١) من هنا إلى قوله : « فضربنا على آذانهم فى الكهف » ، نقله ابن فارس فى الصاحبى ص ١٢ ، ١٣ وصدره بقوله : « قال بعض علمائنا » .

(٢) فى هامش م : « التراجم : جمع المترجم ، والمترجم الذى يعبر عن لغة بلغة أخرى » .

(٣) سورة الأنفال ٥٨ .

(٤) سورة الكهف ١١ وقارن شرحها هنا بشرح الأزهرى لها فى اللسان ٥/٤٩ .

(٥) سورة الفرقان ٧٣ .

وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولَغَوْا فيه وهجروا ، واتبعوا ﴿ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾(١) بأفهامٍ كليلةٍ ، وأبصارٍ عليلةٍ ، ونظرٍ مدخول ، فحرَّفوا الكلامَ عن مواضعه ، وعدلوه عن سُبُله .

ثم قَضَوْا عليه بالتّناقُض ، والاستحالة فى اللّحْن ، وفساد النّظْم ، والاختلاف .

وأَدْلَوْا فى ذلك بعلل ربما أمالت الضّعيفَ الغُمْر ، والحدَثَ الغِرّ ، واعترضت بالشبه فى القلوب ، وقدَحت بالشكوك فى الصدور .

ولو كان ما نحلوا إليه على تقديرهم وتأوُّلهم لسبق إلى الطعن به من لم يزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَحْتجُّ عليه بالقرآن ويجعلُهُ العلَمَ لنبُوَّته ، والدليل على صدقه ، ويتحداه فى موطن بعد موطن على أن يأتى بسورةٍ من مثله ، وهم الفصحاء والبلغاء ، والخطباء والشعراء ، والمخصوصون من بَيْنِ جميع الأنام بالألسنة الحِداد ، واللّدَد فى الخِصام ، مع اللُّب والنُّهى ، وأَصالة الرّأى ، وقد وصفَهم الله بذلك فى غير موضع من الكتاب ، وكانوا مرة يقولون : هو سحر(٢) ، ومرة يقولون : هو قول الكهنة(٣) ، ومرة : أساطير الأولين(٤) .

ولم يحك الله تعالى عنهم ، ولا بلغنا فى شىء من الروايات أنهم جَدَبُوهُ(٥) من الجهة التى جَدَبَهُ منها الطاعنون .

* * *

فأحببت أن أَنْضَحَ عن كتاب الله ، وأرمى من ورائه بالحجج النَّيِّرة ، والبراهين البيِّنة ، وأكشف للناس ما يَلبِسون .

---

(١) سورة آل عمران ٧ .

(٢) سورة يونس ٧٦ .

(٣) سورة الحاقة ٤٢ .

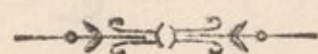
(٤) سورة الفرقان ٥ .

(٥) فى هامش م « جدب : عاب » وفى اللسان ١/٢٤٩ « وجدب الشىء يجدبه : عابه وذمه ، وفي الحديث : جدب لنا عمر السمر بعد عتمة ، أى عابه وذمه » .

فألفت هذا الكتاب، جامعا لتأويل مشكل القرآن[١]، مستنبطا ذلك من التفسير بزيادة فى الشرح والإيضاح ، وحاملا مالم أعلم فيه مقالا لإمام مُطَّلِع على لغات العرب ، لأُرِى به المعاند موضع المجاز ، وطريق الإمكان ، من غير أن أحكم فيه برأى ، أو أَقضى عليه بتأويل .

[١٣] ولم يجز / لى أن أنص بالإسناد إلى من له أصل التفسير ؛ إذ كنتُ لم أقتصر على وَحْىِ القوم حتى كَشَفْتُه ، وعلى إيمائهم حتى أَوضحته ، وزدتُ فى الألفاظ ونقصتُ ، وقدمت وأخرت ، وضربت لبعض ذلك الأمثالَ والأشكال حتى يستوى فى فهمه السامعون .

وأسأل الله التجاوزَ عن الزّلة بحسن النية، فيما دلَّتْ عليه ، وأجريتُ إليه ، والتوفيقَ للصواب ، وحسن الثواب .



(١) قال ابن قتيبة فى كتاب تأويل مختلف الحديث ص ١٣٤ « ... وقد أخبرت به فى كتابى المؤلف فى تأويل مشكل القرآن » وقال فى كتاب أدب الكاتب ص ١٩ « ... وعلل هذا مستقصاة فى كتابنا المؤلف فى تأويل مشكل القرآن » .

الحكاية عن الطاعنين

وكان مما بلغنا عنهم أنهم يحتجّون بقوله عز وجل : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (١) ﴾ وبقوله : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ .

وقالوا : وجدنا الصحابة ، رضى الله عنهم ، ومن بعدهم يختلفون فى الحرف ؛ فابن عباس يقرأ ﴿ وادَّكَرَ بَعْدَ أَمَهٍ (٢) ﴾ وغيره يقرأ ﴿ بعد أُمّةٍ ﴾ .

وعائشة تقرأ ﴿ إِذْ تَلِقُونَهُ (٣) ﴾ وغيرها يقرأ ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ ﴾ .

وأبو بكر الصديق يقرأ ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بالْمَوْتِ ﴾ والناس يقرأون ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بالْحَقِّ (٤) ﴾ وقرأ بعضُ القراء ﴿ وَأَعتَدَتْ لَهُنَّ مُتْكًا ﴾ وقرأ الناسُ ﴿ وأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا ﴾ (٥)

وكان ابن مسعود يقرأ ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلاّ زَقْيَةً وَاحِدَةً (٦) ﴾ ويقرأ ﴿ كالصوف المنفوش (٧) ﴾ .

مع أشباه لهذا كثيرة يخالف فيها مصحفُه المصاحف القديمة والحديثة .

وكان يحذف من مصحفه أُمَّ الكتاب ، ويمحو المعوِّذتين ، ويقول : لم تزيدون فى كتاب الله ماليس فيه ؟

---

(١) سورة النساء ٨٢

(٢) سورة يوسف ٤٥ ، والأمه : النسيان ، كما فى اللسان ١٧ / ٣٦٣ .

(٣) سورة النور ١٥ وانظر القراءات الشاذة ص ١٠٠

(٤) سورة ق ١٩

(٥) سورة يوسف ٣١ وفى القراءات الشاذة ص ٦٣ «متكا ـ بفتح الميم ـ الأعرج ، متكئا مجاهد»

(٦) سورة يس ٢٩ ، ٥٣ ، وفى اللسان ١٩ / ٧٧ « والزقية : الصيحة . وروى عن ابن مسعود أنه كان يقرأ « إن كانت إلا زقية واحدة » فى موضع. « صيحة » » .

(٧) سورة القارعة ٥ «كالعهن المنفوش».

وأُبَيٌّ يقرأ ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا مِن نَفْسِي فَكَيْفَ أُظْهِرُكُمْ عَلَيْهَا؟ ﴾[١]
ويزيد فى مصحفه افتتاح دعاء القنوت إلى قول الداعى : إن عذابك بالكافرين مُلْحِق ، ويَعُدُّهُ سورتين من القرآن .

[١٤] والقُرَّاء يختلفون : فهذا يرفع ما ينصبه ذاك ، وذاك يخفض ما يرفعه / هذا .

***

وأنتم تزعمون أن هذا كله كلام رب العالمين ، فأىَّ شىء بعد هذا الاختلاف تريدون ؟ وأى باطل بعد الخطإ واللحن تبتغون؟ وقد رَوَيْتُم من الطريق الذى ترتضون : روى أبو معاوية[٢] ، عن هشام بن عروة[٣] ، عن أبيه ، عن عائشة أنها قالت : ثلاثة أحرف فى كتاب الله هن خطأ من الكاتب : قوله ﴿ إِنَّ هٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾[٤] ، وفى سورة المائدة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا والصَّابِئُونَ ﴾[٥] ، وفى سورة النساء ﴿ لٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾[٦] . حدثناه إسحاق بن راهويه[٧] .

قال: ورويتم عن عثمان أنه نظر فى المصحف فقال : أرى فيه لحنا وستقيمه العرب بألسنتها.

وقالوا : وهل التناقض إلا مثل قوله: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ ﴾[٨] وهو يقول فى موضع آخر : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٩] .

---

(١) سورة طه ١٥ ، وانظر تفسير الطبرى ١٧/١٢٠ .

(٢) هو أبو معاوية محمد بن خازم التميمى السعدى ، توفى سنة ١٩٣ على خلاف ، تهذيب التهذيب وشذرات الذهب .

(٣) هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام ، توفى سنة ١٤٦ راجع تهذيب التهذيب ١١/٤٨ .

(٤) سورة طه ٦٣ .

(٥) سورة المائدة ٦٩ .

(٦) سورة النساء ١٦٢ .

(٧) هو أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن مخلد ، المعروف بابن راهويه ، توفى سنة ٢٣٨ .

(٨) سورة الرحمن ٣٩ .

(٩) سورة الحجر ٩٢ ، ٩٣

ومثل قوله : ﴿ هَـٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾[١] . ويقول فى موضع آخر : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾[٢] . ويقول: ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٣] .

ومثل قوله : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾[٤] . وهو يقول فى موضع آخر: ﴿ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾[٥] .

ومثل قوله : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[٦] . وقال بعد ذلك : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ : ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾[٧] ، فدلت هـذه الآية على أنه خلق الأرض قبل السماء . وقال فى موضع آخر: ﴿ أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾[٨] فدلت هذه الآية على أنه خلق السماء / قبل الأرض . [١٥]

ومثل قوله : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴾[٩] ، وهو يقول فى موضع آخر: ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ، وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾[١٠] ، والضريع : نبت، فهل يجوز أن يكون فى النار نبات وشجر: والنار لا تأكلهما ؟

ومثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ

---

(١) سورة المرسلات ٣٥

(٢) سورة الزمر ٣١ .

(٣) سورة البقرة ١١١ وانظر الكشاف ١/٨٨

(٤) سورة الطور ٢٥ والصافات ٢٧ .

(٥) سورة المؤمنون ١٠١ .

(٦) سورة فصلت ٩ .

(٧) سورة فصلت ١١ ، ١٢ .

(٨) سورة النازعات ٢٨ ، ٣٠ وانظر البحر المحيط ٨/٤٢٣ .

(٩) سورة الغاشية ٦

(١٠) سورة الحاقة ٣٦ .

يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ ، ثم قال على أثر ذلك : ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾(١) .

وقالوا : فأين قوله : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِى الْيَتَامَى ﴾ ، من قوله : ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾(٢) .

وأين قوله : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْىَ وَالْقَلَائِدَ ﴾ ، من قوله ﴿ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٣) .

وأين قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ﴾، من قوله ﴿ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾(٤) ، وليس هذا مما يستوى فيه الصّبار والشّكور وغير الصّبار والشّكور .

وما معنى قوله ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾(٥)؟ ولم خص الكفار دون المؤمنين؟ أوليس هذا ممايستوى فيه المؤمنون والكافرون، ولا ينقص إيمان المؤمنين إن أعجبهم؟

وقالوا فى قوله جل عز : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ : استثناؤه المشيئة من الخلود يدل على الزوال ، وإلا فلا معنى للاستثناء . ثم قال : ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾(٦) ، أى غير مقطوع .

وقالوا فى قوله: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ﴾(٧): كيف يستثنى موتاً كان فى الدنيا من مُكْثِهم فى الجنة ؟ وهل يجوز أن يقال فى الكلام : لا أعطيك اليوم درهما إلا ما أعطيتك أمس ؟

---

(١) سورة الأنفال ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) سورة النساء ٣ وانظر الكشاف ١/٢٤٤.

(٣) سورة المائدة ٩٧ .

(٤) سورة لقمان ٣١ .

(٥) سورة الحديد ٢٠ وانظر البحر المحيط ٨/٢٢٤ .

(٦) سورة هود ١٠٧ .

(٧) سورة الدخان ٥٦ .

وقالوا فى قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لهم الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾(١): هل يجوز أن يقال: فلان يجعل لك حُبًّا، أى يحبك ؟

وفى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾(٢): السُّبات هو النوم، فكيف يجوز أن يجعل نومنا نوما ؟

وفى قوله: ﴿ قَوَارِيرَ / قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾(٣)، وقوله: ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ [١٦]
طِينٍ ﴾(٤): كيف يكون زجاج من فضة ؟ وحجارة من طين ؟

* * *

وقالوا فى قوله: ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فى شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ، وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٥) : هل كان النبى، صلى الله عليه ، يشك فيما يأتيه به جبريل ؟ وكيف يدعو الشاكين من هو على مثل سبيلهم؟ وكيف يرتاب فيما يأتيه به الروح الأمين، ويأتيه الثَّلَجُ واليقين بخبر أهل الكتاب عنه أنه حق ، وهم يكذبون ويُحرِّفون ويقولون على الله ما لا يعلمون ؟

* * *

وقالوا فى قوله: ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾(٦): أنتم تزعمون أنه لا شمس هناك ولا ليل ، وهذا يدل على أوقات مختلفة ، وشمس وَفَىْء ونهار وليل ؛ لأن البُكْرَةَ تدل على أول النهار، والعَشِىّ يدل على آخره ، وما كان له أول وآخر فله انْصِرَام ، وإذا انصرم عاقَبَهُ الليل والنهار .

---

(١) سورة مريم ٩٦ .

(٢) سورة النبأ ٩ وانظر تفسير ابن قتيبة للسبات فى البحر المحيط ٤٠٩/٨ .

(٣) سورة الإنسان ١٦ .

(٤) سورة الذاريات ٣٣ .

(٥) سورة يونس ٩٤ ، ٩٥ .

(٦) سورة مريم ٦٢ .

وقالوا فى سورة الأنفال حين ذكرها ثم وصف المؤمنين فقال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ ، ثم قال : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾(١) : وكما تأتى لتشبيه الشىء بالشىء ولم يتقدم من الكلام ما يُشَبَّه به إخراج الله إياه .

وقالوا فى قوله: ﴿ وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ، وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾(٢): كيف يكون عليه البلاغ بعد الوفاة ؟

وقالوا: فى قوله فى الرعد ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾(٣)، أين الشىء الذى جُعِلت له الجنة مثلا ؟ وهل يجوز أن يقال : مَثَلُ الدار التى وعدتك سُكْناها ، يطَّرِدُ فيها نهر، وتظلك فيها ، شجرة. ويُمْسِكُ / القائل ؟ [١٧]

قالوا: وقال فى موضع آخر : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾(٤) ولم يأت به.

وقالوا فى قوله: ﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾(٥): كيف تبلغ القلوب الحلوق ، والقلب إن زال عن موضعه شيئًا مات صاحبه ؟

***

وقالوا فى قوله تعالى: ﴿ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾(٦): كيف يُذاق اللباس ؟ وإنما كان وجه الكلام : فألبسها الله لباس الجوع والخوف، أو غشّاها الله الجوع والخوف، أو فأذاقها الله الجوع والخوف، ويحذف اللباس .

---

(١) سورة الأنفال ٢ ــ ٥ .

(٢) سورة الرعد ٤٠ .

(٣) سورة الرعد ٣٥ وانظر البحر المحيط ٥/٣٩٥.

(٤) سورة الحج ٧٣ .

(٥) سورة الأحزاب ١٠ ، وانظر أمالى الشريف المرتضى ٢/٩ .

(٦) سورة النحل ١١٢ .

وقالوا فى قوله: ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الخُرْطُومِ ﴾[1] : ما هذا من العقوبة ؟ وفى أى الدارين يسمه: أفى الدنيا أم فى الآخرة ؟ فإن كان فى الدنيا فإنه لم يبلغنا أن أحداً من المشركين وُسِمَ على أنفه ، وإن كان فى النار فما أُعِدَّ للكافرين فيها من صنوف العذاب أكثر من الوسم على الأنف .

***

وقالوا : ماذا أراد بإنزال المتشابه فى القرآن، مَنْ أراد لعباده الهدى والبيان ؟

وتعلقوا بكثير منه لَطُف معناه لما فيه من المجازات بمضمر لغير مذكور ، أو محذوف من الكلام متروك ، أو مزيد فيه يوضح معناه حذف الزيادة ، أو مقدم يوضح معناه التأخير ، أو مؤخر يوضح معناه التقديم ، أو مستعار ، أو مقلوب .

وتكلموا فى الكناية مثل قوله : ﴿ تبتْ يدَا أبى لهبٍ ﴾[2] ، ومثل قوله : ﴿ لَيْتَنى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً ﴾[3] .

وفى تكرار الكلام فى ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾[4] ، وفى سورة الرحمن ، وفى تكرار الأنباء والقصص من غير زيادة ولا إفادة ، وفى مخالفة معنى الكلام مخرجه .

***

وقد ذكرتُ الحُجَّةَ عليهم فى جميع ما ذكروا وغيره مما تركوا ، وهو يشبه ما أنكروا ؛ ليكون الكتاب جامعاً للفن الذى قصدت له .

وأفردت للغريب كتاباً ؛ كى لا يطول هذا الكتاب ، وليكون مقصوراً على معناه ، خفيفاً على من قرأه ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) سور القلم ١٦ .

(٢) سورة المسد ١ .

(٣) سورة الفرقان ٢٨ وانظر الكشاف ٣/٩٥ .

(٤) سورة الكافرون ١ .

باب الرّد عليهم في وجوه القراءات

/ أما ما اعتلوا به فى وجوه القراءات من الاختلاف فإنا نحتج عليهم فيه بقول النبى صلى الله عليه وسلم: « نزل القرآن على سبعة أحرف ، كلها شافٍ كافٍ ، فاقرءوا كيف شئتم ». [١٨]

وقد غلط فى تأويل هذا الحديث قوم فقالوا: السبعة الأحرف: وعد ، ووعيد ، وحلال ، وحرام ، ومواعظ ، وأمثال ، واحتجاج .

وقال آخرون : هى سبع لغات فى الكلمة .

وقال قوم: حلال، وحرام، وأمر، ونهى، وخبر ما كان قبل، وخبر ما هو كائن بعد، وأمثال[١] .

وليس شىء من هذه المذاهب لهذا الحديث بتأويل .

ومن قال: فلان يقرأ بحرف أبى عمرو[٢] أو بحرف عاصم[٣] ، فإنه لا يريد شيئاً مما ذكروا.

وليس يوجد فى كتاب الله تعالى حرف قُرِئَ على سبعة أوجه يصح ، فيما أعلم .

وإنما تأويل قوله صلى الله عليه : « نزل القرآن على سبعة أحرف » : على سبعة أوجه من اللغات متفرِّقة فى القرآن ، يدلُّكَ على ذلك قول رسول الله صلى الله عليه : « فاقرءوا كيف شئتم » .

وقال عمر[٤] : سمعت هشام بن حكيم بن حِزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وقد كان

---

(١) فى كتاب النشر فى القراءات العشر ١ / ٢٥ « روى الطبرانى من حديث عمر بن أبى سلمة المخزومى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود : إن الكتب كانت تنزل من السماء من باب واحد، وإن القرآن أنزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف : حلال وحرام ومحكم ومتشابه وضرب أمثال وآمر وزاجر، فأحل حلاله وحرم حرامه ، واعمل بمحكمه وقف عند متشابهه ، واعتبر أمثاله، فإن كلا من عند الله وما يذكر إلا أولو الألباب » وانظر الإتقان ١ / ٧٨ ـ ٨٦ والقرطبى ١ / ٤١ والطبرى ١ / ٩ .

(٢) هو سعيد بن إياس ، أبو عمرو الشيبانى ، أدرك زمن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره ، توفى سنة ٩٦ أو نحوها، راجع طبقات القراء .

(٣) هو عاصم بن أبى النجود، أحد القراء السبعة ، توفى سنة ١٢٧ ، راجع طبقات القراء .

(٤) ذكر الطبرى بسنده عن عمر بن الخطاب أنه قال ١ / ١٠ « سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة =

النبي صلى الله عليه أَقْرَأَنِيها ، فأتيت به النبي صلى الله عليه فأخبرته فقال له : اقرأ ، فقرأ تلك القراءة ، فقال : هكذا أُنْزِلت . ثم قال لى : اقرأ ، فقرأت، فقال : هكذا أنزلت . ثم قال: إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرؤا منه ما تيسر(١) ، فمن قرأه قِراءَة عبد الله فقد قرأ بحرفه ، ومن قرأ قِراءَة أُبىّ فقد قرأ بحرفه ، ومن قرأ قراءة زيد فقد قرأ بحرفه(٢) .

والحرف يقع على المثال المقطوع من حروف المعجم ، وعلى الكلمة الواحدة ، ويقع الحرف على الكلمة بأسرها ، والخطبة كلها ، والقصيدة بكمالها .

ألا ترى أنهم يقولون : قال الشاعر كذا فى كلمته ، يعنون فى قصيدته . والله جل وعز يقول : ﴿ وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ﴾(٣) ، وقال : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾(٤) ، وقال : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ، وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾(٥) ، وقال : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ / وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ﴾(٦) ، أراد سبحانه وتعالى: من الناس [١٩]
من يعبد الله على الخير يصيبه من تثمير المال ، وعافية البدن ، وإعطاء السُّؤْل ، فهو مطمئن ما دام ذلك له ، وإن امتحنه الله تعالى باللّأْوَاء فى عيشه ، والضّرّاء فى بدنه وماله ، كفر به ، فهذا

= لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكدت أساوره فى الصلاة ، فتصبرت حتى سلم، فلما سلم لببته بردائه فقلت : من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرؤها ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ، فقلت: كذبت، فوالله إن رسول الله لهو أقرأنى هذه السورة التى سمعتك تقرؤها ، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله فقلت : يا رسول الله ، إنى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، وأنت أقرأتنى سورة الفرقان . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرسله يا عمر، اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرؤها فقال رسول الله: هكذا أنزلت ، ثم قال رسول الله : اقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التى أقرأنى رسول الله ، فقال رسول الله: هكذا أنزلت. ثم قال رسول الله : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منها » .

(١) انظر النشر فى القراءات العشر ١ / ١٩ .

(٢) يقصد عبد الله بن مسعود ، وأبى بن كعب المتوفى سنة ٣٥ وزيد بن ثابت المتوفى سنة ٤٥ .

(٣) سورة التوبة ٢٤ .

(٤) سورة الفتح ٢٦ .

(٥) سورة الصافات ١٧١ — ١٧٣

(٦) سورة الحج ١١ .

عَبدَالله على وجهٍ واحدٍ ، ومعنى متحد ، ومذهبٍ واحد ، وهو معنى الحرف ، ولو عبد الله على الشكر للنعمة ، والصبر للمصيبة ، والرضى بالقضاء ، لم يكن عبدَه على حرف .

* * *

وقد تدبَّرْتُ وُجوهَ الخلاف فى القراءات فوجدتها سبعة أوجه[1]

أولها الاختلاف فى إعراب الكلمة ، أو فى حركة بنائها بما لا يُزيلها عن صورتها فى الكتاب ولا يُغيِّرُ معناها نحو قوله تعالى : ﴿ هَـٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾[2] وَأَطْهَرَ لَكُمْ ، ﴿ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾[3] وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ ، ﴿ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾[4] وَبِالْبَخَلِ ، ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾[5] ومَيْسُرَةٍ .

والوجه الثانى أن يكون الاختلاف فى إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولا يزيلُها عن صورتها فى الكتاب نحو قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾[6] وربُّنا بَاعَدَ بين أسفارنا ، و﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾[7] وتَلِقُونَه ، ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾[8] وبعد أَمَهٍ .

والوجه الثالث أن يكون الاختلاف فى حروف الكلمة دون إعرابها بما يُغيِّر معناها ولا يزيل صورتها ، نحو قوله : ﴿ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ﴾[9] ونُنْشِرُها ، ونحو قوله : ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾[10] وفُرِّغَ .

والوجه الرابع أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يُغيِّر صورتها فى الكتاب ، ولا يُغيِّر

(١) نقل هذه الوجوه كلها ابن الجزرى فى كتاب النشر ١ / ٢٧ ــ ٢٨ . وانظر القرطبى ١ / ٤٥ .
(٢) سورة هود ٧٨ وقراءة النصب يراها سيبويه لحنا ، راجع البحر المحيط ٥/٢٤٧.
(٣) سورة سبأ ١٧ .
(٤) سورة النساء ٣٧ والحديد ٢٤ وانظر الكشاف ١ /٢٦٨ .
(٥) سورة البقرة ٢٨٠ وانظر القراءات الشاذة ص ١٧ والكشاف ١ /١٦٧.
(٦) سورة سبأ ١٩ .
(٧) سورة النور ١٥
(٨) سورة يوسف ٤٥ .
(٩) سورة البقرة ٢٥٩ .
(١٠) سورة سبأ ٢٣ وانظر القراءات الشاذة ص ١٢٢ .

معناها نحو قوله : ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا زَقْيَةً وَاحِدَةً﴾ و ﴿صَيْحَةً﴾(١) و ﴿كَالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ﴾ و ﴿كَالْعِهْنِ﴾(٢) .

والوجه الخامس / أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله : [٢٠] ﴿وَطَلْعٍ مَنْضُودٍ﴾ فى موضع ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾(٣) .

والوجه السادس أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله : ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾(٤) ، وفى موضع آخر : ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ﴾ .

والوجه السابع أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله تعالى : ﴿وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾(٥) ، ونحو قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾(٦) و ﴿انَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ .

وقرأ بعض السلف : ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أُنْثَى﴾(٧) ، و ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي فَكَيْفَ أُظْهِرُكُمْ عَلَيْهَا﴾(٨) .

***

فأما زيادة دعاء القنوت فى مصحف أُبَىّ ، ونقصان أُمّ الكتاب والمعوِّذتين من مصحف

---

(١) سورة يس ٢٩ .

(٢) سورة القارعة ٥ .

(٣) سورة الواقعة ٢٩ . وفى القراآت الشاذة ١٥١ « وطلع بالعين قرأها على بن أبى طالب على المنبر ، فقيل له : أفلا نغيره فى المصحف ؟ قال : ما ينبغى للقرآن أن يهاج ، آى لا يغير » .

(٤) سورة ق ١٩ .

(٥) سورة يس ٣٥ .

(٦) سورة لقمان ٢٦ .

(٧) سورة ص ٧٣ ، وفى القراءات الشاذة لابن خالويه ص ١٣٠ « له تسع وتسعون نعجة » بالفتح فيهما، الحسن وابن مسعود ، ولى نعجة أنثى . ابن مسعود « إن هـذا أخى كان له تسع وتسعون نعجة . ابن مسعود أيضا » وفى الطبرى ٢٣ / ٩١ « ... نعجة أنثى . وذلك على سبيل توكيد العرب الكلمة ، كقولهم : هذا رجل ذكر ... » .

(٨) سورة طه ١٥ ، وقال ابن خالويه فى القراءات الشاذة : « أكاد أخفيها من نفسى فكيف أظهركم عليها . قراءة أبى » .

عبد الله ، فليس من هذه الوجوه، وسنُخبر بالسبب فيه إن شاء الله .

وكل هذه الحروف كلام الله تعالى، نزل به الروح الأمين على رسوله عليه السلام[١] وذلك أنه كان يُعَارِضُه فى كل شهر من شهور رمضان بما اجتمع عنده من القرآن فيُحْدِثُ الله إليه من ذلك ما يشاء ، وينسخ ما يشاء ، ويُيَسِّر على عباده ما يشاء . فكان[٢] من تيسيره أن أمره بأن يُقْرِئَ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم .

فالهذلىّ يقرأ ﴿ عَتَّى حين ﴾ يريد ﴿ حَتَّى حين ﴾[٣] ؛ لأنه هكذا يَلْفِظ بها ويستعملها. والأسدِىّ يقرأ : تِعْلمون وتِعلم و ﴿ تِسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾[٤] و ﴿ أَلَمْ إِعْهَدْ إِلَيْكُم ﴾[٥]. والتّميمىُّ يهمز . والقُرَشىُّ لا يهمز ، والآخَر يقرأ ﴿ وإذا قيل لهم ﴾[٦] ﴿ وغُيضَ الماء ﴾[٧] بإشمام الضم مع الكسر ، و﴿ هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رِدَّتْ إِلَيْنَا ﴾[٨] بإشمام الكسر مع الضم و ﴿ ما لَكَ لا تَأْمُنَّا ﴾[٩] بإشمام الضم مع الإدغام، وهذا ما لا يَطُوعُ به كل لسان .

[٢١] ولو أن كل فريق من هؤلاء أُمِرَ أن يزول عن لغته وما جرى / عليه اعتيادُه طفلا وناشئا وكَهْلًا، لاشتد ذلك عليه، وعظمت المِحْنَةُ فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضةٍ للنفس طويلة ، وتذليلٍ للّسان ، وقطعٍ للعادة . فأراد الله ، برحمته ولطفه، أن يجعل لهم مُتَّسعاً فى اللغات ومُتَصرّفاً فى الحركات، كتيسيره عليهم فى الدِّين حين أجاز لهم على لسان رسوله صلى الله عليه أن يأخذوا باختلاف العلماء من صحابته فى فرائضهم وأحكامهم ، وصلاتهم وصيامهم، وزكاتهم وحَجِّهم، وطلاقهم وعتقهم ، وسائر أمور دينهم .

---

(١) نقلها ابن الجزرى فى النشر ١ / ٢٩ .

(٢) من هنا إلى قوله : « كتيسيره عليهم فى الدين » نقله ابن الجزرى فى كتاب النشر ١ /٢٢–٢٣ .

(٣) سورة المؤمنون ٥٤ . والصافات ١٧٤ ، ١٧٨ . والذاريات ٤٣ .

(٤) سورة آل عمران ١٠٦ .

(٥) سورة يس ٦٠ .

(٦) سورة البقرة ١١ وقد تكرر ذلك فيها وفى غيرها .

(٧) سورة هود ٤٤ .

(٨) سورة يوسف ٦٥ .

(٩) سورة يوسف ١١ .

فإن قال قائل : هـذا جائز فى الألفاظ المختلفة إذا كان المعنى واحداً ، فهل يجوز أيضاً إذا اختلفت المعانى ؟

قيل له : الاختلاف نوعان : اختلاف تغايُرٍ ، واختلاف تَضادّ .

فاختلاف التّضاد لا يجوز ، ولستَ وَاجِدَهُ بحمد الله فى شىء من القرآن إلا فى الأمر والنهى من الناسخ والمنسوخ

***

واختلاف التغاير جائز ، وذلك مثل قوله : ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾[1] أى بعد حين ، و ﴿بَعْدَ أَمَهٍ﴾ أى بعد نِسْيَانٍ له ، والمعنيان جميعا وإن اختلفا صحيحان ؛ لأنه ذكر أمر يوسف بعد حين وبعد نسيان له ، فأنزل الله على لسان نبيّه صلى الله عليه بالمعنيين جميعاً فى غرضين . وكقوله : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُم ﴾[2] أى تَقْبَلونه وتقولونَه ، وتَلِقُونَه ، من الوَلْقِ ، وهو الـكذب[3] ، والمعنيان جميعا وإن اختلفا صحيحان ؛ لأنهم قبلوه وقالوه وهو كذب ، فأنزل الله على نبيه بالمعنيين جميعا فى غرضين .

وكقوله : ﴿ ربَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾[4] على طريق الدعاء والمسألة ، و ﴿ ربُّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ على جهة الخبر ، والمعنيان وإن اختلفا صحيحان ؛ لأن أهل سبأ سألوا الله أن يُفرِّقهُمْ فى البلاد فقالوا : ﴿ ربَّنَا بَاعِد بين أسْفَارِنَا ﴾ فلما فرقهم الله فى البلاد أيْدِى سبا وباعد بين أسفارهم قالوا : ربُّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَأَجَابَنَا إلى ما سألنا ، فحكى الله سبحانه عنهم بالمعنيين فى غرضين .

وكذلك قوله : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هٰؤُلاءِ إِلّا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[5] و ﴿لقد علمتُ ما أنزل هؤلاء﴾ لأن فرعون قال لموسى : إن آياتك التى أتيْتَ بها سحر ، فقال موسى

---

(١) سورة يوسف ٤٥ .

(٢) سورة النور ٥١ .

(٣) راجع اللسان ١٢ / ٢٦٥ .

(٤) سورة سبأ ١٩ ، وانظر القراءات الشاذة ص ١٢١ والبحر المحيط ٧/٢٧٢ .

(٥) سورة الإسراء ١٠٢ .

مرّة : لقد علمتُ ماهى سحر ولكنها بصائر، وقال مرّة : لقد علمتَ أنت أيضاً ما هى سحر وما هى إلا بصائر . فأنزل الله المعنيين جميعاً .

وقوله: ﴿ وأعتَدت لهنَّ مُتَّكَئاً ﴾(١) وهو الطعام، وأعتدت لهن مُتْكَئًا وهو الأُتْرُجّ ويقال : الزُّماوَرْد ، فدلت هذه القراءة على معنى ذلك الطعام ، وأنزل الله بالمعنيين جميعاً .

وكذلك ﴿ نُنْشِرُها ﴾(٢) ونُنشِزها ؛ لأن الإنشار : الإحياء ، والإنشاز هو التحريك للنقل ، والحياة حركة ، فلا فرق بينهما .

وكذلك ﴿ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِم ﴾(٣) وفُرِّغَ ؛ لأن فُزِّع: خُفِّف عنها الفزع ، وفُرِّغ: فُرِّغ عنها الفزع(٤) .

وكل ما فى القرآن من تقديم أو تأخير ، أو زيادة أو نقصان، فعلى مثل هذه السبيل .

***

فإن قال قائل : فهل يجوز لنا أن نقرأ بجميع الوجوه ؟

قيل له : كل ما كان منها موافقاً لمُصْحَفِنا غيرَ خارج من رسم كتابه جاز لنا أن نقرأ به ، وليس لنا ذلك فيما خالفَه ؛ لأن المتقدمين من الصحابه والتابعين قرأوا بلغاتهم ، وجَرَوا على عادتهم ، وخَلّوا أنفسهم وسَوْمَ طبائعهم ، فكان ذلك جائزا لهم ، ولقوم من القرّاء بعدهم مأمونين على التنزيل ، عارفين بالتأويل، فأما نحن معشر المتكلفين فقد جمعنا الله بحسن اختيار السلف لنا على مصحف هو آخر العَرْض : وليس لنا أن نَعْدُوَه ، كما كان لهم أن يُفسِّروه: وليس لنا أن نفسِّرَه .

ولو جاز لنا أن نقرأه بخلاف ما ثبت فى مصحفنا لجاز أن نكتبه على الاختلاف والزيادة والنقصان والتقديم والتأخير ، وهناك يقع ما كرِهَهُ لنا الأئمة المُوفَّقون ، رحمةُ الله عليهم .

---

(١) سورة يوسف ٣١ ، وانظر القراءات الشاذة ص٦٣ واللسان ١/١٩٥ والبحر المحيط ٥/٣٠٢

(٢) سورة البقرة ٢٥٩ .

(٣) سورة سبأ ٢٣ ، وانظر القراءات الشاذة ص ١٢٢ .

(٤) فى البحر المحيط ٧/٢٧٨ « وقرأ عبد الله بن عمر ، والحسن ، وأيوب السختيانى وقتادة ، وأبو مجلز : « فرغ » من الفراغ ، مشدد الراء ، مبنيا للمفعول » .

[٢٣] وأما نقصان مصحف عبد الله بحذفه أمّ الكتاب والمُعَوِّذَتين ، وزيادة أُبَىّ بسورتى / القنوت(١) ـ فإنا لا نقول: إن عبد الله وأُبَيًّا أصابا وأخطأ المهاجرون والأنصار ، ولكنّ عبد الله ذهب فيما يرى أهل النظر إلى أن المعوذتين كانتا كالعُوذَةِ والرُّقية وغيرها ، وكان يرى رسول الله صلى الله عليه يُعَوِّذُ بهما الحسن والحسين وغيرهما، كما كان يُعَوِّذ بأعوذ بكلمات الله التامة ، وغير ذلك ، فظنّ أنهما ليستا من القرآن ، وأقام على ظنّه ومخالفةِ الصحابة جميعاً كما أقام على التَّطْبيق(٢) ، وأقام غيرُه على الفُتْيَا بالمُتْعَة والصَّرْف(٣) ، ورأى آخر

(١) راجع الإتقان ١ / ١٣٦ ـ ١٣٨ .

(٢) فى اللسان ١٢ / ٨٠ « والتطبيق فى الصلاة جعل اليدين بين الفخذين فى الركوع . وقيل : التطبيق فى الركوع كان من فعل المسلمين فى أول ما أمروا بالصلاة ، وهو إطباق الكفين مبسوطتين بين الركبتين إذا ركع ، ثم أمروا بإلقام الكفين رأس الركبتين وكان ابن مسعود استمر على التطبيق ؛ لأنه لم يكن علم الأمر الآخر . وروى المنذرى عن الحربى قال : التطبيق فى حديث ابن مسعود : أن يضم كفه اليمنى على اليسرى ، يقال : طابقت وطبقت . وفى حديث ابن مسعود أنه كان يطبق فى صلاته ، وهو أن يجمع بين أصابع يديه ويجعلهما بين ركبتيه فى الركوع والتشهد » وانظر مسند أحمد ج ٥ رقم ٣٥٨٨ و ج ٦ رقم ٣٩٢٧ . وذكر ابن قتيبة فى كتابه تأويل مختلف الحديث ص ٢٦ رأى النظام فى ذلك فقال « قال النظام ثم جحد ـ يعنى ابن مسعود ـ من كتاب الله سورتين فهبه لم يشهد قراءة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهما ، فهلا استدل بعجيب تأليفهما وأنهما على نظم سائر القرآن المعجز للبلغاء أن ينظموا نظمه وأن يحسنوا مثل تأليفه . قال : وما زال يطبق فى الركوع إلى أن مات كأنه لم يصل مع النبى أو كان غائبا . . . » ثم رد ابن قتيبة على النظام قوله فقال ص ٣١ « وطعنه عليه ـ يعنى ابن مسعود ـ لجحده سورتين من القرآن العظيم ، يعنى المعوذتين ، فإن لابن مسعود فى ذلك سببا ، والناس قد يظنون ويزلون ، وإذا كان هذا جائزا على النبيين والمرسلين فهو على غيرهم أجوز . وسبب تركه إثباتهما فى مصحفه أنه كان يرى النبى يعوذ بهما الحسن والحسين ويعوذ غيرهما ، كما كان يعوذهما بأعوذ بكلمات الله التامة ، فظن أنهما ليستا من القرآن ، فلم يثبتهما فى مصحفه . وبنحو هذا السبب أثبت أُبىّ بن كعب فى مصحفه افتتاح دعاء القنوت وجعله سورتين ؛ لأنه كان يرى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو بهما فى الصلاة دعاء دائما ، فظن أنه من القرآن . وأما التطبيق فليس من فرض الصلاة ، وإنما الفرض الركوع والسجود ، لقول الله عز وجل : « اركعوا واسجدوا » فمن طبق فقد ركع ، ومن وضع يديه على ركبتيه فقد ركع ، وإنما وضع اليدين على الركبتين أو التطبيق من آداب الركوع ، وقد كان الاختلاف فى آداب الصلاة ، فكان منهم من يقعى ، ومنهم من يفترش ، ومنهم من يتورك ، وكل ذلك لا يفسد الصلاة وإن اختلف »

(٣) فى اللسان ١١ / ٩١ « والصرف فضل الدرهم على الدرهم والدينار على الدينار ، لأن كل =

أكلَ البَرَدِ وهو صائم (١) ، ورأى آخر أكل السَّحُور بعد طلوع الفجر الثانى ، فى أشباهٍ لهذا كثيرة .

وإلى نحو هذا ذهب أُبَىّ فى دعاء القنوت ؛ لأنه رأى رسول الله صلى الله عليه يدعو به فى الصلاة دعاءً دائما ، فظن أنه من القرآن ، وأقام على ظنه ، ومخالفة الصحابة .

***

وأما فاتحة الكتاب فإنى أشك فيما رُوى عن عبد الله من تركه إثباتها فى مصحفه ، فإن كان هذا محفوظاً فليس يجوز لمسلم أن يَظُنَّ به الجهل بأنها من القرآن ، وكيف يُظَنُّ به ذلك وهو من أشد الصحابة عناية بالقرآن ، وأحد الستة الذين انتهى إليهم العلم ، والنبىُّ صلى الله عليه يقول « مَنْ أحَبَّ أن يقرأ القرآن غَضًّا كما أُنْزِل فليقرأه قراءة ابن أُمِّ عَبْد » . وعمر يقول فيه : « كُنَيْفٌ مُلِئ عِلْماً » (٢) ، وهو مع هذا مُتَقدِّم الإسلام بَدْرِىٌّ لم يزل يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يَؤُمّ بها ، وقال : « لا صلاة إلا بسورة الحمد » وهى السبع المثانى ، وأم الكتاب ، أى أعظمه ، وأقدم ما نزل منه ، كما سميت مكة أم القرى ؛ لأنها أقدمها قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً ﴾ (٣) .

= واحد منهما يصرف عن قيمة صاحبه » وكان ابن عباس يرى جوازه ، وفى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٤ / ٤٥٩ « وأنكرت الصحابة على ابن عباس قوله فى الصرف ، وسفهوا رأيه حتى قيل : إنه تاب من ذلك عند موته » !

(١) فى المحلى لابن حزم ٦ / ١٧٧ « الذى روينا بأصح طريق عن شعبة وعمران القطان ، كلاهما عن قتادة ، عن أنس : أن أبا طلحة كان يأكل البرد وهو صائم . قال عمران فى حديثه : ويقول : ليس طعاما ولا شرابا » وفى شرح نهج البلاغة ٤/٤٦٠ «وأنكرت الصحابة على أبى طلحة قوله : إن أكل البرد لا يفطر الصائم ، وهزئت به ونسبته إلى الجهل » .

(٢) فى اللسان ١١/٢٢١ « والكنف ـ بكسر الكاف ـ وعاء يكون فيه أداة الراعى ومتاعه ، ومنه قول عمر فى عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنهما ؟ كنيف ملىء علما ، أى أنه وعاء للعلم بمنزلة الوعاء الذى يضع فيه الرجل أداته ، وتصغيره على جهة المدح له ، وهو تصغير تعظيم للكنف ... شبه عمر قلب ابن مسعود بكنف الراعى ؛ لأن فيه مبراته ومقصه وشفرته ، ففيه كل ما يريد ، هكذا قلب ابن مسعود قد جمع فيه كل ما يحتاج إليه الناس من العلوم » .

(٣) سورة آل عمران ٩٦ .

ولـكنه ذهب فيما يَظُنُّ أهل النظر إلى أن القرآن إنما كُتِب وجمع بين / اللوحين مخافة [٢٤] الشك والنسيان والزيادة والنقصان ، ورأى ذلك لا يجوز على سورة الحمد لِقِصَرِها[١] ولأنها تُثَنَّى فى كل صلاة وكل ركعة ، ولأنه لا يجوز لأحدٍ من المسلمين ترك تعلُّمها وحفظها ، كما يجوز ترك تعلم غيرها وحفظه ، إذ كانت لا صلاة إلا بها .

فلما أمِنَ عليها العِلَّة التى من أجلها كُتِب المصحف ترك كتابتها وهو يعلم أنها من القرآن .

ولو أن رجلا كتب فى المصحف سُوَراً وترك سُوَراً لم يكتبها، لم نر عليه فى ذلك وَكْفاً[٢] إن شاء الله تعالى .

---

(١) نقله السيوطى فى الإتقان ١ / ١٣٨ .

(٢) فى اللسان ١١ / ٢٨٠ « الوكف : الإثم والعيب . ويقال : ليس عليك فى هذا الأمر وكف : أى ليس عليك فيه مكروه ولا نقص » .

باب ما ادُّعِىَ على القرآن من اللحن

وأما ما تعلقوا به من حديث عائشة رضى الله عنها فى غلط الكاتب ، وحديث عثمان رضى الله عنه : أرى فيه لحناً ، فقد تكلم النحويون فى هذه الحروف ، واعتلوا لكل حرف منها ، واستشهدوا الشعر[1] فقالوا : فى قوله سبحانه ﴿ إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾[2] وهى لغة بَلْحَرث بن كعب[3] يقولون : مررت برجلان ، وقبضت منه درهمان ، وجلست بين يداه ، وركبت علاه ، وأنشدوا :

تَزَوَّدَ مِنَّا بَيْنَ أُذْنَاهُ ضَرْبَةً   دَعَتْهُ إِلَى هَابِى التُّرَابِ عَقِيمِ[4]

أى موضع كثير التراب لا ينبت .

وأنشدوا :

أَىَّ قَلُوصِ رَاكِبٍ تراها   طَارُوا عَلَاهُنَّ فَطِرْ عَلَاهَا[5]

على أن القراء قد اختلفوا فى قراءة هذا الحرف فقرأه أبو عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر ﴿ إِنَّ هَٰذَيْنِ لَسَاحِرَانِ ﴾ وذهبا إلى أنه غلط من الكاتب كما قالت عائشة ، وكان عاصم الجحْدَرىّ[6] يكتب هذه الأحرف الثلاثة فى مصحفه على مثالها فى الإمام ، فإذا قرأها ، قرأ

---

(١) راجع اللسان ١٦ / ١٧١ – ١٧٢ .

(٢) سورة طه ٦٣ .

(٣) انظر الصاحبى ٢٠ .

(٤) البيت لهوبر الحارثى ، كما فى اللسان ١٠ / ٦٤ ، ١٩/١٦٣ ، ٢٠ / ٢٢٦ ، وفى كل هذه المواضع ورد بلفظ : « بين أذنيه » والهابى من التراب : ما ارتفع ودق .

(٥) فى نوادر أبى زيد ص ٥٨ « وقال المفضل : وأنشدنى أبو الغول لبعض أهل اليمن : أى قلوص ركب ... فشل علاها » القلوص مؤنثة . وعلاها : أراد عليها ، ولغة بنى الحارث بن كعب قلب الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفا ، يقولون : أخذت الدرهمان ، واشتريت ثوبان ، والسلام علاكم . وهذه الأبيات على لغتهم ... قال أبو حاتم : سألت عن هذه الأبيات أبا عبيدة فقال : انقط عليه ، هذا صنعه المفضل » وكذلك قال فى ص ١٦٤ ، وانظر اللسان ١٩/٣٢٢ ، وخزانة الأدب ٣ / ١٩٩ ، وشرح شواهد الشافية ص ٣٥٥ وشرح شواهد المغنى ص ٤٧ .

(٦) توفى عاصم بن أبى الصباح الجحدرى سنة ١٢٨ .

﴿ إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِران ﴾ ، وقرأ ﴿ والمُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾(١) ، وقرأ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا والَّذِينَ هَادُوا والصَّابِئِينَ ﴾(٢) / وكان يقرأ أيضاً فى سورة البقرة ﴿ وَالصَّابِرُونَ فى البَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ ﴾(٣) ويكتبها : ﴿ الصَّابرين ﴾ . [٢٥]

وإنما فرَق بين القراءة والكتاب لقول عثمان رحمه الله : أرى فيه لحناً وستُقيمُه العرب بألسنتها ، فأقامه بلسانه ، وترك الرسم على حاله .

وكان الحجاج وكَلَ عاصماً هذا ونَاجِيَةَ بن رُمْح وعلىّ بن أصمع(٤) بِتَتَبُّع المصاحف ، وأمرهم أن يقطعوا كل مصحف وجدوه مخالفاً لمصحف عثمان، ويعطوا صاحبه ستين درهما ، خبَّرنى بذلك أبو حاتم عن الأصمعى قال : وفى ذلك يقول الشاعر :

وإلا رُسُومَ الدَّارِ قفرًا كأنَّها كِتابٌ مَحاهُ الباهِلِىُّ ابن أصْمَعَا

وقرأ بعضهم : ﴿ إِنْ هَذانِ لَسَاحِرانِ ﴾ اعتباراً بقراءة أُبَىّ لأنها فى مصحفه: إنْ ذَانِ إلا ساحران ، وفى مصحف عبد الله ﴿ وأَسَرُّوا النَّجْوَى أَنْ هَذَانِ سَاحِرَانِ ﴾ منصوبة الألف بجعل « أن هذان » تَبْيينا للنجوى .

وقالوا فى قوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُون » رفع الصابئين لأنه ردٌّ على موضع ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وموضعه رفع لأن « إنّ » مُبْتَدَأَةٌ وليست تُحْدِثُ فى الكلام مَعْنًى كما تُحْدِثُ أخواتها ، ألا ترى أنك تقول : زيد قائم ، ثم تقول : إن زيداً قائم ولا يكون بين الكلامين فرق فى المعنى ، وتقول : زيد قائم ، ثم تقول : لعل زيداً قائم ، فتُحْدِثُ فى الكلام معنى الشك . وتقول : زيد قائم ، ثم تقول : ليت زيداً قائم، فتُحْدِثُ فى الكلام معنى التمنى، ويدُلُّك على ذلك قولهم: إن عبدالله قائم وزيد ، فترفع زيدًا كأنك قلت : عبد الله قائمٌ وزيدٌ ، وتقول : لعل عبد الله قائمٌ وزيدًا ، فتنصب

---

(١) سورة النساء ١٦٢ .

(٢) سورة المائدة ٦٩ .

(٣) سورة البقرة ١٧٧ .

(٤) فى القرطين « على بن أصمع عم أبى الأصمعى » .

مع لعل ، وترفع مع إن لما أَحْدَثَتْهُ لعل من معنى الشك فى الكلام ، ولأنّ إنّ لم تُحْدِث شيئاً . وكان الكِسائى يُجيز : إنّ عبدَالله وزيدٌ قائمان ، وإنّ عبدالله وزيدٌ قائم . والبصريون لا يُجيزونه، ويحكون: ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾(١) وينشدون / : [٢٦]

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بالمَدِينَةِ رَحْلُهُ ... فإنى وقَيَّارٌ بها لَغَرِيبُ(٢)

***

وقالوا فى نصب المُقيمين بأقاويل : قال بعضهم : أراد بما أُنْزِلَ إليك وإلى المقيمين . وقال بعضهم : وما أنزل من قبلك ومن قبل المقيمين ، وكان الكسائى يردّه إلى قوله : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ [أى :] ويؤمنون بالمقيمين ، واعتبره بقوله فى موضع آخر ﴿ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣) أى بالمؤمنين . وقال بعضهم : هو نصب على المدح . قال أبو عبيدة : هو نصب على تطاوُل الكلام بالنسق ، وأنشد لِلخرِنق بنت هِفَّان :

لا يَبْعُدَنْ قَوْمِى الذين هُمُ ... سُمُّ العُداة وآفةُ الجُزْرِ(٤)

النازلين بكلّ مُعْتَرَكٍ ... والطيِّبُون مَعَاقِدَ الأُزْرِ

ومما يشبه هذه الحروف ولم يذكروه ، قوله فى سورة البقرة : ﴿ والمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِى البَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾(٥) . والقُرَّاء جميعاً على نصب « الصابرين » إلا عاصما الجحْدَرى فإنه كان يرفع الحرف إذا قرأه ، ويَنْصِبه إذا كتبه لِلعِلّة التى تقدّم ذكرها .

واعتل أصحاب النحو للحرف ، فقال بعضهم : هو نصبٌ على المدح ، والعرب تَنْصِبُ

---

(١) سورة الأحزاب ٥٦ وانظر البحر المحيط ٧/ ٢٤٨ .

(٢) البيت لضابئ البرجمى فى اللسان ٦/ ٤٣٨ ، والكامل ١/ ١٨٨ ، والأصمعيات ١٦ ، ونوادر أبى زيد ص ٢٠ والنقائض ١/ ٢٢٠ ، وخزانة الأدب ٤/ ٢٢٣ وتفسير الطبرى ١٦/ ١٣٧ .

(٣) سورة التوبة ٦١ .

(٤) ديوانها ص ١٠ — ١٢ ، والخزانة ٢/ ٢٠٣ ، وأمالى ابن الشجرى ١ / ٣١٠ ، وتفسير الطبرى ٢٤ / ٢٧ .

(٥) سورة البقرة ١٧٧ .

على المدح والذم ، كأنهم ينوُون إفراد الممدوح بمدح مُجَدَّدٍ غير متبع لأوّل الكلام ، كذلك قال الفرّاء .

وقال بعضهم : أراد وآتى المالَ على حبه ذوى القُرْبَى واليتامى والمساكين وابن السَّبيل والسائلين والصابرين فى البأْساء والضَّرّاء .

وهذا وجه حسن ؛ لأنَّ البأساء : الفقر ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿ وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾[1] .

والضرّاء : البلاء فى البدن ، من الزَّمانَةِ والعِلة . فكأنه قال : وآتى المال على حُبّه السائلين الطوّافين والصابرين على الفقر والضرّ الذين لايسألون ولا يَشْكُون ، وجعل المُوفين وسَطاً بين المُعْطين نَسَقاً على من آمن بالله / . [٢٧]

* * *

ومن ذلك قوله فى سورة الأنبياء : ﴿ كَذَلِكَ نُجِّى الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] كُتِبَتْ فى المصاحف بنون واحدة ، وقرأها القُرّاء جميعاً نُنَجِّى بنونين إلا عاصم بن أبى النّجود[3] فإنه كان يقرؤُها بنون واحدة ، ويخالف القُرّاء جميعاً ، ويرسل الياء فيها على مِثال فُعِّلَ .

فأما مَنْ قرأها بنونين ، وخالف الكتاب فإنه اعتل بأن النون تخفى عند الجيم فأسقطها كاتب المصحف لخفائها ونيَّتُه إثباتها .

واعتلّ بعض النحويين لعاصم فقالوا : أضْمَرَ المصدر كأنه قال : نُجِّىَ النجاء المؤمنين ، كما تقول : ضُرِبَ الضربُ زيداً ، ثم تُضْمِرُ الضَّرْب ، فتقول : ضُرِبَ زيداً .

وكان أبو عبيدة يختار فى هـــذا الحرف مذهب عاصم كراهية أن يُخالِفَ الكتاب ، ويستشهد عليه حرفاً فى سورة الجاثية كان يقرأ به أبو جعفر المدنى ، وهو قوله : ﴿ لِيُجْزَى قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[4] أى : ليُجزَى الجزاءُ قوما ، وأنشدنى بعض النحويين[5] :

---

(١) سورة الحج ٢٨

(٢) سورة الأنبياء ٨٨ .

(٣) القراءات الشاذة ص ٩٢ واللسان ٢٠ / ١٧٥ .

(٤) سورة الجاثية ١٤ وانظر البحر المحيط ٨/٤٥ .

(٥) هو الزجاج كما فى الخزانة ١ / ١٦٣ .

ولو وَلَدَتْ فُقَيْرَةُ جِرْوَ كَلْبٍ   لَسُبَّ بذلك الجِرْوِ الـكلابا[١]

***

ومن ذلك قوله : ﴿ فأَصَّدَّقَ وأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[٢] أكثر القُرَّاء يقرءون « فأَصَّدَّقَ وأكُن » بغير واو ، واعتلّ بعض النحويين فى ذلك بأنها محمولة على موضع فَأَصَّدَّقَ ، لو لم يكن فيه الفاء، وموضعه جزم ، وأنشد :

فأَبْلونى بَلِيَّتَـكُمْ لَعَلِّى   أُصالحـكم وأستدرِجْ نَوَيّا[٣]

فجزم وأستدرِجْ ، وحمله على موضع أُصالحـكم لو لم يكن قبلها لعلى ، كأنه قال : فأبلونى بليتكم أُصالحْـكم واستَدْرِجْ .

وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ : ﴿ فأصّدّق وأَكُونَ ﴾ بالنصب[٤] ، ويذهب إلى أن الـكاتب أسقط الواو ، كما تسقط حروف المد واللين فى كَلَمُون ، وأشباه ذلك .

[٢٨] وليست تخلو / هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب فيها، أوأن تـكون غلطاً من الـكاتب كما ذكرت عائشة رضى الله عنها .

فإن كانت على مذاهب النحويين فليس ههنا لحن بحمد الله .

وإن كانت خطأ فى الـكتاب فليس على الله ولا على رسوله صلى الله عليه جناية الـكاتب فى الخط .

ولو كان هـذا عيباً يرجع على القرآن لرجع عليه كل خطأ وقع فى كتابة المصحف من طريق التّهجّى ، فقد كُتِب فى الإمام ﴿ إِنَّ هَذَنِ لَساحِران ﴾ بحذف ألف التثنية ، وكذلك

---

(١) البيت لجرير كما فى الخزانة ١ / ١٦٣ وهو غير موجود فى ديوانه ولا فى النقائض .

(٢) سورة المنافقين ١٠

(٣) البيت فى اللسان ١٣/ ٥٠١ غير منسوب، وفى شرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٨٤ لأبى دؤاد ، وهو له فى النقائض ٤٠٨/١ أراد : نوايا فذهب به إلى قفيا وهويا، وهو الوجه الذى يريده . وأستدرج ، يقول : أتركـكم وأذهب . ولعل بمعنى كى على رأى الـكوفيين ، واستشهدوا بهذا البيت وفى هامش م : « النوى : النية ، وأبلونى : أعطونى من الإبلاء وهو الإعطاء . والبلية : الناقة كانت تحبس على رأس قبر الميت ، وكانت العرب تزعم أن الأموات تبعث ركبانا » وانظر اللسان ٩٢/١٨

(٤) راجع القراءات الشاذة ص ١٥٧، والبحر المحيط ٨ / ٢٧٥ .

ألف التثنية تحذف فى هجاء هذا المصحف فى كل مكان ، مثل: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴾ و ﴿ آخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾(١) وكتبت كُتَّابُ المصحف : الصلوة والزكوة والحيوة بالواو ، واتّبعناهم فى هذه الحروف خاصة على التيمّن بهم ، ونحن لا نكتب القطاة والقناة والفلاة إلا بالألف ، ولا فرق بين تلك الحروف وبين هـذه ، وكتبُوا الربوا بالواو ، وكتبوا ﴿ فَمَالِ الذين كَفَرُوا ﴾(٢) فمال بلام منفردة ، وكتبوا ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِى الْمُرْسَلِينَ ﴾(٣) بالياء ﴿ أَوْ مِنْ وَرَائِى حِجَابٍ ﴾(٤) بالياء فى الحرفين جميعاً ، كأنهما مضافان، ولا ياء فيهما ، إنما هى مكسورة ، وكتبوا ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَو ﴾(٥) و ﴿ فَقَالَ الضُّعَفَو ﴾(٦) بواو ولا ألف قبلها، وكتبوا ﴿ أَوْ أَنْ نَفعل فى أموالنا ما نشاو ﴾(٧) بواو بعد الألف ، وفى موضع آخر ﴿ ما نشاء ﴾(٨) بغير واو ، ولا فرق بينهما . وكتبوا ﴿ أو لا أَذْبَحَنَّه أو ليأْتِيَنّى بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾(٩) بزيادة ألف . وكذلك ﴿ وَلاأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ ﴾(١٠) بزيادة ألف بعد لام ألف . وهذا أكثر فى المصحف من أن نستقْصِيَه .

وكذلك لَحْنُ اللاحنين من القُرّاء المتأخرين لا يُجعل حُجَّةً على الكِتاب ، وقد كان الناس قديما يَقْرءون بلغاتهم كما أَعْلَمْتُكَ ، ثم خَلَفَ قوم بعد قوم من أهل الأمصار وأبناء العجم / ليس لهم طَبْعُ اللغة ، ولا عِلْمُ التكلُّف ، فَهَفَوا فى كثير من الحروف وزَلُّوا [٢٩]

---

(١) سورة المائدة ٢٣ ، ١٠٧

(٢) سورة المعارج ٣٦

(٣) سورة الأنعام ٣٤ .

(٤) سورة الشورى ٥١ .

(٥) سورة القلم ٤١ والشورى ٢١

(٦) سورة إبراهيم ٢١ .

(٧) سورة هود ٨٧ .

(٨) سورة الإسراء ١٨ والحج ٥ .

(٩) سورة النمل ٢١ .

(١٠) سورة التوبة ٤٧ .

وقرأوا بالشاذ وأخلُّوا، منهم رجل[1] ستر الله عليه عند العوام بالصلاح، وقرَّبَهُ من القلوب بالدين، لم أر فيمن تتبعت وجوه قراءته أكثر تخليطاً، ولا أشد اضطراباً منه؛ لأنه يستعمل فى الحرف ما يَدَعُه فى نظيره، ثم يُؤَصِّل أصلاً ويخالف إلى غيره لغير ما عِلَّة، ويختار فى كثير من الحروف ما لا مخرج له إلا على طلب الحيلة الضعيفة.

هـذا إلى نبذه فى قراءته مذاهب العرب وأهلِ الحجاز، بإفراطه فى المد والهمز والإشباع وإفحاشه فى الإضجاع والإدغام، وحَمْلِه المتعلمين على المركَب الصعب، وتعسيره على الأمة ما يسره الله، وتضييقه ما فسحه.

ومن العجب أنه يُقْرِئُ الناس بهذه المذاهب، ويكره الصلاة بهـا! ففى أى موضع تستعمل هذه القراءة إن كانت الصلاة لا تجوز بها؟

وكان ابن عُيَيْنَة يرى لمن قرأ فى صلاته بحرفه، أو ائتم بإمام يقرأ بقراءته: أن يُعيد، ووافَقَه على ذلك كثير من خِيار المسلمين منهم بشر بن الحارث[2]، وأحمد بن حنبل.

وقد شُغِف بقراءته عوامُّ الناس وسُوَقُهم، وليس ذلك إلا لما يرونه من مشقتها وصعوبتها، وطول اختلاف المتعلم إلى المقرِئ فيها، فإذا رأَوْه قد اختلف فى أُمِّ الـكتاب عشراً، وفى مائة آية شهرا، وفى السبع الطُّوَل[3] حوْلًا، ورأوه عندقراءته مائل الشِّدقين، دَارَّ الوَرِيدين، راشح الجَبِينين - توهَّموا أن ذلك لفضيلة فى القراءة وحِذق بها، وليس هكذا كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه ولا خِيار السلف ولا التابعين ولا القراء العالمين، بل كانت قراءتهم سهلة رَسْلَة، وهكذا نختار لقراء القرآن فى أَوْرَادِهم ومحاريبهم. فأما الغلام الرَّيِّضُ والمُسْتَأنِف للتعلم، فنختار له أن يُؤْخَذ بالتحقيق عليه من غير إفحاشٍ فى مدٍّ أو همزٍ أو إدغامٍ؛ لأن

[٣٠] فى ذلك / تَذْلِيلًا للِّسان، وإطلاقاً من الحُبْسَةِ، وحلاًّ للعُقْدة.

---

(١) يقصد حمزة، قال ابن مطرف الـكنانى فى القرطين ٢ / ١٥ «وباقى الباب لم أكتبه لمـا فيه من الطعن على حمزة، وكان أورع أهل زمانه مع خلو باقى الباب من الفائدة» هكذا قال!

(٢) توفى بشر بن الحارث، المعروف بالحافى سنة سبع وعشرين ومائتين، وقد بلغ من السن خمسا وسبعين سنة، راجع ترجمته فى تاريخ بغداد ٧/٦٧ـ٨٠ ووفيات الأعيان ١/٢٤٨ـ٢٥١.

(٣) اللسان ١٣/٤٣٦ «والسبع الطول من سور القرآن: سبع سور ...»

وما أقلّ من سَلِمَ من هذه الطبقة فى حرفه من الغلط والوَهَم، فقد قرأ بعض المتقدمين [١] ﴿ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَأْتُكُم بِهِ ﴾ [٢] فهمز ، وإنما هو من دَرَيْت بكذا وكذا ، وقرأ [٣] : ﴿ وما تنزّلت بِهِ الشياطون ﴾ [٤] توهم أنه جمع بالواو والنون .

وقرأ آخر [٥] : ﴿ فَلا تَشْمِتْ بِىَ الأَعْداءَ ﴾ [٦] بفتح التاء وكسر الميم ونصب الأعداء، وإنما هو من : أشْمَتَ الله العدوَّ فهو يُشْمِتُهُ ، ولا يقال: شَمِتَ الله العدوَّ .

وقال الأعمش [٧] : قرأتُ عند إبراهيم [٨] وطلحة بن مُصَرِّف [٩] : ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ ﴾ [١٠] ، فقال إبراهيم : ما تزال تأتينا بحرف أشنع ، إنما هو: « لِمَنْ حوله » واستشهد طلحةَ فقال مثل قوله ، قال الأعمش : فقلت لهما : لحنتما ، لا أقاعدكما اليوم .

---

(١) يقصد الحسن ، جاء فى القراءات الشاذة ص ٥٦ « ولا ادرأتكم به » بالهمز والتاء : « الحسن » وفى البحر المحيط ٥/١٣٣ « وقرأ ابن عباس وابن سيرين والحسن وأبو رجاء : « ولا ادرأتكم به » بهمزة ساكنة . وخرجت هذه القراءة على وجهين ... » وانظر الكشاف ٢ / ١٨٤ .

(٢) سورة يونس ١٦ .

(٣) يقصد الحسن أيضاً ، راجع القراءات الشاذة ص ١٠٨ والكشاف ٣/١٢٩ وفى البحر المحيط ٧ / ٤٦ « وقرأ الحسن الشياطون ... قال أبو حاتم : هى غلط منه أو عليه . وقال النحاس : هو غلط عند جميع النحويين ... وقال الفراء : غلط الشيخ ، ظن أنها النون التى على هجائن ... »

(٤) سورة الشعراء ٢١٠ .

(٥) فى البحر المحيط ٤ / ٣٩٦ « وقرأ ابن محيصن تشمت ـ بفتح التاء وكسر الميم ونصب الأعداء ـ » .

(٦) سورة الأعراف ١٥٠ .

(٧) هو سليمان بن مهران الأعمش ، أبو محمد الأسدى الكوفى ولد سنة ٦٠ ومات سنة ١٤٨ ، راجع طبقات القراء ١/٣١٥ .

(٨) هو إبراهيم بن يزيد ، أبو عمران النخعى الكوفى المتوفى سنة ٩٦ .

(٩) هو طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب ، أبو عبد الله الهمدانى الكوفى ، تابعى ، مات سنة ١١٢ ، طبقات القراء ١/٣٤٣ والمعارف ٢٣٠ .

(١٠) سورة الشعراء ٢٥ .

وقرأ يحيى بن وَثَّاب[١] : ﴿ وَإِنْ تَلُو أَوْ تُعْرِضُوا ﴾[٢] من الوِلاية ، ولا وجه للولاية ههنا[٣] : إنما هى تَلْوُوا بواوين من لَيِّكَ فى الشهادة وميلك إلى أحد الخصمين عن الآخر . قال الله عز وجل : ﴿ يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ ﴾[٤] ، واتبعه على هذه القراءة الأعمش وحمزة[٥] .

وقرأ الأعمش : ﴿ وما أنتُمْ بِمُصْرِخِيِّ ﴾[٦] بكسر الياء[٧] ، كأنه ظن أن الباء تخفض الحرف كله ، واتّبعه على ذلك حمزة[٨] .

وقرأ حمزة : ﴿ وَمَكْرَ السَّيِّءْ ، وَلا يَحِيقُ المكر السَّيِّءُ إلا بأهله ﴾[٩] فجزم الحرف الأوّل ، والجزم لا يدخل الأسماء ، وأعرب الآخر وهو مثله[١٠] .

---

(١) هو يحيى بن وثاب الأسدى ، الكوفى ، تابعى ثقة . قال ابن قتيبة : مات سنة ١٠٣ ، طبقات القراء ٢/٣٨٠ والمعارف ص ٢٣٠ .

(٢) سورة النساء ١٣٥ .

(٣) راجع الكشاف ١/٣٠٤ .

(٤) سورة آل عمران ٧٨ .

(٥) هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل ، أبو عمارة الكوفى أحد القراء السبعة ، ولد سنة ٨٠ وتوفى سنة ١٥٦ ، طبقات القراء ١/٢٦٣ ووفيات الأعيان ١/٤٥٥ وغرائب القرآن للنيسابورى ، على هامش الطبرى ١/١٠–١١ والمعارف ص ٢٣٠ .

(٦) سورة إبراهيم ٢٢ .

(٧) فى الكشاف ٢/٣٠٠ « وهى ضعيفة » .

(٨) فى البحر المحيط ٥/٤١٩ « وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة « بمصرخى » بكسر الياء ، وطعن كثير من النحاة فى هذه القراءة . قال الفراء : لعلها من وهم القراء ؛ فإنه قل من سلم منهم من الوهم ، ولعله ظن أن الباء فى « بمصرخى » خافضة للفظ كله ، والياء للمتكلم خارجة من ذلك .. وقال الأخفش : ما سمعت هذا من أحد من العرب ولا من النحويين . وقال الزجاج : هذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة ولا وجه لها إلاوجه ضعيف ... »

(٩) سورة فاطر ٤٣ .

(١٠) فى البحر المحيط ٧/٣١٩ « وقرأ الجمهور : « ومكر السيء » بكسر الهمزة ، والأعمش وحمزة بإسكانها ، فإما إجراء للوصل مجرى الوقف ، وإما إسكانا لتوالى الحركات وإجراء للمنفصل مجرى المتصل كقوله : لنا إبلان . وزعم الزجاج أن هذه القراءة لحن : قال أبو جعفر : وإنما صار لحنا لأنه حذف الإعراب منه . وزعم محمد بن يزيد أن هذا لا يجوز فى كلام ولا شعر ؛ لأن حركات الإعراب دخلت =

وقرأ نافع[١] : ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونِ ﴾[٢] بكسر النون ، ولو أُريد بها الوجه الذى ذهب إليه الكاتب لكانت ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُوننى ﴾ بنونين ؛ لأنها فى موضع رفع .

وقرأ حمزة[٣] : ﴿ وَلا يَحْسِبَنَّ الذين كفروا سَبَقُوا إنّهم لا يُعجزون ﴾[٤] بالياء ، ولو أُريد بها الوجه الذى ذهب إليه لكانت ﴿ وَلا يحسبَنّ الذين كفروا أنهم سبقوا ، إنهم لا يُعجزون ﴾ .

وهذا يَكْثُرُ . ولم يكن القصد فى هذا الكتاب له ، وستراه كله فى كتابنا المؤلف فى وجوه القراءات ، إن شاء الله تعالى .

= للفرق بين المعانى ... وقال الزجاج أيضاً : قراءة حمزة ومكر السيء موقوفا عند الحذاق بياء بين لحن لا يجوز ، وإنما يجوز فى الشعر للاضطرار ... » وانظر الكشاف ٣/٢٧٨ .

(١) هو نافع بن عبد الرحمن ، أبو رويم ، أحد القراء السبعة توفى سنة ١٦٩ ، طبقات القراء ٢/٣٣٤ والمعارف ص ٢٣٠ وغرائب القرآن على هامش الطبرى ١/٩ ووفيات الأعيان ٥/٥ .

(٢) سورة الحجر ٥٤ وانظر الكشاف ٢/٣١٥ وفى البحر المحيط ٥/٤٥٨ « وقرأ نافع بكسر النون مخففة ، وغلطه أبو حاتم ، وقال : هذا يكون فى الشعر اضطراراً ... »

(٣) فى البحر المحيط ٤/٥١٠ « وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص : « ولا يحسبن بالياء ، أى ولا يحسبن الرسول أو حاسب ، أو المؤمن ... وباقى السبعة بالتاء ، خطاباً للرسول أو للسامع ... » ويرى الزمخشرى أن قراءة حمزة هذه ليست بنيرة ، راجع الكشاف ٢/١٣٢ .

(٤) سورة الأنفال ٥٩ .

باب التناقض والاختلاف

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة :

فأما ما نحلوه من التناقض فى مثل قوله تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عن ذنبه إِنْسٌ ولا جَانٌّ ﴾ (١) . وهو يقول فى موضع آخر : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهم أجمعين عمَّا كانوا يَعْمَلُون ﴾ (٢) فالجواب فى ذلك : أن يوم القيامة يكون كما قال الله تعالى : ﴿ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (٣) ، ففى مثل هـذا اليوم يُسئَلون وفيه لا يُسْئَلون ؛ لأنهم حين يُعْرَضون يوقَفُون على الذنوب ويُحاسبون ، فإذا انتهت المسئلة ووَجَبَتْ الحجّة : ﴿ انشقّتِ السماء فكانت وَرْدَةً كالدِّهَان ﴾ (٤) وانقطع الـكلام ، وذهب الخصام ؛ واسودّت وجوه قومٍ وابيضت وجوه آخرين ، وعُرِف الفريقان بسيماهم ، وتطايرت الصحف من الأيدى : فآخِذٌ ذات اليمين إلى الجنة ، وآخِذٌ ذات الشمال إلى النار ، وكذلك قال ابن عباس رضى الله عنه فى قوله : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ ولا جَانٌّ ﴾ (٥) قال : هو موطِنٌ لا يُسْئَلون فيه . ومثله : ﴿ وَلا يُسْئَلُ عن ذُنُوبِهِم المجرِمُون ﴾ (٦) .

وقوله : ﴿ لا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ وقد قَدَّمْتُ إليكم بالوَعِيدِ ﴾ (٧) . وقوله : ﴿ هذا يومُ لا يَنْطِقُون ولا يُؤْذَنُ لهم فيَعْتَذِرُون ﴾ (٨) ، وهو يقول فى موضع آخر : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم يَوْمَ القيامةِ عِنْدَ رَبِّكُم تَخْتَصِمُون ﴾ (٩) ويقول : ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُم صَادِقِين ﴾ (١٠) .

والجواب عن هذا كله نحو جوابنا الأول ؛ لأنهم يختصمون ويدعى المظلومون على الظالمين ،

---

(١) سورة الرحمن ٣٩ .

(٢) سورة الحجر ٩٢ .

(٣) سورة المعارج ٤

(٤) سورة الرحمن ٣٧ .

(٥) سورة الرحمن ٣٩ .

(٦) سورة القصص ٧٨ .

(٧) سورة ق ٢٨ .

(٨) سورة المرسلات ٣٥ .

(٩) سورة الزمر ٣١ .

(١٠) سورة البقرة ١١١ ، والنمل ٦٤ والمناسب هنا آية القصص ٧٥

فى تلك الحال يختصمون ، فإذا وقع القِصاص وثبت الحكم قيل لهم : لا تختصموا ولا تنطقوا ، ولا تعتذروا ، فليس ذلك بمُغْنٍ عنكم ولا نافع لكم ؛ فَيَخْسَئُون .

روى عبد الرّزّاق عن مَعْمَرٍ عن قتادة : أن رجلا جاء إلى عِكْرِمة فقال : أرأيتَ قول الله تعالى : ﴿ هذا يومُ لا يَنْطِقُون ﴾ ، وقوله : ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ فقال : إنها مواقف ، فأما موقف منها : فتكلموا واختصموا ، ثم ختم الله على أفواههم فتكلمتْ أيديهم وأرجلهم ، فحينئذ لا يتكلمون .

وقوله : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُون ﴾(١) ، وهو يقول فى موضع آخر : ﴿ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُون ﴾(٢) ، فإنه إذا نُفخ فى الصور نفخةٌ واحدة تقطّعت الأرحام، وبطلت الأنساب ، وشُغلوا بأنفسهم عن التّسْآل و ﴿ صَعِق مَنْ فى السَّمَوَاتِ ومَنْ فى الأرض إلّا مَنْ شاءَ الله ﴾ . فإذا نُفِخَ فيه أُخْرَى : قاموا ﴿ينظرون ، وأَقْبَلَ بعضُهم على بَعْضٍ يَتَسَاءَلون ﴾(٣) وقالوا : ﴿ مَنْ بَعَثَنَا من مَرْقَدِنَا ؟ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾(٤) . وهو معنى قول ابن عباس .

* * *

وقوله : ﴿ قُلْ أَئِنَّكم لَتَكْفُرُون بالذى خلقَ الأرضَ فى يَوْمَيْنِ وتجعلُون لَهُ أَنْدَادًا ذلك ربُّ العالمين . وجَعَل فيها رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فيها وقَدَّرَ فيها أَقْوَاتَهَا فى أربعة أيَّامٍ سواءً للسَّائِلينَ . ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّماءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾(٥) ، فدلَّت هذه الآيات على أنه خلق الأرض قبل السماء .

وقال فى موضعٍ آخر: ﴿ أمِ السَّماءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا والأرضَ بعد ذلك دَحَاهَا ﴾(٦) ، فدلَّت هذه الآية على أنه خلق السماء قبل الأرض.

---

(١) سورة الطور ٢٥ .

(٢) سورة الصافات ٢٧ .

(٣) اقتباس من سورة الزمر ٦٨

(٤) اقتباس من سورة يس ٥٢ .

(٥) سورة فصلت ٩ ــ ١١ .

(٦) سورة النازعات ٢٧ ــ ٣٠ ، ومعنى وأغطش ليلها : أظلمه ، وأخرج ضحاها : أبرز ضوء شمسها ، الكشاف ١٨٢/٤ .

وليس على كتاب الله تحريف الجاهلين ، وغلط المتأوِّلين ، وإنما كان يجد الطاعن متعلَّقاً ومقالًا لو قال : والأرضَ بعد ذلك خلقها أو ابتدأها أو أنشأها ، وإنما قال : ﴿ دَحَاهَا ﴾ فابتدأ الخلق للأرض على ما فى الآى الأُوَل فى يومين ، ثم خلق السموات وكانت دُخَاناً فى يومين ، ثم دَحَا بعد ذلك الأرض ، أى بسطها[1] ومدّها ، وكانت رَبْوَةً مجتمعة ، وأرْساها بالجبال ، وأنبت فيها النبات فى يومين ، فتلك ستة أيام سواءً للسائلين ، وهو معنى قول ابن عباس.

وقال مجاهد : « بعد ذلك » فى هذا الموضع ، بمعنى « مع ذلك » ، و « مع » و « بعد » فى كلام العرب سواء .

***

وقوله : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴾[2] ، وهو يقول فى موضع آخر : ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾[3] ، فإن النار دَرَكات ، والجنة درجات ، وعلى قدر الذنوب والحسنات تقع العقوبات والمثُوبات ، فمِن أهل النار مَنْ طعامُه الزَّقُّومُ ، ومنهم من طعامه غِسْلين ، ومنهم من شرابه الحميمُ ، ومنهم من شرابه / الصَّدِيدُ . [٣٣]

والضَّرِيعُ : نبتٌ يكون بالحجاز ، يقال لِرَطْبه : الشِّبرِقُ ، لا يُسْمِنُ ولا يُشبع ، قال امرؤ القيس :

فأتْبَعْتُهُم طَرْفى وقد حَالَ دونهم غوارِبُ رمْلٍ ذى ألاءٍ وشِبْرِقِ[4]

والعرب تصفه بذلك .

وغِسلين : فِعْلين من غَسلتُ ، كأنه الغُسالة ، قال بعض المفسرين[5] : هو ما يسيل من أجساد المعذَّبين .

---

(١) اللسان ١٨/٢٧٥ .

(٢) سورة الغاشية ٦ .

(٣) سورة الحاقة ٣٦ .

(٤) ديوانه ص ٨٨ واللسان ١٢/٣٨ . وألاء بوزن العلاء : شجر حسن المنظر مر الطعم ، دائم الاخضرار ، ينبت فى الرمل والأودية ، ورقه وحمله دباغ ، كما فى اللسان ١/١٥ .

(٥) فى اللسان ١٤/٧ « والغسلين فى القرآن : ما يسيل من جلود أهل النار ، كالقيح وغيره ، كأنه يغسل عنهم . التمثيل لسيبويه والتفسير للسيرافى ... وقال الكلبى : هو ما أنضجت النار من لحومهم وسقط أكلوه ... وقال الفراء : إنه ما يسيل من صديد أهل النار .

وهذا نحو قوله: ﴿سرابيلُهم من قَطِرَانٍ﴾[١] و« سرابيلُهم من قِطْرَان » قراءةُ عِكْرِمَة[٢] ومَنْ تَابَعَه. والقِطْرُ: النُّحاس والإِنْى الذى قد بلغ منتهى حرّه[٣] كأن قوماً يُسرْبَلُون هذا، وقوماً يُسرْبلون هذا ، ويُلبَسُون هذا تارةً ، وهذا تارةً .

وأما قولهم : « كيف يكون فى النار نبت وشجر ، والنار تأكلهما » ؟ فإنه لم يُرِدْ فيما يرى أهل النظر ـ والله أعلم ـ أن الضريع بعينه ينبت فى النار ، ولا أنهم يأكلونه . والضريع من أقوات الأنعام لا من أقوات الناس ، وإذا وقَعَت فيه الإبل لم تشبع وهلكت هُزْلا ، قال الهُذَلىّ يذكر إبلا وسوء مَرْعاها :

وحُبِسْنَ فى هَزْمِ الضريع فَكُلُّها حَدْبَاءُ داميةُ اليدين حَرُودُ[٤]

فأراد أن هؤلاء قوم يقتَاتُون ما لا يشبعهم ، وضرَب الضريع لهم مثلا ، أويُعذَّبون بالجوع كما يُعذبُ من قُوتُه الضريع .

وكان ما أراد الله بهذا معلوماً عندهم مفهوماً ، ولو لم يكن كذلك لأنكروه كما أنكروا قوله : ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فى أَصْلِ الجَحِيمِ طَلْعُهَا كأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطين﴾[٥] وقالوا : كيف تكون فى النار شجرة والنار تأكل الشجر ؟ فأنزل الله : ﴿وما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا التى أَرَيْنَاكَ إِلّا فِتْنَةً لِلنّاس والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فى القرآن﴾[٦] ، يعنى بالرؤيا ما رآه ليلة أُسْرِىَ

---

(١) سورة إبراهيم ٥٠ .

(٢) فى القراءات الشاذة ص ٧٠ « من قطران : ابن عباس وأبو هريرة وعكرمة وجماعة » وانظر البحر المحيط ٥/٤٤٠ .

(٣) اللسان ٦/٤١٧ .

(٤) البيت لقيس بن عيزارة الهذلى، كما فى شرح أشعار الهذليين للسكرى ١١٥ ، واللسان ١٦/٩٢ وفيه : « حدباء بادية الضلوع » وفى ١٠/٩٢ « هزم الضريع ما تكسر منه . والحرود : التى لا تكاد تدر . وصف الإبل بشدة الهزال » والبيت غير منسوب فى مقاييس اللغة ٣ / ٣٩٦ وفيه : « وتركن فى هزم » .

(٥) سورة الصافات ٦٤ ـ ٦٥

(٦) سورة الإسراء ٦٠ .

به وأخْبَرَ عنه ، فارتد لذلك قوم ، وزاد الله فى بصائر قوم . وأراد بالشجرة الملعونة : شجرة الزَّقُّوم ، فهذا وجه .

[٣٤] وقد يكون/الضريع وشجرة الزَّقُّوم نَبْتَين من النار ، أو من جوهرٍ لا تأكله النار ، وكذلك سلاسل النار وأغلالها ، وأَنْكَالُها وعقارِبُها وحيَّاتُها ، لو كانت على ما نعلم لم تبق على النار ، وإنما دَلّنا الله سبحانه على الغائب عنده بالحاضر عندنا ، فالأسماء متفقة للدلالة ، والمعانى مختلفة .

وما فى الجنة من شجرها وثمرها وفُرُشِها ، وجميع آلاتها على مثل ذلك .

قال ابن عباس : نخل الجنة ، جذوعها من زُمُرُّد أخضر ، وكَرَبُها[١] من ذهب أحمر ، وسعَفُها كِسْوَةٌ لأهل الجنة ، منها مُقطَّعَاتُهم[٢] وحُلَلُهم . وثمرها أمثال القِلال والدِّلاء ، أشدُّ بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وألين من الزبد ليس له عَجَمٌ[٣] .

***

وقوله: ﴿ وما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُم وَهُمْ يَسْتَغْفِرُون ﴾ ، ثم قال على إثر ذلك: ﴿ ومالهُمْ ألاَّ يُعَذِّبَهُم اللهُ ﴾[٤] ، فإن النضر بن الحارث قال : ﴿ اللهم إنْ كان هـذا هو الحقُّ مِنْ عِندِك فأَمْطِر علينا حِجَارةً من السَّماء أو ائْتِنَا بِعذابٍ أَليم ﴾[٥] يُريد أهلِكنا ومحمداً ومَن معه عامة . فأنزل الله تعـالى : ﴿ وما كانَ اللهُ مُعذِّبهم وهم يستغفرون ﴾ ، أى وفيهم قوم يستغفرون ، يعنى المسلمين ، يدلّكَ على ذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وما كانَ اللهُ لِيعذِّبهم

---

(١) فى اللسان ٢/٢٠٨ « الـكرب : أصول السعف الغلاظ العراض التى تيبس فتصير مثل الـكتف ، واحدتها كربة ... »

(٢) فى اللسان ١٠ / ١٥٥ « والمقطعات من الثياب شبه الجباب ونحوها من الخز ، وفى التنزيل « قطعت لهم ثياب من نار » أى خيطت وسويت وجعلت لبوسا لهم وفى حديث ابن عباس فى صفة نخل الجنة ... »

(٣) فى اللسان ١٥/٢٨٤ « والعجم ـ بالتحريك ـ النوى ، نوى التمر والنبق ، الواحدة عجمة مثل قصبة وقصب » .

(٤) سورة الأنفال ٣٣ ، ٣٤ .

(٥) سورة الأنفال ٣٢ .

وأنتَ فيهم ، وما كان اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ ، ثم قال : ﴿ وما لهم ألاَّ يُعذِّبهم اللهُ ﴾ خاصة ﴿ وهم يَصُدّون عن المسجد الحرام ، وما كانُوا أولِياءَه ، إنْ أَوْلياؤه إلا المتَّقون ﴾(١) يعنى المسلمين ، فعذّبهم الله بالسيف بعد خروج النبى عنهم ، وفى ذلك نزلت : ﴿ سَأَلَ سائلٌ بعذابٍ واقعٍ ﴾ ، أى دعا داعٍ بعذاب واقع ، يعنى النضر بن الحرث ﴿ للكافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِع ﴾(٢) ، يقول : هو للكافرين خاصة دون المؤمنين ، وهو معنى قول ابن عباس .

وقال مجاهد فى قوله : ﴿ وهم يستغفرون ﴾ : عَلِمَ أن فى أصلابهم من سَيَسْتَغْفِر .

***

وأما قولهم : أين قوله : ﴿ فإنْ خِفتم ألاَّ تُقْسِطُوا فى اليتَامَى ﴾ من قوله : ﴿ فانكِحُوا ماطابَ لكُمْ من النِّساءِ ﴾(٣) ، فهل شىءٌ أشْبَهُ بشىءٍ أليقُ به من أحد الكلامين بالآخر ؟!

والمعنى : أن الله تعالى قصَرَ الرجال على أربع نسوة / وحَرّم عليهم أن ينكحوا أكثر [٣٥] منهن ؛ لأنه لو أباح لهم أن ينكحوا من الحرائر ما أباح من مِلْكِ اليمين لم يستطيعوا العدل عليهن بالتّسوية بينهن فقال لنا : فكما تخافون ألا تعدلوا بين اليتامى إذا كفلتموهم ، فخافوا أيضاً ألا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن ، فانكحوا اثنتين وثلاثا وأربعا ، ولا تتجاوزوا ذلك فتعجزوا عن العدل .

ثم قال : فإن خفتم أيضاً ألا تعدلوا بين الثلاث والأربع فانكحوا واحدةً ، أو اقتصروا على ما ملكت أيمانكم من الإماء ، ذلك أدْنَى ألا تعُولُوا ، أى لا تجوروا وتميلوا .

وقال ابن عباس : قُصِرَ الرجال على أربع من أجل اليتامى .

يقول : لما كان النساء مكفولات بمنزلة اليتامى ، وكان العدل على اليتامى شديداً على كافِلِهم قُصِرَ الرجال على ما بين الواحدة إلى الأربع من النساء ، ولم يُطلَق لهم ما فوق ذلك لئلا يميلوا .

***

---

(١) سورة الأنفال ٣٤ .

(٢) سورة المعارج ١ ، ٢ .

(٣) سورة النساء ٣ .

وقولهم : أين قوله : ﴿ جَعَلَ اللهُ الـكعبةَ البيْتَ الحرامَ قِياماً لِلنَّاسِ والشّهرَ الحرامَ والهَدْىَ والقَلائِد ﴾ من قوله ﴿ ذلك لِتعْلَموا أنَّ اللهَ يعْلَمُ ما فى السّموات وما فى الأرض وأنَّ اللهَ بكل شيء عَلِيم ﴾[١] ؟ وتأويل هذا أن أهل الجاهلية كانوا يتغاوَرُون ويسفـكون الدماء بغير حقها ، ويأخذون الأموال بغير حلها، ويُخيفون السُّبُل ، ويطلب الرجل منهم الثأر فيقتل غير قاتله ، ويصيب غير الجانى عليـه ، ولا يبالى مَنْ كان بعد أن يراه كُفْأً لِوليِّه ويُسمّيه الثأر المُنيم ، وربما قتل أحدهم حميمهُ بحميمهِ . قال ابن مُضَرِّسٍ[٢] وقتَلَ خاله بأخيه :

بكَتْ جزَعاً أُمِّى رُمَيْلَةُ أنْ رَأَتْ ... دماً من أخيها بالمُهنَّدِ بَاقِيا[٣]
فقلتُ لها : لا تجزَعى إنَّ طارقاً ... خليلى الذى كانَ الخليلَ المُصافِيا
وما كنتُ لو أُعْطِيتُ أَلْفَىْ نجيبةٍ ... وأَوْلادَها لَغواً وسِتِينَ راعيا[٤]
لِأَقْبَلَـها مِنْ طارقٍ دونَ أن أرَى ... دماً مِنْ بنى حِصْنٍ على السيفِ جاريا [٣٦]
وما كان فى عوف قتيلٌ عَلِمْتُهُ ... لِيُوفِيَنى مِنْ طارقٍ غيرُ خالِيا

وربما أسْرَفَ فى القتل فقتل بالواحد ثلاثةً وأربعةً وأَكْثرَ ، وقال الشاعر :

هُمُ قَتَلُوا منكم بِظِنَّةِ واحـدٍ ... ثمانيةً ثم استمَرُّوا فَأَرْتَعوا[٥]

يقول : إنهم اتهموكم بقتل رجل منهم ، فقتلوا منكم ثمانية به[٦] .

فجعل الله الـكعبة البيت الحرام وما حولها من الحرَم ، والشهر الحرام ، والهَدْىَ ، والقلائِدَ ، قِواماً للنـاس ، أى أمْناً لهم ؛ فـكان الرجل إذا خاف على نفسه لجأ إلى الحرَم

---

(١) سورة المائدة ٩٧ .

(٢) هو توبة بن المضرس العبسى ، وترجمته فى المؤتلف والمختلف للآمدى ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٣) الأبيات رواها أبو تمام فى كتاب « الوحشيات » القطعة رقم ١٢١ .

(٤) فى اللسان ٢٠ / ١١٦ « واللغو : ما لا يعد من أولاد الإبل فى دية أو غيرها لصغرها » .

(٥) البيت ذكره ابن قتيبة فى كتاب المعانى الـكبير فى باب الثأر ص ١٠٢١ ولم ينسبه إلى قائل .

(٦) فى المعانى بعد ذلك : « ثم أرتعوا إبلهم آمنين لا يخافون منكم غيرا » .

فأمِنَ . يقول الله جل وعز : ﴿ أَوَ لَمْ يرَوْا أَنَّا جعلْنا حرَماً آمِناً ويتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهم ﴾(١) .

وإذا دخل الشهر الحرام تَقَسَّمَتْهُم الرِّحَلُ ، وتوزَّعَتْهُم النُّجَعُ ، وانبَسطوا فى متاجرهم، وأمنوا على أموالهم وأنفسهم .

وإذا أهْدَى الرجل منهم هَدْياً أو قلَّدَ بعيره من لِحاءِ شجر الحرَم، أمِنَ كيف تصرَّف وحيثُ سلك .

ولو تُرِكَ الناس على جاهليتهم وتَغَاوُرِهِم فى كل موضع وكل شهر ، لفسدت الأرض ، وَفَنِيَ الناس ، وتقطَّعت السُّبُل ، وبطلت المتاجر ، ففعل الله ذلك لعلمه بما فيه من صلاح شئونهم ، وليعلموا أنه كما عَلِمَ مافيه من الخير لهم أنه يعلم أيضاً مافى السّموات ومافى الأرض من مصالح العباد ومَرَافِقِهم ، وأنه بكل شىء عليم .

***

وقولهم : وأين قوله : ﴿ أَلَمْ ترَ أنَّ الفُلْكَ تجْرِى فى البحر بِنِعْمَةِ اللهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آياته ﴾ من قوله ﴿ إنَّ فى ذلك لآياتٍ لِكُلِّ صبَّارٍ شَكُور ﴾(٢) ؟

ولم يُرِد الله فى هذا الموضع معنى الصبر والشكر خاصةً ، وإنما أراد : إن فى ذلك لآياتٍ لكل مؤمن ، والصبر والشكر أفضل ما فى المؤمن من خِلال الخير ، فذكره الله عز وجل فى هذا الموضع بأفضل صفاته . وقال فى موضع آخر : ﴿ إنَّ فى ذلك لآيةً للمؤمنين ﴾(٣) . وفى موضع آخر : ﴿ لقومٍ يتفكرون ﴾(٤) و ﴿ لقومٍ يعقلون ﴾(٥) و ﴿ إنما يتذكَّرُ أولوا الألْباب ﴾(٦) ، يعنى المؤمنين . ومثله قوله تعالى فى قصة سبإ : ﴿ ومزَّقْناهم كلَّ مُمزَّقٍ إنَّ

(١) سورة العنكبوت ٦٧ .
(٢) سورة لقمان ٣١ .
(٣) سورة الحجر ٧٧ .
(٤) سورة النحل ٦٩ .
(٥) سورة النحل ٦٧ .
(٦) سورة الرعد ١٩ .

فى ذلك لآياتٍ لِكلِّ صبَّارٍ شكور ﴾(١) . وهذا كما تقول : إن فى ذلك لآيةً لكلِّ مُوحِّد [٣٧]
مُصَلٍّ ، ولكلِّ فاضلٍ تقىّ ، وإنما تُريد المسلمين .

وقوله : ﴿ كَمَثَلِ غيثٍ أعْجبَ الكُفَّارَ نباتُه ﴾(٢) فإنما يريد بالكفار ههنا الزُّرَّاع ، واحدُهم كافر ، وإنما سُمِّىَ كافراً لأنه إذا ألقى البذر فى الأرض كفره ، أى غطّاه ، وكل شىء غطَّيتَه فقد كفرْتَه ، ومنه قيل : تكَفَّرَ فلان فى السِّلاح : إذا تغطَّى ، ومنه قيل لليل كافر ، لأنه يستر بظلمته كل شىء ، ومنه قول الشاعر(٣) :

يَعْلو طريقةَ مَتْنِها مُتَواتِراً   فى ليلةٍ كَفرَ النُّجُومَ غَمامُها

أى غطّاها . وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ يُعجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغيظَ بهم الكُفَّارَ ﴾(٤) .

***

وأما قوله : ﴿ خالدين فيها ما دامتِ السَّمواتُ والأرضُ إلّا ما شاءَ ربُّك ﴾(٥) ، فإن للعرب فى معنى الأبَدِ ألفاظاً يستعملونها فى كلامهم ، يقولون : لا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار ، وما طَمَى البحر ، أى ارتفع ، وما أقام الجبل ، وما دامت السموات والأرض ، فى أشباه لهذا كثيرة ، يريدون لا أفعله أبدًا ؛ لأن هذه المعانى عندهم لا تتغيّر عن أحوالها أبدًا ، فخاطبهم الله بما يستعملونه فقال : ﴿ خالدين فيها ما دامت السّموات والأرض ﴾ أى مقدار دوامهما ، وذلك مدة العالم ، وللسماء وللأرض وقتٌ يتغيّران فيه عن هيئتهما ، يقول الله تعالى : ﴿ يومَ تُبدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسّمواتُ ﴾(٦) ، ويقول : ﴿ يومَ نَطوى السَّماءَ كطىِّ السِّجلِّ للكُتُب ﴾(٧) .

---

(١) سورة سبأ ١٩ ، وانظر سورة إبراهيم ٥ والشورى ٣٣ .

(٢) سورة الحديد ٢٠

(٣) هو لبيد ، كما فى تفسير الطبرى ١/٨٦ والبيت من معلقته ، قال التبريزى فى شرح القصائد العشر ص ١٤٧ « أى يعلو طريقة متن هذه البقرة مطر متتابع . والطريقة : خطة مخالفة للونها . والمتنان : مكتنفا الظهر . وكفر : غطى . يريد أنها ليلة مظلمة وقد غطى السحاب فيها النجوم » .

(٤) سورة الفتح ٢٩ .

(٥) سورة هود ١٠٧ .

(٦) سورة إبراهيم ٤٨ .

(٧) سورة الأنبياء ١٠٤ .

أراد أنهم خالدون فيها مدة العالم سوى ماشاء الله أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم .

ثم قال : ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ أى غيرَ مقطوع .

و « إلّا » فى هذا الموضع بمعنى « سوى » ومثله من الكلام: لأَسْكُنَنَّ فى هذه الدار حَوْلًا إلا ما شئت ، تريد سِوى ما شئت أن أزيدعلى الحول .

هذا وجه . وفيه قول آخر ، وهو أن يُجْعل دوام السماء والأرض بمعنى الأبد ، على ما تعرف العرب وتستعمل ، وإن كانتا قد تتغيّران ، وتُسْتَثْنى المشيئة من دَوامهما ؛ لأن أهل الجنة وأهل / النار قد كانوا فى وقت من أوقات دوام السماء والأرض فى الدنيا لا فى الجنة [٣٨] فكأنه قال : خالدين فى الجنة وخالدين فى النار دَوَامَ السماء والأرض ، إلا ما شاء ربك من تعميرهم فى الدنيا قبل ذلك .

وفيه وجه ثالث : وهو أن يكون الاستثناء من الخلود مُكْثَ أهل الذنوب من المسلمين فى النار حتى تلحقَهُم رحمة الله ، وشفاعة رسوله ، فيُخْرَجُوا منها إلى الجنة . فكأنه قال سبحانه : خالدين فى النار ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك من إخراج المذنبين من المسلمين إلى الجنة ، وخالدين فى الجنة ما دامت السموات والأرض ، إلا ما شاء ربك من إدخال المذنبين النار مدة من المدد ثم يَصيرُون إلى الجنة .

* * *

وأما قوله : ﴿ لا يَذُوقُونَ فيها الموتَ إلا الموتَةَ الأُولَى ﴾(١) ، فإن « إلّا » فى هذا الموضع أيضاً بمعنى « سِوَى » . ومثله : ﴿ ولا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ من النِّساءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾(٢) يريد سِوَى ما سلَفَ فى الجاهلية قبل النهى .

وإنما استثنى الموتَةَ الأُولى وهى فى الدنيا لأن السُّعداء حين يموتون يصيرون بما شاء الله من لُطْفه وقدرته إلى أسباب من أسباب الجنة ، ويتفاضلون أيضاً فى تلك الأسباب على قدر منازلهم عند الله ، فمنهم من يُلَقّى بالرَّوحِ والرَّيحَان ، ومنهم من يُفتح له بابٌ إلى الجنة ، ومنهم الشهداء أرواحهم فى حواصل طيرٍ خُضْر تَعْلُقُ فى الجنة أى تأكل ، قال الشاعر:

(١) سورة الدخان ٥٦ .

(٢) سورة النساء ٢٢ .

* إن تَدْنُ مِنْ فَنَنِ الألاءَةِ تَعْلَقِ (١) *

وجعفر بن أبى طالب ذوالجناحين يطير مع الملائكة فى الجنة ، والله يقول : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلُوا فى سبيل الله أَمْوَاتًا بل أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِم يُرْزَقُونَ ﴾ (٢) ، أفما ترى أنهم عندنا مَوْتَى وهم فى الجنة مُتَّصلون بأسبابها ؟ فكيف لا يجوز أن يستثنى من مُكْثِهم فيها الموتة الأولى ؟

وأما قوله : ﴿ إِنَّ الذين آمَنُوا وعَمِلُوا الصالحاتِ سَيَجْعَلُ لهم الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ (٣) ، فإنه ليس على تأوُّلهم ، وإنما أراد أنه يجعل لهم فى قلوب / العباد محبَّةً ، فأنت ترى المُخلِصَ [٣٩]
المجتهد مُحبَّباً إلى البَرِّ والفاجر، مَهيباً مذكورًا بالجميل . ونحوه قول الله سبحانه فى قصة موسى صلى الله عليه : ﴿ وأَلْقَيْتُ عليك مَحَبَّةً مِنِّى ﴾ (٤) ، لم يُرِد فى هذا الموضع أنى أحببتك، وإن كان يحبه ، وإنما أراد أنه حبَّبَهُ إلى القلوب ، وقرَّبه من النفوس ، فكان ذلك سبباً لنَجاتِه من فرعون حتى اسْتَحْيَاهُ فى السَّنة التى كان يَقْتُل فيها الوِلْدَان .

وأما قوله : ﴿ وجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ (٥) ، فليس السُّبات ههنا النوم ، فيكونَ معناه : وجعلنا نومكم نَوْماً ، ولكن السُّبَاتَ الراحة ، أى جعلنا النوم راحة لأبدانكم ، ومنه قيل: يوم السبت ، لأن الخلق اجتمع فى يوم الجمعة، وكان الفراغ منه يوم السبت ، فقيل لبنى إسرائيل : استريحوا فى هذا اليوم ، ولا تعملوا شيئاً ، فسُمِّىَ يوم السبت ، أى يوم الراحة ، وأصل السبت : التَّمدُّد ، ومن تَمدَّدَ استراح . ومنه قيل : رجُلٌ مَسْبُوتٌ ، ويقال : سَبَتَتِ المرأةُ شَعْرَها إذا نَقَضَتْهُ من العَقْصِ وأَرْسَلته . قال أبو وَجْزَةَ السَّعْدِى :

وإنْ سَبَتَتْهُ مَالَ جَثْلًا كأنَّهُ سَدَى وَاثِلاتٍ من نَوَاسِجِ خَثْعَمَا (٦)

---

(١) فى اللسان ١٢ / ١٣٥ « وفى الحديث : أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تعلق من ثمار الجنة ، قال الأصمعى : تعلق أى تناول بأفواهها ، وأنشد للكميت يصف ناقته :

أو فوق طاوية الحشى رملية * إن تدن ... تعلق

يقول : كأن قتودى فوق بقرة وحشية ... »

(٢) سورة آل عمران ١٦٩ .

(٣) سورة مريم ٩٦ .

(٤) سورة طه ٣٩ .

(٥) سورة النبأ ٩

(٦) البيت غير منسوب فى أمالى المرتضى ٢ / ١٥ وفيه « سداواهلات » وفى البحر المحيط ٨ / ٤٠٩ « أى إن مدت شعرها مال والتف كالتفاف السدى بأيدى نساء ناسجات » .

ثم قد يسمَّى النوم سُباتاً لأنه بالتمدُّد يكون. ومثل هذا كثير ، وستراه فى باب المجاز إن شاء الله.

وأما قوله : ﴿ قَوَارِيراً قوارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾(١) ، فقد أعلمتُكَ أن كل ما فى الجنـة من آلتها وسرُرِها وفرُشِها وأكْوابها مُخالِفٌ لمـا فى الدنيا من صنعة العباد(٢) ، وإنما دلّنا الله بما أراناهُ من هذا الحاضر على ما عنده من الغائب . وقال ابن عباس : ليس فى الدنيا شىء مما فى الجنة إلا الأسماء . والأكواب : كِيزان لا عُرَى لها ، وهى فى الدنيا قد تـكون من فضة وتـكون من قوارير .

فأعْلَمَنَا أن هناك أكواباً لها بياض الفِضَّة وصفاء القوارير ، وهذا على التشبيه أراد قوارير [٤٠]
كأنها من فضة ، كما تقول : أتانا بشراب من نور ، أى كأنه / نور .

وقال قَتَادَة فى قول الله عز وجل : ﴿ كأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ والمَرْجَان ﴾(٣) أى لهنّ صفاء الياقوت وبياض المَرْجَان .

***

وأما قوله : ﴿ حِجارةً من طِينٍ ﴾(٤) ، فإن ابن عباس رضى الله عنه ذكر أنها آجُرّ . والآجرّ حجارة الطين ؛ لأنه فى صلابة الحجارة .

وقَرَأْتُ فى التَّوْراة بعد ذكر أنساب ولد نوح صلى الله عليه: أنهم تفرّقوا فى كل أرض ، وكانت الأرضُ لِساناً واحداً ، فلما ارتحلوا من المشرق وجدوا بقعة فى الأرض اسمها «سُعِير» فحلوا بها ، ثم جعل الرجل منهم يقول لصاحبه : هَلُمَّ فَلْنَلْبِّن لَبناً فنُحَرِّقَهُ بالنار فيكون اللَّبِنُ حجارة ، ونبنى مِجْدَلاً(٥) رأسه فى السماء .

وذكر بعض من رأى هذه الحجارة أنها حُمْرٌ مختّمةٌ . وقال آخرون : مُخَطَّطَةٌ وذلك تسويمها ، ولهذا ذهب قومٌ فى تفسير سجّيل إلى سِنْكِ وَكِل . أى حجر وطين(٦) .

---

(١) سورة الإنسان ١٦ .

(٢) راجع ص ٥٠

(٣) سورة الرحمن ٥٨ .

(٤) سورة الذاريات ٣٣ .

(٥) فى اللسان ١١٠/١٣ « المجدل : القصر المشرف لوثاقة بنائه ، وجمعه مجادل » .

(٦) اللسان ٣٤٧/١٣ .

وأما قوله: ﴿ فإنْ كُنْتَ فى شَكٍّ مِمَّا أنزَلْنا إِلَيْكَ فاسْئَل الذين يقرءُون الـكتابَ مِنْ قَبلِكَ ﴾(١) ، فإن المخاطبة لرسول الله صلى الله عليه ، والمرادُ غيره من الشُّـكّاك ؛ لأن القرآن نزل عليه بمذاهب العرب كلها ، وهم قد يخاطبون الرجل بالشىء ويريدون غيره . والجواب عن هذا مستقصى فى باب الـكناية والتعريض ، فـكرهْتُ إعادتَه فى هذا الموضع .

***

وأما قوله : ﴿ ولهُمْ رِزْقهُمْ فيها بُـكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾(٢) ، فإن الناس يختلفون فى مطاعمهم فمنهم من يأكل الوجْبةَ(٣) ، ومنهم من عادته الغداء والعَشاء ، ومنهم من يزيد عليهما ، ومنهم من يأكل متى وجَد لغير وقْتٍ ولا عدد . فأعْدَلُ هـذه الأحوال للطَّاعِمِ وأنفعُها وأبعدُها من البَشَم والطَّوَى(٤) على العموم الغَدَاء والعَشاء . والعرب تـكره الوجبة ، وتستحبُّ العَشاء ، وتقول : ترْكُ العَشاء مَهْرَمَة ، وترك العشاء يذهب بلحم الـكاذَة(٥) .

وقد بيّنتُ معناهم فى هذا القول فى كتاب « غريب الحديث » .

[٤١] ونحن لا نعرف دهراً لا يَخْتَلِفُ له وقتٌ ، ولا يُرَى فيه ظلامٌ / ولا شمسٌ ، فأراد الله جل وعز أن يُعرِّفنَا من حيث نفهَم ونعلَم ، أحوال أهل الجنة فى مأكلهم ، واعتدال أوقات مطاعمهم ، فضرب لنا البُكْرَةَ والعَشِيّ مَثَلا : إذ كانا يدلّان على العشاء والغداء .

ورَوَى عبد الرّزّاق ، عن معمر ، عن قتادة ، أنه قال : كانت العرب إذا أصاب أحدُهم الغداء والعشاء أعجبه ذلك ، فأخبرهم الله تبارك وتعالى أن لهم فى الجنة هذه الحال التى تعجبهم فى الدنيا .

***

---

(١) سورة يونس ٩٤ ، ٩٥ .

(٢) سورة مريم ٦٢ .

(٣) فى اللسان ٢/٢٩٥ « الوجبة الأكلة فى اليوم والليلة مرة واحدة » .

(٤) فى هامش م « البشم : التخمة ، والطوى : الجوع » .

(٥) فى اللسان ٥/٤١ : « الـكاذة : لحم مؤخر الفخذين » .

وأما قوله : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عليها غدوًّا وعَشِيًّا ﴾[١] ، فإنه لم يُرِد أن ذلك يكون فى الآخرة ، وإنما أراد أنهم يُعرَضون عليها بعد مماتهم فى القبور ، وهذا شاهدٌ من كتاب الله لعذاب القبر ، يدلك على ذلك قوله : ﴿ ويَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ ﴾ ، فهم فى البَرْزَخ يُعرضون على النار غُدُوًّا وعَشِيًّا ، وفى القيامة يُدْخَلُون أشد العذاب .

* * *

وأما قوله : ﴿ مَثَلُ الجنَّةِ التى وُعِدَ المُتَّقُونَ ﴾[٢] ، ولم يأت بالشىء الذى جعل له الجنة مَثَلًا ، فإن أصل المَثَل ما ذهبوا إليه من معنى المِثْل ، تقول : هـذا مِثْلُ الشىء ومَثَلُه ، كما تقول : هذا شِبْهُ الشىء وشَبَهُه .

ثم قد يصير المَثَلُ بمعنى صورة الشىء وصِفَته ، وكذلك المِثَالُ والتِّمْثالُ ، يقال للمرأة الرّائقة : كأنها مِثَالٌ وكأنها تِمْثَالٌ ، أى صورة ، كما يقال : كأنها دُمْيَةٌ ، أى صورة ، وإنما هى مَثَل ، وقد مَثَّلْتُ لك كذا ، أى صوَّرْته ووصفته .

فأراد الله بقوله : مَثَلُ الجنة ، أى صورتها وصفتها .

وروى أن عليًّا رحمه الله كان يقرأ : مِثَالُ الجنة أو أمْثَالُ[٣] الجنة ، وهو بمنزلة مَثَلٍ ، إلا أنه أوضح وأقرب فى أفهام الناس إلى المعنى الذى تأوّلناه فى مَثَل .

ونحوه قوله : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا ، سِيمَاهُمْ فى وُجُوهِهم مِنْ أَثَرِ [٤٢]
السُّجُودِ ﴾ ، ثم قال : ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فى التَّوْراةِ وَمَثَلُهُم فى الإنْجِيلِ ﴾[٤] أى ذلك وصفهم

---

(١) سورة غافر ٤٦ .

(٢) سورة الرعد ٣٥.

(٣) فى القراءات الشاذة لابن خالويه ص ٦٧ « أمثال الجنة بالجمع ، على بن أبى طالب ، وابن مسعود ، والسلمى ، رحمهم الله » .

(٤) سورة الفتح ٢٩ .

لأنه يَضْرِبُ لهم مَثَلًا فى أوّل الكلام ، فيقول : ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ ﴾ وإنما وَصَفَهم وحَلّاهم ثم قال : ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ ﴾ أى وَصْفُهم .

وقوله : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا له ﴾ ، ثم قال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا ولو اجْتَمَعُوا له ﴾(١) ، ولم يأت بالمثل ؛ لأن فى الكلام معناه ، كأنه قال : يأيها الناس مثلكم مثل من عَبَد آلهة اجتمعت لأن تَخْلُقَ ذُباباً فلم تقدر عليه ، وسَلَبها الذباب شيئاً فلم تَسْتَنْقِذْهُ منه .

ومِثْلُ هذا فى القرآن وكلام العرب أشياء قد اقْتَصَصْنَاها فى أبواب المجاز .

***

وأما قوله : ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ ، أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإنما عَلَيْكَ البَلاغُ وعَلَيْنَا الحِساب ﴾(٢) ، فإنه لم يُرِد أن عليك البلاغ بعد الوفاة كما ظنُّوا ، وإنما أراد : إن أَرَيْناكَ بعض الذى نعدهم فى حياتك ، أوتوفيناك قبل أن نُرِيَك ذلك ، فليس عليك إلا أن تُبلِّغ ، وعلينا أن نُجازِى .

ومِثْل هذا : رجل بَعَثْتَه والياً وقلتَ له : سِرْ إلى بلد كذا فادْعُهم ، فإن استجابوا لك فأَحْسِن فيهم السيرة ، وابسط المَعْدِلة ، وإن عَصَوْكَ فعِظْهم وحذِّرهم عقاب المعصية ، فإن أقاموا على الغَوَايَةِ أعلمتَنى لِيأتيهم النَّكِيرُ . فصار إليهم فمانَعُوه ، ووعظهم فخالفوه ، وأقام حيناً مُسْتَبْطِئًا ما أوعدتهم به ، فقلت : إن أريناك ما وعدناهم من العقوبة أو عزلناك قبل أن نُرِيَك ذلك فليس لك أن تَسْتَبْطِئَنا ، إنما عليك التّبليغ والعِظَة ، وعلينا الجزاء والمكافأة .

***

---

(١) سورة الحج ٧٣ .

(٢) سورة الرعد ٤٠ .

وأما قوله : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الجُوعِ والخوْفِ ﴾(١) .

وقوله : ﴿ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾(٢) .

وقوله : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالحَقِّ ﴾(٣) .

وقوله : ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الخُرْطُومِ ﴾(٤) .

فقد ذكرنا الجواب عن ذلك فى باب المجاز ، وكرِهْنا إعادتَه فى هذا الموضع / وستراه [٤٣] هناك كافياً ، إن شاء الله .

---

(١) سورة النحل ١١٢ .

(٢) سورة الأحزاب ١٠ .

(٣) سورة الأنفال ٥ .

(٤) سورة القلم ١٦ .

باب المتشابه

وأما قولهم : ماذا أراد بإنزال المتشابه فى القرآن، مَنْ أراد بالقرآن لعباده الهدى والتّبيان ؟

فالجواب عنه: أن القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها ، ومذاهبها فى الإيجاز والاختصار ، والإطالة والتوكيد ، والإشارة إلى الشىء ، وإغماض بعض المعانى حتى لا يظهر عليه إلا اللَّقِنُ(١) ، وإظهار بعضها ، وضرب الأمثال لما خَفِى .

ولو كان القرآن كله ظاهراً مكشوفاً حتى يستوى فى معرفته العالم والجاهل، لَبَطَلَ التفاضُلُ بين الناس ، وسقطت المِحْنَة ، وماتت الخواطر .

ومع الحاجة تقع الفِكْرَة والحيلة ، ومع الكِفَايَة يقع العجز والبلادَة .

وقالوا : عَيْبُ الغِنى أنه يُورِثُ البَلَه ، وفضيلة الفقر أنه يبعث الحيلة .

وقال أكْثَمُ بن صَيْفِىّ : ما يسُرُّنى أنى مَكفِىٌّ كُلَّ أمرِ الدنيا . قيل له : ولِمَ ؟ قال : أكره عادة العجز .

وكل باب من أبواب العلم: من الفقه والحساب والفرائض والنحو، فمنه مايجلُّ، ومنه مايَدِقُّ، ليرتقى المتعلم فيه رُتبةً بعد رتبة ، حتى يبلُغَ منتهاه ، ويُدرِكَ أقصاه ؛ ولتكون للعالم فضيلةُ النظر ، وحسنُ الاستخراج ، ولتقع المثوبةُ من الله على حسن العناية .

ولو كان كل فن من العلوم شيئاً واحداً: لم يكن عالم ولا متعلم ، ولا خفىٌّ ولا جَلىٌّ ؛ لأن فضائل الأشياء تُعرف بأضدادها ، فالخيرُ يُعرف بالشر ، والنفعُ بالضرّ ، والحلو بالمر ، والقليلُ بالكثير ، والصغيرُ بالكبير ، والباطن بالظاهر .

وعلى هذا المثال كلامُ رسول الله صلى الله عليه ، وكلام صحابته والتابعين ، وأشعار الشعراء، وكلام الخطباء ، ليس منه شىء إلا وقد يأتى فيه المعنى اللطيف الذى يتحيّر فيه العالِمُ المُتقدِّم، ويقرّ بالقصور عنه النقَّاب المبرِّز .

---

(١) فى اللسان ١٧/٢٧٥ « لقن : سريع الفهم . وفى حديث الهجرة ويبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر ، وهو شاب ثقف لقن أى فهم حسن التلقين لما يسمعه » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تجدُون الناس كإبلٍ مائةٍ/ ليس فيها راحلة[١]. [٤٤]

وقال: لا تستضيئوا بنار المشركين[٢].

وقال: إنّ ممَّا يُنبت الرّبيعُ ما يَقْتُلُ حَبَطاً أو يُلِمُّ[٣].

وقال للضحَّاك بن سفيان حين بعثه إلى قومه: إذا أتيتهم فارْبِضْ فى دارِهم ظَبْياً[٤].

وقال: الكاسِيَاتُ العاريات لا يَدْخُلْنَ الجنة[٥].

وكتب فى كتاب صلح[٦]: وإن بيننا وبينكم عَيْبَةً مكْفوفَةً.

---

(١) قال ابن دريد فى المجتنى ص ٣٣ « يريد عليه السلام أن الناس كثير والمرضىّ منهم قليل، كما أن المائة من الإبل لا تصاب فيها الراحلة الواحدة ».

(٢) فى اللسان ١٠٧/١ « أى لا تستشيروهم، ولا تأخذوا آراءهم، جعل الضوء مثلا للرأى عند الحيرة ».

(٣) راجع الحديث بتمامه، وشرح الأزهرى له فى اللسان ٩ / ١٣٨ — ١٤٠ والحبط: أن تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها ولا يخرج عنها مافيها. وفى اللسان ٢٣/١٦ « أو يلم، قال أبوعبيد: معناه أو يقرب من القتل » وفيه ١٣٩/٩ « قال الأزهرى. فأما قوله صلى الله عليه وسلم: وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا فهو مثل الحريص والمفرط فى الجمع والمنع، وذلك أن الربيع ينبت أحرار العشب التى تحلوليها الماشية فتستكثر منها حتى تنتفخ بطونها وتهلك، كذلك الذى يجمع الدنيا ويحرص عليها ويشح على ما جمع حتى يمنع ذا الحق حقه منها — يهلك فى الآخرة بدخول النار واستيجاب العذاب ... »

(٤) فى اللسان ٢٤٨/١٩ « وتأويله أنه بعثه إلى قوم مشركين ليتبصر ماهم عليه، ويتجسس أخبارهم، ويرجع إليه بخبرهم، وأمره أن يكون منهم بحيث يراهم ويتبينهم ولا يستمكنون منه، فإن أرادوه بسوء أو رابه منهم ريب تهيأ له الهرب وتفلت منهم، فيكون مثل الظبى الذى لا يربض إلا وهو متباعد متوحش بالبلد القفر، ومتى ارتاب أو أحس بفزع نفر ... وقال القتيبى: قال ابن الأعرابى: أراد: أقم فى دارهم آمنا لا تبرح كأنك ظبى فى كناسه قد أمن لا يرى إنسا » وانظر اللسان ٩/٩.

(٥) فى اللسان ٢٠ / ٨٨ « قيل: أراد أنهن يلبسن ثيابا رقاقا يصفن ما تحتها من أجسامهن، فهن كاسيات فى الظاهر عاريات فى المعنى ».

(٦) فى اللسان ١٢٥/٢ « وفى الحديث: أنه أملى فى كتاب الصلح بينه وبين كفار أهل مكة بالحديبية: لا إغلال ولا إسلال، وبيننا وبينهم عيبة مكفوفة .. وروى عن ابن الأعرابى أنه قال: معناه: إن بيننا وبينهم فى هذا الصلح صدراً معقوداً على الوفاء بما فى الكتاب نقيا من الغل والغدر والخداع. والمكفوفة: المشرجة المعقودة. والعرب تكنى عن الصدور والقلوب التى تحتوى على الضمائر المخفاة بالعياب، وذلك أن

وقال : أَجِدُ نَفَسَ ربِّكم من قِبَلِ اليمن (١) .

وقال أبو بكر الصديق : نحن حَفْنَةٌ من حَفَنَاتِ الله (٢) .

وقال عمر بن الخطاب للعريف الذى أتاه بالمنبوذ (٣) : عَسَى الغُوَيْرُ أَبْؤُسًا .

وقال علىّ بن أبى طالب : من يَطُلْ هَنُ أبيه يَنْتَطِقْ به (٤) .

وحُدِّثتُ عن الأصمعى أنه قال : أعيانى أن أعلم معنى قول عمر : أيما رجلٍ بايع عن

الرجل إنما يضع فى عيبته حر متاعه ، وصون ثيابه ، ويكتم فى صدره أخص أسراره التى لا يحب شيوعها ، فسميت الصدور والقلوب عيابا تشبيها بعياب الثياب .. وقال بعضهم: أراد به: الشر بيننا مكفوف كما تكف العيبة إذا أشرجت . وقيل : أراد أن بينهم موادعة ومكافة عن الحرب يجريان مجرى المودة التى تكون بين المتصافيين الذين يثق بعضهم إلى بعض » .

(١) فى اللسان ٨/١٢٢ « وفى رواية : أجد نفس الرحمن . يقال : إنه عنى بذلك الأنصار ؛ لأن الله عز وجل نفس الكرب عن المؤمنين بهم وهم يمانون ، لأنهم من الأزد ، ونصرهم بهم وأيدهم برجالهم ، وهو مستعار من نفس الهواء الذى يرده التنفس إلى الجوف فيبرد من حرارته ويعدلها ، أو من نفس الريح الذى يتنسمه فيستروح إليه ، أو من نفس الروضة ، وهو طيب روائحها فينفرج به عنه ... »

(٢) فى اللسان ١٦/٢٨٠ « الحفن : أخذك الشىء براحة كفك والأصابع مضمومة .. وملء كل كف حفنة ، ومنه قول أبى بكر رضى الله عنه فى حديث الشفاعة : إنما نحن حفنة من حفنات الله . أراد أنا على كثرتنا قليل يوم القيامة عند الله كالحفنة ، أى يسير بالإضافة إلى ملكه ورحمته ، وهى ملء الكف، على جهة المجاز والتمثيل ، تعالى الله عز وجل عن التشبيه » .

(٣) المنبوذ : اللقيط ، وفى اللسان ٦/٣٤٣ « قال ثعلب : أتى عمر بمنبوذ فقال: عسى الغوير أبؤسا، أى عسى الريبة من قبلك ... قال الأزهرى : وذلك أن عمر اتهمه أن يكون صاحب المنبوذ حتى أثنى على الرجل عريفه خيراً ، فقال عمر : هو حر وولاؤه لك . وقال أبو عبيد : كأنه أراد عسى الغوير أن يحدث أبؤسا أو أن يأتى بأبؤس » والغوير : تصغير غار ، والأبؤس : جمع بؤس وهو الشدة . وأصل المثل الذى تمثل به عمر أن قوما حذروا عدواً لهم ، فاستكنوا منه فى غار ، فقال بعضهم : عسى الغوير أبؤسا ، يقول : لعل البلاء يجىء من قبل الغار ، فكان كذلك ، احتال العدو حتى دخل عليهم من وهى كان فى قفا الغار فأسروهم ، وقيل فى أصل المثل غير ذلك وأنه من قول الزباء . وهو يضرب للرجل يخبر بالشىء فيتهم فيه . قال ابن الأثير : وأراد عمر بالمثل : لعلك زنيت بأمه وادعيته لقيطا ، فشهد له جماعة بالستر فتركه » راجع جمهرة الأمثال ص ١٤٣ ومجمع الأمثال ١/٤٧٧ واللسان ٦/٣٤٤ .

(٤) فى اللسان ١٢/٢٣٣ « أى من كثر بنو أبيه يتقوى بهم » وانظر جمهرة الأمثال ١٨٧ ومجمع الأمثال ٢/٢٥٦ .

غير مُشَاوَرَةٍ ، فلا يُؤَمَّرُ واحِدٌ منهما تَغِرَّةً أن يُقْتَلا(١) .

وقال المازِنِيّ : سألت الأخفش عن حرفٍ رواه سيبويه عن الخليل فى « باب من الابتداء يُضْمَرُ فيه ما يُبنَى على الابتداء » ، وهو قوله : «ما أَغْفَلَهُ عنك شيئًا ، أى دَعِ الشّكَّ(٢)» : ما معناه ؟

قال الأخفش : أنا مذ وُلِدْتُ أسأل عن هذا(٣) .

وقال المازنىّ : سألت الأصمعى وأبا زيد ، وأبا مالكٍ عنه ، فقالوا : ما ندرى ما هو .

***

والعرب تقول : حَوْرٌ فى مَحَارَةٍ(٤) .

وجَرْىُ المُذَكِّيَاتِ غِلابٌ(٥) .

---

(١) فى اللسان ٦/٣١٦ « التغرة : مصدر غررته ، إذا ألقيته فى الغرر ، وهو من التغرير كالتعلة من التعليل . . قال ابن الأثير : ومعنى الحديث أن البيعة حقها أن تقع صادرة عن المشورة والاتفاق ، فإذا استبد رجلان دون الجماعة فبايع أحدهما الآخر فذلك تظاهر منهما بشق العصا واطراح الجماعة ، فإن عقد لأحد بيعة فلا يكون المعقود له واحداً منهما ، وليكونا معزولين من الطائفة التى تتفق على تمييز الإمام منها؛ لأنه لو عقد لواحد منهما وقد ارتكبا تلك الفعلة الشنيعة التى أحفظت الجماعة من التهاون بهم والاستغناء عن رأيهم لم يؤمن أن يقتلا ، هذا قول ابن الأثير وهو مختصر قول الأزهرى ؛ فإنه يقول : لا يبايع الرجل إلا بعد مشاورة الملأ من أشراف الناس واتفاقهم ، ثم قال : ومن بايع رجلا من غير اتفاق من الملأ لم يؤمر واحد منهما تغرة بمكر المؤمر منهما ، لئلا يقتلا أو أحدهما . وقوله : أن يقتلا أى حذرا أن يقتلا وكراهة أن يقتلا . قال الأزهرى : وما علمت أحدا فسر من حديث عمر ما فسرته ، فافهمه »

(٢) راجع كتاب سيبويه ١/٢٧٩ .

(٣) قال أبو سعيد السيرافى : لم يفسر هذا الحرف فيما مضى إلى أن مات المبرد ، وفسره أبو إسحاق الزجاج بعد ذلك فقال : معناه على كلام تقدم ، كأن قائلا قال : زيد ليس بغافل عنى ، فقال المجيب : بلى ما أغفله عنك انظر شيئاً ، أى تفقد أمرك ، فاحتج به على الحذف ، يريد حذف الناصب شيئاً . راجع هامش سيبويه ١/٢٧٩ .

(٤) فى اللسان ٥ / ٢٩٧ « معنى المثل : نقصان فى نقصان ورجوع فى رجوع ، يضرب للرجل إذا كان أمره يدبر » وانظر جمهرة الأمثال ص ٨٩ ومجمع الأمثال ١/٢٠٤ .

(٥) المثل لقيس بن زهير العبسى ، وهو يضرب لمن يوصف بالتبريز على أقرانه فى حلبة الفضل . =

وعِيلَ ما هو عائلُه (١) .

وإنّهُ لَشَرّابٌ بأنْقُعٍ (٢) .

وعاطٍ بغير أنْوَاطٍ (٣) .

وإلّادَهِ فَلادَهِ (٤) .

والنُّفاضُ يُقَطِّرُ الجَلَبَ (٥) .

= جاء فى اللسان ١٨ / ٣١٥ « المذاكى من الخيل التى أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ، والمذكى أيضاً من الخيل الذى يذهب حضره وينقطع . وفى المثل : جرى المذكيات غلاب ، أى جرى المسان القرح من الخيل أن تغالب الجرى غلابا » وانظره فى جمهرة الأمثال ٧٨ ومجمع الأمثال ١/١٦٦ .

(١) فى اللسان ١٣/٥١١ « أى غلب ماهو غالبه، يضرب للرجل الذى يعجب من كلامه أو غيرذلك، وهو على مذهب الدعاء » وانظر مجمع الأمثال ١/٤٨٣ وجمهرة الأمثال ص ١٣٨ .

(٢) الأنقع : جمع نقع وهو الموضع الذى يستنقع فيه الماء ، وأصله الطائر إذا كان حذرا ورد المناقع فى الفلوات حيث لا يبلغ القناص ، ولا تنصب له الأشراك ، كذلك الرجل الحذر لا يتقحم الأمور . وقيل فى معنى المثل غير ذلك . راجع اللسان ١٠/٢٣٩ـ٢٤٠ وجمهرة الأمثال ص ١٢٢ ومجمع الأمثال ١/٣٧٤ والصاحبى ٤٠ .

(٣) العطو : التناول ، والأنواط : جمع نوط ، وهو كل شىء معلق . يقول : هو يتناول وليس هناك معاليق . يضرب لمن يدعى ما ليس يملكه . راجع مجمع الأمثال ١ / ٤٨٤ وجمهرة الأمثال ص ١٤١ واللسان ٩/٢٩٦ .

(٤) فى اللسان ١٧ / ٣٨٣ « وقولهم : إلاده فلاده ، معناه : إن لم يكن هذا الأمر فلا يكون بعد الآن ، ولا يدرى ما أصله ... وقال أبو زيد : تقول : إلاده فلاده يا هذا ، وذلك أن يوتر الرجل فيلقى واتره فيقول له بعض القوم : إن لم تضربه الآن فإنك لا تضربه . قال الأزهرى : هذا القول يدل على أن ده فارسية ، معناها الضرب ، تقول للرجل إذا أمرته بالضرب : ده .. وقال ابن الأعرابى : العرب تقول: إلاده فلاده ، يقال للرجل إذا أشرف على قضاء حاجته من غريم له ، أو من ثأره ، أو من إكرام صديق له : إلاده فلاده ، أى إن لم تغتنم الفرصة الساعة فلست تصادفها أبداً » وانظر اللسان ١٤/٩٢، ١٨/٣٠٢ ومجاز القرآن ٣٩ ـ ا ، وديوان رؤبة ١٦٦ ، ومقاييس اللغة ٢ / ٢٦٢ ، والعقد الفريد ٣ / ١٢٤ ، ومجمع الأمثال ١/٤٦ ، وجمهرة الأمثال ٢٣ .

(٥) النفاض ـ بفتح النون وضمها ـ فناء الزاد ، والجلب : المجلوب للبيع . يقول : إذا ذهب طعام القوم أو ميرتهم قطروا إبلهم التى كانوا يضنون بها، فجلبوها للبيع فباعوا واشتروا بثمنها ميرة ، راجع اللسان ٩/١٠٨ ، ومجمع الأمثال ٢/٣٠٠ .

وبه داءُ ظَبْى (١) .

وأراكَ بَشَرُهُ ما أحارَ مِشْفرُهُ (٢) .

وأفلَتَ فلانٌ بجُرَيْعَةِ الذَّقَن (٣) .

وغُبارُ ذَيْلِ المرأة الفاجرة يُورِثُ السِّلَّ (٤) .

وهو كبَارِحِ الأُرْوِىِّ (٥) .

وعَبْدٌ وخَلًى فى يديه (٦) .

---

(١) فى اللسان ١٩ / ٢٤٨ « ومن أمثالهم فى صحة الجسم : بفلان داء ظبى . قال أبو عمرو : معناه أنه لا داء به ، كما أن الظبى لا داء به » ، وفى جمهرة الأمثال ص ٥٧ : « ولا تخلو الظباء من الأدواء كسائر الحيوان ، ولكن لما رأتها العرب تفوت الطالب ، ولا يقدر على لحاقها المجتهد، نسبوا ذلك إلى صحة منها فى أجسامها فقالوا : لا داء بها ... »

(٢) فى ذيل الأمالى ص ١٠١ : « يريد إذا رأيت جسمه أغناك عن طعمه » ، وفى اللسان ٦/ ٨٨ : « أى أغناك الظاهر عن سؤال الباطن ، وأصله فى البعير » ، وفى جمهرة الأمثال ص١٩ : « أى ما اعتلفته الدواب ليبين فى أجسامها » ، وفى مجمع الأمثال ٢ / ٣٠٢ : « أى لما رأيت بشرته أغناك ذلك أن تسأل عن أكله ، يضرب للرجل ترى له حالا حسنة أو سيئة . ومعنى أحار : رد ورجع ، وهو كناية عن الأكل يعنى ما رد مشفرها إلى بطونها مما أكل ، يقال : حارت الغصة : إذا انحدرت إلى الجوف وأحارها صاحبها أى حدرها » .

(٣) فى اللسان ٩/ ٣٩٦ « أى وقرب الموت منه كقرب الجريعة من الذقن ، وذلك لما أشرف على التلف ثم نجا . قال الفراء : هو آخر ما يخرج من النفس ، يريدون أن نفسه صارت فى فيه فكاد يهلك فأفلت وتخلص ... » ، وفى مجمع الأمثال ٢ / ١٦ : « وصغر جريعة تصغير تحقير وتقليل ؛ لأن الجرعة فى الأصل : اسم للقليل مما يتجرع كالحسوة والغرفة وأشباهها ... »

(٤) فى اللسان ١٣/ ٣٦٣ : « وفى الحديث : غبار ذيل المرأة الفاجرة يورث السل ، يريد أن من اتبع الفواجر وفجر ، ذهب ماله وافتقر ، فشبه خفة المال وذهابه بخفة الجسم وذهابه إذا سل » .

(٥) فى اللسان ٣ / ٢٣٤ : « برح الظبى ، بالفتح ، بروحا : إذا ولاك مياسره يمر من ميامنك إلى مياسرك ، وفى المثل : إنما هو كبارح الأروى قليلا ما يرى . يضرب ذلك للرجل إذا أبطأ عن الزيارة ؛ وذلك أن الأروى يكون مساكنها فى الجبال من قنانها ، فلا يقدر أحد عليها أن تسنح له ، ولا يكاد الناس يرونها سانحة ولا بارحة إلا فى الدهور مرة » وانظر مجمع الأمثال ١/ ٧١ .

(٦) فى اللسان ١٨ / ٢٦٦ : « الخلى : الرطب من النبات واحدته خلاة ... وجاء فى المثل : عبد وخلى فى يديه ، أى أنه مع عبوديته غنى ، قال يعقوب : ولا تقل وحلى فى يديه » ، وانظره فى مجمع الأمثال ١/ ٤٦٦ ، وفيه : « يضرب فى المال يملكه من لا يستأهله » .

ورَمَّدَتِ الضأنُ فَرَبِّق رَبِّق ، ورمَّدَت المِعْزَى فَرَنِّق رَنِّق (١) .

وأَفْوَاهُهَا مَجَاسُّها (٢) .

ونِجَارُها نارُها (٣) .

فى أشباهٍ لهذا كثيرةٍ، لولا العلماء المُنَقِّبون فى البلاد ، المُنقِّرون عن الخَبْء ، الناظِرُون للخُلوفِ ، الطالبون أعْقَابَ الأحاديث ، ولسانَ الصِّدْقِ فى الباقين ـ لَطَالَ علينا أن نطّلِع على خفيّاتها، أو نُظهِرَ مستورَها / [٤٥]

وإن آثرت أن تعرف معانيها التَمَسْتَهَا فى كتابنا المؤلف فى « تفسير غريب الحديث » فإنك واجدُها أو أ كثرَها هناك، إن شاء الله تعالى .

وحدثنى أبو حاتم ، عن الأصمعى أنه قال : سألت عيسى بن عمر عن قول أميــة ابن أبى الصَّلْت :

والأرْضُ نَوَّخَها الإلهُ طَرُوقَةً ... للماءِ حتَّى كُلُّ زَنْدٍ مُسْفَدِ (٤)

فقال : لا أعرِفه ، وقد سألت عنه فلم أجِدْ مَنْ يعرِفه .

---

(١) فى مجمع الأمثال ١/٣٠٥ « الترميد : أن تعظم ضروعها ، فإذا عظمت لم تلبث الضأن أن تضع . وربق : أى هيء الأرباق ، وهى جمع ربق ، والواحدة ربقة ، وهو أن يعمد إلى حبل فيجعل فيــه عرا يشد فيها رءوس أولادها . يضرب لما لا ينتظر وقوعه انتظارا طويلا . وفى ضده يقال : رمدت المعزى فرنق رنق ، الترنيق والترميق : الانتظار ، وإنما يقال هذا لأنها تبطىء وإن عظمت ضروعها » ، وانظر اللسان ٤/١٦٨ ، ١١/٤٠٣ ، ٤١٩ .

(٢) فى اللسان ٧/٣٣٧ « لأن الإبل إذا أحسنت الأكل اكتفى الناظر بذلك فى معرفة سمنها من أن يجسها » .

(٣) فى اللسان ٧/٤٥ « النجر والنجار : الأصل والحسب واللون » ، وفيه ص ١٠٢ « والنار : السمة . والعرب تقول : ما نار هذه الناقة ؟ أى ما سمتها ، سميت ناراً لأنها بالنار توسم ... ومن أمثالهم : نجارها نارها ، أى سمتها تدل على نجارها ، يعنى الإبل ، قال الراجز يصف إبلا سماتها مختلفة :

نجار كل إبل نجارها ... ونار إبل العالمين نارها

يقول : اختلفت سماتها ؛ لأن أربابها من قبائل شتى ، فأغير على سرح كل قبيلة ، واجتمعت عند من أغار عليها سمات تلك القبائل كلها » .

(٤) ديوانه ص ٢٣ ، واللسان ٤/٢٠٣ « والأرض صيرها » ، وفى ص ٣٢ « وقولهم : نوخ الله الأرض طروقة للماء ، أى جعلها مما تطيقه » ، وانظر الحيوان ٣/٣٦٣ ، ٣٦٥ .

فهذا الأصمعى، وعيسى بن عمر ، ومن سأله عيسى من أهل اللّغة ، لم يعرفوا هذا البيت؛ وفسَّرَه من دُونَهُم فقال : معناه : أن الله جعل الأرض كالأُنثى للماءِ ، وجعلَ المـاءَ كالذكر للأرض ، فإذا مُطِرَت أَنبَتَتْ .

ثم قال : وهكذا كل شيء حتى الزُّنُودُ ، فإن أعلى الزّندين ذَكَرٌ ، والأسفل أنثى ، والنار لهما كالولد .

ومُسفَدٌ بمعنى: مُنْـكَحٍ . تقول : سَفِدَ الذكرُ الأنثى ، واللهُ أَسْفَدُ ، كما تقول : نـكح والله أَنْـكَحَه .

ومثل هذا قول ذى الرُّمة :

وَسُقْطٍ كعين الدِّيك عاوَرْتُ صُحْبَتى   أَبَاهَا وَهَيَّأْنَا لِمَوْقِعِهَا وَكْرَا[1]
مُشَهَّرَةٍ لا تُمْكِنُ الفَحْلَ أُمُّهَا   إذا هى لم تُمسك بأطرافها قَسْرا[2]

أراد بالسِّقط : النار ، وأراد بالأب : الزَّنْد الأعلى ، وبالأمّ : الزند الأسفل .

وحدثنى أبو حاتم عن الأصمعى أيضاً عن عيسى بن عمر ، أنه قال : لا أدرى ما معنى قول أميّة بن أبى الصّلت الثّقفى ، ولا رأيت أحداً يُحْسِنُه :

عَسَلٌ مّا ومِثْلُه عُشَرٌ ما   عائلٌ مّا وَعَالَتِ البَيْقُورا[3]

هكذا رواه « عسَلٌ مّا » . وإنما هو : « سلعٌ ما » .

ومعنى البيت: أنهم كانوا يَسْتَمْطِرُون بالسَّلَع والعُشَرِ، وهاضربانِ من الشجر، فيعقدونهما فى أذناب البقر ، ويضرمون فيهما النار .

وقوله : وعالت البيقورا ، يعنى: سنةُ الجَدْب أثقَلتِ البقر بما حُمِّلَت من الشجر والنار فيها ، والعائلُ : الفقير .

---

(١) فى ديوانه ص ١٧٥ « عاورت صاحبى » ، واللسان ٦/٢٩٧ .

(٢) فى الديوان : « إذا نحن لم نمسك » .

(٣) ديوانه ص٣٦ ، واللسان ٥/١٤٠ ، ١٣/٥١٦ ، ١٩/٣١٩ ،وفيه:«وعال علىّ ، أى أحمل، ومنه قول أمية .. أى أن السنة الجدبة أثقلت البقر بما حملت من السلع والعشر » ، وانظر الحيوان ٤/٤٦٧، وشرح شواهد المغني للسيوطى ص ٢٤٧ ، وشرح نهج البلاغة ٤/٤٣٢ .

والدليل على أنَّ الرِّواية « سَلَعٌ مّا » ، قولُ الآخرِ :

أجاعِلٌ أنتَ بَيْقورًا مُسَلَّعَةً / ذَريعةً لكَ بين الله والمطرِ (١) [٤٦]

وحدثنى أيضاً أبو حاتم ، عن الأصمعى ، أنه قال فى بيت امرئ القيس :

نَطْعَنُهُم سُلْكَى ومَخْلُوجَةً كَرَّكَ لأْمَيْنِ على نَابِلِ (٢) :

ذهب من يُحسن هذا الكلام .

وقال مثل ذلك فى بيت الحارث بن حِلِّزَة :

زَعَمُوا أنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ العَيْـ رَ مَوَالٍ لنَا وَأنَّا الوَلاءُ (٣)

وفسَّره الأصمعىُّ فقال : أراد نطعَنُهم طعنةً سُلكى ، أى مُسْتَوِيَةً ، ومَخْلُوجَةً : عَادِلَةً ذاتَ اليمين ، وذاتَ الشمال ، كما تَرُدُّ سَهْمَيْنِ على صاحبِ سِهامٍ قد دفعهما إليك لتنظرُ إليهما ، وإذا أنت ألقيتهما إليه : لم يقعا جميعاً مُسْتَوِيَيْن على جهةٍ واحدةٍ ، ولكن أحدها يعوجُّ ، ويستوى الآخر . فَشَبَّهَ جهتى الطعنتين ، بجهتى هذين السهمين .

وقال الزِّيادِى : كان زيد بن كَثْوَةَ العَنْبَرِىّ يقول : الناس يَغْلَطُون فى لفظ هذا البيت ومعناه ، وإنما هو : كَرٌّ كلامين على نابل ، أى : نَطْعَن طعنتين متواليتين لا نَفْصِل بينهما ،

---

(١) هو الورل الطائى ، كما فى اللسان ٥/١٤٠ ، وقبل البيت :

لا در در رجال خاب سعيهم يستمطرون لدى الأزمات بالعشر

وإنما قال ذلك لأن العرب كانت فى الجاهلية إذا استقوا جعلوا السلعة والعشر فى أذناب البقر وأشعلوا فيه النار ، فتضج البقر من ذلك ، ويمطرون » .

(٢) ذكر ابن قتيبة البيت فى كتاب المعانى الكبير ٢/٩١٢ ، وعقب عليه بقوله : « عن أبى عبيدة : سألت أبا عمرو بن العلاء عن هذا البيت فقال : ذهب من كان يعرف هذا ، وهو مما درس معناه . غيره : السلكى : الطعنة المستقيمة ، ومخلوجة : يمنة يسرة ، ومن الأمثال : الأمر مخلوجة وليس بسلكى . لفتك : ردك ، ويروى : كرك ، وهو مثله . ولأمين : سهمين ، واحدهما لأم ، أى ككرك سهمين على رام رمى بهما تعيدهما عليه ، فكذلك نطعنهم ثم نعود عليهم ، كما يعاد السهمان على الرامى ، أى ينفذهم ثم يعودهم . وسألت ابن السجستانى فقال : ككرك سهمين على رام رمى بهما ؟ لأنك تردهما إلى ورائك » .

والبيت فى ديوانه ص ١١٧ ، والموشح ص ١٠٥ ، واللسان ٣/٨٤ ، ١٢/٣٢٨ .

(٣) البيت من معلقته بشرح الزوزنى ص ١٥٩ وهو غير منسوب فى اللسان ٦/٣٠٠ .

كما تقول للرامى : ارْمِ ارْمِ ، فهذان كلامان لا فصل بينهما ، شَبَّهَ بهما الطعنتين فى موالاته بينهما . وكان يستحسن هذا المعنى .

وأما العَيْرُ فقد اختلفوا فيه(١) : فكان بعضهم يجعله الوتد ، سمّاه عَيراً لِنتُوئِه مثل عَيْرِ نَصْل السّهم ، وهو الناتئ وسطه . يريد : أن كل من ضرب خِباءً من أهل العَمَدِ ، فضرب له وتداً – رَمَوْنا بذنبه .

وقال بعضهم : هو كُلَيْبُ وائلٍ ، والعَيرُ : سَيِّدُ القوم ، سمّى بذلك لأنّ العَير أكبر الوحش ؛ ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه لأبى سُفيان : كُلُّ الصَّيْدِ فى جَوْفِ العَيْرِ(٢) .

وقال آخر : العيرُ جَبَلٌ بالمدينة ، ومنه : أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه حَرَّم ما بين عَيرٍ إلى ثَوْرٍ(٣) ، يريد كلَّ من ضربَ إلى ذلك الموضع وبلَغَه .

وقال آخر : هو الحمارُ نفسُه ، يريد أنهم يُضيفُون إلينا ذُنُوبَ كلّ من ساقَ حِماراً / . [٤٧]

ومعنى هذا كله : أنهم يُلزموننا بذنوب الناس جميعا ، ويجعلوننا أولياءهم .

وقال الأصمعى : لا أدرى ما معنى قول رؤبة :

* يَغْمِسْنَ مَنْ غَمَسْنَهُ فى الأَهْيَغِ(٤) *

ثم قال بعده : يُوهِمُ أنّ ثَمّ ماء .

---

(١) راجع تفصيل الخلاف فى اللسان ٦ / ٣٠٠ – ٣٠١ ، ٣٠٣ .

(٢) المجتنى لابن دريد ص ١٨ ، وفى اللسان ١ / ١١٦ « وفى الحديث أن أبا سفيان استأذن النبى صلى الله عليه وسلم ، فحجبه ، ثم أذن له ، فقال له : ما كدت تأذن لى حتى تأذن لحجارة الجلهمتين ، فقال : يا أبا سفيان ، أنت كما قال القائل : كل الصيد فى جوف الفرا مقصور ، ويقال : فى جوف الفراء ، ممدود وأراد النبى صلى الله عليه وسلم بما قاله لأبى سفيان تألفه على الإسلام فقال : أنت كحمار الوحش فى الصيد ، يعنى أنها كله مثله ، وقال أبو العباس : معناه : أنه إذا حجبك قنع كل محجوب ورضى ؛ لأن كل صيد أقل من الحمار الوحشى ، فكل صيد لصغره يدخل فى جوف الحمار ، وذلك أنه حجبه وأذن لغيره ، فيضرب هذا المثل للرجل يكون له حاجات ، منها واحدة كبيرة ، فإذا قضيت تلك الكبيرة لم يبال أن لا تقضى باقى حاجاته » وانظر مجمع الأمثال ٢ / ٨٢ .

(٣) اللسان ٦ / ٣٠٥ ، وفى الفائق ٢ / ٢٠١ « هما جبلان بالمدينة ، وقيل : لا يعرف بالمدينة جبل يسمى ثورا ، وإنما ثور بمكة ، ولعل الحديث ما بين عير إلى أحد » .

(٤) ديوانه ص ٩٧ ، واللسان ١٠ / ٣٤١ .

وقال ابن الأعرابى : يقال: فلان مُنْغَمِسٌ فى الأَهْيَغَيْن ؛ يُرَادُ: الأَكلُ والنِّكاح ، ونحوٌ منه : ذهب منه الأَطْيَبَان ، يُرَادُ : الأَكلُ والنكاح .

وقال أيضاً : لا أدرى ما معنى قول رؤبة فى صفة الثور :

* كأنه حَامِلُ جَنْبٍ أَخْدَعَا *[١]

وقال ابن الأعرابى : أراد : كأنه ضُرِب بالسيف ضربةً فتعلَّقَت جَنْبَه وهو حاملها ، وذلك لميله من بَغْيِه على أحد جانبيه . والخَدَعُ : المَيَلُ .

ومثل هذا كثيرٌ ، وفيما ذكرنا منه ما أَقْنَعَ ودلَّ على ما أردناه ، إن شاء الله تعالى .

***

ولسنا ممن يزْعُم: أنّ المتشابه فى القرآن لا يعلمه الراسخون فى العلم .

وهذا غلط من مُتأوِّليه على اللغة والمعنى .

ولم ينزِل الله شيئاً من القرآن إلا لينفع به عبادَه ، ويدلَّ به على معنى أرادَه .

فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره لَلَزِمَنَا للطَّاعِن مقالٌ ، وتعلّق علينا بِعِلَّة .

وهل يجوز لأحد أن يقول : إن رسول الله صلى الله عليه لم يكن يعرف المتشابه ؛ وإذا جاز أن يعرفه مع قول الله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلّا اللهُ ﴾[٢] جازَ أن يعرفه الرّبّانيون من صحابته ؛ فقد علَّم علياً التفسيرَ ، ودعا لابن عباس فقال : « اللهم علّمهُ التأْوِيل ، وفقّهْه فى الدين »[٣] .

---

(١) بعده فى المعانى الكبير ٢/٧٧٢ « * من بغيه والرفق حين أكنعا * لم يعرف الأصمعى معنى قوله: كأنه حامل جنب أخذعا، ولا الأخذعا أيضاً لم يعرفه . وقوله : أكنع ، يقول : أكنعهن فصرن قريباً منه ، يريد أدناهن ... وقال ابن الأعرابى فى هذا البيت : أى كأنه ضرب بالسيف فتعلق جنبه ، وحكى: ترى الجريح منهم يعارضه جنبه أو يده ، وذلك إذا تعلقت ، والخذع : الميل ، يقول : تراه من بغيه مائلا كأنه ضرب فتعلق جنبه فمال » وفى اللسان ٩ / ٤١٩ « المخذع : المقطع بالسيوف ، وقول رؤبة ... معناه أنه خذع لحم جنبه فتدلى عنه » .

(٢) سورة آل عمران ٧ .

(٣) فى اللسان ١٧/٤١٨ « اللهم علمه الدين وفقهه فى التأويل ، أى فهمه تأويله ومعناه ، فاستجاب الله دعاءه وكان من أعلم الناس فى زمانه بكتاب الله تعالى » .

وروَى عبدُ الرّزّاق ، عن إسرائيل (١) ، عن سِماكِ بن حرْب (٢) ، عن عِكْرِمَة ، عن ابن عباس أنه قال :

كلّ القرآن أعلَمُ إلا أربعاً : غِسْلِين ، وحَنَاناً ، والأَوّاه ، والرّقِيم .

وكان هذا من قول ابن عباس فى وقت ، ثُمَّ عَلِمَ ذلك بَعْدُ .

حدثنى محمد بن عبد العزيز ، عن موسى بن مسعود ، عن شِبْل ، عن ابن أبى نُجَيح ، عن مُجَاهد قال : تعلمونه وتقولون : آمنا به ، ولو لم يكن للراسخين فى العلم حظ فى المتشابه إلا أن يقولوا : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ ، لم يكن للراسخين فضل على المتعلمين ، بل على جهلة / المسلمين ؛ لأنهم جميعاً يقولون : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ . [٤٨]

***

وبعد ، فإنّا لم نَر المفسرين توقَّفُوا عن شىء من القرآن فقالوا : هـذا متشابه لا يعلمه إلا الله ، بل أَمَرُّوهُ كلَّه على التفسير ، حتى فسروا الحروف المُقَطّعة فى أوائل السّوَر ، مثل: آلر ، وحم ، وطه ، وأشباه ذلك . وستَرى ذلك فى الحروف المشكلة ، إن شاء الله .

فإن قال قائل : كيف يجوز فى اللغـة أن يعلمه الراسخون فى العلم ، والله تعالى يقول : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ ، وَالرّاسِخُونَ فى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ ، وأنت إذا أشركت الراسخين فى العلم انقطعوا عن « يقولون » ، وليست هاهنا وَاوُ نَسَقٍ تُوجِبُ للراسخين فِعْلَين . وهذا مذهب كثير من النحويين فى هذه الآية ، ومن جهته غلِطَ قومٌ من المتأَوِّلين ؟.

قُلنا له : إن « يقولون » هاهنا فى معنى الحال ، كأنه قال : والرّاسخون فى العلم قائلين: آمنا به . ومثله فى الـكلام : لا يأتيك إلا عبدُ الله ، وزيدٌ يقول : أنا مسرُورٌ بزيارتك . يريد: لايأتيك إلا عبد الله وزيد قائلا: أنا مسرور بزيارتك .

---

(١) هو إسرائيل بن يونس ، ولد سـنة مائة ، ومات سنة اثنتين وستين ومائة ، خلاصة تذهيب الـكمال ص ٢٧ .

(٢) مات سنة ثلاث وعشرين ومائة ، خلاصة تذهيب الـكمال ص ١٣٢ .

ومثله لابن مُفرِّغٍ (١) الحِمْيَرِيّ يرثى رجلاً (٢) فى قصيدة أولها :

أَصَرَمْتَ حبلَك مِنْ أُمَامَهْ ... من بعدِ أيّامٍ برامَهْ :
والرِّيحُ تَبْكِى شَجْوَهَا ... والبَرْقُ يَلْمَعُ فى غَمامَهْ (٣)

أراد : والبرقُ لامعاً فى غمامةٍ تبكى شَجْوَه أيضاً ، ولو لم يكن البرق يَشْرَكُ الرِّيح فى البكاء، لم يكن لذكره البرقَ ولمعَه معنى.

***

وأصل التّشَابُهِ : أن يُشْبِه اللفظُ اللفظَ فى الظاهر، والمعنيان مختلفان . قال الله جل وعز فى وصف ثمر الجنة : ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾ (٤) ، أى متّفِقَ المناظر ، مُختلِفَ الطُّعُوم . وقال : ﴿ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (٥) ، أى يُشْبه بعضُها بعضاً فى الكفر والقَسْوة .

ومنه يقال : اشتبه علىَّ الأمرُ ، إذا أشبه غيرَهُ فلم تكد تفرُقُ بينهما ، وشَبَّهْتَ علىَّ : إذا لَبَّسْتَ الحقَّ بالباطل ، ومنه قيل لأصحاب المخَارِيقِ : أصحابُ الشُّبَه ، لأنهم يُشَبِّهُونَ الباطل بالحق .

[٤٩] ثم يقال لكلِّ ما غَمُضَ ودقَّ: مُتَشَابِهٌ ، وإن لم تقع / الحيرة فيه من جهة الشّبه بغيره ، ألا ترى أنه قد قيل للحروف المُقَطَّعَةِ فى أوائل السّوَر : متشابه ، وليس الشك فيها ، والوقوف عندها لِمُشَاكَلَتِهَا غيرَها، والتباسِها بها .

---

(١) راجع ترجمة يزيد بن مفرغ فى الشعر والشعراء ١/٣١٩–٣٢٤ ، والأغانى ١٧/٥٥ – ٧٣ ، وطبقات الشعراء ص ٥٥٤ – ٥٥٧ .

(٢) القصيدة ليست فى الرثاء ، بل هى فى هجاء عباد بن زياد .

(٣) فى طبقات الشعراء « فى الغمامة » ، وفى الأغانى « فى المضامة » ، وفى أمالى الزجاجى ص ٧٢ « عن المبرد أنه سأل الرياشى عن معنى هذا البيت فقال : هو عندى كقولهم : ويل للخلى من الشجى ، يعنى أن البرق يضحك ، والريح تبكى ، فضربه مثلا لنفسه ، قال : وغير الرياشى يذهب إلى أن الريح تبكى شجوها ، والبرق أيضاً يبكى ، وجعل يلمع حالا . والتقدير : الريح تبكى شجوها والبرق لامعاً فى الغمامة » .

(٤) سورة البقرة ٢٥ .

(٥) سورة البقرة ١١٨ .

ومثل المتشابه المُشْـكِلُ . وسمى مشكلا : لأنه أَشْـكل ، أى دخل فى شكْلِ غيره فأشْبهَهُ وشاكله[١] .

ثم قد يقال لما غَمُضَ — وإن لم يكن غموضُه من هذه الجهة — : مُشكِلٌ .

***

وقد بيّنتُ ما غَمُضَ من معناه لالتباسه بغيره ، واستِتَارِ المعانى المختلفة تحتَ لفظه ، وتفسير المشكل الذى ادُّعِيَ على القرآن فسادُ النّظم فيه .

وقدّمت قبل ذلك أبواب المجاز: إذْ كان أكْثَرُ غَلطِ المتأوِّلين من جهته .

وأرجو أن يكون فى ذلك ماشفى مرضَ القلوب ، وهدى من الحَيْرَة ، إن شاء الله .

---

(١) فى اللسان ١٣/٣٨١ « وحرف مشكل : مشتبه ملتبس » .

بابُ القول فى المجاز

وأما المجاز فمن جهته غلِطَ كثير من الناس فى التأويل ، وتشعبَّت بهم الطرق ، واختلفت النِّحل ؛ فالنصارى تذهب فى قول المسيح عليه السلام فى الإنجيل : « أَدعو أبى ، وأَذهب إلى أَبى » وأشباه هذا ، إلى أُبُوّة الولادة .

ولو كان المسيح قال هذا فى نفسه خاصةً دون غيره، ما جاز لهم أن يتأوّلوه هذا التأويل فى الله - تبارك وتعالى عما يقولون علوا كبيرا - مع سعة المجاز ، فكيف وهو يقوله فى كثير من المواضع لغيره ، كقوله حين فتح فَاهُ بالوحى : « إذا تصدَّقْتَ فلا تُعلم شِمالَك بما فعلت يمينُك ، فإنّ أباك الذى يرَى الخَفِيّات يَجزيك به علانيةً ، وإذا صلّيتم فقولوا : يا أبانا الذى فى السماء لِيَتقدّسَ اسمُك ، وإذا صُمْتَ فاغسل وجهك وادهن رأسك لئلا يعلم بذلك غيرُ أبيك » .

وقد قرأوا فى الزَّبُور أن الله تبارك وتعالى قال لداود عليه السلام : « سيولد لك غلام يُسمَّى لى ابناً وأُسمَّى له أباً » .

وفى التّوراة أنه قال ليعقوب عليه السلام : « أنت بِكْرِى » .

[٥٠] وتأويل هذا / أنه فى رحمته وبرّه وعطفه على عباده الصالحين ، كالأب الرحيم لولده .

وكذلك قال المسيح للماء : « هذا أبى » ، وللخبز : « هذا أمى » ؛ لأنّ قِوامَ الأبْدان بهما ، وبقاءَ الروح عليهما ، فهما كالأبوين اللّذين منهما النّشأةُ ، وبِحضَانَتِهما النَّماء .

وكانت العرب تُسمِّى الأرض أُمّاً : لأنها مُبْتَدأُ الخلق ، وإليها مرجعُهم ، ومنها أقواتُهم ، وفيها كِفاتُهم .

وقال أُمَيّة بن أبى الصَّلْت :

والأرضُ مَعْقِلُنا وكانت أُمَّنا فيها مقابرُنا وفيها نُولَدُ[1]

---

(١) ديوانه ص ٢٣ ، والحيوان ٥/٤٣٧ ، والقرطبى ١/١١٢ .

وقال يذكرها :

منها خُلِقْنا وكانت أُمَّنا خُلِقَتْ ونحنُ أبناؤُها لو أننا شُكُرُ(١)

هِيَ القرارُ فما نَبْغِي بها بَدَلًا ما أرْحَم الأرْضَ إلا أنَّنا كُفُرُ

وقال الله تعالى فى الكافر : ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾(٢) لمَّا كانت الأمُّ كافِلَةَ الولد وغاذِيَتَه، ومَأْوَاه ومُرَبِّيَتَه ، وكانت النار للكافر كذلك ـ جعلها أُمَّه .

وقال فى أزواج النبى صلى الله عليه : ﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾(٣) ، أى : كأمهاتهم فى الحُرُماتِ .

وفى التوراة: « إنّ الله بَرَّكَ اليومَ السابع وَطهَّره، من أجل أنه استراح فيه من خليقَتِه التى خلَق » .

وأصل الاستراحة: أن تكون فى مُعانَاة شىء يُنْصِبُك ويُتعِبُك ، فتستريحَ .

ثم يَتَنَقَّل ذلك فتصير الاستراحة بمعنى الفراغ ، تقول فى الكلام: استرَحْنا من حاجتك وأَمرْنا بها ، تُريد فرَغْنا ، والفراغُ أيضاً يكون من الناس بعد شُغلٍ .

ثم قد يتنقّل ذلك فيصير فى معنى القَصْد للشىء ، تقول : لئن فرغتُ لك ، أى قصَدْتُ قصْدَك .

وقال الله تعالى : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾(٤) . والله تبارك وتعالى لا يشْغَلُهُ شأنٌ عن شأنٍ ، ومَجازُهُ : سنقصُد لكم بعد طول التَّرْك والإمْهال .

وقال قتادة : قد دَنا من الله فراغ لخَلْقِهِ ، يريد: أن الساعة قد أَزِفَت وجاء أَشْرَاطُها .

وتأوّل قوم فى قوله تعالى : ﴿ فِى أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾(٥) معنى التناسخ ، ولم يُرِد الله فى هذا / الخطاب إنساناً بعينه ، وإنما خاطب به جميع الناس كما قال : ﴿ يَأَيُّهَا الإِنْسَانُ [٥١]

(١) ديوانه ص ٣٢ .

(٢) سورة القارعة ٩ .

(٣) سورة الأحزاب ٦ .

(٤) سورة الرحمن ٣١ .

(٥) سورة الانفطار ٨ .

إنَّكَ كادِحٌ إلى ربِّكَ كَدْحاً ﴾(١) كما يقول القائل: يأيها الرجل ، وكُلُّكم ذلك الرجل.

فأراد: أنه صَوَّرَهم وعَدَّلهم، فى أىّ صورة شاء ركّبهم: من حُسنٍ وقُبحٍ ، وبياضٍ وسواد، وأُدْمَةٍ وحُمْرَةٍ .

ونحوه قوله : ﴿ ومِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّمواتِ والأرضِ واخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وألْوانِكُمْ ﴾(٢).

***

وذهب قوم فى قول الله وكلامه : إلى أنه ليس قولا ولا كلاما على الحقيقة ، وإنما هو إيجاد للمعانى . وصرَفوه فى كثير من القرآن إلى المجاز ، كقول القائل : قال الحائط فمال ، وقُلْ برأسك إلىَّ ، يريد بذلك المَيل خاصة ، والقولُ فضل.

وقال بعضهم فى قوله للملائكة : ﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ : هو إلهام منه للملائكة ، كقوله : ﴿ وأَوْحَى رَبُّكَ إلى النَّحْلِ ﴾(٣) أى ألهمها . وكقوله : ﴿ وما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاَّ وَحْياً أوْ مِن وَرَاءِ حِجابٍ أوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فيُوحِيَ بإذْنِهِ مايَشاءُ ﴾(٤) وذهبوا فى الوحى ههنا: إلى الإلهام .

***

وقالوا فى قوله للسماء والأرض : ﴿ ائْتِيَا طَوْعاً أوْ كَرْهاً قالَتَا أتَيْنَا طائِعِينَ ﴾(٥) : لم يقل الله ولم يقولا، وكيف يخاطب معدوما ؟ وإنما هذا عبارة: لكَوَّناهما فكانتا . قال الشاعر حكايةً عن ناقته :

تَقُولُ إذا دَرَأْتُ لَهَا وَضِينِي ... أَهَذَا دِينُهُ أبدًا وَدِينِي(٦)

(١) سورة الانشقاق ٦ .

(٢) سورة الروم ٢٢ .

(٣) سورة النحل ٦٨ .

(٤) سورة الشورى ٥١ .

(٥) سورة فصلت ١١ .

(٦) هما للمثقب العبدى من قصيدة فى المفضليات ص ٢٩٢ وأمالى اليزيدى ص ١١٤ ، وهما له=

أَكُلَّ الدَّهْرِ حَلٌّ وارْتِحَالٌ ؟ أَمَا يُبْقِى عَلَىَّ ولا يَقِينِى ؟

وهى لم تقل شيئا من هذا ، ولـكنه رآها فى حال من الجَهْد والـكَلاَلِ ، فقضى عليها بأنها لو كانت ممن تقول لقالت مثل الذى ذكر .

وكقول الآخر :

* شَـكا إلىّ جَمَلِى طُولَ السُّرَى[1] *

والجمل لم يَشْكُ ، ولـكنه خَبَّرَ عن كثرة أسفاره وإتعابه جملَهُ ، وقضى على الجمل بأنه لو كان متكلما لاشتكى ما به . وكقول عنترة فى فرسه :

فازْوَرَّ مِنْ وَقْـعِ القَنَا بِلَبَانِهِ وَشَـكا إلىَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ[2] / [٥٢]

لما كان الذى أصابه يُشتكى مثله ويُسْتَعْبَرُ منه، جعله مُشْتَـكِياً مُسْتَعْـبِراً ، وليس هناك شكوى ولا عَبرة .

***

قالوا : ونحو هذا قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَـنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾[3] وليس يومئذ قول منه لجهنم ولا قول من جهنم ، وإنما هى عبارة عن سعتها .

وفى قوله: ﴿ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴾[4] يريد: أن مصير من أدبر وتولى إليها، فـكأنها الداعية لهم ؛ كما قال ذو الرُّمة :

فى الـكامل ١/١٩٣ والصناعتين ص ٨٦ والأول فى اللسان ١/٦٩، ١٧/٣٤٢ ومقاييس اللغة ٢/٢٧٣ ونظام الغريب ص ١٥٣ وتفسير الطبرى ١/٤٠٦ وتأويل مختلف الحديث ص ٨٢ وفى اللسان ١٧ / ٣٤٢ « الوضين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر » . وفيه ١/٦٨ : « ودرأت وضين البعير: إذا بسطته على الأرض ثم أبركته عليه لتشده به ... »

(١) بعده فى أمالى المرتضى ١/٧٢ :

« يا جملى ليس إلى المشتـكا صبر جميل فـكلانا مبتلى

معناه فليكن منك صبر جميل » وبعده فى اللسان ١٩/١٧١ « صبرا جميلى فـكلانا مبتلى » وهو فى مجاز القرآن ٧٣، ١٠٢ ب .

(٢) البيت من معلقته .

(٣) سورة ق ٣٠ .

(٤) سورة المعارج ١٧ .

دَعَتْ مَيَّةَ الأعْدادُ واسْتَبْدَلَتْ بهَا   خَنَاطِيلَ آجَالٍ من العِيْنِ خُذَّلِ (١)

والأعداد : المياه ، لما انتقلت مَيَّةُ إليها ورغبت عن مائها كانت كأنها دعتها . وكقول الآخر :

ولقد هَبطْتُ الوادِيَيْنِ وَوَادِياً   يدعُو الأنيسَ بِهِ الغَضِيضُ الأبْكَمُ (٢)

والغضيض الأبكم : الذّباب ، يريد: أنه يَطِنّ فيدُل بطنينه على النبات والماء ، فكأنه دعاء منه . وقال أبو النجم يذكر نبتاً :

مُسْتَأْسِدًا ذِبَّانُهُ فى غَيْطَلٍ   يَقُلْنَ للرَّائِدِ : أعْشَبْتَ انزِلِ (٣)

ولم يقل الذباب شيئاً من هذا ، ولكنه دل على نفسه بطنينه ، ودل مكانه على المرعى ؛ لأنه لا يجتمع إلا فى عشب ، فكأنه قال للرائد : هذا عشب فانزل .

وقال آخر يصف ذئباً :

يَسْتَخْبِرُ الرِّيحَ إذا لم يَسْمَعِ   بِمِثْلِ مِقْرَاعِ الصَّفَا المُوَقَّعِ (٤)

يريد : أنه يتشمم ثم يَتَتَبَّع الرائحة بخَطْمٍ (٥) كأنه الفأس التى يُكسر بها الصخر ، فجعل تشممه استخباراً .

قال أبو محمد :

وقد تبين لمن قد عرف اللغة ، أن القول يقع فيه المجاز ، فيقال : قال الحائط

---

(١) فى اللسان ٤/٢٧٦ « قال ذو الرمة يذكر امرأة حضرت ماء عدا بعد ما نشت مياه الغدران فى القيظ . استبدلت بها : يعنى منازلها التى ظعنت عنها حاضرة أعداد المياه ، فخالفتها إليها الوحوش وأقامت فى منازلها ، وهذه استعارة » والبيت فى ديوانه ص ٥٠٣ .

(٢) البيت غير منسوب فى اللسان ٤/٢٧٦ .

(٣) فى اللسان ٤/٣٨ : «استأسد النبت : طال وعظم ، .. وأنشد الأصمعى لأبى النجم : مستأسد أذنابه فى عيطل يقول ... الخ » والغيطل ـ كما فى اللسان ١٤/٩ ـ « الشجر الكثير الملتف ، وكذلك العشب » والبيت فى الحيوان ٣/٣١٤ .

(٤) البيت فى اللسان ٧/٥ ، ١٠/١٣٦ وروايته فيهما : يستمخر الريح . ورواه ابن قتيبة فى كتاب المعانى الكبير ١/١٨٣ كما رواه هنا ، وقال فى شرحه : « أى يستروح إذا لم يسمع صوتا بخرطوم مثل مقراع الصفا ، وهو الفأس التى يكسر بها الصخر ، وجعل تشممه استخبارا » .

(٥) فى اللسان ١٥/٧٦ « الخطم من كل دابة مقدم أنفها وفمها نحو الكلب والبعير » .

فمال ، وقُلْ برأسك إلىّ ، أى أَمِلْهُ ، وقالت الناقة ، وقال البعير . ولا يقال فى مثل هذا المعنى تكلم ، ولا يُعْقَلُ الكلام إلا بالنطق بعينه ، خلا موضع واحد وهو أن تتبين فى شىء من الموات عبرة وموعظة فتقول خَبَّر وتكلم وذكّر ؛ لأنه دلّك معنى فيه ، فكأنه كلمك ، وقال الشاعر :

وَعَظَتْكَ أَجْدَاثٌ صُمُتْ / ونَعَتْكَ أَلْسِنَةٌ خُفُتْ (١) [٥٣]

وتكلّمَتْ عن أَوْجُهٍ تَبْلَى وعن صُوَرٍ سُبُتْ (٢)

وأرتْكَ قَبْرَكَ فى القبُو رِ وأنتَ حَىٌّ لم تمُتْ

وقال الكميت يمدح رجلا :

أخْبرَتْ عن فَعَالِهِ الأرضُ واسْتَنْ طَقَ مِنها اليَبَابَ والمَعْمُورَا (٣)

أراد أنه حفر فيها الأنهار ، وغرس الأشجار ، وأثّر الآثار ، فلما تَبيَّنَت للناظر صارت كأنها مُخْبِرَةٌ .

وقال عَوْفُ بن الخَرِع يذكر الدار :

وَقَفْتُ بها ما تُبِينُ الكلامَ لسائِلِها القولَ إلا سِرَارا (٤)

يقول : ليست تُبينُ الكلام لمخاطبها ، إلا أن ظاهر ما يَرى دليل على الحال ، فكأنه سِرارٌ من القول ، ولهذا قالت الحكماء : كل صامت ناطق ، يريدون أنّ أثر الصنعة فيه يدل على مُحدِثه ومدبّره .

---

(١) ذكر ابن قتيبة هذه الأبيات فى عيون الأخبار ٢ / ٣٠٦ ونسبها لأبى العتاهية ، وهى فى ديوانه ص ٥٢ .

(٢) فى الديوان : « شتت » .

(٣) فى أساس البلاغة ٢/٥٥٨ « قال الكميت فى خالد بن عبد الله القسرى ، وكان حفارا غراسا » . وقد ذكره ابن قتيبة فى المعانى الكبير ١/٥٥٤ للكميت وقال فى شرحه : « أى أثر فيها آثار حسنة ، بنى المساجد وحفر الآبار والأنهار ، واليباب : الخراب ، أى بنى فيه فسكن » .

(٤) البيت من قصيدة له فى المفضليات ص ٤١٣ وروايته فيها :

وقفت بها أصلا ما تبين لسائلها القول إلا سرارا

ومن هذا قول الله عز وجل : ﴿ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِم سُلْطَاناً فهو يَتَكَلَّم بما كَانُوا به يُشْرِكُون ﴾[١] أى أنزلنا عليهم برهاناً يستدلون به ، فهو يدلهم .

وتبيَّن له أيضاً أنّ أفعال المجاز لا تخرج منها المصادر ولا تُوَكّد بالتكرار، فتقول: أراد الحائط أن يسقط ، ولا تقول: أراد الحائط أن يسقط إرادةً شديدة، وقالت الشجرة فمالت، ولا تقول: قالت الشجرة فمالت قولاً شديدا . والله تعالى يقول : ﴿ وكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيماً ﴾[٢] فوَكّد بالمصدر معنى الكلام ، ونَفى عنه المجاز .

وقال : ﴿ إنما قَولُنَا لِشَىءٍ إذا أَرَدْناه أَنْ نَقولَ له كُنْ فَيكُون[٣] ﴾ فوكّد القول بالتكرار ، ووكّد المعنى بإنما .

***

وأما قول من قال منهم : إن قوله للملائكة: ﴿ اسْجُدُوا لآدم ﴾[٤] إلهام[٥] و﴿ ما كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجَاب ﴾[٦] أى إلهاما ، فما نُنْكِرُ أنّ القول قد يسمى وحياً ، والإيماء وَحياً ، والرمزّ بالشفتين والحاجبين وَحْيَا ، والإلهامَ وحياً وكل شىء دَلَلْتَ به فقد أوحيتَ به، غير أنّ إلهام النَّحْل تَسْخِيرُها لاتخاذ البيوت ، وسلوك السُّبُل ، والأكلِ من كل الثمرات .

وقال العَجَّاجُ وذَكَرَ الأرضَ :

* وحَى لها القَرارَ فاسْتَقَرّتِ *[٧]

---

(١) سورة الروم ٣٥ .

(٢) سورة النساء ١٦٤

(٣) سورة النحل ٤٠ .

(٤) سورة البقرة ٣٤ والأعراف ١١ والإسراء ٦١ والكهف ٥٠ وطه ١١٦ .

(٥) راجع ص ٧٨ .

(٦) سورة الشورى ٥١ .

(٧) بعده فى اللسان ٢٠/٢٥٧ « وشدها بالراسيات الثبت . وقيل : أراد أوحى ، إلا أن من لغة هذا الراجز إسقاط الهمزة مع الحرف ، ويروى : أوحى . قال ابن برى : ووحى فى البيت بمعنى كتب » وهو فى مقاييس اللغة ٦/٩٣ وديوانه ص ٥ .

أى: سخّرها لأن تستقر فاستقرت .

***

وأما قوله : ﴿ وما كَانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلا وَحْياً أوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ / أو يُرْسِلَ رسولاً فيُوحِيَ بإذْنِهِ مَا يَشَاءُ[١] ﴾ فالوحى الأول ماأراه الله تعالى الأنبياءَ فى منامهم والكلام من وراء الحجاب تكليمه موسى ، والكلام بالرسالة إرْسَالُهُ الرّوحَ الأمينَ بالرُّوح من أمره إلى من يشاء من عباده . [٥٤]

ولا يقال لمن ألهمه الله : كلّمَهُ الله ؛ لما أعْلَمْتُكَ من الفرق بين الكلام والقول .

ولايجوز أن يكون قوله للملائكة وإبليس، وطُولُ مراجعتِه إيّاه فى السّجود، والخروج من الجنة، والنَّظِرَةُ إلى يوم البعث ـ إلْهاماً. هذا مالا يُعْقَل ، وإن كان ذلك تسخيراً فكيف يُسخّرُ لشىءٍ يَمْتَنِعُ منه؟.

وأما تأوُّلهم فى قوله جل وعزّ للسّماء والأرض : ﴿ ائْتِيا طَوْعاً أوْ كَرْهاً قَالَتَا أتَيْنَا طائِعينَ ﴾[٢] : إنه عبارة عن تكوينه لهما، وقوله لجهنم ﴿ هل امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيد ﴾[٣] : إنّه إخبارٌ عن سَعَتِها ، فما يُحوِجُ إلى التَّعَسُّف والتماس المخارج بالحيل الضعيفة. ومايَنفع ـ : من وجود ذلك فى الآية والآيتين والمعنى والمعنيين ـ وسائرُ ما جاء فى كتاب الله عزّ وجلّ من هذا الجنس ، وفى حديث رسول الله صلى الله عليه ـ مُمْتَنِعٌ عن مثل هذه التأويلات ؟ .

ومافى نطق جهنم ونطق السماء والأرض من العجب ؟: والله تبارك وتعالى يُنطِق الجلودَ ، والأيدىَ ، والأرجل ، ويُسَخّرُ الجبال والطير ، بالتّسبيح. فقال : ﴿ إنَّا سَخَّرْنا الجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بالعَشِىِّ والإشْرَاقِ ، والطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أوّابٌ ﴾[٤] وقال: ﴿ يا جِبالُ

---

(١) سورة الشورى ٥١ .

(٢) سورة فصلت ١١ .

(٣) سورة ق ٣٠ .

(٤) سورة ص ١٩ .

أَوِّبى مَعَهُ والطَّيْرَ﴾(١) أى سَبِّحْنَ معه وقال: ﴿وإنْ مِنْ شَىْءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ولَكِنْ لاَ تفقهونَ تَسْبيحَهُمْ إنّه كانَ حليماً غفوراً﴾(٢) وقال فى جهنم: ﴿تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظ﴾(٣) أى تتقطع غيظا عليهم كما تقول فلان يكاد يَنقدُّ غيظاً عليك أى ينشق. وقال: ﴿إذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لها تَغَيُّظاً وزَفِيراً(٤)﴾ ورُوِى فى الحديث أنها تقول: قَطْ قَطْ؛ أى(٥) حسبى.

وهذا سليمان عليه السلام يفهم منطق الطَّير وقول النّملِ؛ والنّمل من الحُكْلِ، والحُكل مالا يُسمَعُ له صوت. قال رؤبة:

لو كُنتُ قد أُوتيتُ عِلْمَ الحُكْلِ   عِلْمَ سليمانَ كلامَ النَّملِ(٦)

وقال العُمانىّ(٧) يمدحُ رجلا /: [٥٥]

ويفهمُ قولَ الحُكْلِ لو أنَّ ذَرَّةً   تُساوِدُ أُخْرَى لم يَفُتْهُ سِوادُها(٨)

والسِّوَاد: السرَار، جعل قولها سِرَاراً: لأنها لا تُصوِّت.

وهذا رسول الله ﷺ تُخْبِرُهُ الذّرَاع المسْمُومَة، ويخبرُه البعير أنَّ أهله يُجيعُونه ويُدْئِبُونه، فى أشباهٍ لهذا كثيرةٍ. وأنكروا مع هذا السِّحرَ إلا من جهة الحيلة، وقالوا:

---

(١) سورة سبأ ١٠.
(٢) سورة الإسراء ٤٤.
(٣) سورة الملك ٨.
(٤) سورة الفرقان ١٢.
(٥) فى اللسان ٩/٢٥٦ «وفى الحديث فى ذكر النار: أن النار تقول لربها: إنك وعدتنى ملئى، فيضع فيها قدمه، فتقول: قط قط، بمعنى حسب».
(٦) البيت له، كما فى ديوانه ص ١٢٨ واللسان ١٤/٤٣ والحيوان ٤/٨، ٢٣ والبيان والتبيين ١/٤٠ وهو غير منسوب فى مقاييس اللغة ٢/٩١ ونسبه له ابن قتيبة فى المعانى الكبير ٢ / ٦٣٦ وعلق عليه بقوله: «الحكل من الحيوان ما لم يكن له صوت فى شىء من أحواله، وكذلك النمل. والحكلة فى الإنسان: ثقل فى لسانه من العجمة، فإذا كان خلقة قيل: حبسة».
(٧) فى أساس البلاغة ١ / ١٩٠ «العثمانى» وهو خطأ، واسم العمانى محمد بن ذويب الفقيمى، راجع ترجمته فى الأغانى ١٧/٧٣–٧٨ والشعر والشعراء ٢/٧٣١–٧٣٣.
(٨) البيت للعمانى فى مدح عبد الملك بن صالح كما فى البيان والتبيين ١ / ٤٠ والحيوان ٤/٢٣ ونسبه له المؤلف فى المعانى الكبير ٢ / ٦٣٦ وقال فى شرحه: «السواد. السرار، يقول: الذر الذى لا يسمع لمناجاته صوت ولا عليه دليل لو كان بينه سرار، لفهمه».

منه رُقاةُ النميمة يُفرِّقُ بها بين المرء وزوجه ، والكذبُ تصرف به القلوبُ عن المحبة إلى البِغْضَة ، وعن البِغْضَة إلى المحبة. وقالوا : منه السُّمومُ يُسحَر بها فتقطعُ عن النساء ، وتَحُتُّ الشَّعرَ وتغير الخَلْقَ ، والله تعالى يقول: ﴿ ومِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فى العُقَدِ ومِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إذا حَسَدَ ﴾ (١) فأعلمنا أنهن يَنْفِثْنَ - والنَّفْثُ كالتَّفل - كما ينفث الرَّاقى فى عُقَدٍ يعقدها ، قال الشاعر :

يُعقِّدُ سِحْرَ البابليِّينَ طَرْفُها ... مِراراً ، ويَسْقِينا سُلافاً مِنَ الخَمْرِ (٢)

فأراد أن طرفها يذهب بِعُقولنا كما يذهب السِّحرُ والراح بالعقل ، وقد سُحر رسول الله صلى الله عليه وجعل سحره فى بئر ذِى أرْوَان ، واستخرجه علىٌّ منها ، وجعل يحلُّه عُقْدَةً عُقدة ، فكلما حل عقدة وجد النبى صلى الله عليه راحة وخِفًّا ، فلما فرغ من حَلِّه قام النبى صلى الله عليه كأنما أُنْشِطَ من عِقَال (٣). وقال الله تعالى: ﴿ يُعلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ، وما أُنزِلَ على المَلَكَيْنِ بِبابلَ هَٰرُوتَ ومَٰرُوتَ ، وما يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حتى يقُولا: إنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فلا تَكْفُر ؛ فَيَتَعَلَّمُونَ منهما ما يُفرِّقُونَ به بين المرء وزوجه ﴾ (٤) أفتَراهُما كانا يُعلِّمَانِ التَّمائِمَ ، والكذبَ ، وسَقْىَ السُّموم ؟!

* * *

وبمثل هذا النظر أنكروا عذابَ القبر ، ومُساءَلَةَ المَلَكين ، وحياةَ الشهداء عند ربهم يرزقون ؛ وأنكروا إصابةَ العين ونفعَ الرُّقَى والعُوَذِ ، وعَزِيفَ الجِنَّانِ ، وتَخَبُّطَ الشيطان ،

---

(١) سورة الفلق ٤ — ٥ .

(٢) البيت غير منسوب فى مقاييس اللغة ٤/٨٩ ونسبه الزمخشرى فى أساس البلاغة ٢/١٣١ لذى الرمة وهو غير موجود فى ديوانه .

(٣) قال النيسابورى فى غرائب القرآن ورغائب الفرقان المطبوع على هامش الطبرى ٣٠/٢٠٩ : « وقال جمهور المفسرين : إن لبيد بن الأعصم اليهودى سحر النبى صلى الله عليه وسلم فى إحدى عشرة عقدة فى وتر، ودسه فى بئر ذى أروان ، فمرض النبى واشتد ذلك عليه ثلاث ليال ، فنزلت المعوذتان ، وأخبره جبريل بموضع السحر فأرسل عليا بطلبه وجاء به ، وقال جبريل : اقرأ السورتين فكان كلما يقرأ آية تنحل عقدة، فيجد بعض الراحة والخفة حتى إذا أتمهما فكأنما أنشط من عقال ... » .

(٤) سورة البقرة ١٠٢ .

وتَغَوُّلَ الغيلان .

فلما رأوا تواطُؤَ العرب على ذلك، وإكثارَ الشعراء فيه كقول ذى الرُّمّة :

إذا حَشَّهُنّ الرَّكْبُ فى مُدْلَهِمَّةٍ أحاديثُها مِثْلُ اصطِخابِ الضَّرائِرِ (١)

وكقول زهير :

[٥٦] تَسْمَعُ للجِنِّ عازِفينَ بها تَضْبَحُ عن رَهْبَةٍ ثَعالِبُها (٢) /

فى أشباه لهذا كثيرة ـ طلبوا الحيلة فقالوا (٣) : عِلَّةُ مايسمعون من هذا ويرون، انفرادُ

---

(١) فى اللسان ١٥/٩٦ « وفلاة مدلهمة : لاأعلام فيها. أحاديثها : أحاديث ما بها من جن ، والبيت فى ديوانه ص ٢٩٦ وبعده فيه :

تياسرن عن حذو الفراقد فى السرى ويامن شيئا عن يمين المغاور

وهو فى الحيوان ٦/٢٤٨ وقد نقل الجاحظ تعليق أبى إسحاق النظام عليه فقال : « قال أبو إسحاق: يكون فى النهار ساعات ترى الشخص الصغير فى تلك المهامه عظيما ، ويوجد الصوت الخافض رفيعا ، ويسمع الصوت الذى ليس بالرفيع مع انبساط الشمس غدوة ، من المكان البعيد ؛ ويوجد لأوساط الفيافى والقفار والرمال والحرار ، فى أنصاف النهار ، مثل الدوى ؛ من طبع ذلك الوقت وذلك المكان ، عند ما يعرض له ولذلك قال ذو الرمة :

إذا قال حادينا لتشبيه نبأة صه لم يكن إلا دوى المسامع

قالوا : وبالدوى سميت دوية وداوية ، وبه سمى الدو دوا » .

(٢) ديوانه ص ٢٦٥ ومعنى تضج : تصيح .

(٣) قال الجاحظ فى الحيوان ٦/٢٤٨ : « وكان أبو إسحاق [النظام] يقول فى الذى تذكر الأعراب من عزيف الجنان وتغول الغيلان : أصل هذا الأمر وابتداؤه ، أن القوم لما نزلوا بلاد الوحش عملت فيهم الوحشة ، ومن انفرد وطال مقامه فى البلاد والخلاء والبعد من الأنس ـ استوحش ، ولا سيما مع قلة الأشغال والمذاكرين . والوحدة لا تقطع أيامهم إلا بالمنى أو بالتفكير . والفكر ربما كان من أسباب الوسوسة ، وقد ابتلى بذلك غير حاسب ... وإذا استوحش الإنسان تمثل له الشىء الصغير فى صورة الكبير ، وارتاب ، وتفرق ذهنه ، وانتقضت أخلاطه ، فرأى ما لا يرى وسمع ما لا يسمع ، وتوهم على الشىء اليسير الحقير أنه عظيم جليل، ثم جعلوا ما تصور لهم من ذلك شعرا تناشدوه ، وأحاديث توارثوها ، فازدادوا بذلك إيمانا ، ونشأ عليه الناشئ ، وربى به الطفل ، فصار أحدهم حين يتوسط الفيافى ، وتشتمل عليه الغيطان فى الليالى الحنادس ـ فعند أول وحشة وفزعة ، وعند كل صياح بوم ومجاوبة صدى ، وقد رأى كل باطل وتوهم كل زور ، وربما كان فى أصل الخلق والطبيعة كذابا نفاجا ،وصاحب تشنيع وتهويل، فيقول فى ذلك من الشعر على حسب هذه الصفة فعند ذلك يقول : رأيت الغيلان ! وكلمت السعلاة ! ثم

القوم وتوَحُّشهم فى الفلوات والقِفَار، ومن انفرد فكَّر وتوهَّم واستوحش وتخيَّل، فرأى مالا يرى، وسمِع مالا يُسمع، كما قال حُميدُ بن ثور:

مُفزَّعَةٌ تَسْتَحِيلُ الشُّخُوصَ   من الخوف تَسْمَعُ مالا ترى (١)

وقالوا: ومن أَحْنَاشِ الأرض، وأحْناش الطير فى المهَامِهِ والرمال - مالا يظهر ولا يُصَوِّتُ إلا بالليل كالصَّدَى والضُّوَع والبوم (٢) واليَرَاعِ (٣)، فإذا سمع أحدهم حَسِيسَ هامَةٍ، أو زُقاءَ بُومٍ، أو رأى لَمْعَ يرَاعَةٍ من بُعْدٍ - وَجَبَ قلبه، وَقَفَّ شَعْرُه، وذهبت به الظّنون.

وقالوا: فى النهار ساعات تتغيّر فيها مناظر الأشباح، وتتضاعف أعدادها، فربما رُئِى الصغير كبيراً، والكبير صغيراً، والواحد اثنين، وقد يُسْمَعُ لأصوات الفَلَا والحِرارِ، مثلُ

= يتجاوز ذلك إلى أن يقول: قتلتها! ثم يتجاوز ذلك إلى أن يقول: رافقتها! ثم يتجاوز ذلك إلى أن يقول تزوجتها! ... ومما زادهم فى هذا الباب، وأغراهم به، ومد لهم فيه، إنهم ليس يلقون بهذه الأشعار وبهذه الأخبار إلا أعرابيا مثلهم، وإلا عاميا لم يأخذ نفسه قط بتمييز ما يستوجب التكذيب والتصديق أو الشك، ولم يسلك سبيل التوقف والتثبت فى هذه الأجناس قط ...».

(١) قال ابن قتيبة فى المعانى الكبير ٧٠٢/٢ «قال حميد بن ثور يصف ظبية ... تستحيل الشخوص، يقول: تنظر هل يحول الشخص أى يتحول أم لا، من الخوف على ولدها. وقوله: تسمع مالا ترى، قال الأصمعى: يقال: إن أذن الوحشية أصدق من عينها، وكذلك أنفها أصدق من عينها» وأنشده المبرد شاهدا على أن معنى تستحيلها: تتبين حالاتها، وروايته: «مروعة تستحيل» وعلق عليه الأخفش بقوله: «قوله مروعة، يقول: كل شىء يدنينى من الظفر بها يروعها وينفرها» راجع الكامل ٤٣/٢.

(٢) قال الجاحظ فى كتاب الحيوان ٢/ ٢٩٨: «ويقال للطائر الذى يخرج من وكره بالليل: البومة، والصدى، والهامة، والضوع ... ويصيد بعضها الفأر وسام أبرص والقطا وصغار الحشرات، وبعضها يصيد البعوض والفراش وما أشبه ذلك. والبوم يدخل بالليل على كل طائر فى بيته، ويخرجه منه ويأكل فراخه وبيضه. وهذه الأسماء مشتركة» وقال فى ص ٢٩٥: «ثم الذى لا يدع الصياح فى الأسحار مع الصبح أبدا: الضوع، والصدى، والهامة، والبومة، وهذا الشكل من الطير».

(٣) قال الجاحظ فى كتاب الحيوان ٤٨٨/٤: «ونار أخرى، وهى شبيهة بنار البرق، وهى نار اليراعة. واليراعة: طائر صغير، إن طار بالنهار كان كبعض الطير، وإن طار بالليل كان كأنه شهاب قذف أو مصباح يطير».

الدَّوِىّ ، ولذلك قال ذو الرُّمَّة :

إذا قال حادينا لِتَشْبيه نَبْأةٍ : صَهٍ؛ لم يكُن إلا دَوِىُّ المسامِعِ (١)

وبهذا سُمِّيت الفلاة دَوِّيَّة ، كأن الدَّوّ حكاية ما يسمعون ، ثم نسب المكان إليه (٢) ، قال الأعشى :

فَوْقَ دَيْمُومَةٍ تخيَّلُ بالسَّفْـ ـرِ قِفارًا إلا من الآجالِ (٣)

يريد بقوله : تخيّل بالسفر ؛ أنهم يرونها مرّة على هيئة ومرة على هيئة ، قال كعب ابنُ زُهَير :

وصَرْماءَ مِذْكارٍ كأنَّ دَوِيَّهَا بُعَيْدَ جَنانِ الليلِ مما يُخَيَّلُ (٤)

حديثُ أناسِيٍّ فلمَّا سَمِعْتُه إذاً لَيْسَ فيـه ما أَبِينُ فأَعْقِلُ (٥)

وقال الأخطل يذكر فلاة رأى الصغير فيها كبيرا :

---

(١) ديوانه ص ٣٦٠ « النبأة : الصوت الخفى ، وصه بمعنى اسكتوا ، لم يكن إلا أن يسمع دويا فى الآذان » والبيت فى اللسان ١٧/٤٠٦ والحيوان ٦/٢٤٨ .

(٢) عقب الجاحظ على بيت ذى الرمة بقوله : « قالوا : وبالدوى سميت دوية وداوية ، وبه سمى الدو دوا » ونقل الجوهرى كلامه هذا ، ونقده ابن برى ودلل على فساد قول الجاحظ، راجع تفصيل ذلك فى اللسان ١٨/٣٠٤ .

(٣) ديوانه ص ٧ « الأصمعى : تغول بالسفر ، أبو عبيدة : تغول للسفر . الديمومة : الفلاة البعيدة الأطراف ، التى يدوم فيها السير . وقوله : تخيل : يرونها مرة على خلقة ، ومرة على أخرى ، لا تثبت أعلامها على حال . الأصمعى : تغول بالسفر : تبعدهم وتسقطهم ، من قوله : غالته غول » . والآجال : جمع إجل — بالكسر — وهو القطيع من بقر الوحش كما فى اللسان ١٣/١٠ .

(٤) ديوانه ص ٤٥ وقال السكرى فى شرحه : « الصرماء : الأرض التى لا نبت فيها ولا ماء . والمذكار : المخوفة التى لا يسلكها إلا الذكر من الرجال . وقال بعضهم : معنى مذكار أنها ذات هول تذكرهم ما مر بهم فيها . والدوى : الصوت ، وإنما يريد عزيف الجن بها وتخيلهم . وجنان الليل : ظلمته وما واراك . وقال بعضهم : جنان الليل : إلباس ظلمته ، وكل ما سترك من شىء فقد أجنك ؛ وإنما قيل للقلب : جنان ، لأنه استتر ويستر ما فيه » .

(٥) قال السكرى فى شرحه ص ٤٦ : « يريد : أسمع همهمة لا تفهم وذلك من خلاء المكان. وقال غيره : يريد كأن عزيف الجن حديث أناسى » .

ترى الثَّعلبَ الحَوْلِيَّ فيها كأنَّهُ   إذا ما عَلا نَشْزًا حِصانٌ مُجَلَّلُ(١)

وقال النابغة :

وَحَلّت بُيوتِي فى يَفاعٍ مُمَنَّعٍ   تخالُ بهِ رَاعِى الحَمُولَةِ طائرًا(٢)

هذا رأى الـكبير صغيراً لأنه فى شَرَفٍ . وقال ابن أحمر أيضاً فى تضاعيف الأعداد :

وازْدَادت الأشْباحُ أخْيلَةً   وتَعَلَّلَ الحِرْباءُ بالنَّقْرِ

***

وأخشى أن يكون معتقد هــذا والقائل به ، يُرَقِّقُ عن صَبُوحٍ(٣) ، ويُسِرُّ حَسْوًا فى ارْتِغاءٍ(٤) .

وماعلى من آمن بالبعث بعد الممات: أن يؤمن بعذاب البرْزَخ ـ: وقد خبَّر به/رسولُ الله [٥٧] صلى الله عليه، وقولُه قاضٍ على الـكِتابِ ـ وبمُسائلة الله يوم القيامة: أن يُؤْمِنَ بِمُسائلَةِ الملـكين فى القبر ؟!.

ولِمَ صَدَّقَ الهندَ بما تدّعيه فى الفِـكْر والرُّقَى ، وأنـكر العَيْنَ والعُوَذَ ؟ أوَ ليْسَ الضرُّ بالفِكْرِ ، بأعجبَ من الضرِّ بالعين ؟!.

وماعلى من آمن بإنِّيَّـةِ الشيطان: أنْ يؤمن بتخبُّطِهِ ؟ ومن صدّق بخلق الجن والغيلان: أن يُصدِّق بِعزِيفِها وتَغَوُّلِها ؟!.

---

(١) ديوانه ص ٧ وقبله :

إلى ابن أسيد خالد أرقلت بنا   مسانيف تعرورى فلاة تغول

(٢) ديوانه ص ٥٥ .

(٣) جاء فى اللسان ٣/٣٣٥ « وفى المثل : أعن صبوح ترقق ، يضرب مثلا لمن يجمجم ولا يصرح ، وقد يضرب أيضا لمن يورى عن الخطب العظيم بكناية عنه ، ولمن يوجب عليك مالا يجب بكلام يلطفه . وأصله أن رجلا من العرب نزل برجل عشاء فغبقه لبنا ، فلما روى علق يحدث أم مثواه بحديث يرققه وقال فى خلال كلامه : إذا كان غدا اصطبحنا وفعلنا كذا ، ففطن له المنزول عليه وقال : أعن صبوح ترقق ؟ » . وانظر مجمع الأمثال ١/٤٨١ وجمهرة الأمثال ص ٧ .

(٤) فى اللسان ١٩/٤٦ « وفى المثل : يسر حسوا فى ارتغاء ، يضرب لمن يظهر أمرا وهو يريد غيره »

وما أخرجَهُ إلى تجهيل العرب قاطبة وتكذيبها : وشاهِدُها على صدق ما تقول كتاب الله تعالى ، ورسوله ، وكتب الله المتقدمة ، وأنبياؤه ، وأمم العجم كلها ؟! .

قدجعل الله الجن أحد الثقَلين، وخاطبهم فى الكتاب كما خاطبنا، وسمَّاهم رجالا كما سمَّانا فقال : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ ﴾ (١) . وقال فى الحور العِين : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ (٢) ، فدل على أن الجن تَطْمِث كما تطمث الإنسُ ، وأخبرَنا عن طائفة منهم سمعوا القرآن فولّوا إلى قومهم مُنذِرين (٣) ، وقال : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ ﴾ (٤) ، والمَسُّ : الجنون ، سُمِّى مسًّا : لأنه عن إلمام الشيطان ومسِّه يكون .

هذا مع أخبار كثيرة صِحاح تُؤْثَرُ عن الرسول صلى الله عليه ، وعن السلف فى الرِّئِىّ (٥) والنَّجِىِّ .

وما ننكِر مع هذا أن الفلوات قد يَعرِضُ فيها ما يذكرون ، ولكنّ ذلك لا يُدْفَعُ به حقائق ما يسمعون ويُبصِرون .

ولم تكن العرب طُرًّا ـ مع أفهامها وألبابِها ـ لتتواطأ على تخيُّل وظنون ، ولا كلُّها أسمعه الخوف ، وأراه الجبن ، فهذا أبو البلادِ الطُّهَوىُّ (٦) ،

---

(١) سورة الجن ٦ .

(٢) سورة الرحمن ٥٦ ، ٧٤ .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأحقاف ٢٩ « وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن، فلما حضروه قالوا : أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين » .

(٤) سورة البقرة ٢٧٥ .

(٥) فى اللسان ١٩/ ١٠ « الرئى ـ بفتح الراء وكسرها ـ جنى يتعرض للانسان يريه كهانة وطبا... وفى حديث عمر ـ رضى الله عنه ـ قال لسواد بن قارب : أنت الذى أتاك رئيك بظهور الإسلام ؟ قال : نعم ... » .

(٦) قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف ص ١٦٣ « أبو الغول الطهوى ، هو من قوم من بنى طهية يقال لهم : بنو عبد شمس بن أبى سود، يكنى أبا البلاد ، وقيل له : أبو الغول لأنه فيما زعم رأى غولا فقتله وقال: لقيت الغول تهوى جنح ليل الخ » وهو شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، وقد عاب =

وتأبَّطَ شرًّا[1] ـ: وهما من مَرَدَة العرب ، وشياطين الإنس.ـ يصفان الغول ، ويُحلِّيانها ويُساوِرانها .

وهذا أبو أيوبَ الأنصارى يأسِرُها[2] .

وهذا عمرُ رضى الله عنه يُصارع الجنىَّ[3] .

= حماد الراوية شعرا له فقال يهجوه :

نعم الفتى لو كان يعرف ربه ويقيم وقت صلاته حماد

وهى أبيات ذكرها أبو الفرج فى الأغانى ٥/١٧١ وقد قال الجاحظ عنه فى الحيوان ٦/٢٣٥ بعد نقله قصيدته التى قص فيها لقاء الغول : « وكان من شياطين الأعراب ، وهو كما ترى يكذب وهو يعلم ، ويطيل الكذب ويحبره » وقد ترجم له ابن قتيبة فى الشعر والشعراء ١/٣٩٤ـ٣٩٥ .

(١) راجع ترجمته وقصيدته التى زعم فيها أن لقى الغول وقتلها فى الشعر والشعراء ١/٢٧١ـ٢٧٣ والأغانى ١٨/٢٠٩ـ٢١٨ .

(٢) روى الترمذى والحاكم عن أبى أيوب الأنصارى أنه قال : كانت لى سهوة فيها تمر ، فكانت تجىء الغول كهيئة السنور فتأخذ منه ، فشكوت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اذهب فإذا رأيتها فقل : بسم الله ، أجيبى رسول الله . قال : فأخذها فحلفت ألا تعود ، فأرسلها ، وجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ما فعل أسيرك ؟ قال : حلفت ألا تعود ، قال (ص) : كذبت وهى معاودة للكذب . قال : فأخذها مرة أخرى فحلفت ألا تعود ، فأرسلها ، ثم جاء إلى الرسول فقال : ما فعل أسيرك ؟ قال : حلفت ألا تعود . قال (ص) : كذبت وهى معاودة للكذب . قال : فأخذها وقال : ما أنا بتاركك حتى أذهب إلى رسول الله ، فقالت : إنى ذاكرة لك شيئا : آية الكرسى ، اقرأها فى بيتك فلا يقربك شيطان ولا غيره فجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ما فعل أسيرك ؟ فأخبره بما قالت فقال : صدقت وهى كذوب .

قال أبو عيسى الترمذى : هذا حديث حسن غريب ، راجع حياة الحيوان للدميرى ٢/٢٣٠ .

والسهوة ـ كما فى اللسان ١٩/١٣٣ « شبيه بالرف والطاق يوضع فيه الشىء » .

(٣) فى حياة الحيوان للدميرى ٢ / ٢٣١ : « وفى مسند الدارمى عن عبد الله بن مسعود ، قال : خرج رجل من الإنس فلقيه رجل من الجن فقال له : هل لك أن تصارعنى ، فإن صرعتنى علمتك آية إذا قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان ، فصارعه فصرعه الإنسى ، وقال : إنى أراك ضئيلا ، شخيتا ، كأن ذراعيك ذراعا كلب ، أفهكذا أنتم أيها الجن كلكم ؟ أم أنت من بينهم ؟ فقال : إنى منهم لضليع ، ولكن عاودنى الثانية ، فإن صرعتنى علمتك ، فصرعه الإنسى ، فقال : تقرأ آية الكرسى ، فإنها لا تقرأ فى بيت إلا خرج منه شيطان له خبج كخبج الحمار ، ثم لا يدخله حتى يصبح ، فقيل لعبد الله بن مسعود : أهو عمر ؟ قال : ومن عسى أن يكون إلا عمر ؟ » . =

وما جاء فى هذا أكثرُ من أن نُحيطَ به .

فمن آمن بمحمد صلى الله عليه وبأنَّ ما جاء به الحقّ ، آمَنَ بجميع هذا ، وشرح صدره به . / [٥٨]

ومن أنكره ـ: لأنه لا يؤمن إلا بما أَوْجَبَهُ النظر والقياس على ماشاهَد ورأى فى المَواتِ والحيوان ـ فماذا بقّى على المسلمين ؟ وأىَّ شىء ترك للملحدين ؟

* * *

وذهب أهل القدَر فى قول الله عز وجل : ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشَاءُ﴾(١) إلى أنه على جهة التسمية والحكم عليهم بالضلالة ، ولهم بالهداية .

وقال فريق منهم : يُضِلّهم : يَنْسُبُهم إلى الضلالة ، ويهديهم : يُبيِّنُ لهم ويُرْشدهم .

فخالفوا بين الحكمين ، ونحن لا نعرف فى اللغة أفْعَلْتُ الرجل : نَسَبْتُه . وإنما يُقالُ إذا أردت هذا المعنى : فعَّلْتُ . تقول : شجّعت الرجل وجبّنْته وسرّقْته وخطَّأْته وكفّرته وضلّلته وفسَّقْتُه وفجَّرْته ولحّنته . وقُرِئ : ﴿إِنَّ ابْنَكَ سُرِّقَ﴾(٢) ، أى نُسِبَ إلى السَّرِق .

ولا يقال فى شىء من هذا كله : أفعلْتُه ؛ وأنت تريد نسبته إلى ذلك .

وقد احتج رجل من النحويين كان يذهب إلى القدر (٣) ـ لقول العرب : كذَّبتُ الرجل

= قوله : الضئيل ، معناه الدقيق النحيف ، والشخيت : الهزيل الحسيس المجفر الجنبين . والضليع : الوافر الأضلاع ، والحبج : الضراط » .

وانظر باب ذكر مصارعة عمر للشياطين وخوف الشياطين منه ، فى كتاب سيرة عمر لابن الجوزى ص ٤٠ـ٤١ .

(١) سورة النحل ٩٣ وفاطر ٨ .

(٢) سورة يوسف ٨١ وقرأ الجمهور : « سرق » ثلاثيا مبنيا للفاعل . وأما قراءه « سرق » بتشديد الراء ، مبنيا للمفعول ، فهى قراءة ابن عباس ، وأبو زر ، والكسائى ـ فى رواية ـ راجع القراءات الشاذة لابن خالويه ص ٦٥ والبحر المحيط ٣٣٧/٥ .

(٣) فى م « إلى القدر ، وهو أبو عمرو الجرمى » لكن قال الخطيب البغدادى فى ترجمته : «وكان ممن اجتمع له مع العلم صحة المذاهب ، وحسن الاعتقاد ... وكان ذا دين وأخا ورع » راجع تاريخ بغداد ٣١٣/٩ ـ ٣١٥ وبغية الوعاة ص ٢٦٨ ، وإنما قيل له : الجرمى لأنه كان ينزل فى جرم ، وهى =

وأَكْذَبْتُه.ـ بقول الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ ﴾[١] ولا يُكْذِبُونَكَ . وذكر أنَّ أَكْذَبْتُ وكَذَّبْتُ جميعاً، بمعنى : نَسَبْتُ إلى الكذب.

وليس ذاك كما تأوَّل، وإنما معنى أكذبت الرجل: أَلْفَيْتُهُ كاذباً. وقول الله تبارك وتعالى ﴿ فَإِنَّهُمْ لا يُكْذِبُونَكَ ﴾ بالتخفيف أى : لا يجدونك كاذباً فيما جئت به ، كما تقول : أبخلْتُ الرجل وأَجْبَنْته وأحْمَقْتُه؛ أى : وجدته جباناً بخيلاً أحمقَ .

وقال عمرو بن مَعدِيكرِب لبنى سُلَيم : « قاتَلناكم فما أَجْبَنَّاكم ، وسألناكم فما أبخلناكم وهجوناكم فما أفحمناكم »[٢] أى : لم نجدكم جُبناءَ ، ولا بُخلاءَ ، ولا مُفحَمِين .

وقال الكِسائى : العرب تقول : أَكْذَبْتُ الرجل ، إذا أخبرت أنه راوِيَةٌ للكذب ، وكذَّبتُه، إذا أخبرت أنه كاذِبٌ ، ففرَق بين المعنيين[٣] . واحتج أيضاً لأفْعَلْتُ فى معنى نسبت، بقول ذى الرُّمّةِ يصف رَبْعاً :

من قبائل اليمن ، واسمه صالح بن إسحاق ، وهو بصرى قدم بغداد على الحسن بن سهل ، وناظر الفراء وأفحمه . وتوفى سنة خمس وعشرين ومائتين .

(١) سورة الأنعام ٣٣ « قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون ، فإنهم لا يكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » . وجاء فى البحر المحيط ٤/١١١ « وقرأ على ونافع والكسائى بتخفيف يكذبونك، وقرأ باقى السبعة وابن عباس بالتشديد ، فقيل : هما بمعنى واحد نحو كثر وأكثر ، وقيل بينهما فرق ... فعلى القول بالفرق يكون معنى التخفيف : لا يجدونك كاذبا ، أو لا ينسبون الكذب إليك . وعلى معنى التشديد يكون : إما خبرا محضا عن عدم تكذيبهم إياه ، ويكون من نسبة ذلك إلى كلهم على سبيل المجاز ، والمراد به بعضهم ؛ لأنه معلوم قطعا أن بعضهم كان يكذبه ويكذب ماجاء به . وإما أن يكون نفى التكذيب لانتفاء ما يترتب عليه من المضار ، فكأنه قيل : لا يكذبونك تكذيبا يضرك ، لأنك لست بكاذب ، فتكذيبهم كلا تكذيب » .

(٢) فى اللسان ١٦ / ٢٣٥ « قال عمرو بن معديكرب ـ وكان قد زار رئيس بنى سليم فأعطاه عشرين ألف درهم وسيفا وفرسا وغلاما خبازا وثيابا وطيبا ـ : لله دركم يابنى سليم ، قاتلتها فما أجبنتها ، وسألتها فما أبخلتها ، وهاجيتها فما أفحمتها » وفيه ١٣/٤٩ : « يابنى سليم لقد سألناكم فما أبخلناكم » وفيه ١٥ / ٣٣٦ : « وهاجيناكم فما أفحمناكم ، أى فما أسكتناكم عن الجواب » وانظر ترجمة عمرو بن معديكرب وأخباره فى الأغانى ١٤/٢٥ـ٤١ والشعر والشعراء ١/٣٣٢ـ٣٣٦ .

(٣) فى اللسان ٢/٢٠٢ : « قراءة الكسائى : فإنهم لا يكذبونك ، بضم الياء وتسكين الكاف، على معنى لا يكذبون الذى جئت به إنما يجحدون بآيات الله ويتعرضون لعقوبته ، وكان الكسائى يحتج لهذه القراءة بأن العرب تقول : كذبت الرجل : إذا نسبته إلى الكذب ، وأكذبته: إذا أخبرته أن الذى يحدث به كذب » .

[٥٩] وأَسْقيه حتّى كادَ مِمّا أَبُثُّه تُكلّمنى أحجارُهُ وملاعِبُه/ (١)

وتأوّل فى أَسْقِيه معنى أسقِّيه من طريق النِّسْبة .

ولاأعلم له فى هذا حجّة ؛ لأنا نقول: قد أرْعَى الله هذه الماشية، أى : أنبتَ لها ما ترعاه، فكذلك تقول : أسقَى الله الربع، أى أنزل عليه مطراً يَسقيه ، وأنا أرعى الماشية ، وأُسْقِى الربع ، أى أدعو لها بالمرعى ، وله بالسُّقيا .

واحتج آخر ببيتٍ ذكر أنه لطَرَفة :

وما زَال شُرْبى الرَّاحَ حتَّى أشرَّنى صديقى وحتّى ساءنى بَعْضُ ذَلكِ (٢)

وتوهَّمَ أن قوله : أشرَّنى، نسبنى إلى الشرّ . وليس ذاكَ كما تأوّل ، وإنما أراد شهرَنى وأذاعَ خبَرى ، من قولك : أشْرَرْتُ الأقِط وشرَّرْتُه ، إذا بسطته على شىء ليجف ، وقال الشاعر وذكر يوم صِفِّين :

* وحتى أُشِرَّتْ بالأَكُفِّ المصاحِفُ (٣) *

يُريدُ : شُهِرَتْ وأُظهِرَتْ .

ورَوَى عبدُ الله بن محمد بن أسماء ، عن جُوَيْرِيَةَ ، قال : كنتُ عند قتادَةَ فسُئل عن

---

(١) ديوانه ص ٣٨ وأمالى المرتضى ٢ / ١١ ، ٨٥ والجوالبقى ٣٢٠ والأضداد ص ٨٢ واللسان ١١٤/١٩، وفى ص ١٧٠ : « وأشكيه حتى » قالوا : معنى أشكيه أى أبثه شكواى وما أكابده من الشوق إلى الظاعنين عن الربع حين شوقتنى معاهدهم فيه إليهم » والصاحبى ص ١٩٢ « وأسأل حتى » وتفسير الطبرى ١٦/١٤ وكتاب سيبويه ٢ / ٢٣٥ وشرح شواهد الشافية ص ٤١ ونوادر أبى زيد ص ٢١٣ وأساس البلاغة ١ /٣٠ ومجاز القرآن ١١٧ ــ ١ .

(٢) ديوانه ص ٥٥ واللسان ٦٧/٦ ومقاييس اللغة ١٨١/٣ .

(٣) فى اللسان ٦٩/٦ « وأشر الشىء : أظهره ، قال كعب بن جعيل ، وقيل : إنه للحصين بن الحمام المرى :

فما برحوا حتى رأى الله صبرهم وحتى أشرت بالأكف المصاحف

والشطر غير منسوب فى مقاييس اللغة ٣ / ١٨١ والبيت كذلك فى إصلاح المنطق ص ٢٨٦ وفى وقعة صفين ص ٣٣٦ لكعب بن جعيل وفى ص ٤١١ لأبى جهمة الأسدى ، وذكره ابن قتيبة فى أدب الكاتب ص ٣٥١ ولم ينسبه . وقال ابن السيد فى الاقتضاب ص ٣٧٨ : «هذا البيت للحصين بن الحمام المرى ، قاله فى حرب صفين ، وذلك أن معاوية لما رأى أمر على يقوى ، وأمره يضعف ، شاور عمرو بن العاص ، =

القَدَر، فقال : ما زالت العرب تُثبتُ القدَرَ فى الجاهلية والإسلام .

قال : وحدثنى أبو حاتم سهل بن محمد ، عن الأصمعى / قال : قلت لِدِرْوَاسٍ الأعرابىّ: [٦٠] ما جعل بنى فلان أشرفَ من بنى فلان ؟ قال : الـكتابُ . يعنى القدَرَ ، ولم يقل : المـكارمُ والفَعالُ .

وكان الأصمعى يُنشد من الشعر أبياتاً فى القدر ذكرَتْها وغيرها . قال : أنشدنى عيسى ابن عمرَ لِبَدَوِىّ :

كلُّ شَىْءٍ حتى أَخِيكَ مَتاعُ ... وبِقَدْرٍ تَفَرُّقٌ واجتماعُ(١)

وقال المرَّارُ بن(٢) سعيد الأسَدِىُّ :

ومَنْ سابَقَ الأقدار إذْ دَأَبَتْ به ... ومَنْ نائلٌ شيئاً إذا لم يُقْدَرِ

وقال جميلٌ :

أُقدِّرُ أمراً لستُ أدرى : أنالُه ؟ ... وما يقدِرُ الإنسانُ : فاللهُ قادِرُ

وقال ابن الدُّمَيْنَة :

زُوروا بنَا اليوم سلمى أيُّهَا النَّفَرُ ... ونحنُ لمَّا يُفرِّقْ بيننا القدَرُ(٣)

وقال الفرَزْدَق :

نَدِمْتُ نَدامةَ الـكُسَعِىِّ لمّا ... غَدَتْ منى مُطَلَّقَةً نَوَارُ(٤)

وقال له : ما ترى ؟ فقال : مر الناس برفع المصاحف . فأمر بخمسمائة مصحف فرفعت . فلما علم أصحاب على ذلك كفوا عن القتال ، فقال لهم : إن هذه خديعة . فسألوهم ما شأن هذه المصاحف ؟ فقال معاوية : نجعل القرآن حكما بيننا وتثوب إلى السلم ، فـكان ذلك سبب تحكيم الحـكمين : عمرو بن العاص وأبى موسى الأشعرى ، وخروج الخوارج ... »

(١) فى اللسان ٦ / ٣٨٢ « والقدر ـ بفتح الدال ـ كالقدر ـ بسكونها ـ وجمعهما جميعا : أقدار ، وقال اللحيانى : القدر ـ بالفتح ـ الاسم ، والقدر ـ بالسكون ـ المصدر ، وأنشد : * كل شىء حتى أخيك الخ .

(٢) المرار شاعر إسلامى من مخضرمى الدولتين ، كان يهاجى المساور بن هند ، راجع ترجمته فى الشعر والشعراء ٢/٦٨٠ـ٦٨١ والأغانى ٩/١٥٨ـ١٦١ ومعجم الشعراء ص ٤٠٨ـ٤٠٩ .

(٣) ديوانه ص ٤٨ .

(٤) ديوانه ص ٣٦٣ الـكامل ١/٨٢ اللسان ١٠/١٨٦ وروى المبرد بسنده عن أبى شفقل راوية =

ولو ضَنَّتْ بها كَفِّى ونَفْسِى   لَكانَ علىَّ للقدَرِ الخِيارُ(١)

وقال القَسُّ(٢) :

قد كُنْتُ أَعْذِلُ فى السَّفاهةِ أهلَها   فاعْجَبْ لِمَا تأْتِى به الأيَّامُ

فاليومَ أَعذِرُهم ، وأَعْلَمُ أنَّما   سُبُلُ الغَوايَةِ والهُدَى ، أقسامُ

وقال ابن أَحْمَرَ(٣) حين سُقِىَ بطنُه :

شَرِبْنا ودَاوَيْنا ، ومَا كانَ ضَرَّنا   إذا اللهُ حَمَّ القَدْرَ ـ ألاَّ نُداوِيَا(٤)

وقال الشَّمَّاخ :

═ الفرزدق قال : قال لى الفرزدق يوما : امض بنا إلى حلقة الحسن ـ البصرى ـ فإنى أريد أن أطلق النوار، فقلت : إنى أخاف عليك أن تتبعها نفسك ، ويشهد عليك الحسن وأصحابه ، فقال : امض بنا فجئنا حتى وقفنا على الحسن فقال: كيف أصبحت ياأبا سعيد ؟ فقال بخير ، كيف أصبحت ياأبافراس ؟ قال : تعلمن أن النوار منى طالق ثلاثا فقال الحسن وأصحابه: قد سمعنا . قال : فانطلقنا ، فقال لى الفرزدق : ياهذا ، إن فى قلبى من النوار شيئا ، فقلت : قد حذرتك. فقال : ندمت ندامة الكسعى الخ » والكسعى هو محارب بن قيس من بنى كسيعة ، الذى يضرب به المثل فى الندامة ، وهو رجل رام رمى بعد ما أسدف الليل عيرا فأصابه ، وظن أنه أخطأ فكسر قوسه ، ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولا ، وانظر تفصيل قصته وأشعاره فيها فى اللسان ١٠/١٨٦ـ١٨٧ .

(١) فى الكامل : « ولو أنى ملكت يدى ونفسى » وقبل هذا البيت :

وكانت جنتى فخرجت منها   كآدم حين أخرجه الضرار

(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عمار ، من بنى جشم بن معاوية ، وكان فقيها ، عابدا من عباد مكة ، وكان يسمى القس لعبادته ، وقد فتن بسلامة المغنية ، جارية سهيل بن عبد الرحمن ، وشاعت فتنته بها وظهرت ، فغلب عليها لقبه ، وسميت سلامة القس ، وفى ذلك يقول عبيد الله بن قيس الرقيات :

لقد فتنت ريا وسلامة القسا   فلم تتركا للقس عقلا ولا نفسا

راجع تفصيل ذلك فى الأغانى ٨/٦ـ٧ وعيون الأخبار ٤/١٣٤ـ١٣٥ .

(٣) هو أبو الخطاب عمرو بن أحمر الباهلى ، شاعر جاهلى صحيح الكلام ، كثير الغريب ، أدرك الإسلام فأسلم وغزا مغازى الروم وأصيبت عينه هناك . ونزل الشام وعمره تسعين سنة ، وسقى بطنه فمات فى عهد عثمان ، راجع ترجمته فى الشعر والشعراء ١/٣١٥ـ٣١٨ ومعجم الشعراء ص ٢١٤ وطبقات الشعراء ص ٤٩٢ـ٤٩٣ .

(٤) البيت من قصيدة ذكرها المؤلف فى الشعر والشعراء ١/٣١٦ ، وذكره أيضا فى عيون الأخبار ٣/٢٧٤ « حم المرء » .

وإنّي عَدَانِي عنكما غَيْرَ مَاقِتٍ   نَوَارانِ مكتوبٌ عليَّ بُغاهُما[١]

أى حاجتان عسيرتان، والنّوار: النّفورُ ، مكتوب عليّ / أى مَقْدُورٌ عليّ طلبُهما . [٦١]

وقال الأعشى :

فى فِتْيةٍ كَسُيوفِ الهِنْدِ قَدْ عَلِموُا   أنْ لَيْسَ يَدْفَعُ عَنْ ذِي الحِيلةِ الحِيَلُ[٢]

يعنى : هم موقِنُون بأن ما قُدِّرَ وحُتِمِ لا يُدفع بالحيلة، فهم مُوَطِّنُون أنفسَهم عليه .

وقال أبو زُبَيْد :

فلا تَكُ كالمَوْقُوصِ عَنْ ظَهْرِ رَحْلِه   تَرَدَّتْ به أسبَابُهُ وهو ينظرُ

أسبابُهُ : المقادير ، تردّت به وهو ينظر لا يَقدِرُ أن يَدفعَ ذلك . والمَوْقُوص : الذى قد اندقَّت عنُقُه .

وقال الراعى :

وهُنَّ يُحاذِرْنَ الرَّدَى أن يُصِيبَنى   ومن قبلِ خَلْقِى خُطَّ ما كُنْتُ لاقِيَا

وكائن تَرَى مِنْ مُسْعَفٍ بِمَنِيَّةٍ   يُجَنَّبُها أو مُعْصِمٍ لَيْسَ نَاجِيا[٣]

وقال أُفْنُون التَّغْلبى[٤] :

لعمرُكَ مايَدرى الفتى كيفَ يَتَّقِى   إذا هُوَ لم يَجعَلْ له اللهُ واقِيَا[٥]

---

(١) فى ديوانه ص ٨٨ « عنكم » عدانى : صرفنى وشغلنى ، غير ماقت : مبغض . ونواران : تثنية نوار ، وهى النفور من الريبة . والمعنى : ان طلب وصل هاتين المرأتين حبسه عمن يخاطب » وقد ذكر البيت المؤلف فى كتاب المعانى الكبير ٢/٨٧١ .

(٢) ديوانه ص ٤٥ : « علموا : أيقنوا أن ماقدر الله لابد منه ، ويروى : «عن ذى الحيلة الأجل»

(٣) فى اللسان ١١/٥٣ «وكل شىء دنا فقدأسعف ومنه قول الراعى * وكائن ترى من مسعف بمنية *

(٤) لقب لشاعر جاهلى ، اسمه : صريم بن معشر بن ذهل ، لقب بذلك ، لأنه قال فى بيت : « إن للشباب افنونا » راجع ترجمته فى الشعر والشعراء ١/٣٨٢ والمؤتلف والمختلف ص ١٥١ .

(٥) البيت من أبيات فى المفضليات ص ٢٦١ والشعر والشعراء ١ / ٣٨٢ والمؤتلف ص ١٥١ والصناعتين ص ١٦٤ .

وقال لبيد بن ربيعة العامري :

إنَّ تقْوَى ربِّنَا خيرُ نفَلْ ... وبإذْنِ اللهِ رَيْثِي وعَجَلْ(١)

من هَدَاهُ سُبُلَ الخيرِ اهْتَدَى ... نَاعِمَ البَالِ ، ومَنْ شاءَ أَضَلْ

[٦٢] أفتُرَى لبيداً أراد بقوله : من شاء أضل، أى سُمّى ضالًا ؟ لا لعمرُ الله / ما عرَف هذا لبيدٌ ولا وجدَه فى شىء من اللغات . والمعنى فى ضلّلت ، وأضللت ، ويشْرَح صدرَهُ للإسلام ، ويجعل صدره ضيّقاً حَرِجاً ـ يَمتنِعُ على التأويل المطلوب بالحيلة عند من عرف اللغة .

وربما جعلت العربُ الإضلال فى معنى الإبطال والإهلاك ؛ لأنه يؤدِّى إلى الهَلَكَةِ ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا: أَإِذَا ضَلَلْنَا فى الأَرْضِ أَإِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾(٢)، أى بطَلنا ولحِقْنَا بالتراب وصرنا منه . والعرب تقول : ضلّ الماء فى اللبن : إذا غلب اللبن عليه فلم يَتَبَيّن . وقال النابغة الذبيانى يرثى بعض الملوك :

وآبَ مُضِلُّوهُ بعَيْنٍ جَلِيَّةٍ ... وغُودِرَ بالجَوْلانِ حَزْمٌ ونائلُ(٣)

أى قابِروه ، سمَّاهُم مضلّين لأنهم غيّبوه وأفقدوه فأبْطلوه .

***

هـذا مذهب العرب فى القدر ، وهو مذهب كل أمة من العجم ، وأنّ الله فى السماء ما تُرِكَت على الجبلّة والفِطْرَة ولم تُنْقَل عن ذلك بالمقاييس والتّلْبيس .

---

(١) ديوانه ص ١١ وبين البيتين فيه :

أحمـد الله فلا ند له ... بيديه الخير ما شاء فعل

والبيت الأول فى الكامل ٢/٢٤٦ ونظام الغريب ص ٢٣٧ واللسان ١٤/١٩٤ «والنفل ـ بالتحريك الغنيمة والهبة ، والثانى فى اللسان ١٣/٤١٥ .

(٢) سورة السجدة ١٠ .

(٣) الأمالى ١/٢٤٧ والحيوان ٣/٤٨٩ وفى اللسان ١٣/٤١٩ «وأضل الميت : إذا دفن ، وروى بيت النابغة الذبيانى يرثى النعمان بن الحارث بن أبى شمر الغسانى :

فإن تحي لا أملك حياتى وإن تمت ... فما فى حياة بعـد موتك طائل

فآب مضلوه الخ يريد بمضليه : دافنيه حين مات . وقوله : بعين جليـة أى بخبر صادق أنه مات . والجولان : موضع بالشام . أى دفن بدفن النعمان الحزم والعطاء » وانظر البحر ٢/٤٨٩ .

وقد أَعْلَمتُك فى كتاب « غريب الحديث » أن فريقاً منهم يقولون : لا يلزمنا اسم القَدَر من طريق اللغة ؛ لأنه يُتَأَوَّل علينا / أنا نقول : لا قدَر ، فكيف نُنسَبُ إلى ما نَجْحَدُ ؟ [٦٣]
وإن هذا تمويهٌ ، وإنما نُسِبوا إلى القدر لأنهم يضيفونه إلى أنفسهم ، وغيرُهم يجعله لِله دون نفسه ، ومُدَّعِي الشيء لنفسه أَوْلَى بأن ينسب إليه ممن جعله لغيره .

***

وأما الطاعنون على القرآن بالمجاز فإنهم زعموا أنه كَذِبٌ ، لأن الجدارَ لا يريدُ ، والقَرْيةَ لا تُسأل .

وهذا من أشنع جهالاتهم ، وأدلِّها على سوء نظرهم ، وقلة أفهامهم .

ولو كان[1] المجاز كَذِباً ، وكلُّ فعل يُنسب إلى غير الحيوان باطلا — كان أكثرُ كلامِنا فاسداً ؛ لأنا نقول : نبتَ البقلُ ، وطالت الشجرة ، وأَيْنَعَت الثمرة ، وأقام الجبل ، ورخُصَ السِّعر .

وتقول : كان هذا الفعل منك فى وقت كذا وكذا / والفعل لم يكن وإنما كُوِّن . [٦٤]

وتقول : كان الله ، وكان بمعنى حَدَثَ ، والله جل وعز قبل كل شيء بلا غاية ، لم يحدث : فيكونَ بعد أن لم يكن .

والله تعالى يقول : ﴿ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ ﴾[2] وإنما يُعزم عليه .

ويقول تعالى : ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ﴾[3] وإنما يُرْبَحُ فيها .

ويقول : ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾[4] وإنما كُذِّب به .

ولو قلنا[5] للمُنكِر لقوله : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ ﴾[6] : كيف كنت أنت قائلا

---

(١) نقل هذا الكلام ابن رشيق فى العمدة ١/٢٣٦ .
(٢) سورة محمد ٢١ .
(٣) سورة البقرة ١٦ .
(٤) سورة يوسف ١٨ .
(٥) نقل هذا الكلام ابن رشيق فى العمدة ١/٢٣٦ .
(٦) سورة الكهف ٧٧ .

فى جدارٍ رأيتَه على شفَا انهيار : رأيتَ جدارًا ماذا ؟ لم يجد بُدًّا من أن يقول : جدارًا يَهُمُّ أن ينقضّ ، أو يكاد أن ينقضّ ، أو يقارب أن ينقضّ . وأيًّا ما قال فقد جعله فاعلا ، ولا أحسِبُه يصلُ إلى هذا المعنى فى شىء من لغات العجم ، إلا بمثل هذه الألفاظ .

وأنشدنى السِّجِسْتانى عن أبى عبيدة فى مثل قول الله : ﴿يريد أن ينقض﴾ :

يُرِيدُ الرُّمْحُ صَدْرَ أَبى بَرَاءٍ ويرغَبُ عَنْ دِماءِ بَنى عَقيلِ (١)

وأنشد الفرّاء :

إنَّ دَهْرًا يَلُفُّ شَمْلى بِجُمْلٍ لزَمَانٌ يَهُمُّ بالإحسانِ (٢)

والعرب تقول : بأرض فلان شجرٌ قد صاح ، أى طال ؛ لمَّا تبيَّنَ الشَّجرُ للنّاظِرِ بطوله ، ودلَّ على نفسه ، جعله كأنه صائحٌ ؛ لأن الصائح يدلُّ على نفسه بصوته .

ومثله قولُ العجاج :

* كالكَرْمِ إذْ نادَى مِنَ الكافُورِ (٣) *

ويقال : هذا شجرٌ واعِدٌ ، إذا نوَّر ، كأنه لما نوَّر وَعَد أن يُثمر . ونباتٌ واعِدٌ : إذا أقْبَلَ بماءٍ ونَضْرةٍ .

---

(١) البيت فى الصناعتين غير منسوب ص ٢١٢ وتفسير الطبرى ١٦ / ١٨٦ وكذلك فى اللسان ٤ / ١٧١ وفيه : « ويعدل عن دماء » .

(٢) البيت غير منسوب فى أمالى المرتضى ٤ / ٥٥ والصناعتين ص ٢١٢ وفيه « شملى بسلمى » وتفسير الطبرى ١٥ / ١٨٧ .

(٣) ديوانه ص ٢٧ وقبله :

غراء تسبى نظر النظور بفاحم يعكف أو منشور

وهو فى اللسان ١٢ / ١١٢ والعمدة ١ / ٢٣٨ ومبادىء اللغة ص ١٧٨ وفى اللسان ٦ / ٤٦٥ : « كافور الطلعة : وعاؤها الذى ينشق عنها ، سمى كافورا لأنه قد كفرها ، أى غطاها . وقول العجاج : * كالكرم الخ . كافور الكرم : الورق المغطى لما فى جوفه من العنقود ، شبهه بكافور الطلع لأنه ينفرج عما فيه » .

قال سُويدُ بن كُرَاعٍ(١) :

رَعَى غَيْرَ مَذْعُورٍ بِهِنَّ وَرَاقَهُ　　لُعَاعٌ تَهَادَاهُ الدَّكَادِكُ وَاعِدُ(٢)

فى أشباه لهذا كثيرة ، سنذكر ما نحفظ منها فى كتابنا هذا مما أتى فى كتاب الله عز وجل ، وأمثاله من الشعر ولغات العرب ، وما استعمله الناس فى كلامهم . ونبدأ بباب الاستعارة لأن أكثر المجاز يقع فيه .

---

(١) سويد بن كراع العكلى ، شاعر فارس مقدم ، من شعراء الدولة الأموية كان فى آخر أيام جرير والفرزدق ، راجع ترجمته فى الشعر والشعراء ٢/٦١٦–٦١٧ وطبقات الشعراء ص١٤٧–١٤٩ والأغانى ١١/١٢٧–١٣٠ .

(٢) البيت له فى اللسان ٤ / ٤٧٩ ، والعمدة ١ / ٢٣٨ وهو غير منسوب فى الأمالى ١ / ١٨١ والمخصص ١٠/١٨٣ وعجزه له فى الصناعتين ص ٢١٢ وفى اللسان ١٠ / ١٩٥ « قال سـويد بن كراع ووصف ثورا وكلابا : رعى غير مذعورالخ. راقه : أعجبه . واعد : يرجى منه خير وتمام نبات. واللعاع : نبت ناعم فى أول ما ينبت » .

بابُ الاستِعارة

فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمى بها بسببٍ من الأخرى أو مُجاوِراً لها أو مُشاكِلاً ، فيقولون للنبات : نوء لأنه يكون عن النوء عندهم . قال رؤبة

[٦٥] ابن العجاج/ :

* وَجفَّ أَنْوَاءُ السَّحَابِ المُرْتَزَقْ[(١)] *

أى جفّ البقل .

ويقولون للمطر : سماء لأنه من السماء ينزل ، فيقال : مازلنا نطأُ السماء حتى أتيناكم . قال الشاعر[(٢)] :

إذا سَقَطَ السَّماءُ بأَرْضِ قَوْمٍ   رَعَيْنَاهُ وإنْ كانُوا غِضَابَا[(٣)]

ويقولون : ضَحكتِ الأرض : إذا أنبتت ؛ لأنها تُبدِى عن حُسْن النبات ، وتَنفتق عن الزهرِ كما يَفْتَرُّ الضاحكُ عن الثغر ، ولذلك قيل لطَلْع النخل إذا انفتق عنه كافورُهُ : الضَّحْكُ[(٤)] ؛ لأنه يبدو منه للناظر كبياض الثغر . ويقال : ضَحكت الطَّلْعَةُ، ويقال : النَّورُ يُضَاحِكُ الشمس لأنه يدور معها .

---

(١) الصناعتين ص ٢١١ وفى ديوانه ص ١٠٥ :

وجف أنواء الربيـع المرتزق   واستن أعراف السفا على القيق

وانظر لشرح الأخير اللسان ١٢/ ٢٠١ .

(٢) هو معود الحكماء ، معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب ، كما فى الاقتضاب ص ٣٢٠ واللسان ١٩/ ١٢٣ ومعجم الشعراء ص ٣٩١ والمفضليات ص ٣٥٩

(٣) البيت غير منسوب فى الصناعتين ص ٢١٢ ومقاييس اللغة ٣/ ٩٨ وفى الأمالى ١/ ١٨١ «وأنشد ابن قتيبة : إذا سقط السماء الخ وقال أبو بكر : يقال مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم ، أى مواقع الغيث» ونسبه ابن رشيق فى العمدة ١/ ٢٣٧ لجرير بن عطية . وصدره غير منسوب فى الصاحبي ص ٦٣ .

وقال ابن السيد في شرحه : « يقول : إذا نزل المطر بأرض قوم فأخصبت بلادهم وأجدبت بلادنا ــ سرنا إليها فرعينا نباتها ، وإن غضب أهلها لم نبال بغضبهم لعزتنا ومنعتنا » .

(٤) اللسان ١٢/ ٣٤٦ .

وقال الأعْشَى يذكر رَوْضَةً :

يُضاحِكُ الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ   مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ(١)

وقال آخر :

* وضحِكَ المُزنُ بهاثمَّ بَكَى(٢) *

يريد بضحكه انعِقَاقَه(٣) بالبرق ، وببكائه : المطر .

ويقولون : لَقِيتُ من فلانٍ عَرَقَ القِرْبَةِ ، أى شِدَّةً ومشقَّةً ، وأصل هذا أن حامل القِرْبَة يتْعَبُ فى نَقْلِها حتى يَعرَقَ جبينه ، فاستُعِيرَ عَرَقُها فى موضع الشِّدَّة(٤) .

ويقول الناس : لقيتُ من فلانٍ عَرَقَ الجبين ، أى شدةً .

ومثل هذا فى كلام العرب كثير يطول به الكتاب ، وسنذكر ما فى كتاب الله تعالى منه .

فمن الاستعارة فى كتاب الله قوله عزوجل ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عن سَاقٍ ﴾(٥) أى عن شِدَّةٍ من الأمر ، كذلك قال قَتادَةُ . وقال ابراهيم : عن أمر عظيم . وأصل هذا أنّ الرجل إذا وَقَعَ فى أمرٍ عظيم يحتاج إلى معاناته والجدّ فيه ـ شمَّرَ عن ساقِهِ ، فاستُعيرت الساق فى موضع الشدة .

---

(١) الصناعتين ص ٢١٢ واللسان ٥/٧٦ وديوانه ص ٤ وفى اللسان ١٤/١٢٢ « وقول الأعشى : يضاحك الشمس ، معناه : يدور معها ، ومضاحكته إياها : حسن له ونضرة . والكوكب : معظم النبات . والشرق : الريان الممتلئ ماء . والمؤزر : الذى صار النبات كالإزار له . والعميم : النبت الكثيف الحسن ، وهو أكثر من الجميم ، يقال : نبت عميم ومعتم وعمم . واكتهلت الروضة : إذا عمها نبتها » .

(٢) الصناعتين ٢٣٩ والحيوان ٣/٧٥ غير منسوب فيهما ، وهو فى أمالى المرتضى ٢ / ٩٤ لدكين الراجز ، وقبله فيه :

* جن النبات فى ذراها وزكى *

(٣) الانعقاق : الانشقاق .

(٤) قال الأصمعى : «عرق القربة معناه الشدة ، ولا أدرى ما أصله» . وانظر أقوال العلماء فى معنى هذا القول فى اللسان ١٢/١١١-١١٢ .

(٥) سورة القلم ٤٢ .

وقال دُرَيد بن الصِّمَّة :

كَمِيشُ الإزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ ... صَبُورٌ على الجَلاَّءِ طَلاَّعُ أَنْجُدِ(١)

وقال الهُذلىّ :

وكُنْتُ إذا جَارِى دعَا لِمَضُوفَةٍ ... أُشَمِّرُ حتّى يَنصُفَ السَّاقَ مِئْزَرِى(٢)

***

ومنه قول الله عز وجل ﴿ ولاَ يُظْلَمُون فَتِيلاً ﴾(٣) ﴿ ولاَ يُظلَمُون نَقِيراً ﴾(٤)

[٦٦] والفَتِيل : ما يكون / فى شقّ النّواة ، والنّقِيرُ : النُّقْرَةُ فى ظهرها ، ولم يُرِد أنهم لا يظلمون ذلك بعينه ، وإنما أراد أنّهم إذا حُوسِبُوا لم يُظلموا فى الحساب شيئا ولا مِقْدار هذين التّافهين الحقيرين .

والعرب تقول : ما رَزَأْتُه زِبالاً . والزِّبَالُ ما تحمله النّملة بفمها ، يريدون ما رَزَأْتُه شيئا .

وقال النابغة الذُّبْيَانى :

يَجْمَعُ الجَيْشَ ذا الأُلُوفِ ويَغْزُو ... ثم لا يَرْزَأُ العَدُوَّ فَتِيلا(٥)

(١) البيت له فى ديوان المعانى ١/٥٦ والصناعتين ٣٠٥ : « صبور على العزاء » وحماسة أبى تمام بشرح التبريزى ٢/٣٠٨ « بعيد من الآفات طلاع أنجد » وكميش الإزار ، مثل فى الجد والتشمير . والكمش والكميش : الخفيف السريع الحركة ، وأضاف الكميش إلى الإزار على المجاز ، كما يقال : عفيف الحجزة ، ونقى الجيب، وقوله : « خارج نصف ساقه ، يصفه بالتشمير ، وبعيد من الآفات ، يريد أنه لاداء به وهو سليم الأعضاء » والبيت غير منسوب فى اللسان ١٣/١٢٣ وفيه : « الجلاء : الخصلة العظيمة » .

(٢) هو أبو جندب الهذلى ، كما فى ديوان الهذليين ، القسم الثالث ص ٩٢ واللسان ١١/١١٥ ، ١١/٢٤٤ ، ١٧/٢٤٨ ، وهو فى الأضداد ١١٣ والمخصص ١٢/١٢٥ والخزانة ٣/٣٢١ وشرح شواهد الشافية ص ٣٨٣ مضوفة : أى أمر ضافه ، أى نزل به وشق عليه ، وإنما يخبر عن حاله ، وليس يخبر بكنت عما مضى من فعله .

(٣) سورة النساء ٤٩ ، والإسراء ٧١ .

(٤) سورة النساء ٢٤ وانظر الصناعتين ص ٢٠٥ .

(٥) البيت للنابغة فى هجاء النعمان بن المنذر ، أو قاله على لسانه حاسدوه ، كما فى الشعر والشعراء ١/١١٧ وللنابغة فى الصناعتين ص ٢٠٦ والأغانى ٩/١٦٦ ومقاييس اللغة ٤/٤٧٢ وهو لعبد القيس بن خفاف البرجمى فى هجاء النعمان ، كما فى الحيوان ٤/٣٧٩ . ومعنى لا يرزأ : لا ينقص ، يقال : ما رزأته ماله ، أى ما نقصته .

وكذلك قوله عز وجل : ﴿ والذين يدْعُون مِنْ دُونه ما يَمْلِـكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾(١) وهو الفُوفَةُ التى فيها النّواة ، يريد ما يملـكون شيئا .

ومنه قوله عز وجل : ﴿ وقَدِمْنا إلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فجعَلْناهُ هَبَاءً مَنْثُورا ﴾(٢) أى قصَدْنا لأعمالهم وعَمدنا لها ، والأصل أنّ مَنْ أراد القُدُومَ إلى موضع عَمَدَ له وقَصَدَهُ .

والهباء المنثور : ما رأيتَه فى شعاع الشمس الداخل من كُوَّة البيت .

والهباء المُنْبَثُّ : ماسَطع من سَنابِك الخيل ، وإنما أراد أنّا أبْطَلْنَاهُ كما أنّ هذا مُبطَلٌ لا يُلمَس ولا ينتفع به .

ومنه قوله : ﴿ وأفْئِدَتُهُمْ هَوَاء ﴾(٣) يريد أنها لا تَعِى خيراً ؛ لأن المـكان إذا كان خَالياً فهو هواءٌ حتى يَشغَلَهُ الشىءُ .

ومثله قوله عز وجل : ﴿ وكذلك أعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾(٤) يريد أطْلعنَا عليهم ، وأصل هذا أنّ من عَثَر بشىءٍ وهو غافل نظر إليه حتى يَعرِفه ، فاستُعِيرَ العِثَارُ مكان التّبيّن والظهور .

ومنه يقول الناس : ما عثرتُ على فلانٍ بسوء قطٍّ ، أى ما ظهرتُ على ذلك منه .

* * *

ومنه قوله عز وجـــل : ﴿ إنِّى أحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّى حَتَّى تَوَارَتْ بالحِجَاب ﴾(٥) أراد الخيلَ ؛ فسمَّاها الخَيْرَ لما فيها من المنافع ، قال الرّاجز(٦) بعد أن عدّد فضائلها وأسبابَ الانتفاع بها :

* فالخيلُ والخيراتُ فى قرْنَيْنِ(٧) *

---

(١) سورة فاطر ١٣ وانظر الصناعتين ص ٢٠٦

(٢) سورة الفرقان ٢٣ .

(٣) سورة إبراهيم ٤٣

(٤) سورة الـكهف ٢١ .

(٥) سورة ص ٣٢ وانظر المعانى الـكبير ١/ ٨٥ .

(٦) هو أبو ميمون العجلى ، النضر بن سلمة ، وقد ذكر ابن قتيبة بعض هذه الأرجوزة الطويلة فى عيون الأخبار ١/ ١٥٦ ، وذكرها كلها مع شرحها فى المعانى الـكبير ١/ ١٧٠–١٧٦ .

(٧) فى عيون الأخبار : « فى قرينين » وفى المعانى ١/ ٨٥، ١٧٦ : « كالقرينين » .

وقال طُفَيل :

[٦٧] وللخيلِ أيّامٌ فمَنْ يَصْطَبِرْ لَهَا ويَعْرِفْ لها أيّامَهَا الخيرَ تُعقِبِ (١)

ومنه قوله عز وجل ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فأحْيَيْناهُ وجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِى النّاسِ ﴾ (٢) . أى كان كافرا فهديناه وجعلنا له إيماناً يَهْتدى به سُبُلَ الخير والنَّجاة ﴿ كَمَنْ مَثَلُه فى الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ (٢) أى فى الكُفْر . فاستعار الموت مكانَ الكُفرِ ، والحياةَ مكانَ الهداية ، والنورَ مكان الإيمان .

ومنه قوله عز وجل : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴾ (٣) أى إثمَك ، وأصل الوِزْرِ ماحمله الإنسان على ظهره ، قال الله عز وجل : ﴿ ولكِنّا حُمِّلْنَا أوْزَاراً مِنْ زِينَةِ القَوْمِ ﴾ (٤) أى أحمالاً من حُليهم ، فشبَّه الإثمُ بالحمل ، فَجُعِلَ مكانه ، وقال فى موضع آخر : ﴿ وليَحْمِلُنَّ أثقَالَهُمْ وأثقالاً مَعَ أثقَالِهِمْ ﴾ (٥) يريد آثامهم .

* * *

ومن ذلك قوله : ﴿ ولكِنْ لا تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ (٦) أى نكاحاً ، لأن النكاح يكون سرًّا ولا يظهر ، فاستُعِيرَ له السرُّ ، قال رُؤبة :

* فَعَفَّ عَنْ أسْرارِهَا بعْدَ العَسَقْ (٧) *

والعَسَق : الملازمة .

---

(١) ديوانه ص ١٦ « يقول : الخيل تأتى بالغنم ، فمن يعرف لها أيامها الخير أعقبته ، قال : والخير صفة للأيام . قال أبو حاتم : كان سيبويه يقول : ويعرف لها أيامها تعقبه الخير ... » والبيت له فى المعانى الكبير ٨٥/١ والخزانة ٦٤٢/٣ والإنصاف ٢٥٧ والصناعتين ٢١٣ .

(٢) سورة الأنعام ١٢٢ .

(٣) سورة الشرح ٢ .

(٤) سورة طه ٨٧ .

(٥) سورة العنكبوت ١٣ .

(٦) سورة البقرة ٢٣٥ .

(٧) ديوانه ص ١٠٤ وقبله : « * أجنه فى مستكنات الحلق * وبعده : * ولم يضعها بين فرك وعسق * وانظر اللسان ٢٢/٦ ، ١٢٢/١٢ « عسق به يعسق عسقا : لزق به ولزمه وأولع به ، وعسقت الناقة بالفحل أربت ، وكذلك الحمار بالأتان .. » وفى مجاز القرآن ٢٩ : « فعف ، يعنى عن غشيانها ، أراد الحمار » .

ومنه قوله : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾(١) أى مُزْدَرَعٌ لكم كما تُزْدَرَعُ الأرض .

ومنهقوله : ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾(٢) أى تترخَّصُوا ، وأصل هذا أن يصرفَ المرءبصره عن الشيء ويُغمضه، فسُمّى الترَّخُّصُ إغماضاً . ومنه يقولُ الناسللبايع: أَغْمِضْ وغمّض ، يريدون لا تستقص وكن كأنّك لم تُبْصِر .

ومنه قوله : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾(٣) لأنَّ المرأة والرجل يتجردان ويجتمعان فى ثوب واحد، ويتضامَّانِ فيكون كلٌّ واحدٍ منهما للآخر بمنزلة اللباس .

قال النابغة الجَعْدىّ :

إذا ما الضَّجيعُ ثَنى جِيدَهَا   تداعَتْ عَلَيْهِ فَكانَتْ لِباسَا(٤)

* * *

ومنه قوله : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾(٥) أى طهِّر نفسك من الذنوب ؛ فكنى عن الجسم بالثياب لأنّها تشتمل عليه ، قالت ليلى الأخيلية وذكرتْ إبلا :

رَمَوها بأثْوابٍ خِفافٍ فلا ترَى   لها شبهًا إلاَّ النَّعامَ المُنفَّرا(٦)

أى ركبوها فرمَوها بأنفسهم . وقال آخر :

لاهُمَّ إنَّ عامرَ بن جَهمِ   أوْذَمَ حجًّا فى ثيابٍ دُسْمِ(٧)

[٦٨] أى هو متدنّس بالذنوب/ .

---

(١) سورة البقرة ٢٢٣ .

(٢) سورة البقرة ٢٦٧

(٣) سورة البقرة ١٨٧ .

(٤) البيت له فى اللسان ٧/٨٧ والشعر والشعراء ١/٢٥٥ ومجاز القرآن ٢٦ ـ ١ .

(٥) سورة المدثر ٤

(٦) البيت لها فى المعانى الكبير ١/٤٨٦ وفيه : « يعنى بأجسام خفاف ، يريد ركبوها » والصناعتين ص ٢٧٧ والفائق ١/٢٨ وهو غيرمنسوب فى اللسان ١/٢٣٩ وفيه : « رموها، يعنى الركاب، بأبدانهم »

(٧) فى أساس البلاغة ١/٢٧١ غير منسوب ، والمعانى الكبير ١/٤٨١ وشرحه ابن قتيبة هناك بقوله : « أو ذم : أوجب وعقد ، فى ثياب ، أى فى جسم غير طاهر » وهو غير منسوب أيضا فى اللسان ١١٧/١٦ « أى متلطخة بالذنوب ، يعنى أحرم بالحج وهو مدنس بالذنوب » وفى ١٥/٩٠ « الدسم : الوضر والدنس » .

والعرب تقول : قومٌ لِطَافُ الأُزُرِ ؛ أى خِماصُ البطون ؛ لأنَّ الأُزُرَ تُلاثُ عليها ويقولون : فِدًى لك إزارى ، يريدون : بدنى ، فتضع الإزار موضعَ النفْسِ . قال الشاعر :

أَلا أَبْلِغْ أَبَا حَفْصٍ رَسُولاً فِدًى لَكَ مِنْ أَخِى ثِقَةٍ إِزارِى (١)

وقد يكون الإزارُ فى هذا البيت : الأهلَ . قال الهُذلىّ :

تَبرَّأُ من دَمِ القَتيلِ وبَزِّهِ وقد عَلِقَتْ دمَ القتيلِ إِزارُها (٢)

أى نفسها .

ويقولون للعَفافِ : إزارٌ ؛ لأنّ العفيف كأنّه استتر لمّا عفَّ . وقال عَدِىّ بن زَيْد :

أَجْلِ أَنَّ اللهَ قَدْ فَضَّلَكُمْ فوقَ ما أَحْكِى بِصُلْبٍ وإِزارِ (٣)

فالصُّلبُ : الحسَبُ ، سمّاه صُلْباً لأنَّ الحسَبَ : العشيرة والخلْقُ من ماء الصّلب . والإزار : العفاف .

---

(١) البيت لأبى المنهال بقيلة الأكبر الأشجعى ، كما فى اللسان ٥ / ٧٥ وفى ٨ / ٣٥٠ غير منسوب وكذلك فى الصناعتين ص ٢٧٧ ولبقيلة فى المؤتلف والمختلف ص ٦٢ وأبواب مختارة ص ١٠ والعقد ٢/٤٦٣ والعمدة ١ / ٢٨١ . وسيأتى البيت مع أبيات أخر فى ص ١١٤ من صفحات الأصل المخطوط .

(٢) البيت لأبى ذؤيب الهذلى ، كما فى ديوانه ص ٢٦ واللسان ٥/٧٣ والمعانى الكبير ص ١/٤٨٣ وقال ابن قتيبة فى شرحه : « بزه : سلاحه ، وقد علقت دم القتيل إزارها ، هذا مثل ، يقال : حملت دم فلان فى ثوبك ، أى قتلته ، قال الأصمعى : هذه امرأة نزل بها رجل فتحرجت أن تدهنه وأن ترجل شعره ، ثم جاء كلب لها فولغ فى إنائها فغسلته سبع مرات ، وذلك بعين الرجل ، يتعجب منها ومن ورعها ، فبينا هو كذلك أتاها قوم يطلبون عندها قتيلا ، فانتفلت من ذلك وحلفت ؛ ثم فتشوا منزلها فوجدوا القتيل وسلاحه فى بيتها » ومعنى انتفلت : أنكرت وهو له فى الجمهرة ٢/٣٢٨ .

(٣) فى اللسان ١/٥١ « حكأ العقدة وأحكأها : شدها وأحكمها ، قال عدى بن زيد :

* أجل ان . فوق من أحكا صلبا بإزار * أراد فوق من أحكأ إزارا بصلب . معناه فضلكم على من ائتزر فشد صلبه بإزار ، أى فوق الناس أجمعين ؛ لأن الناس كلهم يحكئون أزرهم بأصلابهم . ويروى : * فوق ما أحكى بصلب وإزار * أى بحسب وعفة ، أراد بالصلب ههنا : الحسب ، وبالإزار العفة عن المحارم . أى فضلكم الله بحسب وعفاف فوق ما أحكى أى ما أقول » . وقد ورد فى اللسان أيضا ٥/٧٥، ١٨/٢٠٨ .

ويجوز أن يكون سَمّى العشيرة صُلْباً لأنّهم ظَهْرُ الرجل، والصُّلبُ فى الظّهر .

***

وقال : ﴿ وَهُوَ الذى جَعَل لَكُمْ اللّيْلَ لِبَاساً ﴾(١) : أى سِتْراً وحجابا لأبصاركم .

قال ذو الرُّمة :

ودَوِّيّةٍ مِثلِ السَّماءِ اعْتَسَفْتُها وقد صَبغَ اللّيْلُ الحَصَى بِسَوَادِ(٢)

أى لمّا ألبسَهُ الليلُ سَوادَهُ وظُلمته ، كان كأنّه صَبَغُه .

وقد يَكْنُون باللباس والثوب عما سَتَر ووقى ، لأنّ اللباس والثوبَ وَاقِيانِ ساتِرَان .

وقال الشاعر :

كَثَوْبِ ابن بِيضٍ وقاهم به فسَدَّ على السَّالكين السَّبِيلا(٣)

قال الأصمعى : ابن بيض : رجلٌ نحرَ بعيراً له على ثَنِيّةٍ فسَدَّها فلم يقدر أحد أنْ يجوز ، فَضُرِبَ به المثل فقيل : سَدّ ابن بِيضٍ الطريقَ(٤) .

وقال غير الأصمعى : ابن بيض : رجلٌ كانت عليه إتَاوَةٌ فهرب بها فاتَّبَعَهُ مُطالِبُه ، فلما خشى لَحاقَه وضع مايطالبه به على الطريق ومضى ، فلماأخذ الإتاوةَ رجع وقال : سدّ ابن بيضٍ الطريق ، أى منعنا من اتباعه حين وَفَى بما عليه فكأنه سدّ الطريق(٥) .

فكنَى الشاعرُ عن البعير ـ إن كان التفسير على ما ذكر الأصمعى؛ أو عن الإتاوةِ إن كان التفسير على ما ذَكَرَ غيره ـ بالثوب ، لأنهما وَقيا كما يقى الثوبُ / . [٦٩]

---

(١) سورة الفرقان ٤٧ .

(٢) ديوانه ص ١٣٩ « ودوية : فلاة ، مثل السماء : فى استوائها . اعتسفتها : سرت فيها على غير هداية » .

(٣) البيت لبشامة بن الغدير من قصيدة فى المفضليات ص ٦٠ وطبقات الشعراء ص ٥٦٥ وهو له فى الأغانى ١٢/٤٣ ونسبه فى اللسان ٨/٣٩٧ لبسامة بن حزن وهو خطأ .

(٤) المثل فى أمثال العرب للمفضل الضبى ص ٧١ـ٧٢ وجمهرة الأمثال ص ١١٨ ومجمع الأمثال ١/٣٤١ واللسان ٨/٣٩٧ .

(٥) راجع الأغانى ١٢/٤٢ـ٤٣ .

وكان بعض المفسرين يقول فى قوله عز وجل : ﴿ وهو الذى جَعَلَ لَكم الليلَ لِباساً ﴾[١] أى سكنا ؛ وفى قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِباسٌ لكمْ ﴾[٢] أى سكن لكم . وإنما اعتبر ذلك من قوله : ﴿ جَعَلَ لكم الليلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ﴾[٣] ومن قوله : ﴿ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إليها ﴾[٤] .

***

ومن الاستعارة : ﴿ وَأَمَّا الذين ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيها خَالِدُونَ ﴾[٥] يعنى جنّتَه ، سمَّاها رحمة لأن دخولهم إيَّاها كان برحمته .

ومثله قوله : ﴿ فأمَّا الذين آمَنُوا باللهِ واعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فى رَحْمَةٍ مِنه وفَضْلٍ ﴾[٦] . وقد توضَعُ الرحمةُ موضع المطر لأنه يَنزِل برحمته .

قال تعالى : ﴿ وهُوَ الذى يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بين يَدَىْ رَحْمَتِه ﴾[٧] . يعنى المطر .

وقال : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُم تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّى ﴾[٨] يعنى مفاتيح رزقه .

وقال تعالى : ﴿ ما يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فلا مُمْسِكَ لَهَا ﴾[٩] أى من رزق .

***

ومن الاستعارة : اللسان يوضع موضع القول لأنّ القول يكونُ بها ، قال الله عز وجل: حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ واجْعَلْ لى لسَانَ صِدْقٍ فى الآخِرِينَ ﴾[١٠] . أى ذِكْراً

---

(١) سورة الفرقان ٤٧ وتفسير الطبرى ١٩/١٤

(٢) سورة البقرة ١٨٧ .

(٣) سورة يونس ٦٧ .

(٤) سورة الأعراف ١٨٩ .

(٥) سورة آل عمران ١٠٧ وانظر الكشاف ١/٢٠٩ .

(٦) سورة النساء ١٧٥ .

(٧) سورة الأعراف ٥٧ .

(٨) سورة الإسراء ١٠٠ .

(٩) سورة فاطر ٢ .

(١٠) سورة الشعراء ٨٤ وتفسير الطبرى ١٩/٥٤ .

حسنا ؛ وقال الشاعر :

إنِّى أَتَتْنِى لِسَانٌ لا أُسَرُّ بِهَا ... من عَلوَ لا عَجَبٌ مِنْهَا ولاسَخَرُ(١)

أى أتانى خبرٌ لا أُسَرُّ به .

***

ومنه الذِّكْرُ يوضعُ موضع الشرف، لأنَّ الشَّريفَ يُذْكَر .

قال الله تعالى : ﴿ وإنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾(٢) يريد أن القرآن شرفٌ لكم .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾(٣) أى شرفُكم .

وقال : ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾(٤) أى أتيناهم بشرفهم .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾(٥) أى لا تستثقل شيئاً من أمرهما ، وتَضِيقَ به صدرا، ولا تُغَلِّظ لهما .

والناس يقولون لما يكرهون ويستثقلون: أُفٍّ له ، وأصل هذا نفخُكَ للشيء يسقط عليك من تراب أو رماد وغير ذلك ، وللمكان تريد إماطة الشيء عنه لتقعُد فيه. فقيل لكل مُسْتَثْقَل: أُفٍّ لك، ولذلك تُحرَّكُ بالكسر للحكاية ، كما يقولون: غاقِ غاقِ ، إذا حكَوْا صوتَ الغراب/ [٧٠]

---

(١) البيت مطلع قصيدة لأعشى باهلة يرثى المنتشر بن وهب الباهلى ، وهى فى أمالى الشريف المرتضى ٣/١٠٥–١١٣ والكامل ٢/٢٩١ – ٢٩٢ والأصمعيات ٣٢ وأمالى اليزيدى ص ١٣ – ١٨ وجمهرة أشعار العرب ١٣٥–١٣٧ وهو فى اللسان ١٩/٣١٦ « ويروى من علو وعلو – بفتح الواو وكسرها ، أى أتانى خبر من أعلى » ورواية اليزيدى : « إنى أتيت بشىء لا أسر به * ... «لا عجب فيه ...» ويروى من علو ومن عل ، يقال : أتيتك من علا ومن معال ومن عل ، وقوله : لا عجب ، أى ليس يبديع ؛ لأن الناس يموتون ويقتلون ، فلا سخر من ذلك ، أى لا عجب فيه ولا هزء منه » واللسان ههنا الرسالة ، كما فى الكامل ٢/٢٩٢ والجمهرة لابن دريد ٣/٤٨٧ .

(٢) سورة الزخرف ٤٤ .

(٣) سورة الأنبياء ١٠ .

(٤) سورة المؤمنون ٧١ .

(٥) سورة الإسراء ٢٣ .

والوجه أن يُسكَّن هذا، إلا أنه يُحرَّك لاجتماع الساكنين فربما نُوِّن وربما لم ينوّن، وربما حُرِّك إلى غير الكسر أيضاً.

***

ومنه قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ ﴾(١). يـ [illegible] جوا شرًّا وأجمعوا أمراً ليحاربوا النبى صلى الله عليه: سكّنه الله وَوَهَّن أمرهم.

ومنه قوله سبحانه: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾(٢). الإصر: الثّقل الذى ألزمَهُ الله بنى إسرائيل فى فرائضهم وأحكامهم، ووضعه عن المسلمين. ولذلك قيل للعهد: إِصرٌ. قال تعالى: ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى ﴾(٣) أى عهدى؛ لأن العهد ثِقلٌ ومَنْعٌ من الأمر الذى أُخِذَ له.

﴿ وَالْأَغْلَالُ ﴾: تحريمُ الله عليهم كثيراً مما أطلقه لأمّة محمد صلى الله عليه وسلم، وجعله أغلالًا: لأن التحريم يمنع كما يقبض الغُلُّ اليدَ، فاستُعِيرَ. قال أبو ذؤيبٍ(٤):

فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يا أمّ مالكٍ ... ولكن أحاطَتْ بالرِّقَابِ السَّلاسِلُ(٥)
وَعَادَ الفَتَى كالكَهْلِ لَيْسَ بقائلٍ ... سِوَى العَدْلِ شَيْئاً فاستراحَ العَوَاذِلُ(٦)

---

(١) سورة المائدة ٦٤.

(٢) سورة الأعراف ١٥٧.

(٣) سورة آل عمران ٨١.

(٤) البيتان ليسا لأبى ذؤيب الهذلى، وإنما هما لأبى خراش الهذلى، من قصيدة يرثى بها زهير ابن العجوة، كما فى ديوان الهذليين، القسم الثانى ص ١٥٠ والأغانى ٢١ / ٥٨ قال أبو الفرج الأصفهانى: « قال الأصمعى وأبو عمرو، فى روايتهما جميعا: أخذ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فى يوم حنين أسارى، وكان فيهم زهير بن العجوة، فمر به جميل بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، وهو مربوط فى الأسرى، وكانت بينهما إحنة فى الجاهلية فضرب عنقه، فقال أبوخراش يرثيه: الخ ».

(٥) البيتان فى البحر المحيط ٤/٤٠٤ للهذلى. وفيه فى الأول: « كهذا الدار » وفى الثانى « ليس بقابل » وفى ديوان الهذليين: « أراد: الإسلام أحاط برقابنا، فلا نستطيع أن نعمل شيئا ».

(٦) رواية الأغانى: « سوى الحق » وفى البحر المحيط بعد البيت: « وليس ثم سلاسل، وإنما أراد أن الإسلام ألزمه أمورا لم يكن ملتزما لها قبل ذلك، كما قال [صلى الله عليه وسلم]: الإيمان قيد الفتك » وفى ديوان الهذليين: « يقول: رجع الفتى عما كان عليه من فتوته وصار كأنه كهل. قوله: فاستراح العواذل، لأنهن لا يجدن ما يعذلن فيه سوى العدل، أى سوى الحق ».

يقول : ليس الأمرُ كعهدِك إذ كنا فى الدّار ونحن نتبسَّطُ فى كل شىء ولا نتوقّى ولكن أسْلمْنا فصِرْنا من موانع الإسلام فى مثل الأغْلال المحيطة بالرِّقاب القابضة للأيدى .

هذا قوله : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِى أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا ﴾[(١)] ، أى قبضنا أيديهم عن الإنفاق فى سبيل الله بموانع كالأغلال .

* * *

ومن ذلك قوله : ﴿ صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً ﴾[(٢)] ، يريد الخِتان ، فسماه صِبْغةً لأن النصارى كانوا يَصبُغون أولادهم فى ماء ويقولون : هذا طُهْرةٌ لهم كالختان للحُنفاء ، فقال الله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللهِ ﴾ ، أى الزَمُوا صبغة الله لا صبغة النصارى أولادهم ؛ وأراد بها ملة إبراهيم عليه السلام .

* * *

ومنه قوله / : ﴿ مَا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾[(٣)] ، أى مالها من تنظُّرٍ وتمكُّثٍ إذا بدأتْ ، [٧١]
ولذلك سمّاها ساعة لأنها تأتى بَغْتَةً فى ساعة .

وأصل الفُوَاقِ أن تُحلب الناقة ثم تُترك ساعة حتى يجتمع اللبن ثم تُحلَب ، فما بين الحَلْبتين فُوَاق[(٤)] ، فاستعير الفُوَاق فى موضع الانتظار .

* * *

ومنه قوله : ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ ﴾[(٥)] ، أى حظًّا ونصيباً .
وأصلُ الذَّنوب الدّلوُ ، وكانوا يَسْتقون الماء فيكون لهذا ذَنُوبٌ ولهذا ذَنُوبٌ ، فاستُعيرَ فى موضع النَّصِيب ، وقال الشاعر :

---

(١) سورة يس ٨ .
(٢) سورة البقرة ١٣٨ .
(٣) سورة ص ١٥ .
(٤) اللسان ١٢/١٩٢ .
(٥) سورة الذاريات ٥٩ .

إنَّا إذا نازَعنَا شَرِيبُ   لنا ذَنُوبٌ وله ذَنُوب(١)

والعرب تقول : أخى وأخوك أيُّنا أَبْطَشُ ، يريدون : أنا وأنت نَصْطرع فننظر أيُّنا أشدُّ ، فيَكْنى عن نفسه بأخيه لأن أخاه كنفسه . وقال العَبْدِىّ :

أخى وأُخُوكَ ببطن النُّسَيْـ   ـر ليس به مِنْ مَعَدٍّ عَرِيبُ(٢)

ويكنى عن أخيه بنفسه . قال الله تعالى : ﴿ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾(٣) ، أى لا تَعيبُوا إخوانكم من المسلمين ؛ لأنهم كأنفسهم .

وقال : ﴿ لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾(٤) ، أى بأمثالهم من المسلمين .

وبعض المفسّرين يقول فى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ ، أى على أهليكم(٥) ، جعَلَهم أنفسهم على التّشبيه .

وقال ابن عباس فى تفسير ذلك : البيوتُ : المساجدُ ، إذا دخَلْتَها سلَّمْتَ على نفسك وعلى عباد الله الصالحين(٦) .

---

(١) فى اللسان ١/٣٧٨ : « وقال الفراء : الذنوب فى كلام العرب : الدلو العظيمة ، ولكنّ العرب تذهب به إلى النصيب والحظ ، وبذلك فسر قوله تعالى : (فإن للذين ظلموا) أى أشركوا (ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم) أى حظا من العذاب ، كما نزل بالذين من قبلهم ، وأنشد الفراء :

لها ذنوب ولكم ذنوب   فإن أبيتم فلنا القليب »

وأنشده الطبرى فى تفسيره ٢٧/٩ والزمخشرى فى الكشاف ٤/٣٣ :

* لنا ذنوب ولكم الخ * وأنشده أبو حيان فى البحر المحيط ٨/١٣٢ :

إنا إذا نازلنا غريب   له ذنوب ولنا ذنوب

وإن أبيتم فلنا القليب »

والشريب كما فى اللسان ١/٤٧١ « صاحبك الذى يشاربك ويورد إبله معك »

(٢) البيت لثعلبة بن عمرو العبدى ، من قصيدة له فى المفضليات ص ٢٥٤ وبطن النسير : موضع ، وليس به عريب : ليس به أحد ، ولا تستعمل فى غير النفى .

(٣) سورة الحجرات ١١ وانظر الطبرى ٢٨/٧٧ .

(٤) سورة النور ٦١ .

(٥) راجع ذكر من قال ذلك فى الطبرى ٢٨/١٣١–١٣٢ .

(٦) فى الطبرى ٢٨ / ١٣٢ « عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس : إذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم ، قال : هى المساجد ، يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » .

وقال تعالى : ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾(١) ، أى إلى الجهاد الذى يُحْيِي دينكم ويُعْليكم .

وقال : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾(٢) ، أى لا تقتلوا إخوانكم . ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾(٣) ، أى أموال إخوانكم .

وإن جعلتَهُ بمعنى لا يأكلْ بعضكم مال بَعْضٍ ، ولا يَقتُلْ بعضكم بعضاً فهو أيضاً قريب المعنى / من الأوّل . [٧٢]

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾(٤) أراد : خلقْنا آدم وصوَّرناه ، فجعل الخلقَ لهم ، إذ كانوا منه .

ومنه قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾(٥) ، أى عقل ؛ لأن القلب موضعُ العقل ، فكنى عنه به .

وقوله : ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا ﴾(٦) ، أى تدلهم عقولهم عليه ؛ لأن الحِلم يكون من العقل ، فكنى عنه به .

ومنه قوله : ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾(٧) لأن التعذيب قد يكون بالسوط.

ومنه قوله : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾(٨) يعنى العِلْم، لم يتحققوه ويستيقنوه . وأصل ذلك أن القتل للشىء يكون عن قهرٍ واستعلاءٍ وغلبةٍ ، يقول : فلم يكن عِلمهم بقتل المسيح عِلماً أُحِيطَ به ، إنما كان ظنًّا .

---

(١) سورة الأنفال ٢٤ .

(٢) سورة النساء ٢٩ « يأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ، ولا تقتلوا أنفسكم ، إن الله كان بكم رحيما » .

(٣) سورة البقرة ١٨٨ « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » .

(٤) سورة الأعراف ١١ .

(٥) سورة ق ٣٧ .

(٦) سورة الطور ٣٢ .

(٧) سورة الفجر ١٣ .

(٨) سورة النساء ١٥٧ .

ومنه قوله سبحانه : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ﴾[١] ، أى كلَّ ذى مِخْلبٍ من الطير ، وكلّ ذى حافرٍ من الدّواب ، كذلك قال المفسّرون .

وسمّى الحافر ظُفراً على الاستعارة ، كما قال الآخر[٢] وذكر ضَيْفاً طرَقَه :

فما رَقدَ الْوِلْدَانُ حَتَّى رَأَيْتُهُ ‌ ‌ ‌ على البَكْرِ يَمْرِيهِ بساقٍ وحافِرِ[٣]

فجعل الحافرَ موضعَ القدم .

وقال آخر :

سَأَمْنَعُها أو سَوْفَ أجْعَلُ أمْرَها ‌ ‌ ‌ إلى مَلِكٍ أَظْلافُه لم تَشَقَّقِ[٤]

يريد بالأَظْلاف : قدمَيْه ، وإنما الأظلافُ للشاء والبقر .

والعرب تقول للرجل : هو غليظُ المَشَافِر ، تريد الشفتين ، والمشافرُ للإبل .

وقال الحُطَيْئَة :

---

(١) سورة الأنعام ١٤٦ .

(٢) هو جبيهاء الأشجعى ، والبيت من قصيدة طويلة فى ملحق حماسة ابن الشجرى ص ٢٨٥—٢٨٩ .

(٣) البيت غير منسوب فى الصناعتين ص ٢٣٣ والموازنة ص ٣٦ والموشح ٩١ وفى اللسان ٥/٢٨٣ « الجوهرى : الحافر : واحد حوافر الدابة ، وقد استعاره الشاعر فى القدم ، قال جبيهاء الأسدى يصف ضيفا طار فأسرع إليه :

فأبصر نارى وهى شقراء أوقدت ‌ ‌ ‌ بليل فلاحت للعيون النـواظر

فما رقد الولدان — البيت — ومعنى يمريه : يستخرج ماعنده من الجرى » ومعنى شقراء : ذهب دخانها، وذلك أشد لضوئها .

(٤) البيت غير منسوب فى الصناعتين ص ٢٣٤ والموازنة ص ٣٦ وأبواب مختارة ص ٣٨ والأمالى ٢/١٢٠ وقال أبو عبيد البكرى فى اللآلى ٢/٧٤٦ « البيت لعقفان بن قيس بن عبيد اليربوعى، وكان النعمان بن المنـذر استعمل الغلاق بن عمرو الرياحى على هجائن من يلى أرضه من العرب ، وكانت لعقفان هذا هجائن فأخفاها ، فطلبها الغلاق ، فعمد عقفان بإبله حتى أتى النعمان ، فأجاره ولم يأخذ منها شيئا، فقال قصيدة منها :

سواء عليكم شؤمها وهجانها ‌ ‌ ‌ وإن كان فيها واضح اللون يبرق

سأمنعها — البيت — وهذه من أقبح الاستعارات ، وإنما يريد بقوله : أظلافه لم تشقق أنه منتعل مترفه فلم تشقق قدماه » والبيتان لعقفان فى اللسان ١١/١٣٤، وفيه : « الشؤم : السود من الإبل ، والهجان بيضها » .

قرَوْا جارَكَ العَيْمانَ لمّا جفَوْتَهُ ‌ ‌ ‌ ‌ وَقَلَّصَ عَنْ بَرْدِ الشَّرَابِ مَشَافِرُهْ(١)

***

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾(٢) .

قال ابن عباس : اليمين ههنا : القُوَّة . وإنما أقامَ اليمين مُقامَ القوّة ، لأن قوة كل شيء فى مَيامنه .

ولأهل اللغة فى هذا مذهب/ آخر قد جرَى الناس على اعتيادِه : أَنْ كان الله عز وجل أراده فى هذا الموضع، وهو قولهم إذا أرادوا عقوبة رجلٍ : خُذ بيده وافعل به كذا وكذا، وأكثرُ ما يقولُ السلطانُ والحاكمُ بعد وُجُوبِ الحُكم : خذ بيده واسفعْ بيده(٣) . ونحوه قول الله: ﴿ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾(٤) أى لَنَأْخُذَنَّ بها، ثم لَنُقيمنَّه ولَنُذِلّنه إما فى الدنيا وإما فى الآخرة ؛ كما قال تعالى : ﴿ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾(٥) أى يجرُّون إلى النار بنواصيهم وأرجلهم؛ ثم قال : ﴿ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ وإنما يعنى صاحبها. والناس يقولون : هو مَشْئُوم الناصية ، لا يريدونها دون غيرها من البدن . ويقولون : قد مرّ على رأسى كذا ، أى مرّ علىّ . [٧٣]

---

(١) ديوانه ص ١٢ والموشح ص ٩١ والموازنة ص ٣٦ والصناعتين ص ٢٣٣ وفى الديوان : « لما تركته » وفيه بعد البيت :

سناما ومحضا أنبت اللحم فأكست ‌ ‌ ‌ ‌ عظام امرىء ما كان يشبع طائره

وقال السكرى فى شرحه : « يقول : لما لم يقدروا على شرب الماء من شدة البرد قروه : سناما ولبنا محضا . يقولون: لو وقع عليه طائر ما شبع من لحمه من شدة هزاله ، والمحض من اللبن: ما لم يخالطه الماء » .

(٢) سورة الحاقة ٤٦ وانظر تفسير الطبرى ٤٢/٢٩ .

(٣) فى اللسان ١٠/١١-١٢ « وسفع بناصيته ورجله : يسفع سفعا : جذب وأخذ وقبض . وفى التنزيل « لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة » ناصيته: مقدم رأسه ، أى لنصهرنها ولنأخذن بها ، أى لنقمئنه ولنذلنه ... وحكى ابن الأعرابى : اسفع بيده : أى خذ بيده » .

(٤) سورة العلق ١٥، ١٦ .

(٥) سورة الرحمن ٤١ .

فكأنه تعالى قال : لو كذب علينا فى شىء مما يلقيه إليكم عنّا ، لأمَرْنا بالأخذ بيده ثُمَّ عاقَبْنَاه بقطع الوَتين .

وإلى هذا المعنى ذهب الحسن ، فقال فى قوله تعالى : ﴿لأَخَذْنَا مِنهُ باليمين﴾ أى بالميامِن ، ثم عاقبناه بقطع الوتين ، وهو عِرق يتعلق به القلب ، إذا انقطع مات صاحبه .

ولم يُردأنّانقطعه بعينه ، فيما يرَى أهلُ النظر ، ولكنه أراد : ولو كذَبَ علينا لأَمَتْنَاه أو قتلناه ، فكان كمن قُطِع وتِينهُ .

ومثله قول النبى صلى الله عليه : « ما زالت أُكْلَةُ خَيْبَرَ تُعادُّنِى ، فهذا أوانُ قَطَعَتْ أَبْهَرِى »(١) .

والأَبْهَرُ : عِرقٌ يتصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه ، فكأنَّه قال : فهذا أوان قتلنى السّمّ ، فكنت كمن انقطع أَبْهَرُه .

***

ومنه قوله سبحانه : ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الخُرْطُومِ﴾(٢) ذهب بعض المفسّرين فيه : إلى أنَّ الله عز وجل يَسِمُ وجهَه يوم القيامة بالسَّواد .

وللعرب فى مثل هذا اللفظ مَذْهَبٌ نُخبر به ، والله أعلم بما أراد .

تقولُ العرب للرجل يَسُبُّ الرجل سبَّةً قبيحة ، أو يَنْثُو عليه فاحِشَةً : قد وسَمَهُ بميسم سوء ، يريدون : أَلْصَق به عاراً لا يُفارِقُه ، كما أنَّ السِّمَةَ لا تَنْمَحِى ولا يَعْفُو أَثَرُهَا .

[٧٤] وقال جرير :

لما وَضَعْتُ على الفرَزْدَقِ مِيسَمِى وعلى البَعِيثِ، جَدَعْتُ أَنْفَ الأَخْطَلِ(٣)

---

(١) اللسان ٥/١٥٠ «تعاودنى» والفائق ١/٣٨ « تعادنى » وكذلك فى اللسان ٤/٢٧٤ وفيه : « أى تراجعنى ويعاودنى ألم سمها فى أوقات معلومة » .

(٢) سورة القلم ١٦ وانظر اختلاف أهل التأويل فى تأويل ذلك فى الطبرى ٢٩/١٨–١٩ وانظر اللسان ١٥/٦٣–٦٤ .

(٣) ديوانه ص ٤٤٣ « وضغا البعيث » .

يريد : أنه وسَم الفرزدق ، وجَدَع أنف الأخطل بالهجاء ، أى أبقى عليه عاراً كالجَدْعِ والوَسم . وقال أيضا :

رُفِعَ المَطىُّ بمـا وسَمْتُ مُجاشِعاً والزّنبرِىُّ يَعُومُ ذو الأَجْلالِ (١)

يريد: أن هجاءه قد سارت به المطىّ ، وغُنِّىَ به فى البر والبحر. وقال :

وأوْقدتُ نارِى بالحديدِ فأصبحتْ لهاوَهجٌ يُصْلِى به اللهُ مَنْ يُصْلِى (٢)

شَبَّهَ شِعرَهُ بالنَّار ، وهجاءَهُ بمواسم الحديد .

وقال الكُميت بن زيد يذكر قصيدة له (٣) :

تُعَلِّطُ أقْواماً بمَيسِمِ بارِقٍ وتَقْطِمُ أوباشاً زَنِيماً ومُسْنَدا

والعِلاط : سِمَةٌ فى العُنُق .

وربما استعاروا للهجاء غيرَ الوَسْمِ ، كقول الهذلىّ :

مَتى ما أشَأْ غَيْرَ زَهْوِ المُلُو كِ أجْعَلْكَ رَهْطاً عَلَى حُيَّضِ (٤)

وأكْحُلْكَ بالصَّابِ أو بالجَلاَ فَفَقِّحْ لِكَحْلِكَ أو غَمِّضِ (٥)

---

(١) ديوانه ص ٤٦٦ والنقائض ١ / ٢٩٥ واللسان ١٣ / ١٢٨ والمعانى الكبير ٢/٨٠٢ وشرحه ابن قتيبة بقوله : « الزنبرى : العظام من السفن، والأجلال : الشرع ، يقول : غنى بهجائى لهم فى البحر والبر » والشطر الثانى غير منسوب فى اللسان ٥/٤١٩ « كالزنبرى يقاد بالأجلال » .

(٢) ديوانه ص ٤٦٢ .

(٣) قال ابن قتيبة فى المعانى الكبير ٢/٨٠٣ « وقال يذكر قصائده :

غرائب يدعون الرواة كأنما رشونهم والراكب المتغردا

تعلط ... وتفطم أو باشا حميلا ومسندا » يقول : يطلبها الناس حتى يرووها من حسنها ، فكأنها رشتهم . والعلاط : سمة فى العنق بمنزلة القلادة . والمسند : الدعى ، والحميل : الذى يحمل من بلاده صغيرا »

(٤) الشعر لأبى المثلم الهذلى ، وهذا البيت له فى اللسان ١٩/٨٠ ، ٩/١٧٧ وغير منسوب فى مقاييس اللغة ٢/٤٥٠ ، ٣/٢٩ وذكره ابن قتيبة فى المعانى الكبير ١/٤٨٤،٥٩٣ وقال فى شرحه : « الرهط: جلد يشق أسفله ويترك أعلاه فيلبسه الصبيان ، وهذا مثل ، وإنما أراد : إذا أسبك وألبسك العار » وفى اللسان ٩/١٧٧ « الرهط : جلد قدر مابين الركبة والسرة تلبسه الحائض ، وكانوا فى الجاهلية يطوفون عراة والنساء فى أرهاط » والزهو — كما فى اللسان ١٩/٨٠: « الكبر والتيه والفخر والعظمة » .

(٥) البيت فى اللسان ١٨/١٦٤ والجمهرة ٢/١١٢ .

وأُسْعِطكَ فى الأنْفِ ماءَ الأَبا ءِ مِمَّـا يُثَمَّـلُ بالمِخْوَضِ
جَهِلْتُ سَعُوطَكَ : حتى ظَنَنْـ تُ بأنْ قد أُرِضْتَ ؛ ولم تُؤْرَضِ

والرَّهطُ : جلدٌ تلبسه المرأة أيامَ الحيض .

والصابُ : شجرٌ له لبنٌ يحرقُ العين .

والجلاَ : كحلٌ يُحكُّ على حَجرٍ ثم يُكتحل به .

والأَباء : القَصَبُ ، وماؤه شرُّ المياه .

ويقال : الأَباء ههنا : الماء الذى تَشرب منه الأَرْوَى ، فتبول فيه وتُدَمِّنُه .

ويُثَمَّلُ : يُنْقَع .

وهذه أَمثال ضربها لما يهجوه به .

وقال آخر :

سَأَكْسُوكُمَا يا ابْنَىْ يزيدَ بن جُعْشُمٍ رداءَيْنِ مِنْ قارٍ ومِنْ قِطِرانِ (١)

فى أشباهٍ لهذا كثيرة .

***

وهذه الآية(٢) نزلت فى الوليد بن المغيرة ، ولا نعلم أن الله عزّ وجل وصف أحدا وصْفَهُ له ، ولا بلغ من ذكرِ عيوبه ما بلغه من ذكرِها منه/ لأنه وصفَهُ بالحلف ، والمهانة ، والعيب [٧٥] للناس ، والمشى بالنَّمائم ؛ والبخل ، والظلم ، والإثم ، والجفاء ، والدِّعوة .

فألحق به عارا لا يفارقُه فى الدنيا ولا فى الآخرة ، كالوسم على الخرطوم ، وأَبيَنُ ما يكون الوَسْمُ فى الوجه .

ومما يشهد لهذا المذهب ، ما رواه سُفْيانُ عن زكريا ، عن الشَّعْبى فى قوله تعالى :

---

(١) البيت غير منسوب فى الشعر والشعراء ١/١٥٦ وفيه « من قير » وهو غير منسوب كذلك فى المعانى الكبير ٢/٧٩٩ ، ١١٧٥ وبعده فيهما :

إذا لبسا زادا على اللبس حدة ولم يبل وشى منهما لأوان

(٢) يقصد قوله تعالى : « سنسمه على الخرطوم » راجع ص ١١٨ .

﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾[1] أنه قال: العُتُلّ: الشديد. والزّنيم: الذى له زَنَمةٌ من الشرّ يُعرفُ بها، كما تُعْرفُ الشاةُ بالزّنَمةِ.

أرادالشّعبى: أنّه قد لحقته سُبّةٌ من الدّعوة عُرِفَ بها كزنَمةِ الشّاة[2].

***

ومنه قوله: ﴿وامرأتُه حَمّالَةَ الحطَبِ، فى جِيدِها حَبْلٌ من مَسدٍ﴾[3].

قال ابن عباس: فى رواية أبى صالح عنه: الحطب: النّميمة[4] وكانت تَنُمُّ وتُؤرِّش بين الناس.

ومن هذا قيل: فلان يَحْطِبُ علىّ إذا أغرَى به، شبّهوا النّميمةَ بالحطَبِ، والعداوةَ والشحناءَ بالنار؛ لأنّهما يقعان بالنميمة، كما تلتهب النار بالحطب، ويقال: نار الحِقْدِ لا تَخْبُو، فاستعاروا الحطب فى موضع النميمة. وقال الشاعر وذَكَرَ امرأة:

مِنَ البِيضِ لم تَصْطَدْ على حَبْلِ سَوْأَةٍ ... وَلَمْ تَمْشِ بَيْنَ الحَىِّ بالحَظِرِ الرَّطْبِ[5]

---

(١) سورة القلم ١٣.

(٢) راجع تفسير الطبرى ٢٩/١٦–١٨.

(٣) سورة المسد ٤، ٥.

(٤) قال الطبرى فى تفسيره: ٣٠/٢١٩ «واختلف أهل التأويل فى معنى قوله «حمالة الحطب»، فقال بعضهم: كانت تجىء بالشوك فتطرحه فى طريق رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ليدخل فى قدمه إذا خرج للصلاة ... عن ابن عباس فى قوله: وامرأته حمالة الحطب قال: كانت تحمل الشوك فتطرحه على طريق النبى صلى الله عليه وسلم ليعقره وأصحابه. ويقال: حمالة الحطب: نقالة للحديث ... وقال آخرون: قيل لها ذلك لأنها كانت تحطب الكلام وتمشى بالنميمة، وتعير رسول الله بالفقر ... وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى قول من قال: كانت تحمل الشوك فتطرحه فى طريق رسول الله، لأن ذلك هو أظهر معنى ذلك».

(٥) فى اللسان ١/٣١٣: «قال الأزهرى: جاء فى التفسير أنها أم جميل امرأة أبى لهب، وكانت تمشى بالنميمة، ومن ذلك قول الشاعر:

من البيض لم تصطد على ظهر لأمة ... ولم تمش بين الحى بالحطب الرطب

يعنى بالحطب الرطب: النميمة» وأنشد عجزه فى ٥/٢٧٩ «لم يمش بين الحى بالحظر الرطب».

والبيت غير منسوب كذلك فى مقاييس اللغة ٢/٧٩ «على حبل لأمة» والبحر المحيط ٨/٥٢٦ «جعله رطبا ليدل على التدخين الذى هو زيادة فى الشر» وأساس البلاغة ١/١٨٣ «على خيل لامة».

أى لم توجَد على أمر قبيح ، ولم تمش بالنمائم والكذب .

والحَظر : الشّجر ذو الشّوك يُحظَرُ به . وقال آخر :

فَلَسْنَا كمن تُزْجَى المقالةُ شَطرَهُ   بقَرفِ العِضاهِ الرَّطْبِ والعَبلِ اليَبْسِ

وقال بعض المتقدمين : كانت تُعيِّرُ رسول الله صلى الله عليه بالفقر كثيرا ، وهى تحتَطِب على ظهرها بحبل من ليف فى عنقها .

ولستُ أدرى كيف هذا ! لأنّ الله عز وجل وصفه بالمال والولد، فقال : ﴿ ما أغْنَى عَنْهُ مالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾(١) ، وأما المَسَدُ : فهو عند كثير من الناس : اللّيف دون غيره . وليس كذلك ؛ إنما المسَدُ : كلّ ما ضُفِر وفُتِلَ من اللّيف وغيره ، يقال: مَسَدت الحَبل / [٧٦] مَسْداً إذا فتَلْتَه ، فهو مَسَدٌ . كما تقول : نفضْتُ الشّجرة نفضًا وخَبَطْتُها خَبْطاً . واسم ما يسقط من ثمرها وورقها : نَفَضٌ وخَبَطٌ ، ومنه قيل : رجل مَمْسُودُ الخَلْق ؛ إذا كان مَجْدُولاً مفْتولا(٢) .

ويدلُّك على أن المَسَد قد يكون من غير الليف، قولُ الرّاجز :

يا مَسَدَ الخُوص تعوّذْ مِنِّى   إنْ تكُ لدْناً ليّناً فإنِّى

مَا شِئْتَ مِنْ أَشْمَطَ مُقْسَئِنِّ(٣)

فجعله هذا من خُوص .

---

(١) سورة المسد٢، وقال الطبرى ٣٠/٢١٨ « يقول تعالى ذكره : أى شىء أغنى عنه ماله ودفع من سخط الله عليه؟ وما كسب : هم ولده ، وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل » .

(٢) اللسان ٤/٤١٠ .

(٣) فى اللسان ٤/٤٠٩ « ابن سيده : المسد حبل من ليف أو خوص أو شعر أو وبر أو صوف، أو جلود الإبل ، أو جلود ، أو من أى شىء كان ، وأنشد : * يا مسد الخوص ... مقسئن * قال : وقد يكون من جلود الإبل ، أو من أوبارها» والرجز غير منسوب كذلك فى اللسان ١٧/٢٢١ « والمقسئن : الذى قد انتهى سنه ، فليس به ضعف كبر ولا قوة شباب . وقيل : هو الذى فى آخر شبابه وأول كبره » .

وقال آخر :

وَمَسَدٍ أُمِرَّ مِنْ أَيَانِقِ[(١)] لَسْنَ بأنْيابٍ ولا حَقائقِ[(٢)]

فجعله هذا من جلود الإبل .

وأراد الله تبارك وتعالى بهذا الحبل: السلسلةَ التى ذكرها ، فقال : ﴿ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوه ﴾[(٣)] . كذلك قال ابن عباس .

فيجوز أن يكون سمَّاها مَسَدًا ، وإن كانت حديداً أو ناراً أو ما شاء الله أن تكون ، بالضَّفْر والفَتْل .

* * *

ومنه قوله سبحانه : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِين ﴾[(٤)] .

قال قتادة والحسن : اللهو المرأة[(٥)] .

وقال ابن عباس : هو الولد .

---

(١) البحر المحيط ٨/٥٢٤ وفى تفسير الطبرى ٣٠/٢٢١ وبعده فيه :

* صهب عتاق ذات مخ زاهق *

(٢) الرجز فى اللسان ١١/٣٣٩ لعمارة بن طارق ، وفيه ٤/٤٠٩ « وأنشد الأصمعى لعمارة بن طارق — وقال أبو عبيد : هو لعقبة الهجيمى — :

فاعجل بغرب مثل غرب طارق ومسد أمر من أيانق

* ليس بأنياب ولا حقائق *

يقول : اعجل بدلو مثل دلو طارق ، ومسد فتل من أيانق ، وأيانق جمع أينق ، وأينق جمع ناقة . والأنياب جمع ناب ، وهى الهرمة . والحقائق جمع حقة ، وهى التى دخلت فى السنة الرابعة ، وليس جلدها بالقوى ، يريد ليس جلدها من الصغير ولا الكبير ، بل هو جلد ثنية أو رباعية أو سديس أو بازل » . والرجز فى اللسان أيضا ١٢/١٣ لعثمان بن طارق .

(٣) سورة الحاقة ٣٢ وانظر تفسير الطبرى ٢٩/٤٠ .

(٤) سورة الأنبياء ٧ .

(٥) فى تفسير الطبرى ١٧/٨ « عن عقبة بن أبى حمزة ، قال : شهدت الحسن بمكة ، وجاءه طاوس وعطاء ومجاهد ، فسألوه عن قول الله تبارك وتعالى : « لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه » قال الحسن : اللهو : المرأة ... عن قتادة : اللهو بلغة أهل اليمن : المرأة » .

والتفسيران متقاربان ؛ لأن امرأة الرجل لهْوُه ، وولدَه لهوُه(١) ، ولذلك يقال : امرأة الرجل وولده رَيْحانتاهُ .

وأصل اللهو : الجماع ، فـكُنِّيَ عنه باللهو(٢) ، كما كُنِيَ عنه بالسِّرِّ ، ثم قيل للمرأة لَهْوٌ لأنها تُجامَع . قال امرؤ القيس :

ألا زَعَمتْ بَسْبَاسَةُ اليومَ أنَّني   كَبِرْتُ وألّا يُحسِنَ اللهوَ أمثالى(٣)

أى النكاح .

ويروى أيضاً : وألا يُحسن السر أمثالى : أى النكاح .

وتأويل الآية : أن النّصارى لما قالت فى المسيح وأُمِّه ما قالت(٤) ، قال الله جل وعز : لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا ، أى صاحبةً وولداً ، كما يقولون ، لاتخذْنا ذلك مِنْ لَدُنَّا ، أى من عندنا ، ولم نتَّخذه من عندكم لو كُنَّا فَاعِلِينَ ذلك ، لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجه يكونان عنده وبحضرته لا عند غيره .

[٧٧] وقال الله فى مثل هذا المعنى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾(٥) ، يعنى الملائكة .

* * *

ومنه قوله سبحانه : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾(٦)

وأصل الذَّوَاقِ: بالفم ، ثم قد يُستعار فيوضع موضع الابتلاء والاختبار ، تقول فى الكلام: نَاظِرْ فلاناً وذُقْ ما عنده ، أى تعرَّفْ واختبر ، واركب الفرس وذُقْه . قال الشمّاخ فى وصف قَوْس :

(١) فى اللسان ١٢٦/٢٠ « اللهو فى لغة أهل حضرموت : الولد . وتأويله فى اللغة : أن الولد لهو الدنيا ، أى لو أردنا أن نتخذ ولدا ذا لهو نلهى به . ومعنى لاتخذناه من لدنا ، أى لاصطفيناه مما نخلق » .

(٢) اللسان ١٢٦/٢٠ .

(٣) ديوانه ص ١٠٦ .

(٤) فى الطبرى ٨/٢٧ « عن ابن جريج ، قال : قالوا : مريم صاحبته وعيسى ولده ، فقال تبارك وتعالى : لو أردنا الخ » .

(٥) سورة الأعراف ٢٠٦ .

(٦) سورة النحل ١١٢ .

فَذَاقَ فَأَعْطَتْهُ مِنَ اللِّينِ جَانِباً   كَفَى وَلَهَا أَنْ تُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِزُ[١]

يريد : أنه ذاق القوسَ بالنَّزْعِ فيها، ليعلم أَلَيِّنَةٌ هى أم صُلبةٌ ؟

وقال آخر :

وإنَّ اللهَ ذَاقَ حُلومَ قَيْسٍ   فلمَّا راءَ خِفّتَهَا قَلاهَا[٢]

* * *

وهـذه الآية نزلت فى أهل مكة ، وكانوا آمنين بها[٣] لا يُغَارُ عليهم ، مطمئنين لا يَنْتَجِعُون ولا يتنقّلون ، فأبدلهم الله بالأمن الخوفَ من سَرَايَا رسول الله صلى الله عليه وبُعُوثِه ، وبالـكفاية الجوعَ سبع سنين ، حتى أكلوا القِدَّ والعِظَامَ .

ولباسُ الجوع والخوف : ما ظهر عليهم من سوء آثارها بالضُّمْرِ والشُّحوب ونَهْكَةِ البدن ، وتغيّر الحال ، وكُسُوف البال[٤] .

وقال فى موضع آخر : ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾[٥] ، أى ماظهر عنه من السَّكِينَةِ والإخْبَاتِ

---

(١) ديوانه ص ٤٩ وأساس البلاغة ١/٣٠٦ والشعر والشعراء ١/٢٧٥ والحيوان ٥/٢٩ واللسان ١١/٤٠١ وفى ص ٤٠٢ « أى لها حاجز يمنع من إغراق ، أى فيها لين وشدة ... وذقت القوس : إذا جذبت وترها لتنظر شدتها » .

(٢) قال الجاحظ فى الحيوان ٥/٣٠ « قال يزيد بن الصعق لبنى سليم حين صنعوا بسيدهم العباس [ابن أنس] ما صنعوا وقد كانوا توجوه وملـكوه ، فلما خالفهم فى بعض الأمر وثبوا عليه ، وكان سبب ذلك قتله رهطه ـ :وإن الله ذاق ... فلما ذاق خفتها الخ وبعده :

رآها لا تطيع لها أميرا   فخلاها تردد فى خلاها »

خلاها : تركها ، والخلى : الرطب من النبات .

(٣) راجع الطبرى ١٤/١٢٤ .

(٤) قال الطبرى ١٤ / ١٢٥ « يقول تعالى ذكره : فأذاق الله أهل هذه القرية لباس الجوع » وذلك جوع خالط أذاه أجسامهم ، فجعل الله ، تعالى ذكره ، ذلك لمخالطته أجسامهم بمنزلة اللباس لهـا ، وذلك أنهم سلط عليهم الجوع سنين متوالية ، بدعاء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى أكلوا العلهز والجيف . قال أبو جعفر : والعلهز : الوبر يعجن بالدم ، والقراد يأكلونه . وأما الخوف ، فإن ذلك كان خوفهم من سرايا رسول الله التى كانت تطيف بهم . وقوله : « بما كانوا يصنعون » يقول : بما كانوا يصنعون من الـكفر بأنعم الله ، ويجحدون آياته ، ويكذبون رسوله ... » .

(٥) سورة الأعراف ٢٦ .

والعمل الصالح ، وكما تقول : تعرَّفْتُ سوء أثرِ الخوف والجوع على فلان ـ وذقت بمعنى تعرفتُ واللِّبَاسُ بمعنى سوء الأثر ـ كذلك تقول : ذقت لِباسَ الجوع والخوف ، وأذاقنى الله ذلك.

* * *

ومنـه قوله : ﴿ والمُرْسَلَاتِ عُرْفاً ﴾(١) يعنى الملائـكة ، يريد : أنها متتابعةٌ يتلو بعضها بعضاً بما تُرْسَلُ به من أُمور الله عز وجل .

وأصلُ هذا من عُرْف الفرس ؛ لأنه سطرٌ مستوٍ بعضُه فى إثْرِ بعض . فاستُعِيرَ للقوم يتبع بعضُهم بعضاً(٢) .

ومنه يقول الناس : هُمْ إليه عُرُفٌ واحِدٌ ، إذا كثروا وتتابعوا فى توجُّهِهم إليه(٣) .

ويقال : أُرْسِلْتُ بالعُرْفِ ، أى بالمعروف .

* * *

ومنه قوله سبحانه : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٤) ، والاستدراج : أن يُدْنِيَهم من بأسه قليلا قليلا / من حيث لايعلمون، ولايباغِتَهم(٥) ولا يجاهِرَهم . ومنه يقال : [٧٨]
دَرَجْتُ فلاناً إلى كذا وكذا ، واستَدْرِجْ فُلاناً حتى تعرف ما عنـده وما صنع . يُرَادُ لا تجاهره ولا تهجم عليه بالسؤال ، ولـكن استخرج ما عنده قليلا قليلا .

وأصل هذا: من الدَّرَجة، وذلك أن الراقى فيها النازلَ منها ينزل مِرقاةً مِرقاةً ، فاستُعِيرَ هذا منها .

ومنه قوله سبحانه : ﴿ يَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾(٦) ، أى يُمسكون عن العطية . وأصل هذا

---

(١) سورة المرسلات ١ .

(٢) راجع اللسان ١١/١٤٤ .

(٣) فى تفسير الطبرى ٢٩/١٤١ حدث « محمد بن يزيد عن إسماعيل ، قال : سألت أبا صالح عن قوله : والمرسلات عرفا ، قال : هى الرسل ترسل بالمعروف . قالوا فتأويل الـكلام : والملائـكة التى أرسلت بأمر الله ونهيه ، وذلك هو العرف . وقال بعضهم : عنى بقوله : « عرفا » : متتابعة كعرف الفرس ، كما قالت العرب : الناس إلى فلان عرف واحد ، إذا توجهوا إليه فأ كثروا ... » .

(٤) فى سورة الأعراف ١٨٢ ، وسورة القلم ٤٤ .

(٥) فى اللسان ٣/٩٢ « قال بعضهم : معناه سنأخذهم قليلا قليلا ولا نباغتهم » .

(٦) سورة التوبة ٦٧ .

أن المُعْطىَ بيده يمدُّها ويبسطها بالعطاء ، فقيل لـكل من بَخِـل ومَنَع : قد قَبَضَ يدَه .

* * *

ومنه قوله : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ولُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾[١] ، أي: مُمْسَكَةٌ .

* * *

ومنه قوله : ﴿ وظَنُّوا أنهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ﴾[٢] أى: دنَوا من الهلاك . وأصل هـذا أن العَدُوّ إذا أحاط بقومٍ أو بلدٍ فحاصَرَهُ ، فقد دنا أهله من الهَـلَـكَةِ . وقال فى موضع آخر : ﴿ وأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ﴾[٣] .

* * *

ومنه قـــوله: ﴿ فَمَا بَـكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ والأرضُ وَمَا كانُوا مُنْظَرِينَ ﴾[٤] تقول العربُ إذا أرادت تعظيم مهلكِ رجل عظيم الشأن ، رفيع المـكان، عامّ النفع ، كثير الصنائع: أظلمتْ الشمس له ، وكَسَفَ القمرُ لفقده ، وبكتْه الرّيحُ والبرقُ والسماءُ والأرضُ .

يريدون المبالغة فى وصف المصيبة به، وأنها قد شمِلت وعمَّت. وليس ذلك بكذب ، لأنّهم جميعا مُتَواطِئُون عليه ، والسَّامِعُ له يَعرف مذهب القائل فيه .

وهكذا يفعلون فى كل ماأرادوا أن يعظّموه ويَستقْصُوا صفته. ونيَّتُهم فى قولهم : أظلمت الشمس ، أى كادت تُظلم ، وكَسَفَ القمر ، أى كاد يَـكسِف .

ومعنى كاد : همَّ أن يفعَلَ ولم يفعل ، وربما أظهروا كاد ؛ قال ابن مُفرِّغ الحِمْيَرِىّ يرثى رجلا[٥] :

---

(١) سورة المائدة ٦٤ وانظر اللسان ١٤/١٧ .

(٢) سورة يونس ٢٢ .

(٣) سورة الـكهف ٤٢ وفى اللسان ٩/١٥٠ « أى أصابه ما أهلـكه وأفسده » .

(٤) سورة الدخان ٢٩ وانظر تفسير الطبرى ٢٥/٧٤ـ٧٥ وأمالى المرتضى ١/٣٨ .

(٥) راجع تعليقات ص ٧٤ .

[٧٩] الرِّيحُ تَبْكِي شَجْوَهُ والبَرْقُ يَلمعُ فى غَمامَهْ/(١)

وقال آخر :

الشَّمسُ طَالِعةٌ لَيْسَتْ بِكاسِفَةٍ، تَبْكِي عَلَيْكَ، نُجُومَ اللَّيْلِ والقَمرا(٢)

أرادَ : الشمسُ طالعةٌ تبكى عليك ، وليست مع طلوعها كاسِفةً النجومَ والقمرَ ، لأنَّها مظلمةٌ ، وإنما تَكْسِفُ بضوئها : فَنُجُومُ الليل باديةٌ بالنهار . وهذا كقول النابغة وذكر يوم حرب :

تَبْدُوا كَواكِبُهُ والشمسُ طالِعةٌ لا النُّورُ نورٌ ولا الإظلامُ إظلامُ(٣)

ونحوه قول طَرَفة فى وصف امرأة :

إنْ تُنَوِّلْهُ فقَدْ تَمنَعهُ وتُرِيهِ النّجمَ يَجْرِى بالظُّهُرْ(٤)

يقول: تَشقُّ عليه حتى يُظْلِمَ نهارُه فيرَى الكواكب ظهرا .

والعامة تقول : أرانى فلانٌ الكواكبَ بالنّهار ، إذا برَّح به .

وقال الأعشى :

رَجَعْتَ لِمَا رُمْتَ مُسْتَحسِراً تَرَى لِلكواكبِ ظُهْراً وبِيصا(٥)

أى: رجعتَ كئيباً حسيراً، قد أظلَم عليكَ نهارُك ، فأنت ترى الكواكبَ تعالِيَ النَّهار بريقا .

* * *

(١) أمالى المرتضى ١/٣٩ ، ٢/٩٦ وشرح شواهد الشافية ص ٣٦ وهو غير منسوب فى الصاحبى ص ٢٠١ والأضداد لابن الأنبارى ص ٣٧٢ .

(٢) البيت غير منسوب فى اللسان ١٨/٨٩ ، وفيه ١١/٢٠٨ لجرير وفى أمالى المرتضى ١/٢٩ له يرثى عمر بن عبد العزيز ، والأزمنة الأمكنة ٢/٣١٣ .

(٣) ديوانه ص ٣٠ والشعر والشعراء ١/١٢٥ .

(٤) أمالى المرتضى ١/٢٩ والكامل ١/٤٠٢ وفى ديوانه ص ٦٥ : « والتنويل : التقبيل هنا ، يقال : أنلته ونلته ، ونولته : أعطيته ، وبالظهر ، أى يظلم نهاره ، وهذا مثل » .

(٥) فى ديوانه ص ١٣٩ : « مستحسنا ترى للكواعب كهرا وبيصا » وبيص : بريق . قال : كهرى نصف النهار وهو الظهيرة . وفى اللسان ٨/٤٧٠ « كهر النهار يكهر كهرا : ارتفع واشتد حره الأزهرى : كهر النهار : ارتفاعه فى شدة الحر » .

وقد اختلف الناس فى قول الله عز وجل: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ والأَرْضُ ﴾(١) فذهب به قومٌ مَذَاهِبَ العرب فى قولهم : بكته الريحُ والبرق كأنه يريد أن الله عز وجل حِينَ أهلك فرعون وقومَه وغرَّقهم وأوْرَثَ منازِلهم وجنَّاتهم غيرَهم لم يَبْكِ عليهم باكٍ ، ولم يجزع جازعٌ ، ولم يُوجَدُ لهم فَقْدٌ .

وقال آخرون : أراد : فما بكى عليهم أهلُ السماء ولا أهل الأرض، فأقامَ السماء والأرضَ مقامَ أهلهما ، كما قال تعالى : ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾(٢) ، أراد أهلَ القرية .

وقال : ﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾(٣) ، أى يضع أهلُ الحربِ السِّلاح .

وقال ابن عباس : لكل مؤمنٍ بابٌ فى السماء يصعَدُ فيه عمله ، وينزل منه رزقه ، فإذا مات بكى عليه البابُ ، وبكت عليه آثارُه فى الأرض ومُصَلّاه . والكافر لا يَصْعد له عمل ، ولا يبكى له باب فى السماء ولا أثَرُهُ فى الأرض .

* * *

ومن هذا الباب/قول الله جل وعز: ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ [٨٠]
لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ﴾(٤) ، يريد أنهم ينظرون إليك بالعداوة نظراً شديداً يكاد يُزْلِقُكَ من شِدَّته أى يُسقِطك(٥) . ومثله قول الشاعر :

---

(١) راجع المجلس الخامس من أمالى المرتضى ١/٣٨–٤١ .

(٢) سورة يوسف ٨٢ .

(٣) سورة محمد ٤ .

(٤) سورة القلم ٥١ ، وانظر تفسير الطبرى ٢٩/٢٩–٣٠ .

(٥) فى اللسان ١٢/١٠ « قال أبو إسحاق : مذهب أهل اللغة فى مثل هذا : أن الكفار من شدة إبغاضهم لك وعداوتهم يكادون بنظرهم إليك نظر البغضاء ، أن يصرعوك ، يقال : نظر فلان إلىّ نظراً كاد يأكلنى وكاد يصرعنى . وقال القتيبى : أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظراً شديداً بالبغضاء يكاد يسقطك ، وأنشد : يتقارضون ... — البيت » . وقد ورد البيت فيه غير منسوب ٩/٨٣ وكذلك فى الصناعتين ص ٢٨١ والبيان والتبيين ١/١١ ، وقد جاء عجزه غير منسوب فى مقاييس اللغة ٣/٢١ .

يَتَقَارَضُونَ إِذا الْتَقَوْا فى مَوْطِنٍ   نظراً يُزيلُ مَواطئَ الأَقْدامِ

أى ينظر بعضهم إلى بعضٍ نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء ، يزيل الأقدام عن مواطئها . فتفهَّم قول الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ ﴾ ، أى يقاربون أن يفعلوا ذلك ، ولم يفعلوا . وتفهّم قول الشاعر : « نظراً يُزيلُ » ، ولم يقل يَكادُ يزيل ؛ لأنه نواها فى نفسه .

وكذلك قولُ الله عز وجل : ﴿ تَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدًّا ﴾[1] ، إعظاماً لقولهم .

وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ ﴾[2] ، إكباراً لمكرهم. وقرأها بعضُهم : ﴿ وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ ﴾[3] .

وأكثرُ ما فى القرآن من مثل هذا فإنه يأتى بِكادَ ، فما لم يأت بكاد ففيه إضمارها ، كقوله : ﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾[4] ، أى كادت من شدّة الخوف تبلغُ الحُلوقَ .

وقد يجوز أن يكون أراد أنها ترجُف من شدّة الفَزَع وتجفُ ويتصلُ وَجيفُها[5] بالحلوق ، فكأنها بلغت الحلوقَ بالوَجيبِ[6] . وهم يصفون القلوب بالخفقان ، والنّزْو عند المخافة والذُّعر؛ قال الشاعر فى وصف مفازةٍ تَنْزُو من مَخافَتِها قُلوبُ الأدِلَّاء :

كأنَّ قُلُوبَ أَدِلَّائِهَا   مُعَلَّقَةٌ بقرون الظِّباءِ[7]

---

(١) سورة مريم ٩٠ وقبلها « وقالوا : اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا ، تكاد الخ » ، وانظر تفسير الطبرى ١٦/٩٧–٩٩ .

(٢) سورة إبراهيم ٤٦ .

(٣) فى القراآت الشاذة لابن خالويه ص ٦٩ « وإن كاد مكرهم ، علىّ ، رضى الله عنه وابن مسعود، وابن عباس ، رحمهم الله » .

(٤) سورة الأحزاب ١٠ .

(٥) فى اللسان ١١/٢٦٨ « وجف القلب وجيفا : خفق ، وقلب واجف ، وفى التنزيل : « قلوب يومئذ واجفة » .

(٦) فى اللسان ٢/٢٩٤ « وجب القلب يجب وجبا ووجيبا : خفق واضطرب » .

(٧) قال ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث ص ٤٤٨ : « وقال المرار [الفقعسى] يذكر فلاة =

وهذا مثل قول امرئ القيس :

ولا مِثل يَومٍ فى قُدَارٍ ظَلِلْتهُ ... كأنّى وأَصْحابى على قَرْنِ أَعْفرَا(١)

أى كأنّا من القلق على قرن ظبى ، فنحن لا نستقر ولا نسكن .

***

وكان بعضُ أهل اللغة يأخذ على الشعراء أشياء من هذا الفنّ ، وينسبها فيه إلى الإفْرَاط وتجاوز المقدار ، وما أرى ذلك إلا جائزاً حَسناً على ما بيّنّاه من مذاهبهم ، كقول النابغة فى وصف سيوف / : [٨١]

تَقُدُّ السَّلُوقِىَّ المُضَاعَفَ نَسْجُهُ ... وتُوقِدُ بالصُّفّاحِ نَارَ الحُبَاحِبِ(٢)

ذكر أنها تقطع الدّروعَ التى هذه حالُها ، والفارسَ حتى تبلغَ الأرضَ فتُورِى النار إذا أصابت الحجارة .

= تنزو من مخافتها قلوب الأدلاء : كأن ـ البيت ـ يريد أنها تنزو وتجب ، فكأنها معلقة بقرون الظباء ؛ لأن الظباء لا تستقر ، وما كان على قرونها فهو كذلك » وهو فى أمالى المرتضى ٢ / ٩ ـ كما هنا ـ من غير نسبة .

(١) فى تأويل مختلف الحديث ص ٤٤٩ : « يريد أنا لا نستقر ولا نطمئن ، فكأنا على قرن ظبى » وقال المرتضى فى أماليه ٢/٩ : « أراد المبالغة فى وصف نفسه وأصحابه بالقلق والاضطراب ، ومفارقة السكون والاستقرار ، وإنما خص الظبى لأن قرنه أكثر تحركا ونشاطا واضطرابا ؛ لنشاطه ومرحه وسرعته . وقد قال بعض الناس : إن امرأ القيس لم يصف شدة أصابته فى هذا البيت ، فيليق قوله : « على قرن أعفرا » بالتأويل المذكور ، بل وصف أماكن كان فيها مسرورا متنعما ، ألا ترى إلى قوله قبل هذا البيت بلا فصل :

ألا رب يوم صالح قد شهدته ... بتاذف ذات التل من فوق طرطرا

فيكون معنى قوله : « على قرن أعفرا » على هـذا الوجه أنه كان على مكان عال مشرف ، شبهه لارتفاعه وطوله بقرن الظبى ، وهذا القول لابن الأعرابى ، والأول للأصمعى » .

والبيت فى ديوان امرئ القيس ص ٥١ .

(٢) ديوانه ص ٤٤ ، والوساطة ص ٤٣٥ ، والعمدة ٢/٥٩ ، وإعجاز القرآن ص ٧٧ ، وديوان المعانى ٢/٥٢ والحيوان ١/٣١٢ ، واللسان ١٢/٢٩ وفيه ١/٢٨٨ : « السلوقى : الدرع المنسوبة إلى سلوق ، قرية باليمن . والصفاح : الحجر العريض . وقال أبو حنيفة : نار حباحب ونار أبى حباحب : الشرر الذى يسقط من الزناد » وقال ابن قتيبة فى الشعر والشعراء ١ / ١٢٢ « وذكر أنها تقد الدروع التى ضوعف نسجها ، والفارس والفرس ، حتى تبلغ الأرض فتنقدح النار بها من الحجارة » .

وقول النّمر بن توْلب فى صفة سيف :

تَظَلُّ تَحْفِرُ عنهُ إن ضَرَبْتَ به ... بعدَ الذراعينِ والسّاقَيْنِ والهادِي [(١)]

يقول : رسب فى الأرض بعد أن قطع ما ذكر ، واحتاج أن يحفر عنه ليستخرجه من الأرض . ومثله قول مُهَلهِل :

ولولا الرِّيحُ أُسْمِعَ أهلَ حَجْرٍ ... صليلَ البِيضِ تُقْرَعُ بالذُّكُورِ [(٢)]

وقال قيس بن الخطيم يَصِف طعنة :

مَلَكْتُ بها كَفِّى فأَنْهَرْتُ فَتْقَها ... يَرَى قائمٌ مِنْ دُونِهَا ما وَرَاءَها [(٣)]

وقال أيضاً :

لَوَ انَّكَ تُلْقِى حَنْظلًا فوقَ بَيْضِنا ... تَدَحْرَجَ عن ذِى سامِهِ المُتَقارِبِ [(٤)]

---

(١) فى الشعر والشعراء ١/ ٢٧٠ « ذكر أنه قطع ذلك كله ثم رسب فى الأرض ، حتى احتاج إلى أن يحفر عنه ! وهذا من الإفراط فى الكذب » ، والبيت له فى الوساطة ص ٤٣٥ ونقد الشعر ص ١٨ والعمدة ٢/٥٨ ، والصناعتين ص ٢٨٣ ، والموشح ص ٧٨ ، والأغانى ١٩/١٦٢ ، وإعجاز القرآن ص ٧٧ ، وديوان المعانى ٢/٥١ .

(٢) قال أبو على القالى فى الأمالى ٢/١٣٤ « حجر : قصبة اليمامة ، وحريمهم إنما كانت بالجزيرة . والصليل : الصوت . والذكور : السيوف التى عملت من حديد غير أنيث ، ويروى : نقاف البيض يقرع بالذكور » وهى رواية اليزيدى فى أماليه ص ١٢٢ ، وقال دعبل : وكان منزله على شاطئ الفرات من أرض الشام . والبيت فى الكامل ١/٣٦٠ ، والعمدة ٢/٥٩ ، والعقد ٥/٢٢٠ ، والوساطة ٤٣٥ ، والشعر والشعراء ١/٢٥٦ ، والحيوان ٦/٤١٨ ، والأغانى ٤/١٤٧ ، ومعجم الشعراء ٣٣١ ، والبيان والتبيين ١/١٢٤ ، والموشح ٧٤ ، ونقد الشعر ٨٤ ، وشرح الحماسة للمرزوقى ١/١٨٥ .

(٣) ديوانه ص ٣ : « ترى قائما من خلفها ، واللسان ٧/٩٦ : « أنهر الطعنة : وسعها . ملكت أى شددت وقويت ، ويقال : طعنه طعنة أنهر فتقها أى وسعه » ، وديوان المعانى ٢/٥١ ، والمختار من شعر بشار ٩١ ، وحماسة أبى تمام بشرح التبريزى ١/١٧٨ وبشرح المرزوقى ١/١٨٤ ، والأغانى ٢/١٦٠ والبحر المحيط ٨/١٨٤ .

(٤) ديوانه ص ١٣ ، وفى اللسان ١٥/٢٠٥ « أى على ذى سامه ، وعن فيه بمعنى على ، والهاء فى سامه ترجع إلى البيض المموه به ، أى البيض الذى له سام . قال ثعلب : معناه : أنهم تراصوا فى الحرب ، حتى لو وقع حنظل على رءوسهم على إملاسه واستواء أجزائه — لم ينزل إلى الأرض » . وانظر مجالس ثعلب ١/١٨٤ وعجزه له فى أدب الكاتب ٥١٣ وهو فى الاقتضاب ص ٤٤٢ — ٤٤٣ .

يقول : تَرَاصَّ القومُ فى القتـال حتى لو أن ملقياً ألقى على بيضهم حنظلا لجرى عليها كما يجرى على الأرض ولم يسقط لِشِدّة تَرَاصُفِهِم . و « عن » بمعنى « على » . وذو سامه: بيضه المذهب. والسَّامُ : عُروقُ الذّهب .

وقول عنترة :

وأنا المَنِيَّـةُ فى المَواطِنِ كلها　　　والطَّعْنُ مِنى سَابِقُ الآجالِ(١)

وقال بشار :

إذا ما غَضِبْنا غَضْبَـةً مُضَرِيّةً　　　هَتَـكْنا حِجابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطرَتْ دَمَا(٢)

وقال طُرَيْح الثقفى :

لو قُلْتَ للسَّيل دع طريقَكَ والـ　　　ـموج عليه بالهَضْب يَعْتَلِجُ(٣)

لارتدّ أَوْساخ أو لَـكانَ لهُ　　　فى سَائِرِ الأرضِ عنك مُنْعَرَجُ

وقال ابن ميّادة :

ولو انّ قَيْسًا قيسَ عَيلانَ أَقْسَمَتْ　　　على الشَّمسِ لم تطلُع عليك حِجَابُها(٤)

---

(١) ديوانه ص ١٠٩ ، والوساطة ٤٣٤ .

(٢) المختار من شعر بشار ١٦٣ ، والأزمنة والأمكنة ٢/٣٥، والأغانى ٣/٣١، والشعر والشعراء ٢/٧٣٦ ، والعمدة ٢/١٣٧ ، والموشح ٢٤٨ ، والحيوان ٦/١١٢ ، وفى مجموعة المعانى : « للقحيف ابن خمير ... كذا رواه أبو هلال العسكرى فى كتاب الحماسة الذى جمعه ، ونسبه إلى القحيف ، والبيت مشهور لبشار » ونسبه الآمدى فى المؤتلف والمختلف ص ٩٣ للقحيف بن خمير ، وقال : « أخذ هذا البيت بشار فأدخله فى قصيدته » ، وفى اللسان ٢/ ٢٩٠ « وأنشد الأزهرى للغنوى : إذا ما غضبنا الخ ، وقال: حجابها : ضوء هاهنا » .

(٣) البيتان لطريح فى مدح الوليد بن يزيد بن عبـد الملك ، كما فى الشعر والشعراء ٢/ ٦٦٠ ، والأغانى ٤/ ٨٠ ، ٨١ ، وفى اللسان ٣/٢٢٣ « يمدح الوليد بن عبدالملك » قال أبوالفرج : « وقوله: لو قلت للسيل دع طريقك » يقول : أنت ملك هذا الأبطح والمطاع فيه ، فكل من تأمره يطيعك فيه ، حتى لو أمرت السيل بالانصراف عنه لفعل ؛ لنفوذ أمرك . وإنما ضرب هـذا مثلا ، وجعله مبالغة ؛ لأنه لا شىء أشد تعذرا من هذا وشبهه ، فإذا صرفه كان على كل شىء سواه أقدر . وقوله : « لساخ » أى لغاص فى الأرض ، « وارتد » أى عدل عن طريقه ، وإن لم يجد إلى ذلك سبيلا كان له منعرج عنك إلى سائر الأرض » .

(٤) الأغانى ٢/١١٧ من قصيدة يهجو بها بنى أسد وبنى تميم وفيه : « لم يطلع عليكم) .

وقال الطِّرِمّاح :

ولو أنَّ حُرْقوصاً على ظَهْرِ قَمْلَةٍ ... يَكُرُّ على صَفَّى تميمٍ لوَلَّتِ(١)

وقال آخر يذكر حديث امرأة :

حَديثٌ لو انّ اللَّحْمَ يَصْلَى بِحَرِّهِ ... غَرِيضاً أَتَى أَصْحَابَهُ وهْو مُنْضَجُ(٢)

[٨٢] وقال أبو النجم يذكر سيلا / :

كأنَّ فَوْقَ الأُكْمِ مِنْ غُثَائِهِ ... قطائفَ الشّام على عَبَائه

والشِّيحَ يَهْدِيهِ إِلَى طَحْمَائِهِ(٣)

يقول : صار الجبلُ والسهل واحداً ، وصار الغثاء على رؤوس الأُكم .

والطَّحْماء : شجر ينبت فى الجبال(٤) .

والشِّيحُ ينبت فى السّهول(٥) ، فأراد أنّه حَمل نبْتَ السهل إلى الجبل .

وقال، وذكر ظَلِيماً يَعْدُو ويطير :

* هاوٍ تَضِلُّ الطيْرُ فى خَوائِهِ *

والخَوَاء: مابين قوائمه وبطنه، وبين الأرض إذا عدا وطار . يريدأنّ الطيريطير بينه وبين الأرض حتى يَضِلّ .

وقد يُرْوَى : * تَضِلُّ الرِّيحُ فى خَوَائِهِ(٦) *

---

(١) أنشده له ابن قتيبة فى المعانى الكبير ٢/ ٦٨٠ وهو فى ديوانه ص ١٣٢—١٣٣ والشعروالشعراء ٥٦٨/٢ والصناعتين ٢٨٤ وحماسة ابن الشجرى ١٢٦ وروايته فيهما « ولو أن برغوثا » والحرقوص دويبة أكبر من البرغوث وعضها أشد من عضه ، كما قال الجاحظ فى الحيوان ٤٥٤/٦ .

(٢) نسبه ابن قتيبة فى عيون الأخبار ٨٢/٤ لجران العود وهو غير موجود فى ديوانه ، وفى الأمالى ٨٦/٢ لأم الضحاك المحاربية ، وكذلك فى زهر الآداب ٨٨/٤ .

(٣) فى الحيوان ٣٨٩/٣ « والشيخ تهديه إلى طحمائه » ! وهو تحريف .

(٤) اللسان ٢٥٣/١٥ .

(٥) فى اللسان ٣٣٢/٣ « الشيح : نبات سهلى ، يتخذ من بعضه المكانس ، وهو من الأمرار ، له رائحة طيبة وطعم مر ، وهو مرعى للخيل والنعم ، ومنابته القيعان والرياض » .

(٦) فى اللسان ٢٦٩/١٨ « وخواء الأرض — ممدود — براحها قال أبو النجم :

* يبدو خواء الأرض من خوائه * ويقال : دخل فلان فى خواء فرسه ، يعنى ما بين يديه ورجليه . وأبو النجم وصف فرسا طويل القوائم » .

وقال الكميت وذكر الرِّياح :

تَرَامَى بِكَذَّانِ الإكامِ ومَرْوِهَا   تَرَامِيَ وُلْدَانِ الأَصَارِمِ بالخَشْلِ (١)

أراد أن الرياح ترامى بالحجارة الكبار ، كما يَترامَى الصِّبيان بنوى المُقْلِ .

وقال آخر :

زعمت غُدَانَةُ أَنَّ فيها سَيِّدًا   ضَخْمًا يُوَازِنُه جَنَاحُ الجُنْدَبِ (٢)

يُرْوِيه ما يُروِى الذّبابَ فينتَشِى   سُكرًا وتشبعُه كُرَاعُ الأَرْنَبِ (٣)

هذه الأبيات التى ذكرناها ومثلها فى الشعر كثير .

***

والعرب تقُولُ : له الطِّمُّ والرِّمُّ ، إذا أرادوا تكثير ماله .

والطِّمُّ : البحر ، والرِّمُّ : الثرى . وهذا لا يملكه إلا الله تعالى .

ويقولون : فلان دون نائله العَيُّوق ، ويقولون : له الضِّحُّ والرِّيحُ (٤) ، يريدون ما طلعت عليه الشمس ، وجرت عليه الرِّيح .

ويقولون : فلان يثير الكلاب عن مرابِضها ، يريدون أنه ـ لِشرَهِه ولؤمِه ـ يثيرها عن مواضعها ؛ يَطلُب تحتها شيئًا فاضِلًا من طُعْمِها ليأكُلَه . وهذا مالا يفعله بشر .

---

(١) فى اللسان ٥/٤١ « الكذان ـ بالفتح ـ حجارة كأنها المدر فيها رخاوة ، وربما كانت نخرة ، الواحدة كذانة ... قال الكميت يصف الرياح . ترامى الخ » والخشل : المقل نفسه ، قيل : هو اليابس ، وقيل : هو رطبه وصغاره الذى لا يؤكل ، وقيل : هو نواه » كما فى اللسان ١٣/٢١٨ والمقل : حمل الدوم ، والدوم : شجرة تشبه النخلة فى حالاتها » .

(٢) ثمار القلوب ٣٢٥ غير منسوب نقلا عن الجاحظ ، وقال الجاحظ فى الحيوان ٣/٣٩٨ « وقال بعض الشعراء يهجو حارثة بن بدر الغدانى : « زعمت ... ضخما يواريه » وهما فى الأغانى ١٢/١١ لأبيرد ابن المعذر الرياحى يهجو حارثة وفيه : « يواريه » .

(٣) فى الأغانى « ذراع الأرنب » وفى الحيوان بعد البيتين : « قالوا : لا يجوز أن يقول : « يرويه ما يروى الذباب » و « يواريه جناح الجندب » ثم يقول : « ويشبعه كراع الأرنب » . وإنما ذكر كراع الأرنب ، لأن يد الأرنب قصيرة ... » .

(٤) راجع اللسان ٣/٣٥٩ .

وقال الشاعر :

تركُوا جارَهم يَأْكُلُهُ ضَبُعُ الوادى ويَرميه الشجرْ[١]

والشجر لا يرمى أحدا .

وهذ كلّه على المبالغة فى الوصف ، وينوون فى جميعه يكاد يفعل ، وكلهم يعلمُ المراد به .

[٨٣] وقال آخر / :

إذا رَأَيْتَ أنْجُماً من الأَسَدْ جَبهتِه أو الخراةِ والـكَتَدْ[٢]

بال سُهيلٌ فى الفَضِيخِ ففَسَدْ وطاب أَلْبانُ اللِّقاحِ فبَرَدْ

وهذا وقت يذهب فيه الفَضِيخُ ؛ لأنّه يكون من البُسْر ، والبسر يصير عند طلوع هـذه الأنجُم رُطَباً، فلما كان فسادُه عن طلوع سُهَيل ، وكان الشرابُ يفسد بأن يبال فيه ـ جعَلَ سُهيلا كأنه بالَ فيه لمـّا أفْسدَهُ وقتَ طلوعِه .

وقال دُكَيْن :

وقَدْ تَعالَتُ ذَميلَ العَنْسِ بالسَّوْطِ فى دَيْمُومَةٍ كالتُّرْسِ[٣]

* إذ عرَّجَ الليل بروح الشمس *

(١) البيت غير منسوب فى الحيوان ٦/٤٥٤ وشرحه الجاحظ بقوله : « يقول : خذلوه حتى أكله ألأم السباع وأضعفها وقوله : « ترميه الشجر » يقول : حتى صار يرميه من لا يرمى أحدا » .

(٢) الرجز غير منسوب فى تفسير الطبرى ١٤/٨٩ ومبادئ اللغة ٧٩ واللسان ٢/٣٣٤، ٤/٣٨٠، ١٧/٤٧٧ ومجالس ثعلب ٢/٤٨٩ والاقتضاب ٣٩٩ .

« والجبهة : النجم الذى يقال له جبهة الأسد ، وهى أربعة أنجم ينزلها القمر ، والخراتان : نجمان من كواكب الأسد ، وهما كوكبان بينهما قدر سوط ، والـكتد : نجم ، وجمعه أكتاد وكتود. وسهيل : كوكب . والفضيخ : شراب يصنع من التمر ، وهو يفسد عند طلوع سهيل ، فلما كان طلوعه سببا لفساده جعل سهيلا كأنه بال فيه » .

(٣) الرجز غير منسوب فى البيان والتبيين ٣/٣٣٤ وفى الحيوان ٣/٧٤ لدكين وفى ص٣٦٣ «دكين الراجز أو أبو محمد الفقعسى » وفى المؤتلف والمختلف ص ١٠٤ « لمنظور بن حبـة الأسدى ، ويروى هذا الرجز لدكين فى أرجوزة » وفيه : « بالسعط فى ديمومة .. إذا عرج الـكيل بروح » وهو تحريف وفى زهر الآداب ٢/١٢١ لأعرابى . وفى اللسان ١٣/٤٩٧ « وتعالت الناقة : إذا استخرجت ما عندها من السير ، وقال : وقد تعالت ذميل العنس » والذميل : سير سريع لين . والعنس : الصخرة ، والعنس : الناقة القوية ، شبهت بالصخرة لصلابتها ، والديمومة : الصحراء البعيدة .

فجعل للشمس رُوحا عرّج بها الليل .

والأصل فى هذا كلّه أن كلّ حيوان يموت تُقْبَضُ روحُه فلما أبطل الليل الشمس جعله كأنه قَبض لها رُوحاً .

وقال ذو الرُّمَّة يصف إبلا فى مسيرها :

إذا اغْتَبَقَتْ نَجْماً فغَار تَسَحَّرَت عُلاَلَةَ نَجْمٍ آخرَ الليل طالِعِ[1]

يقول تهتدِى بكوكبٍ طلَع أوّلَ الليل ، حتى إذا غاب اهتدت بكوكب آخر طالعٍ فى السَّحر ، ولم يُرِدْهَا ، وإنما أراد رُكبانَها فجعلها تَغْتَبق النَّجْمَ ، و تَتَسَحَّر بالنَّجْم .

وقال مُزَرِّد :

ولو أَنَّ شَيْخاً ذا بَنِينَ كأنَّما على رَأسه مِنْ شامِلِ الشّيْبِ قَوْنَسُ[2]

تُبَيّتُ فيه العنكبوتُ بنَاتِها نَوَاشِئَ حَتَّى شِبْنَ أَوْ هُنَّ عُنَّسُ[3]

وإنما أراد طول مكث العناكب فى رأسه ، فجعلهنّ قد شِبْنَ وعَنّسْنَ .

وأصل هذا أنّ المرأة إذا طال مُكثها فى بيت أبيها لا تزوّج عَنَّسَت وشابت ، فاستعار الشيب والتَّعْنيسَ مثلاً لطُول مكث العناكب .

وقال المُسَيّب بن عَلَسٍ :

دَعَا شجَرَ الأَرْضِ دَاعِيهم لينصره السِّدرُ والأَثْأَبُ[4]

أراد أنه دعا عليهم الخلق يستنصرهم ، فضرب الشجر مثلا لكثرة الناس .

---

(١) فى ديوانه ص ٣٧١ « إذا اغتبقت ، هذا مثل ، يقول : إذا ابتدأت كما يبتدأ الغبوق ، وهو شرب العشى ، يقول : يكون ذلك النجم غبوقها فى أول الليل ، فإذا غار ، أى غاب ، تسحرت علالة نجم ، أى بقية نجم ، يقول : يكون سيرها فى ذلك الوقت بالسحر » .

(٢) ذكرهما له ابن قتيبة فى المعانى الكبير ص ٦٢٥ وذكر الأول مع بيتين آخرين فى ص ٧٢١ حيث قال : « وقال مزرد وذكر امرأة » والأبيات التى ذكرها فى الموضعين أثبتها الجاحظ فى الحيوان ٥/٤١٠ وفيه : « شيخا ذا بنين » .

(٣) قال ابن قتيبة فى المعانى الكبير ص ٦٣٥ « العناكب لا تشيب وإنما هو مثل ، أى كما يطول مكث العانس فى بيت أبويها حتى تشيب ولا تتزوج » .

(٤) ديوان المسيب المطبوع مع ديوان الأعشى ص ٣٥١ والعمدة ١/٢٨٠ .

والعوام تقول : جاءنا بالشّوك والشجر ، إذا جاء فى جيش عظيم (١) .

***

ومنه/قوله سبحانه : ﴿وأعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئاً﴾ (٢) أى طعاما، يقال : اتّكأنا عند فلان أى طَعِمنا . [٨٤]

وقال جميل :

فَظَلِلْنَا بِنِعْمَةٍ واتَّكَأْنَا وشَرِبْنَا الحَلاَلَ مِنْ قُلَلِهْ (٣)

والأصل أن من دعوته ليطعَم أعددت له التكأة للمُقام والطمأنينة، فسمّى الطعام متكئا على الاستعارة .

***

ومنه قوله تعالى : ﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إلاّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ (٤) أى يقهرها ويذلّها بالمُلْكِ والسُّلطان ، وأصل هذا أن من أخذت بناصيته فقد قهرته وأذْلَلْته ، ومنه قيل فى الدعاء : ناصيتى بيدك أى أنت مالك لى وقاهرٌ .

***

ومنه قوله عز وجل : ﴿ إلاّ مَا دُمْتَ عليه قائماً ﴾ (٥) أى مواظباً بالاقتضاء والمطالبة ، وأصله أن المُطالب بالشىء يقوم فيه ويتصرَّف ، والتاركُ له يقعد عنه ، قال الأعشى :

يَقُومُ على الرَّغْمِ فى قومِه فيَعْفُو إذا شاءَ أو يَنْتَقِمْ (٦)

(١) نقله ابن رشيق فى العمدة ١ / ٢٨٠ .

(٢) سورة يوسف ٣١ .

(٣) ديوانه ٥٣ وأساس البلاغة ٢ / ٢٧٣ واللسان ١٤ / ٨٣ والأغانى ٧ / ٧٩ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ص ١٢٦ وهو غير منسوب فى الأزمنه والأمكنة للمرزوقى ١ / ٣٠٥ وذكره له ابن قتيبة فى كتاب الأشربة ص ٦٠ وقال فى شرحه : «اتكأنا : طعمنا ، ومنه قول الله تعالى « وأعتدت لهن متكأ » أى طعاما ، وشربنا الحلال : يعنى النبيذ ، والقلل : جمع قلة ، وهى جرار يكون فيها النبيذ ... » .

(٤) سورة هود ٥٦ .

(٥) سورة آل عمران ٧٥ .

أى يطالب بالذَّحْلِ (١) ولا يقعد عنه .

وقال : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ (٢) أى عاملة غير تاركة .

وقال : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ (٣) أى آخذ لها بما كسبت .

* * *

ومنه قوله تعالى حكاية عن المنافقين : ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ (٤) أى يقبل كل ما بلغه . والأصل أن الأذن هى السامعة ، فقيل لـكل من صدّق بكُلّ خبر يَسمَعُه : أُذُنٌ ، ومنه يقال : آذنتك بالأمر فأَذِنت ، كما تقول : أعلمتُـكَ فعلمت ، إنما هو أوقعته فى أُذُنك . يقول اللهُ عزّ وجلّ : ﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (٥) أى اعلموا ، ومن قرأها فآذِنوا ، أراد فأَعْلِمُوا (٦) ، ومنه ما قالت الشعراء :

* آذنتنا بِبَينِها أسماءُ (٧) *

ومنه الأَذَانُ إنما هو إعلام الناس وقت الصلاة .

وقولُه : ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (٨) أى إِعْلَام .

---

(١) فى اللسان ١٣/٢٧٢ « الذحل : الثأر وطلب المـكافأة بجناية جنيت عليه من قتل أو جرح أو نحوذلك .

(٢) سورة آل عمران ١١٣ .

(٣) سورة الرعد ٣٣ .

(٤) سورة التوبة ٦١ .

(٥) سورة البقرة ٢٧٩ وانظر اللسان ١٦/١٤٦–١٤٧ .

(٦) فى البحر المحيط ٢/٣٣٨ « قرأ حمزة ... « فآذنوا » أمر من آذن الرباعى ، بمعنى أعلم ، مثل قوله : فقل : آذنتكم على سواء ، وقرأ باقى السبعة : « فأذنوا » أمر من أذن الثلاثى مثـل قوله : « لايتـكلمون إلا من أذن له الرحمن » وانظر مجمع البيان للطبرسى ١/٣٩١–٣٩٢

(٧) الشطر مطلع معلقة الحارث بن حلزة ، وعجزه * رب ثاو يمل منه الثواء * وآذنتنا : أعلمتنا ، والبين : الفراق ، والثاوى : المقيم ، والثواء : الإقامة ، شرح القصائد العشر ص ٢٤١ .

(٨) سورة التوبة ٣ .

[٨٥] وكان المنافقون يقولون: إن محمداً أُذُن فقولوا ماشئتم، فإنا متى أتيناه فاعتذرنا/إليه صدَّقنا. فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ ﴾(١) أي كان الأمر كما تذكرون، ولكنه إنما ﴿يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١) أي يُصَدِّقُ اللهَ ويصدِّق المؤمنين لا أنتم، والباء واللام زائدتان.

***

• ومنه قوله: ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ﴾(٢) أي قُتِلَ. والنَّحْبُ: النَّذْرُ(٣)، وأصل هذا أنَّ رجالاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه نذروا إن لقوا العدُوَّ لَيَصْدُقُنَّ القتال أو لَيُقْتَلُنَّ، هذا أو نحوه(٤)، فقُتِلوا، فقيل لِمَنْ قُتِلَ: قَضَى نَحْبَهُ، واستُعير النَّحْب مكان الأَجل؛ لأن الأجل وَقعَ بالنَّحْب وكان النَّحْبُ له سبباً.

---

(١) سورة التوبة ٦١ .

(٢) سورة الأحزاب ٢٣ .

(٣) فى اللسان ٢/٢٤٧ « وقيل: فمنهم من قضى نحبه: أى قضى نذره، كأنه ألزم نفسه أن يموت فوفى به ... النحب: النذر، كأنه ألزم نفسه أن يصدق الأعداء فى الحرب فوفى به ولم يفسخ، وقيل: هو من النحب: الموت، كأنه يلزم نفسه أن يقاتل حتى يموت. وقال الزجاج: النحب: النفس، عن أبى عبيدة » وقال الزجاج والفراء: «فمنهم من قضى نحبه: أى أجله».

(٤) فى تفسير الطبرى ٢١/٩٣ « ... وقيل: إن هذه الآية نزلت فى قوم لم يشهدوا بدرا، فعاهدوا الله أن يفوا قتالا للمشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمنهم من أوفى فقضى نحبه، ومنهم من بدل، ومنهم من أوفى ولم يقض نحبه وكان منتظرا، على ما وصفهم الله به .... زعم أنس ابن مالك قال: غاب أنس بن النضر عن قتال يوم بدر، فقال: غبت عن قتال رسول الله المشركين، لئن أشهدنى الله قتالا ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إنى أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء ــ يعنى المسلمين ــ فمشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ، فقال: أى سعد، إنى لأجد ريح الجنة دون أحد، فقال سعد: يارسول الله، فما استطعت أن أصنع ما صنع. قال أنس بن مالك: فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة بين ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم، فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه. وقال أنس: فكنا نتحدث أن هذه الآية: من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ــ نزلت فيه وفى أصحابه ».

ومنه قيل للعطية ؛ المَنُّ ، لأنَّ من أعطى فقد مَنّ . قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾(١) أى لا تُعْطِ لتأخذ أكثر مما أعطيت . وقال : ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾(٢) ، أى فأعْط أو أمْسِكْ . وقوله : ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٢) مردود إلى قوله : ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا﴾ بغير حساب .

---

(١) سورة المدثر ٦ .

(٢) سورة ص ٣٩ .

باب المقلوب

ومن المقلوب أن يُوصف الشئ بضدّ صِفته للتطيّر والتفاؤل ، كقولهم لِلّديغ : سليمٌ ؛ تَطَيُّراً من السُّقم ، وتفاؤلاً بالسّلامة . وللعطشان : نَاهِل ، أى سينهَل ، يعْنُون : يرْوَى . وللفلاة : مفازَة ، أى منجاة ، وهى مَهلَكَةٌ .

وللمبالغة فى الوصف كقولهم للشمس : جَوْنَةٌ لشدّة ضوئِها . وللغراب : أَعْوَر لحدّة بصره .

وللاستهزاء كقولهم للحبشىّ : أبو البَيْضَاء . وللأبيض : أبو الجَوْن .

ومن هذا قولُ قوم شُعَيب : ﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾(١) . كما تقول للرجل تستجهله : يا عاقل ، وتستخفه : يا حليم . قال الشاعر :

فقلتُ لِسَيِّدِنَا يَا حَلِيمُ ... إِنَّكَ لَمْ تَأْسُ أَسْوًا رَفِيقَا(٢)

قال قتادة : ومن الاستهزاء قولُ الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ،
[٨٦] لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ، وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ ﴾(٣) . /

---

(١) سورة هود ٨٧ .

(٢) البيت لشتيم بن خويلد ، كما فى اللسان ١١/٣٦٨ وفيه : « ياحكيم » وبعده :

أعنت عديا على شأوها ... تعادى فريقا وتنفى فريقا

أطعت اليمين عناد الشمال ... تنحى بحد المواسى الحلوقا

زحرت بهـا ليلة كلها ... فجئت بها مؤيدا خنفقيقا

وقوله : يا حكيم ، هزء منه ، أى أنت الذى تزعم أنك حكيم ، وتخطىء هذا الخطأ . وقوله : أطعت اليمين عناد الشمال ، مثل ضربه ، يريد فعلت فعلاأمكنت به أعداءنا منا ، كماأعلمتك أن العرب تأتى أعداءها من ميامنهم ، يقول : فجئتنا بداهية من الأمر ، وجئت به مؤيدا خنفقيقا ، أى ناقصا مقصرا» وقال الجاحظ فى شرح الأبيات فى البيان والتبيين ١/١٨٢ « تأسو : تداوى ، أسوا وأسى ، مصدران . والآسى : الطبيب . ومؤيد : داهية . خنفقيق : داهيةأيضا . الشأو : الغلوة لركض الفرس ، وهو فى الحيوان ٣/٨٢ ، ٥/٥١٧ لشتيم أيضا وفى الأضداد ٣٢٥ والصاحبى ٢١٤ غير منسوب فيهما .

(٣) سورة الأنبياء ١٢ ، ١٣ .

وفى قول عَبيد بن الأبْرَص لِكِنْدَةَ ــ طَرَفٌ من هذا المعنى :

هَلّا سألْتَ جُمُوعَ كِنْـ دَةَ يومَ وَلَّوْا أَيْنَ أَيْنا(١)

يستهزئ بهم حين انهزموا ، يريد أين تذهبون ، ارجعوا .

وأما قول الله سبحانه : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾(٢) ، فبعضُ الناس يَذْهَبُ به هذا المذهب ، أى أنت الذليل المهان . وبعضهم يريد أنت العزيز الكريم عند نفسك ، وهو معنى تفسير ابنِ عبّاس ؛ لأن أبا جهل قال: مابين جبليها أعزُّ منى ولا أكرم ، فقيل له: ﴿ ذق إنّك أنت العزيز الكريم ﴾(٣) .

***

ومن ذلك أن يسمّى المتضادّان باسم واحد والأصل واحد ، فيقال للصبح : صَرِيمٌ ، ولليل صَرِيمٌ . قال الله سبحانه : ﴿ فَأَصْبَحَتْ كالصَّرِيمِ ﴾(٤) ، أى سوداء كالليل ؛ لأنّ الليل يَنْصَرِمُ عن النّهار ، والنهار ينصرم عن الليل(٥) .

***

وللظُّلمة : سُدْفَةٌ . وللضوء : سُدفةٌ . وأصل السُّدْفة: السُّتْرَة ، فكأن الظلام إذا أقبل سِتْرٌ للضّوء ، والضوء إذا أقبل سِتْرٌ للظلاّم(٦) .

***

---

(١) ديوانه ص ٢٨ وبعده :

أيام نضرب هامهم ببواتر حتى انحنينا

وهو له فى مختارات ابن الشجرى ٢/٣٩ ، وهو فى الصناعتين ١٤٤ وإعجاز القرآن ٩٤ غير منسوب فيهما .

(٢) سورة الدخان ٤٩ .

(٣) راجع تفسير الطبرى ٢٥/٨٠ .

(٤) سورة القلم ٢٠ .

(٥) نقل هذا ابن الأنبارى فى كتاب الأضداد ص ٨ .

(٦) الأضداد ص ٨ .

وللمستغيث صارخ. والمغيث صارخ ؛ لأن المستغيثَ يصرُخ فى استغاثته ، والمُغيث يصرُخ فى إجابته[١] .

***

ولليقين : ظَنٌّ . وللشك : ظَنٌّ ؛ لأنّ فى الظن طرَفاً من اليقين . قال الله عز وجل : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللهِ ﴾[٢] ، أى يستيقنون . وكذلك : ﴿ إِنِّى ظَنَنْتُ أَنِّى مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾[٣] ، ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ﴾[٤] ، و ﴿ إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ ﴾[٥] ؛ هذا كلّه فى معنى اليقين .

قال دُريد بن الصِّمة :

فَقلتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِألْفَىْ مُدَجَّجٍ سراتُهُمُ فى الفَارِسِىِّ المُسَرَّدِ[٦]

أى تيقنوا بإتيانهم إيّاكُم .

وكذلك جعلوا عَسَى شَكًّا ويقيناً ، ولعلَّ شكًّا ويقيناً . كقوله : ﴿ فِجَاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[٧] ، أى ليهتدوا .

***

---

(١) الأضداد ١١ــ١٣ .

(٢) سورة البقرة ٢٤٩ .

(٣) سورة الحاقة ٢٠ .

(٤) سورة الكهف ٥٣ .

(٥) سورة البقرة ٢٣٠ .

(٦) نسبه له المبرد فى كتاب : ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد ص ٩ وابن الأنبارى فى الأضداد ص ١٢ وفيهما « بألفى مقاتل » وهو له فى الأغانى ٩/٤ وتفسير الطبرى ١/٢٠٦ وغيرمنسوب فيه ٢٥/٨٣ وله فى البحر المحيط ١/١٨٥ وغير منسوب فى ٢/٨٨ وله فى حماسة أبى تمام بشرح التبريزى ٢/٣٠٥ « والمدجج : التام السلاح . سراتهم : خيارهم وعنى بالفارسى المسرد : الدروع . وقال الخليل : السرد اسم جامع للدروع وما أشبهها ؛ لأنه يسرد فيثقب طرفا كل حلقة بالمسمار ، والمسرد : هو المثقب . والمعنى : إنى نصحت لهم ، وهم لى حاضرون يسمعون نصيحتى وقلت لهم : إن الأعداء لكم مترصدون فأسيئوا الظن بهم إذا تمكنوا منكم ، أو أيقنوا ... » .

(٧) سورة الأنبياء ٣١ .

وللمشترى : شارٍ ، وللبائع : شارٍ ؛ لأنَّ كلّ واحدٍ منهما اشترى . وكذلك قولُهم لكل واحدٍ منهما : بائع ؛ لأنه باع وأخذ عِوَضاً مما دَفع ، فهو شارٍ وبائعٌ .

قال الله عز وجل : ﴿ وَشَرَوْهُ / بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ ﴾[١] ، أى باعُوه . وقال : [٨٧] ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾[٢] ؛ وقال ابن مُفرِّغ :

وشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنى مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هامَهْ[٣]

وبُرْدٌ : غلام كان له فباعه وندم على بيعه .

***

ووراء تكون بمعنى خَلْف ، وبمعنى قُدَّام[٤] ، ومنها المُوارَاةُ والتَّوارِى . فكلُّ ماغاب عن عينك فهو وراءٌ : كانَ قُدَّامَك أو خلفك . قال الله عز وجل : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً ﴾[٥] ، أى أمامَهم . وقال : ﴿ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ﴾[٦] ، أى أمامهم . وقال : ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾[٧] .

***

وقالوا للكبير : جَلَلٌ ، وللصغير : جَلَلٌ[٨] ؛ لأنَّ الصغير قد يكون كبيرا عند ما هو أصغر منه ، والكبيرَ يكون صغيراً عند ما هو أكبر منه ، فكلّ واحدٍ منهما صغير كبير. ولهذا جُعلت بعض بمعنى كلّ ؛ لأنَّ الشيء يكون كلُّه بعضاً لشيء ، فهو بعضٌ وكُلٌّ[٩] .

---

(١) سورة يوسف ٢٠ .

(٢) سورة البقرة ١٠٢ .

(٣) الشعر والشعراء ١/٣٢١ ، والأغانى ١٧/٥٥ ، ومجاز القرآن ١٠٢ ب ، وأمالى المرتضى ٢/٩٥ ـ ٩٦ .

(٤) الأضداد ٥٦ ـ ٥٧ .

(٥) سورة الكهف ٧٩ .

(٦) سورة إبراهيم ١١٦ .

(٧) سورة إبراهيم ١٧ .

(٨) الأضداد ٨ ، ٧٤ ـ ٧٦ .

(٩) الأضداد ٨ .

وقال عز وجل : ﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾(١) .

وكلٌّ بمعنى بعض ، كقوله : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾(٢) ، و ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾(٣) ، وقال : ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾(٤) .

***

وجُعلتْ فوق بمعنى دون ، فى قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾(٥) ، أى فما دونها ؛ لأنّ فوق قد تكون دون : عند ما هو فوقها ، ودون قد تكون فوق : عند ما هو دونها(٦) .

***

وخشيتُ بمعنى: علمت . قال عز وجل : ﴿ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾(٧) ، أى علِمْنا . وفى قراءة أُبىّ(٨) : ﴿ فَخَافَ رَبُّكَ ﴾ . ومثله : ﴿ إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾(٩) . وقوله : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا ﴾(١٠) ، أى علم . وقوله : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ ﴾(١١) ؛ لأنّ فى الخشية والمخافة طَرَفاً من العلم .

---

(١) سورة الزخرف ٦٣ .

(٢) سورة النمل ٢٣ .

(٣) سورة النحل ١١٢ .

(٤) سورة الأحقاف ٢٥ .

(٥) سورة البقرة ٢٦ .

(٦) راجع الأضداد ص ٢١٧ — ٢١٨ .

(٧) سورة الكهف ٨٠ .

(٨) فى البحر المحيط ٦ / ١٥٥ « وفى قراءة أبىّ : (فخاف ربك) والمعنى : فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيره » وبهذه القراءة قرأ أيضا عبد الله بن مسعود ، كما فى البحر والقراءات الشاذة ص ٨٢ .

(٩) سورة البقرة ٢٢٩ .

(١٠) سورة البقرة ١٨٢ ، وفى اللسان ١٠/ ٣٧٧ « قال الزجاج: جنفا أى ميلا . إثما : أى قصد الإثم » .

(١١) سورة الأنعام ٥١ .

ورَجَوْتُ بمعنى: خِفْتُ . قال الله سبحانه: ﴿ مَا لَـكُمْ لا تَرْجُونَ لِلهِ وَقَاراً ﴾[١] ، أى: لا تخافون لله عظمته[٢] ؛ لأنَّ الرّاجِىَ ليس بمستيقِن ، ومعه طَرَفٌ من المخافة ، قال الهُذَلِىّ :

إذا لَسَعَتْهُ النَّحْـلُ لم يرْجُ لَسْعَهَا ۞ وحالَفَهَا فى بَيْتِ نُوبٍ عَوامِلِ[٣]

أى: لم يخفها .

***

[٨٨] ويئستُ/ بمعنى: علمتُ من قول الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً ﴾[٤] ؛ لأنَّ فى علمك الشىء وتيقّنِك له يأسَك من غيره ؛ قال لَبيد :

حَتَّى إذَا يَئِسَ الرُّمَاةُ فأَرْسَلُوا ۞ غُضْفاً دَوَاجِنَ قَافِلاً أَعْصَامُهَا[٥]

أى: علموا ما ظهر لهم فيئِسُوا من غيره .

---

(١) سورة نوح ١٣ .

(٢) فى الأضداد ص٩ « قال الفراء: العرب لاتذهب بالرجاء مذهب الخوف إلا مع الجحد ، كقولهم: ما رجوت فلانا ، أى ما خفته ، قال الله عز وجل: « مالـكم لا ترجون لله وقارا » فمعناه لا تخافون لله عظمته .

(٣) البيت لأبى ذؤيب الهذلى ، كما فى ديوانه ص ١٤٣ ، والضمير فى لسعته يعود على مشتار النحل الحاذق الذى ذكره فى البيت السابق لهذا وهو :

تدلى عليها بالحبال موثقا ۞ شديد الوصاة نابل وابن نابل

ويروى: « خالفها » بالخاء ، لم يرج ، أى لم يخش لسعها ، والنوب: التى تنوب ، تجىء وتذهب ، ويروى: « عواسل » .

والبيت فى اللسان ٢/٢٧٣ ، ومجاز القرآن ٩٣ ـ ١ ، والخزانة ٢/٤٩٢ ، وما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد ص٧ ، والأضداد لابن الأنبارى ص٩ ، والأضداد لابن السكيت ص ١٧٩ ، والمقاييس٢/٤٩٥ والمقصور والممدود لابن ولاد ص ٤٥ ، وإصلاح المنطق ص ١٤٢ ، وتفسير الطبرى ٢٥ / ٨٣ ، ومجمع البيان ١/٣١٣ .

(٤) سورة الرعد ٣١ ، وانظر اللسان ٨/١٤٧ .

(٥) البيت له فى اللسان ١٤/٧٩ ، ١٥/٢٩٨ ، ١٧/٤ . والغضف: كلاب الصيد ، يقال لها ذلك لاسترخاء آذانها إلى خلف . وكلب داجن: قد ألف البيت . وقفل الجلد يقفل قفولا، وقفل فهو قافل وقفيل: يبس. والأعصام: القلائد، واحدها عصمة ، ثم جمعت على عصم ثم جمع عصم على أعصام مثل: شيعة وشيع وأشياع .

وقال آخر :

أقولُ لهم بالشِّعْبِ إذْ يَأْسِرُونَنى ... ألَمْ تَيْئَسُوا أنى ابنُ فارسِ زَهْدَمِ(١)

أى: ألم تعلموا.

***

ومن المقلوب : أن يقدِّمَ ما يوضِّحه التأخيرُ ، ويؤخِّر ما يُوضحه التقديمُ ، كقول الله تعالى : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾(٢) ، أى مُخلف رُسلِه وعْدَه ؛ لأنَّ الإخْلافَ قد يقعُ بالوعد كما يقعُ بالرُّسُل ، فتقول: أخلفتُ الوعد ، وأخلفتُ الرُّسلَ .

وكذلك قولُهسبحانه : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾(٣) . أى: فإنى عَدوٌّ لهم ؛ لأنّ كل من عاديته عاداك .

وكذلكقوله: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾(٤) أى: تدلى فدنا ؛ لأنّه تدلَّى للدُّنوّ ، ودنا بالتّدلِّى .

ومنه قوله سبحانه : ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾(٥) أى: بل على الإنسان من نفْسِه بصيرةٌ ، يريد شهادةَ جوارِحه عليه ، لأنها منه فأقامه مُقامها .

قال الشاعر :

تَرَى الثَّوْرَ فيها مُدْخِلَ الظلِّ رَأْسَهُ ... وَسَائِرُهُ بادٍ إلى الشمس أجْمَعُ(٦)

---

(١) البيت فى اللسان ٧/١٦٢ لسحيم بن وثيل اليربوعى ، وكان وقع عليه سباء فضرب عليه بالسهام وفى ٨ / ١٤٧ له أو لولده جابر بن سحيم ، وفى أساس البلاغة ٢ / ٥٥٨ لسحيم ، وكذلك مجاز القرآن ١١٢ ـ ا ، وتفسير الطبرى ١٣/١٠٣ ، وهو غير منسوب فى البحر المحيط ولم ينسبه ابن قتيبة فى المعانى الكبير ٢/١١٤٨ ، وفى الميسر والقداح ص ٣٣ . وقال فى الميسر : « يروى ييسروننى ، ويأسروننى ، فمن روى : ييسروننى ، أراد يقتسموننى ويجعلوننى أجزاء ـ أحسبه أراد فداءه لأنهم إذا أخذوا فداءه فكأنهم اقتسموا نفسه ـ ومن رواه : يأسروننى ، جعله من الأسر ، وقوله : ألم تيأسوا أنى ابن فارس زهدم ، أراد : ألم تعلموا ... » وزهدم : فرس سحيم ، وروى : قاتل زهدم ، وفسر بأنه اسم رجل من عبس ، راجع اللسان ٨/١٤٧ .

(٢) سورة إبراهيم ٤٧ .

(٣) سورة الشعراء ٧٧ .

(٤) سورة النجم ٨ .

(٥) سورة القيامة ١٤ .

(٦) البيت فى سيبويه ١/٩٢ ، وأمالى المرتضى ١/٥٥ وهو غير منسوب فيهما .

أراد مُدخلَ رأسِه الظلَّ؛ فقلَب لأن الظلّ التبس برأسه فصار كل واحدٍ منهما داخلاً فى صاحبه ، والعرب تقول : اعرض النّاقةَ على الحوض، تريد: اعرض الحوض على الناقة ؛ لأنك إذا أوْرَدْتَها الحَوْضَ: اعترضتَ بكل واحدٍ صاحبَه.

وقال الحطيئة :

فلما خَشيتُ الهُونَ والعَيرُ مُمسِكٌ على رَغمِه ما أمسكَ الحبلَ حافرُه[(١)]

وكان الوجه أن يقول: ما أمسك حافِرَه الحبلُ ، فقَلَبَ ، لأنّ ما أمسكته فقد أمسكَكَ، والحافر مُمسِكٌ للحبل لا يفارقه مادام به مَربُوطا ، والحبل مُمسِكٌ للحافر .

وقال الأخطل : / [٨٩]

علَى العَيَاراتِ هدَّاجون قَدْ بَلَغَتْ نَجران أَوْ بَلَغَتْ سوآتِهِم هَجَرُ[(٢)]

وكان الوجهُ أن يقولَ : سَوآتُهم ـ بالرفع ـ نجرانَ وهجرَ؛ فقلب لأن ما بلغْتَه فقد بلغَكَ. قال الله تعالى : ﴿ وقد بَلَغَنِيَ الـكِبَرُ ﴾[(٣)] أى بَلَغْتُه .

وقال آخر :

قد سَالَمَ الحياتُ منه القَدَمَا الأُفعُوانَ والشجاعَ الشَّجْعَمَا[(٤)]

---

(١) ديوانه ص ١٠ « ما أثبت الحبل » قال السكرى : يقول : ما دام الحمار مقيدا فهو ذليل معترف بالهون ، وهذا مقلوب ، أراد : ماأثبت الحبل حافره فقلب ، فجعل الفاعل مفعولا، والمفعول فاعلا » وهو له فى تفسير الطبرى ١٤/ ٨٤ .

(٢) ديوانه ص ١١٠ « أو حدثت سوآتهم » العيارات : جمع عير ، وهو الحمار ، والهداجون : الذين هدجوا ، وهو سير ضعيف ، يقال : جمل هدجان : إذا قارب خطوه من مرض أو كبر . يشير إلى أنهم يتلصصون . حدثت سوآتهم هجر ، أى أهل هجر » والبيت له فى كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد ص ٣٨ ، واللسان ٧/ ٤٨ ، وأمالى ابن الشجرى ١/ ٣٣٠ وأبواب مختارة من كتاب أبى يوسف يعقوب ابن إسحاق الأصبهانى ص ٢٩ ، والوساطة ص ٤٨٢ ، وشرح شواهد المغنى ٣٢٨ ، وهو غير منسوب فى أمالى المرتضى ٢/ ١١٦ .

(٣) سورة آل عمران ٤٠ .

(٤) فى اللسان ٧ / ٢٣٣ « قال مساور بن هند : ويقال : هو لأبى حيان الفقعسى » وفى كتاب سيبويه ١ / ١٤٥ لعبد بنى عبس ، ونسبه الأعلم للعجاج ، وفى شرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٣٢٩ « هو من أرجوزة لأبى حيان الفقعسى ، وقيل : لمساور بن هند العبسى، وبه جزم الترمذى والبطليوسى ،

فنصب الأُفعوانَ والشجاعَ ، وكان الوجه أن يرفعهُما لأن ماحالفتَه فقد حالفَكَ ، فهما فاعلان ومفعولان .

وقال الشمّاخ يذكر أباه :

منه وُلِدْتُ ولم يُؤْشَبْ به حَسَبِي   لَمًّا ؛ كما عُصِبَ العِلْباءُ بالعُودِ (١)

وكان الوجه أن يقول : كما عُصِبَ العُودُ بالعِلباء فقلب؛ لأنك قد تقول : عَصَبْتُ العِلْباءَ على العُودِ ، كما تقول : عَصَبْتُ العودَ بالعلباء .

وقال ذو الرمّة :

وتكسُو المِجنَّ الرِّخْوَ خَصراً كأنه   إهانُ ذَوَى عن صُفرةٍ فهو أَخْلَقُ (٢)

وكان الوجه أن يقول : وتكسو الخَصر مجنا فقلب ؛ لأنّ كسوتُ يقع على الثوب وعلى الخصر وعلى القميص ولابسِهِ ، تقول : كسوتُ الثوبَ عَبْدَ الله ، وكسوتُ عبدَالله الثوبَ .

وقال أبو النَّجْم :

قبل دُنوِّ الأُفْقِ من جوزائه (٣)

وكان الوجه أن يقول : قبل دُنُوِّ الجوزاء من الأفق فقلب؛ لأن كل شيء دنا منك فقد دنوتَ منه .

وقيل للعجاج . وقال السيرافى : قائله التدمرى ، وقال الصغانى : قائله عبد بنى عبس » .. والأفعوان ـ بضم الهمزة ـ ذكر الأفاعى ، والشجاع : الحية ، وكذا الشجعم ، والميم زائدة . وقال البطليوسى : يصف رجلا بغلظ القدمين وصلابتهما لطول الحفا ، فذكر أنه يطأ على الحيات والعقارب فيقتلها ، فقد سالمت قدميه كذلك » .

(١) ديوانه ص ٢٤ « منه ولدت .. حسبى ليا » والضمير فى منه يرجع إلى جده جحاش الذى ذكره فى البيت قبله وقال فى شرحه : « نجلت : ولدت ، وؤشب : يعب ، واللىّ : الطى ، وعصب : جعل عليه العصب ، وهذا على القلب ، أى كما عصب العود بالعلباء ، وهو عصب تشد به الرماح » والبيت ذكره ابن قتيبة فى المعانى الكبير ١ / ٥٣٣ وقال فى شرحه : « نسب نفسه إلى جده جحاش .. لما : جمعا ، كما يعصب العود إذا انكسر بالعلباء » ، وهو فى الوساطة ص ٤٨٢ .

(٢) ديوانه ص ٣٩٢ « المجن : ما أجنها أى سترها من الثياب ، الرخو لأنها ضامرة . والإهان : عود العذق ، وهو الكباسة والعرجون ، شبهها به لملاسته ، يقول : خصرها دقيق أملس ، مثل هذا العرجون » والمعنى : تكسو الخصر مجنا فقلب . أخلق : أملس .

(٣) أمالى المرتضى ١/١٥٦ ، وسر الفصاحة ص ١٠٨ ، ومقاييس اللغة ١/ ١١٥ غير منسوب .

وقال الراعي يصف ثوراً :

فَصَبَّحَتْهُ كِلابُ الغَوْثِ يُوسِدُها　　مُستوضِحون يَرَوْنَ العَينَ كالأَثَرِ (١)

وكان الوجه أن يقول : يرون الأثر كالعين ، لعلمهم بالصيد وآثاره فقلب ؛ لأنهم إذا رَأَوْا الأثر كالعين ، فقد رأوا العين كالأثر .

وقال النابغة :

وقد خِفتُ حتى ماتَزِيدُ مخافتي　　على وَعِلٍ في ذي المَطارةِ عاقِلِ (٢)

وكان الوجه أن يقول : حتى ما تزيد مخافةُ وَعِلٍ على مخافتي ؛ فقلب : لأن المخافتين استوتا .

وقال رُؤْبَةُ بن العَجَّاج :

ومَهمهٍ مُغْبَرَّةٍ أَرْجاؤُه　　كأَنَّ لونَ أَرْضِهِ سماؤُه (٣)

وكان الوجه أن يقول : كأن لون سمائه من غبرتها لونُ أرضه / فقلب لأن اللونين استويا. [٩٠]

وقال الآخر :

* وصار الجمرُ مثلَ ترابِها (٤) *

أي صار ترابُها مثلَ الجمر .

---

(١) ذكره ابن قتيبة مع بيتين قبله في المعاني الكبير ٢ / ٧٤٢ . وقال في شرحه : « يؤسدها : يغريها ، مستوضحون : ينظرون هل يرون شيئا ، وأراد يرون الأثر كالعين فقلب » وهو له في أمالي المرتضى ١/١٥٦ وفيه : « كلام الغوث .. يستوضحون » .

(٢) أمالي ابن الشجري ١ / ١٩١ ، وأمالي المرتضى ١ / ١٤٤ ، ١٥٥ ، ومجمع البيان ١ / ٢٦٢ ، ٢٥٥ ، ومجاز القرآن ٢٥ ب ، وما اتفق لفظه للمبرد ص ٣٢ وهو غير منسوب في الأضداد ص ٣٢٨ و « ذي المطارة » جبل .

(٣) ديوانه ص ١ وأمالي المرتضى ١/١٥٥ وأمالي ابن الشجري ١/٢٢٩–٢٣٠ وشرح شواهد المغني للسيوطي ٣٢٨ والصاحبي ١٧٢ وأبواب مختارة ص ٣٤ .

(٤) في أبواب مختارة من كتاب أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الأصبهاني ص ٣٤ « كقول الأعشى »

حتى إذا احتـدمت وصا　　ر الجمر مثل ترابهـا

يريد : صار ترابها مثل الجمر من الحر » وفي ديوان الأعشى ص ١٧٨ :

حتى إذا ماأوقدت　　فالجمر مثل ترابها

وفي الأضداد للسجستاني ص ١٥٢ « حتى يصير الجمر مثل ترابها » .

وقال عز وجل : ﴿ خُلِقَ الإنسانُ من عَجَلٍ ﴾[1] أى خُلِقَ العجل من الإنسان ، يعنى العجلة . كذلك قال أبو عبيدة[2] .

***

ومن المقلوب ما قُلِب على الغَلَط ؛ كقول خِداش بن زُهَير :

وتُرْكَبُ خيلٌ لا هَوَادَةَ بينها ... وتَعْصِى الرِّمَاحُ بالضَّيَاطِرَةِ الحُمْرِ[3]

أى تَعْصِى الضياطرةُ بالرِّمَاح ، وهذا مالا يقع فيه التأويلُ ؛ لأن الرماح لا تعصى بالضَّياطرة وإنما يعصى الرجَالُ بها ، أى يطعنون .

ومنه قول الآخر :

أَسْلَمْتَهُ فى دِمَشْقَ كما ... أَسْلَمَتْ وَحْشِيَّةٌ وَهَقَا[4]

---

(١) سورة الأنبياء ٣٧ .

(٢) فى أمالى المرتضى ٢/١١٥ « وثانيها ما أجاب به أبو عبيدة وقطرب بن المستنير وغيرهما ، من أن فى الكلام قلبا والمعنى خلق العجل من الإنسان ... » .

(٣) البيت له فى اللسان ٦/١٦٠ وروايته « وتشقى الرماح » وبعده : « قال ابن سيده : يجوز أن يكون عنى أن الرماح تشقى بهم ، أى أنهم لايحسنون حملها ولا الطعن بها ، ويجوز أن يكون على القلب ، أى تشقى الضياطرة الحمر بالرماح ، يعنى أنهم يقتلون بها . والهوادة : المصالحة والموادعة » وهو من قصيدة لخداش فى جمهرة أشعار العرب ص١٠٨ وروايته « ونركب خيلا .. ونعصى » والضيطر : اللئيم الضخم ، ونعصى بالرمح ، أى نضرب به ونطعن ، وقبله :

كذبتم وبيت الله حتى تعالجوا ... قوادم حرب لاتلين ولا تمرى

وأمالى المرتضى ٢/١١٦ والكامل ١/٢٧٤ «وتركب خيل» وسر الفصاحة ص ١٠٦ ومجاز القرآن ١٨١ ب والأضداد للسجستانى ص ١٥٣ وهو غير منسوب فى تفسير الطبرى ٢٠/٦٩ ، ١٧/٢٠ والأضداد لابن الأنبارى ص ٨٥ والصاحبى ١٧٢ .

(٤) البيت لعبيد الله بن قيس الرقيات ، كما فى ديوانه ص ١٢٨ وبعده :

لم تدع أم البنين له ... معه من عقله رمقا

أسلموها : تركوها . قوله : أسلمت وحشية وهقا ، هذا من المقلوب ، أراد أسلم الوهق الوحشية فقلب . وقال الأصمعى : ليس هذا من المقلوب ، إنما هو قطعت وهقا فتركته مقطوعا ومضت ، وروى قوم آخرون : كما أُسلمت ــ بضم الهمزة ــ وحشية وهقا ، فعلى من الوهق « أى أسلمها صواحبها ومضوا » والبيت له فى الأضداد لابن الأنبارى ص ٨٦ « قال أبو عبيد : معناه : كما أسلم وهق وحشية ، وقال الأصمعى : معناه كما أسلمت وحشية وهقا فنجت منه ولم تقع فيه » وهو فى الوساطة ص ٤٨٢ . والوهق : حبل فى طرفيه أنشوطة تصاد به الدابة .

أراد : كما أسلم وحشيةً وهقٌ ؛ فقلب على الغلط .

وقال آخر :

كانَت فريضةَ ما تَقُولُ كما ... كان الزِّناءُ فريضةَ الرجْمِ [١]

أراد كما كان الرجم فريضة الزنا .

***

وكان بعضُ أصحاب اللغة يذهبُ فى قول الله تعالى : ﴿ ومثلُ الذينَ كفرُوا كَمَثَلِ الذى يَنعِقُ بما لا يسمعُ إلا دُعاءً ونِداءً ﴾ [٢] إلى مثل هذا فى القلب، ويقولُ : وقع التشبيه بالراعى فى ظاهر الكلام ، والمعنى للمنعوق به وهو الغنم . وكذلك قوله سبحانه : ﴿ ما إنَّ مَفَاتِحَهُ لتَنُوءُ بالعُصْبَةِ أُولِى القُوَّةِ ﴾ [٣] أى: تنهض بها وهى مُثقَلة [٤] .

وقال آخر فى قولِه سبحانه : ﴿ وإِنّه لِحُبِّ الخيرِ لشديدٌ ﴾ [٥] أى : وإن حُبَّهُ للخير

---

(١) البيت غير منسوب فى أمالى المرتضى ١/١٥٥ وسر الفصاحة ١٠٦ والصاحبى ١٧٢ ومجاز القرآن ١٢٦ .

(٢) سورة البقرة ١٧١

(٣) سورة القصص ٧٦

(٤) يلوح لى أن ابن قتيبة يقصد بقوله هذا أبا عبيدة . وآية ذلك أنى ألفيت أبا عبيدة يقول فى مجاز القرآن (ورقة ٢٤) : « ومثل الذين كفروا كمثل الذىينعق بمالا يسمع ، وإنما الذى ينعق الراعى ووقع المعنى على المنعوق به ، وهى الغنم ، يقول : كالغنم التى لاتسمع ، أى ينعق بها راعيها ، والعرب تريد الشىء فتحول إلى الشىء من سببه ، تقول : اعرض الحوض على الناقة ، وإنما تعرض الناقة على الحوض ، وتقول : هذا القميص لايقطعنى ، وتقول : أدخلت القلنسوة فى رأسى ، وإنما أدخلت رأسك فى القلنسوة ، وكذلك الخف .؟ ومن هذا الجنس فى القرآن : ماإن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ، ماإن العصبة لتنوء بالمفاتيح ، أى تثقلها . والنعيق : الصياح قال الأخطل يهجو جريراً :

فانعق بضأنك ياجرير فإنما ... منتك نفسك فى الخلاء ضلالا

وهذا النص من مجاز القرآن يدلنا أيضا على أن أبا عبيدة هو الرجل الذى عناه الفراء بقوله الموجود فى اللسان ١/١٦٩ وهو « قال الفراء : وقد قال رجل من أهل العربية: ماإن العصبة لتنوء بمفاتحه فحول الفعل إلى المفاتح . كما قال الراجز :

إن سراجا لكريم مفخره ... تحلى به العين إذا ماتجهره

وهو الذى يحلى بالعين ، فإن كان سمع آتوا بهذا فهو وجه ، وإلا فإن الرجل جهل المعنى » .

(٥) سورة العاديات ٨ وانظر اللسان ٤/٢١٩ وتفسير الطبرى ٣٠/١٨٠ والبحر المحيط ٨/٥٠٥ .

لشديدٌ . وفى قوله سبحانه : ﴿ واجْعَلْنَا للمتقينَ إماماً ﴾[١] أى : اجعل المُتقّين لنا اماماً فى الخير .

وهذا مالا يجوزُ لأحدٍ أن يحكم به على كتابِ الله عزّ وجلّ لو لم يجِدْ له مذهبا ؛ لأنّ الشعراء تقلب اللفظ، وتزيل الكلام على الغَلَط، أوعلى طريق الضرورة للقافية، أو لاستقامة وزن البيت .

فمن ذلك قول لبيدٍ :

* نحن بَنو أُمِّ البنينَ الأربعة[٢] *

قال ابن الكلبى : هم خمسة ، فجعلهم للقافية أربعة[٣] / . [٩١]

وقال آخر يصف إبلاً :

صَبَّحْنَ مِن كَاظِمَةَ الخُصَّ الخَرِبْ   يَحْمِلْنَ عَبَّاسَ بن عَبدِ المُطَّلبْ[٤]

أراد : عبدالله بن عباس؛ فذكر أباه مكانه .

وقال الصَّلَتَانُ :

أرى الخَطَفَى بَذَّ الفرَزْدَقَ شِعْرُهُ   ولكنَّ خيراً مِنْ كُلَيْبٍ مُجَاشِعُ[٥]

أراد : أرى جَرِيراً بَذّ الفرزدق شعره ؛ فلم يمكنه فذكر جَدَّه .

---

(١) سورة الفرقان ٧٤ والبحر المحيط ٦/٥١٧ وتفسير الطبرى ١٩/٣٤ .

(٢) ديوانه ص ٧ وعجزه : *ونحن خير عامر بن صعصعة* وانظر أمالى المرتضى ١/١٣٦ والأغانى ١٤/٩٥ والعمدة ١/٢٧ والخزانة ٤/١٧١ والحيوان ٥/١٧٣ واللسان ٥/١٧٣، ٩/٤٢٧ ومجالس ثعلب ٢/٤٤٩ وسيبويه ١/٣٢٧ .

(٣) قال ابن قتيبة فى المعارف ص ٤٠ « وأما مالك بن جعفر فولده : عامر ، وطفيل ، وربيعة ، ومعاوية . أمهم أم البنين، قال لبيد* نحن بنو أم البنين الأربعة* جعلهم أربعة وهم خمسة للقافية » .

(٤) البيت فى جمهرة اللغة لابن دريد ٣/٥٠٣ غير منسوب ، ونقله عنها السيوطى فى المزهر ٢/٥٠١ والشطر الثانى غير منسوب فى اللسان ٨/١١٧

(٥) البيت من قصيدة للصلتان العبدى فى الشعر والشعراء ١/٤٧٧ والأمالى ٢/١٤١

وقال ذو الرّمة :

عَشيَّةَ فَرَّ الحارِثيُّونَ بعدَما قضى نحبَهُ فى ملتقى القومِ هَوْبَرُ[١]

قال ابن السكلبى: هو يزيد بن هَوبَر فاضطرّ .

وقال أوسٌ :

فهل لكمُ فيها إلىَّ فإنّنى طَبيبٌ بما أعيى النِّطاسِىَّ حِذْيَما[٢]

أراد: ابن حِذيَم وهو طبيب كان فى الجاهلية .

وقال ابن مَيَّادةَ وذكر بعيراً :

كأَنَّ حيثُ تَلْتَقِى منه المُحُلْ مِنْ جانِبَيْهِ وَعِلَيْنِ وَوَعِلْ[٣]

أراد: وعلين من كل جانب؛ فلم يمكنه فقال: وَوَعِلٍ .

وقال أبو النجم :

ظَلَّتْ وِرْدٌ صادقٌ مِنْ بالِهَا وظَلّ يُوفى الأَكَمَ ابنُ خالِها

أراد: فحْلَها: فجعله ابنَ خالها .

وقال آخر :

* مثل النصارى قتلوا المسيحا[٤] *

أراد : اليهودَ.

---

(١) ديوانه ص ٢٣٥ أراد يزيد بن هوبر ، وهو رجل من بنى الحارث بن كعب . ويروى : « وهى فوق أطراف الأسنة » والبيت فى مجاز القرآن ١١٤ــ ا واللسان ١٠٨/٧ وجمهرة ابن دريد ٥٠٣/٣ والشطر الثانى فى المزهر ٥٠١/٢ .

(٢) البيت لأوس بن حجر ، كما فى اللسان ١١٧/٨ وهو غير منسوب فى المزهر ٥٠٣/٢ .

(٣) فى اللسان ١٤٢/١٤ « ابن سيده : والمحالة : الفقرة من فقار البعير ، وجمعه محال ، وجمع المحال محل . أنشدنى الأعرابى :

كأن حيث تلتقى منه المحل من قطريه وعلان ووعل

يعنى قرون وعلين ووعل . شبه ضلوعها فى اشتباكها بقرون الأوعال » .

(٤) ذكره ابن قتيبة فى المعانى السكبير ٨٧٩/٢ غير منسوب كما هنا وعلق عليه بقوله : « سمع بالنصارى ، والمسيح ، ولم يدر كيف كان الأمر ، فقال على ماتوهم » وهو فى الوساطة كذلك ص ٤٨٦ .

وقال آخر :

* ومِحْورٍ أُخْلِصَ مِنْ مَاءِ اليَلَبْ(١) *

واليَلب: سيُورٌ تُجْعَلُ تحت البيض؛ فتوهّمه حديدا .

وقال رؤبة :

* أو فضّةٌ أوذهبٌ كِبْريتُ(٢) *

وقال أبوالنجم :

* كَلَمْعَةِ البَرْقِ بِبَرْقٍ خُلَّبُهْ *

أراد : بخلَّبٍ برقه ؛ فقلب .

وقال آخر :

إنَّ الكَرِيمَ وأَبِيكَ يَعْتَمِلْ إنْ لَمْ يَجِدْ يَوْماً عَلَى مَنْ يَتَّكِلْ(٣)

أراد: إن لم يجد يوما من يتكل عليه .

فى أشباهٍ لهذا كثيرة يطول باستقصائها الكتاب .

والله تعالى لا يغلط ولا يُضْطَرُّ ، وإنما أراد : ومَثَلُ الذين كفروا ومثَلُنا فى وعظهم كمثل الناعق بما لايسمع ، فاقتصر على قوله: ﴿ ومثل الذين كفروا ﴾؛ وحذف ومثلنا ؛ لأنَّ الكلام يدل عليه(٤) . ومِثْلُ هذا كثير فى الاختصار .

---

(١) جمهرة ابن دريد ٥٠٤/٣ غير منسوب وكذلك فى اللسان ٣٠٦/٢ والوساطة ١٤ والمزهر ٥٠١/٢ .

(٢) اللسان ٣٨١/٢ وصدره : * هل يعصمنى حلف سختيت * قال ابن الأعرابى : ظن رؤبة أن الكبريت ذهب .

(٣) فى اللسان ٥٠٢/١٣ وبعده فيه : *فيكتسى من بعدها ويكتحل* أراد من يتكل عليه فحذف عليه هذه ، وزاد على متقدمة ، ألا ترى أنه يعتمل إن لم يجد من يتكل عليه . والبيت فى شواهد المغنى ١٤٣ وأساس البلاغة ١٤٢/٢ ، ٤٩٢ وسيبويه ٤٤٣/١ .

(٤) فى البحر المحيط ٤٨١/١ تسعة أقوال فى تفسير هذه الآية . وقد ذكر المرتضى فى أماليه ١٥٤/١ــ١٥٧ خمسة أجوبة فيها .

وقال الفراء :

أراد : ومثل واعظ الذين كفروا ؛ فحذف كما قال: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾(١)، أي : أهلها .

***

وأراد بقوله : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾(٢) ، أى: تُميلها من ثِقْلها .

قال الفراء /: أنشدنى بعض العرب(٣) : [٩٢]

حتى إِذا ما التأَمَتْ مَفاصِلُهْ ونَاءَ فى شِقِّ الشِّمالِ كاهِلُهْ(٤)

يُريد: أنه(٥) لما أخذ القوس ونزع ، مال عليها.

قال : ونَرَى قولهم: ما ساءَك وناءَك ، من هذا . وكان الأصلُ أناءك فألقِيَ الألفُ لما اتبعه ساءك، كما قالوا : هَنَأَنِي ومَرَأَنِي ، فاتبع مَرَأَنِي هَنَأَنِي . ولو أفرد لقال : أَمْرَأَنِي .

***

وأرادبقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾(٦)، أى: وإنه لحبِّ المال لبخيل ، والشدة البخلُ ههنا ؛ يقال : رَجُلٌ شديدٌ ومتشدِّدٌ(٧) .

***

---

(١) سورة يوسف ٨٢ .

(٢) سورة القصص ٧٦ .

(٣) فى اللسان ١٦٩/١ « قال الأزهرى : وأنشدنى بعض العرب ـ إلى آخر النص » وظاهر أن فيه سقطا صوابه : « قال الأزهرى ، قال الفراء : وأنشدنى بعض العرب الخ» .

(٤) فى اللسان « ما التأمت مواصله »

(٥) فى اللسان « يعنى الرامى » .

(٦) سورة العاديات ٨ وفى البحر المحيط ٥٠٥/٨ « وقال الفراء : نظم الآية أن يقال : وإنه لشديد الحب للخير ، فلما تقدم الحب قال : لشديد ، وحذف من آخره ذكر الحب ؛ لأنه قد جرى ذكره ، ولرؤس الآى ، كقوله : فى يوم عاصف ، والعصوف للريح لا للأيام ، كأنه قال : فى يوم عاصف الريح » ومن هذا النص يتضح لنا أن الفراء هو الذى عناه الطبرى بقوله ١٨٠/٣٠ « وقال بعض نحويى الكوفة : كان موضع لحب أن يكون بعد شديد .... الخ » .

(٧) قال الطبرى ١٨٠/٣٠ « يقول تعالى ذكره : وإن الإنسان لحب المال لشديد . واختلف أهل =

وقوله سبحانه : ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[١] ، يريد: اجعلنا أئمةً فى الخير يقتدى بنا المؤمنون . كما قال فى موضع آخر : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾[٢] ، أى : قادةً ، كذلك قال المفسّرون[٣] .

وروى عن بعض خيار السلف: أنه كان يدعو الله أن يُحمَل عنه الحديث؛ فحُمِلَ عنه .

وقال بعض المفسّرين فى قوله : ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ ، أى : اجعلنا نَقْتَدِى بمن قبلنا حتى يَقْتَدِىَ بنا من بعدَنا[٤] ، فهم على هذا التأويل مُتَّبِعُون ومُتَّبَعُون .

***

ومن المُقدّم والمؤخّر قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا ﴾[٥] ، أراد: أنزل الكتاب قيّماً ولم يجعل له عِوَجاً .

= العربية فى وجه وصفه بالشدة لحب المال ، فقال بعض البصريين : معنى ذلك : وإنه من أجل حب الخير لشديد ، أى لبخيل . قال : ويقال للبخيل : شديد ومتشدد ، واستشهدوا لقوله ذلك ببيت طرفة بن العبد اليشكرى:

أرى الموت يعتام النفوس ويصطفى عقيلة مال الباخل المتشدد

وقال آخرون : وإنه لحب الخير لقوى ... » .

(١) سورة الفرقان ٧٤ .

(٢) سورة السجدة ٢٤ .

(٣) وهو تفسير ابن عباس ، كما فى الطبرى ١٩/ ٣٤ .

(٤) قال بذلك مجاهد ، كما فى الطبرى ١٩/ ٣٤ وقال أبو جعفر : «وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : معناه : واجعلنا للمتقين الذين يتقون معاصيك ويخافون عقابك — إماما يأتمون بنا فى الخيرات ؛ لأنهم إنما سألوا ربهم أن يجعلهم للمتقين أئمة ، ولم يسألوه أن يجعل المتقين لهم إماما . وقال : واجعلنا للمتقين إماما ، ولم يقل: أئمة ، وقد قالوا : واجعلنا ، وهم جماعة — لأن الإمام مصدر من قول القائل : أم فلان فلانا إماما ، كما يقال: قام قياما ، وصام يوم كذا صياما . ومن جمع الإمام : أئمة ، جعل الإمام اسما ، كما يقال : أصحاب محمد إمام وأئمة للناس ، فمن وحد قال : يأتم بهم الناس . وهذا القول الذى قلناه فى ذلك قول بعض نحويى أهل الكوفة . وقال بعض أهل البصرة من أهل العربية : الإمام فى قوله : للمتقين إماما — جماعة ، كما تقول : كلهم عدول . قال : ويكون على الحكاية ، كما يقول القائل إذا قيل له : من أميركم ؟ هؤلاء أميرنا ، واستشهد لذلك بقول الشاعر :

ياعاذلاتى لا تردن ملامتى إن العواذل لسن لى بأمير »

(٥) سورة الكهف ١ ، ٢ وقال أبو جعفر الطبرى فى تفسيره ١٥/ ١٢٦ « يقول تعالى ذكره : الحمد لله الذى خص برسالته محمدا ، وانتخبه لبلاغها عنه ، فابتعثه إلى خلقه نبيا مرسلا ، وأنزل عليه =

وقوله : ﴿ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ﴾[١]، أى: بشرناها بإسحاق فضحكت[٢] .

وقوله : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾[٣] ، أى: فعقروها فكذّبوه بالعقر .

وقد يجوز أن يكون أراد: فكذّبوا قوله: إنها ناقة الله؛ فعقروها[٤]. قال الأعشى:

لقد كان فى حَوْلٍ ثواءٍ ثُوَيْتُه تَقَضِّى لُبَانَاتٍ ويَسأمُ سائمُ[٥]

أراد : لقد كان فى ثواء حَوْلٍ ثُوَيْتُه .

= كتابه قيما ولم يجعل له عوجا، وعنى بقوله عز ذكره : قيما : معتدلا مستقيما ... عن ابن عباس : أنزل الكتاب عدلا قيما ، ولم يجعل له عوجا . فأخبر ابن عباس بقوله هذا — مع بيانه معنى القيم — أن القيم مؤخر بعد قوله : ولم يجعل له عوجا ، ومعناه التقديم ، بمعنى: أنزل الكتاب على عبده قيما .. مستقيما لااختلاف فيه ولا تفاوت ، بل بعضه يصدق بعضا ، وبعضه يشهد لبعض لاعوج فيه ولا ميل عن الحق » .

(١) سورة هود ٧١ .

(٢) فى اللسان ١٢/٣٤٦ « روى الأزهرى عن الفراء فى تفسير هذه الآية لما قال رسل الله ، عز وجل ، لعبده وخليله إبراهيم : لاتخف ، ضحكت عند ذلك امرأته ، وكانت قائمة عليهم ، وهو قاعد ، فضحكت ، فبشرت بعد الضحك بإسحق ، وإنما ضحكت سرورا بالأمن ؛ لأنها خافت كما خاف إبراهيم . وقال بعضهم : هذامقدم ومؤخر، المعنى فيه عندهم : فبشرناها بإسحاق ، فضحكت بالبشارة ... قال الفراء : وأما قولهم . فضحكت : حاضت ، فلم أسمعه من ثقة » .

(٣) سورة الشمس ١٤، وفى اللسان ٦/ ٢٧٠ « عقره : إذا قطع قائمةمن قوائمه ... قال الأزهرى : العقر عند العرب : كشف عرقوب البعير ، ثم يجعل النحر عقرا ؛ لأن ناحر الإبل يعقرها ثم ينحرها » .

(٤) قال الطبرى ٣٠/١٣٧ « يقول : فكذبوا صالحا فى خبره الذى أخبرهم به ، من أن الله الذى جعل شرب الناقة يوما ، ولهم شرب يوم معلوم ، وأن الله يحل بهم نقمته إن هم عقروها ... وقد يحتمل أن يكون التكذيب بالعقر ، وإذا كان ذلك كذلك ، جاز تقديم التكذيب قبل العقر ، والعقر قبل التكذيب ، وذلك أن كل فعل وقع عن سبب حسن ابتداؤه قبل السبب وبعده ، كقول القائل : أعطيت فأحسنت ، وأحسنت فأعطيت ؛ لأن الإعطاء هو الإحسان ، ومن الإحسان الإعطاء ، وكذلك لو كان العقر هو سبب التكذيب ، جاز تقديم أى ذلك شاء المتكلم » .

(٥) ديوانه ص ٥٦ « ثواء : يرفع وينصب ، وأبو عبيدة يخفضه ، والنصب أجود ، ومن روى تقضى — بضم التاء — فإنه ينبغى أن يرفع ثواء » وقال سيبويه ١/ ٤٢٣ سألت الخليل عن قول الأعشى : لقد كان — البيت — فرفعه وقال : لاأعرف فيه غيره ؛ لأن أول الكلام خبر ، وهو واجب ، كأنه قال : ففى حول تقضى لبانات ويسأم سائم ، هذا معناه » وقال الأعلم فى شرحه : « يخاطب بهذا نفسه ، والثواء الإقامة ، وهو بدل من الحول ، ويجوز نصبه على تقدير ثويته ثواء » .

وقال ذو الرُّمَّة يصف الدَّار :

فأضحت مَبادِيها قفاراً رُسُومُها كأنْ لَمْ سِوَى أَهْلٍ مِنَ الوَحْشِ تُوهَلُ(١)

أراد : كأن لم تُوهل سوى أهلٍ من الوحش .

***

[٩٣] وقد كان بعضُ القُرَّاة / يقرأ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِم ﴾(٢)، أي: قَتْلُ شُرَكَائِهِم أَوْلَادَهُمْ .

***

ومن المُقدّم والمؤخّر قولُه سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾(٣) .

وقال ابن عباس فى رواية الكَلْبي: أراد: ولا تُعجبْك أموالهم وأولادهم فى الدنيا؛ إنما يريد الله أن يعذّبهم بها فى الآخرة .

***

---

(١) فى شرح شواهد المغنى للسيوطى ص٢٣٣ « مباديها » أى حيث تبدو ، ويروى : « مغانيها » جمع مغنى ، وهو المنزل ، والقفار : جمع قفر وهى الأرض الخالية ، ويؤهل من أهل الدار نزلها من باب ضرب يضرب » .

(٢) سورة الأنعام ١٣٧، وقرأ الجمهور « زين » مبنيا للفاعل ، ونصب « قتل » مضافا إلى « أولادهم » ورفع « شركاؤهم » بزين ، وإعراب هذه القراءة واضح . ويقصد ابن قتيبة ببعض القرءة ابن عامر ، فهو الذى قرأ : « زين » مبنيا للمفعول ، و « قتل » مرفوعا ونصب « أولادهم » وجر « شركائهم » ففصل بين المصدر المضاف إلى الفاعل بالمفعول ، وهى مسألة مختلف فى جوازها ، فجمهور البصريين يمنعونها ولايجيزون ذلك إلافى ضرورة الشعر ، وبعض النحويين أجازها ، وهوالصحيح ؛ لوجودها فى هذه القراءة المتواترة ، المنسوبة إلى العربى الصريح المحض : ابن عامر ، الآخذ القرآن عن عثمان بن عفان ، قبل أن يظهر اللحن فى لسان العرب ، ولوجودها أيضا فى لسان العرب ، فى عدة أبيات ، وقد رد قراءة ابن عامر هذه بعض النحويين كالفارسى والزمخشرى ، وقد علق أبو حيان على رد الزمخشرى فى البحر المحيط ٢٣٠/٤ فقال: «واعجب لعجمى ضعيف فى النحو يرد على عربى صريح محض قراءة متواترة موجودة فى لسان العرب فى غير مابيت ، واعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقا وغربا ، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم » راجع تفصيل ذلك كله فى البحر المحيط ٢٢٩/٤ـ٢٣٠ والكشاف ٤١/٢ـ٤٢ والطبرى ٣٢/٨ـ٣٣.

(٣) سورة التوبة ٥٥ .

ومنه قوله سبحانه : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى ﴾(١) ، أي: ولولا كلمة سبقت وأجلٌ مسمّى ، لكان العذابُ لِزاماً .

***

ومنه قوله سبحانه : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٢) أراد : لَعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلا ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته ، لاتبعتم الشيطان(٣). قال الشاعر :

فَأَوْرَدْتُهَا ماءً كأنَّ جِمَامَهُ ... مِنَ الْأَجْنِ حِنّاءٌ معاً وصَبِيبُ(٤)

أي: فأوردْتُها ماءً كأنَّ جِمامَه حِنَّاءٌ وصبيبٌ معاً .

---

(١) سورة طه ١٢٩ وقال الطبري ١٦/١٦٧ « يقول تعالى ذكره : ولولا كلمة سبقت من ربك يامحمد ، أن كل من قضى له أجلا فإنه لايخترمه قبل بلوغ أجله ، وأجل مسمى ، يقول : ووقت مسمى عند ربك ، سماه لهم في أم الكتاب ، وخطه فيه ، هم بالغوه ومستوفوه لكان لزاما الهلاك عاجلا ... وقدم قوله : لكان لزاما ، قبل قوله : وأجل مسمى ، ومعنى الكلام : ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما فاصبر على مايقولون » .

(٢) سورة النساء ٨٣ .

(٣) راجع البحر المحيط ٣/٣٠٦-٣٠٨ .

(٤) هو علقمة الفحل ، كما في ديوانه ص ١٤ « أوردتها : يعني الناقة ، جمام الماء : مااجتمع منه وكثر . الأجن : تغير الماء ، الصبيب : شجر حجازي يختضب به كالحناء . يصف الماء بالتغير لبعد عهده بالواردة ، إذ كان في فلاة نائية ليس بها إنسان » والبيت له في المفضليات ص ٣٩٣ واللسان ٢/٦ .

باب الحذف والاختصار

من ذلك: أن تحذفَ المضافَ وتُقيمَ المضافَ إليه مُقامه وتجعلَ الفعل له؛ كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ القَرْيَةَ التي كُنَّا فيها﴾(١) أى سل أهلها.

﴿وأُشْرِبُوا فى قلوبِهم العِجْلَ﴾(٢) أى حُبَّهُ.

و﴿الحجُّ أشهرٌ معْلُوماتٌ﴾(٣) أى وقتُ الحج.

وكقوله: ﴿إذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وضِعْفَ المماتِ﴾(٤) أى ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات.

وقوله سبحانه: ﴿لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وبِيَعٌ وصَلَوَاتٌ ومَسَاجِدُ﴾(٥) فالصلوات لا تُهدَّم، وإنما أراد بيوتَ الصلوات.

قال المفسرون: الصوامعُ للصَّابئين، والبِيَعُ للنّصارى، والصلوات: كنائس اليهود، والمساجد للمسلمين.

وقوله: ﴿مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتى أَخْرَجَتْكَ﴾(٦) أى أخرجكَ أهلُها.

[٩٤] وقوله: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ والنَّهارِ﴾(٧) أى مكركم فى الليل/ والنهار.

وقوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحاجِّ وعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ باللهِ﴾ أى: أجعلتم صاحب سِقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، كمن آمن؟! ويكون يريد: أجعلتم سقاية الحاج

(١) سورة يوسف ٨٢ والصناعتين ١٣٥.
(٢) سورة البقرة ٩٣ والصناعتين ١٣٥.
(٣) سورة البقرة ١٩٧ والصناعتين ٣٦.
(٤) سورة الإسراء ٧٥.
(٥) سورة الحج ٤٠.
(٦) سورة محمد ١٣.
(٧) سورة سبأ ٣٣.
(٨) سورة التوبة ١٩.

كإيمان من آمن بالله وجهاده؛ كما قال : ﴿ ولَـكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ ﴾[١] .

قال الهُـذلى :

يُمشّى بَيْننا حَانوتُ خَمْرٍ   من الخُرْسِ الصَّرَاصِرَةِ القِطَاطِ[٢]

أراد صاحبَ حانوت خمر ، فأقام الحانوت مُقامه .

وكذلك قـول أبى ذُؤَيْب فى صفة الخمر :

تَوَصَّلُ بالرُّكْبانِ حِيناً وتُولِفُ الـ   ـجِوارَ ويُغْشِيها الأَمَانَ رِبابُهَا[٣]

اللفظ للخمر والمعنى للخَمَّار ، أى يتَوَصَّلُ الخمار بالركب ليسير معهم ويأمن بهم .

وكذلك قوله :

أَتوْهَا بِرِبْحٍ حَاوَلَتْهُ فَأَصْبَحَتْ   تُـكَفَّتُ قَدْ حلَّتْ وَسَاغَ شَرابُهَا[٤]

يريد: أتَوْا صاحبها بربح؛ فأقامها مُقامه .

وقال كُثَيِّر يذكر الأَظْعَان :

حُزِيَتْ لى بِحَزْمِ فَيْدَةَ تُحْدَى   كالْيَهُودِىِّ مِنْ نَطَاة الرِّقَالِ[٥]

---

(١) سورة البقرة ١٧٧ .

(٢) البيت للمتنخل الهذلى ، كما فى ديوان الهذليين ص ٢١ « يقول : يمشى بيننا صاحب حانوت من خمر ، وقوله : من الخرس الصراصرة ، يريد أعجم من نبط الشأم يقال لهم : الصراصرة . والقطاط : الجعاد ، والواحد قطط ، وهو أشد الجعود » والبيت فى اللسان ٩/٢٥٦ والصناعتين ص ١٣٦ .

(٣) ديوانه ص ٧٣ « توصل : تتوصل ، بالركبان ، يعنى أهل الخمر ، وإن كان اللفظ للخمر فإن المعنى لأربابها . يقول : إذا أقبل الركبان سار أصحاب الخمر معهم ليأمنوا . وقوله : تؤلف الجوار ، يقول : تأخذ الجوار عقدين ، وإنما يعنى أصحاب الخمر . يقال : آلف وأولف إذا جمع بين شيئين : ويغشيها الأمان ربابها . والرباب: عقد وجوار تأخذه يكون الرباب أماناتها ، والمعنى لأصحابها ، وإذا استجاروا من مكانين فقد آلفوا » والبيت فى اللسان ١٠/٣٥٣ « الأمان ذمامها » وهو على الصواب مع شرحه فيه ١/٣٩١ .

(٤) ديوانه أبى ذؤيب ص ٧٤ « تـكفت : تقبض ، ومنه يقال : اللهم اكفته إليك ، أى اقبضه إليك ، وساغ شرابها ، أى سهل لما أتوها بربح » والبيت له فى اللسان ٢/٣٨٤ .

(٥) ديوان كثير ١/١٤٥ « جزيت » وصفة جزيرة العرب للهمدانى ١/٢٢٦ « فيدة تحدى » ومعجم البلدان ٦/٤٠٩ واللسان ١٣/٣١٢ « أراد كنخل اليهودى ، ونطاة خيبر . التهذيب : الرقال من نخيل نطاة وهى عين بخيبر والرقال: جمع رقلة ، وهى النخلة الطويلة وفى ٢٠/٢٠٦ « حزيت : رفعت ، حزاها الآل : رفعها ، وأراد كنخل اليهودى الرقال ، ونطاة : قصبة خيبر » .

أراد كنخْل اليهوديّ من خَيْبر، فأقامه مُقامها .

ومثله قوله تعالى : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَه ﴾[1] أى: أهله. وقال الشاعر :

لهم مَجْلِسٌ صُهْبُ السِّبَالِ أذِلَّةٌ   سَوَاسِيَةٌ أحْرَارُها وعَبِيدُها[2]

***

ومن ذلك أن تُوقِعَ الفعل على شيئين وهو لأحدهما، وتضمرَ للآخر فعله؛ كقوله سبحانه: ﴿ يَطُوفُ عليهم وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بأكْوَابٍ وأبَارِيقَ وكَأْسٍ مِنْ مَعِين ﴾[3] . ثم قال: ﴿ وفاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ. ولَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ. وَحُورٌ عِينٌ ﴾[4]. والفاكهة واللحمُ والحورُ العين لا يُطاف بها، وإنما أراد: ويُؤْتَوْن بلحم طير .

ومثله قوله: ﴿ فأجْمِعُوا أمْرَكُمْ وشُرَكَاءَكُمْ ﴾[5] أى: وادعوا شركاءكم ، وكذلك هو فى مصحف عبد الله[6]. قال الشاعر :

تَرَاهُ كأنَّ اللهَ يَجْدَعُ انْفَهُ   وعَيْنَيْهِ إنْ مَوْلاهُ ثَابَ لَهُ وَفْرُ[7]

أى يجدع أنفه، ويفقأ عينيه.

---

(١) سورة العلق ١٧ .

(٢) البيت فى الصناعتين ص ١٣٦ غير منسوب كما هنا وهو لذى الرمة ، كما فى ديونه ص ١٦٧ « صهب : حمر ، والسبال : الشعر الذى على يمين الشفة العليا وشمالها ، ويقال للسبال : شوارب . يقول : هم عجم لأن شواربهم حمر ، سواسية فى الشر خاصة » والشطر الأول فى الكشاف ٤/٢٢٥ والبحر المحيط ٨/٤٩٥ لجرير فيهما .

(٣) سورة الواقعة ١٨ .

(٤) سورة الواقعة ٢٠–٢٢ .

(٥) سورة يونس ٧١ والصناعتين ١٣٦ .

(٦) يقصد عبد الله بن مسعود .

(٧) البيت غير منسوب فى اللسان ٩/٣٩١ وأمالى المرتضى ٤/١٦٩ والصناعتين ١٣٦ ومجمع البيان ١/١١١ وللزبرقان بن بدر فى أبواب مختارة من كتاب يعقوب بن إسحاق الأصبهانى ص ١٥ وهو فى الحيوان ٦/٤٠ من أبيات لخالد بن الطيفان ، وفيه : « أذنيه إن » وهو لخالد كما هنا فى المؤتلف والمختلف ص ١٤٩ ، ومعنى يجدع : يقطع . وثاب : رجع، والوفر : الغنى .

وأنشد الفراء:

عَلَفْتُها تبناً وماءً بارداً حتى شَتَتْ همَّالةً عَيْناها/[١] [٩٥]

أى علفتُها تبنا، وسقَيْتُها ماء باردا .

وقال آخر :

إذا ما الغَانِياتُ بَرَزْنَ يوماً وزَجَّجْنَ الحَوَاجِبَ والعُيُونَا[٢]

والعُيون لا تُزَجَّجُ ، وإنما أراد : وزجَّجْنَ الحواجب ، وكَحَّلْنَ العيون .

وقال الآخر :

ورأيتُ زَوْجَكِ فى الوغا مُتَقَلِّدًا سَيْفاً ورُمْحاً[٣]

أى متقلدا سيفا، وحاملا رمحا[٤].

***

ومن[٥] ذلك: أن يأتى بالكلام مَبْنِيًّا على أنّ له جوابا ، فيحذف الجواب اختصاراً لعلم المخاطب به ؛ كقوله سبحانه : ﴿ ولو أنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجبَالُ أَوْ قُطِّعتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى بَلْ لِلهِ الأَمْرُ جَمِيعا ﴾[٦] أراد : لكان هذا القرآن ، فحذف .

---

(١) البيت غير منسوب فى أمالى المرتضى ٤/ ١٧٠ واللسان ٣/ ١١١ والخزانة ١/ ٤٩٩ والإنصاف ٢٠٣ وأبواب مختارة ص ١٣ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٣١٤ .

(٢) البيت غير منسوب كما هنا فى الصناعتين ص ١٣٦ وأساس البلاغة ١/ ٣٩٤ وأبواب مختارة ص ١٥ وهو للراعى ، كما فى اللسان ٣/ ١١١ ، ١/ ٤٠٦ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٢٦٣ .

(٣) البيت غير منسوب فى مجمع البيان ١/ ١١١ والبحر المحيط ٢/ ٤٦٤ ، ٦/ ٤٨٠ وتفسير الطبرى ١/ ٤٧ وأمالى المرتضى ١/ ٤١ ، ٤/ ١٧٠ واللسان ٣/ ١١١ ، ٤٣٠ « ياليت زوجك قد غدا » ، ٩/ ٣٩١ ؛ ٤٠٨ ، ١/ ٤٠٦ والكامل ١/ ٢١٨ ، ٤٠٣ ونسبه الأخفش فى تعليقه على الكامل ١/ ١٩٦ لعبد الله ابن الزبعرى .

(٤) راجع أمالى المرتضى ٤/ ١٧٠–١٧٢ .

(٥) نقل هذا أبو هلال العسكرى فى الصناعتين ص ١٣٦ ولم يشر إلى ابن قتيبة ولا إلى بكتابه بأية إشارة !

(٦) سورة الرعد ٣١ .

وكذلك قوله : ﴿ ولولا فَضْلُ اللهِ عليكم ورَحْمَتُه وأنَّ اللهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[١] أراد: لعذَّبكم ؛ فحذف.

قال الشاعر :

فأُقْسِم لو شَيْءٌ أتانا رسولُه   سِواكَ ؛ ولكن لم نَجِدْ لك مَدْفَعا[٢]

أى لرددْناه[٣] .

وقال : ﴿ ليسوا سَواءً مِنْ أَهلِ الكتاب أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُون آياتِ اللهِ آناءَ الليلِ وهُمْ يَسْجُدونَ ﴾[٤] . فذكَرَ أُمَّةً واحدةً ولم يذكر بعدها أخرى . وسواءٌ تأتى للمُعادلة بين اثنين فما زاد[٥] .

وقال ﴿ أَمَّنْ هو قَانِتٌ آناءَ اللَّيلِ ساجداً وقائماً[٦] ﴾ ولم يذكر ضِدَّ هذا ، لأن فى قوله: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الذين يَعْلَمُون والذين لاَ يَعْلَمُون ﴾ دليلاً على ماأراد . وقال الشاعر :

أراكَ فما أَدْرِى أَهَمٌّ هَمَمْتَهُ   وذُو الهَمِّ قِدْماً خَاشِعٌ مُتَضَائلُ[٧]

ولم يأت بالأمر الآخر .

وقال أبو ذؤيب :

عَصَيْتُ إليها القَلْبَ إنّى لِأَمرِهِ   سَمِيعٌ ؛ فماأدرى أَرُشْدٌ طِلاَبُها؟[٨]

أراد: أرشدٌ هو أم غىٌّ ؟ فحذف.

***

---

(١) سورة النور ٢٠

(٢) البيت فى فقه اللغة للثعالبى ٣٤٤ وهو لامرئ القيس كما فى ديوانه ص ٨٥ وروايته : «وجدك لو شىء» .

(٣) منقول بنصه فى الصناعتين أيضا ص ١٣٦

(٤) سورة آل عمران ١١٣ .

(٥) منقول فى الصناعتين ص ١٣٧ .

(٦) سورة الزمر ٩ وبعد ذلك : « يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الخ » .

(٧) فى الصناعتين ص ١٣٧ « أراد فما » وهو تحريف .

(٨) ديوانه ص ٧١ وروايته « عصانى إليها » أى جعل لايقبل منى ، أى ذهب إليها قلبى سفها . ويروى : « دعانى » فما أدرى أرشد الذى وقعت فيه أم غى » .

ومن ذلك : حذف الكلمة والكلمتين؛ كقوله : ﴿ فأمَّا الذين اسْوَدَّتْ وُجُوهُهم أَكَفرْتُمْ . ﴾[١] والمعنى فيقال لهم : أكفرتم. وقوله : ﴿ ولو تَرَى إذِ المُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنا أبْصَرْنا وسَمِعْنا . ﴾[٢] والمعنى يقولون : ربنا أبصرنا .

[٩٦] وقوله :﴿وإذْ يرْفَعُ إبراهيمُ القَوَاعِدَ ، مِنَ البيْتِ وإسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقبَّلْ مِنَّا ﴾[٣]. والمعنى يقولان : ربنا تقبّل منا .

وقال ذو الرُّمة يصف حميرا :

فلمَّا لَبِسْنَ اللَّيلَ أو حينَ نَصَّبَتْ ... له من خَذَا آذانِها وهو جانحُ[٤]

أراد أو حين أقبل الليل نَصَّبَت . وقال :

وقد بدا ... لِذِى نُهْيَةٍ أنْ لا إلى أمِّ سالِمِ[٥]

أراد: أن لاسبيلَ إلى أم سالم .

***

وقال الله عز وجل : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إياهُ وبالوالِدَيْنِ إحْسَانا ﴾[٦] .

أى ووصَّى بالوالدين .

---

(١) سورة آل عمران ١٠٦ .

(٢) سورة السجدة ١٢ .

(٣) سورة البقرة ١٢٧ .

(٤) ديوانه ص ١٠٨ وقد ذكره ابن قتيبة فى أدب الكاتب ص٢٢٧ وعلق عليه بقوله : « خبرت عن الأصمعى أنه قال : أراد : أو حين أقبل الليل نصبت آذانها ، وكانت مسترخية والليل مائل على النهار فحذف » وقال ابن السيد فى الاقتضاب ص ٣٦٢ « ومعنى لباسها الليل : دخولها فيه ، والتقدير : فلما لبست الحمير الليل ، أو حين أقبل الليل قبل أن تلبسه ــ نصبت آذانها ، وتشوفت للنهوض إلى الماء ؛ لأنها لاتنهض لورود الماء إلا ليلا . والخذا : استرخاء الأذنين ، يريد أن آذانها كانت مسترخية من الحر ، فلما أقبل الليل وضعف الحر ، نصبت آذانها . وهذا كله على مذهب الأصمعى ... والهاء فى قوله : « له » عائدة على الليل ... » وانظر الجواليقى ص ٢٥٨ والصاحبى ١٧٥ والأزمنة والأمكنة ١/٣٠٦ « نصفن الليل » .

(٥) ديوان ذى الرمة ص ٦١٤ وصدره : *لعرفانها والعهدناء وقد بدا* ناء : بعيد ، والنهية: العقل، أراد أنه لاسبيل إلى أم سالم » والبيت فى الصناعتين ص ١٣٧ .

(٦) سورة الإسراء ٢٣ .

وقال النَّمِرُ بن تَوْلَب :

فإنَّ المَنِيّةَ مَنْ يَخْشَها فَسَوفَ تُصادِفُه أيْنَما[١]

أراد أينما ذهب[٢] .

وقال الله عز وجل : ﴿ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فى يومٍ عاصِفٍ ﴾[٣] . أراد: فى يوم عاصِفِ الرِّيحِ؛ فحذف؛ لأنَّ ذكر الرِّيح قد تقدَّمَ ، فكانَ فيه دليل .

وقال تعالى : ﴿ وما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فى الأَرْضِ ولا فى السَّماءِ ﴾[٤] . أراد : ولا مَنْ فى السماءِ بِمُعْجِزٍ[٥] .

***

وقال تعالى : ﴿ وأَدْخِلْ يدكَ فى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فى تِسْعِ آياتٍ إلى فِرْعَوْنَ وقَوْمِهِ ﴾[٦] . أراد فى تسع آيات إلى هـذه الآية ، أى معها . ثم قال : ﴿ إلى فرعون ﴾ . ولم يقل مُرْسَلًا ولا مبعوثا ؛ لأن ذلك معروف .

ومثله : ﴿ وإلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالحًا ﴾[٧] . أى: أرسلنا . قال الشاعر:

رَأَتْنى بِحَبْلَيْها فَصَدَّتْ مَخافَةً وفى الحبلِ رَوْعاءُ الفُؤادِ فَرُوقُ[٨]

أراد مُقْبِلاً بحبليها .

---

(١) البيت من قصيدة له فى مختارات ابن الشجرى ١/١٦ وهو فى أدب الكاتب ص٢٢٨ والاقتضاب ٣٦٣ والمعانى الكبير ٢/١٢٦٤ .

(٢) منقول بنصه فى الصناعتين ص ١٣٧ .

(٣) سورة إبراهيم ١٨ .

(٤) سورة العنكبوت ٢٢ .

(٥) نقله أبو هلال فى الصناعتين ص ١٣٧ .

(٦) سورة النمل ١٢ .

(٧) سورة الأعراف ٧٣ .

(٨) البيت غير منسوب فى اللسان ١٣/١٤٥ برواية الفراء كما هنا وقال : أراد : رأتنى أقبلت بحبليها فاضمر أقبلت . وقال ثعلب : رأتنى بحبليها ، فاكتفى بالرؤية من التمسك . ولكن جاء فى اللسان ١٢/١٨٠ عن ابن برى قال « يقال للمؤنث فروق أيضا ، شاهده قول حميد بن ثور :

رأتنى مجليها فصدت مخافة وفى الخيل روعاء الفؤاد فروق »

وقال عز وجل : ﴿فإذا جاءَ وَعْدُ الآخرةِ ليَسُوءوا وجُوهَكُمْ﴾(١) . أراد: بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ؛فحذفها ؛ لأنه قال قبلُ : ﴿فإذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُم عِباداً لنا﴾(٢) . فاكتفى بالأول من الثانى: إذ كان يدل عليه .

وكذلك قـوله : ﴿عنِ اليمينِ وعنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ﴾(٣) . فاكتفى بذكر الثانى من الأول .

***

وقديشكل الكلامُ ويَغمُضُ بالاختصار والإضمار؛ كقوله : ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ له سُوءُ عملِهِ فرَآهُ حَسَناً فإنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدى مَنْ يشاءُ فلا تَذْهَبْ نَفسُكَ عليهمْ حسَراتٍ﴾(٤) . والمعنى : أفمن زُيِّنَ له سوء عمله فرآه حسنا ، ذهبت نفسُك حسرةً عليه ؟! فلاتذهبْ نفسك عليهم حسرات / فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء . [٩٧]

وكقوله سبحانه : ﴿إنِّى لا يخافُ لدىَّ المُرْسَلون إلاَّ مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فإنِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(٥) لم يقع الاستثناء من المرسلين ؛ وإنما وقع من معنًى مُضمرٍ فى الكلام ، كأنّه قال : لا يخاف لدىَّ المرسلون ، بل غيرُهم الخائف ؛ إلا من ظلم ثم تاب فإنه لايخاف .

وهذا قول الفراء(٦) ، وهو يَبعدُ : لأن العرب إنما تحذف من الكلام ما يدل عليه

وجاء البيت فى تفسير الطبرى ١٩/٨٦ كما هنا وعلق عليه بقوله : « ومعنى الكلام : رأتنى مقبلا بحبليها ، فترك ذكر مقبل استغناء بمعرفة السامعين معناه فى ذلك ، إذ قال : رأتنى بحبليها ونظائر ذلك فى كلام العرب كثيرة » .

(١) سورة الإسراء ٧ .

(٢) سورة الإسراء ٥ .

(٣) سورة ق ١٧ .

(٤) سورة فاطر ٨ .

(٥) سورة النمل ١٠ ، ١١ .

(٦) هذا يوضح لنا أن الفراء هو الذى يعنيه الطبرى بقوله : ١٩/٨٤ « وقال بعض نحويى الكوفة : يقول القائل : كيف صير خائفا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء ، وهو مغفور له ؟ فأقول له : فى هذه الآية =

ما يظهر؛ وليس فى ظاهر هذا الكلام ـ على هذا التأويل ـ دليلٌ على باطنه.

قال أبو محمد :

والذى عندى فيه ، والله أعلم ، أنّ موسى عليه السلام لما خاف الثعبان وولّى ولم يُعَقِّب ، قال الله عزوجل: ﴿ يا موسَى لا تخَفْ إنى لا يخافُ لدىَّ المرسلونَ ﴾ وعلِم أن موسى مُسْتَشْعِرٌ خِيفةً أخرى من ذنبه فى الرَّجل الذى وَكزَه فقضى عليه؛ فقال : ﴿ إلاّ مَنْ ظلَمَ ثُمَّ بدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سوءٍ ﴾ أى توبةً وندما؛ فإنه يخافُ ، وإنى غفور رحيم.

وبعض النحويين[(١)] يحمل «إلاّ من ظلم» بمعنى: ولا من ظلم؛ كقوله: ﴿ لِئلاَّ يَكونَ لِلنَّاسِ عَلَيكُمْ حجَّةٌ إلاَّ الَّذِين ظلموا مِنْهُمْ ﴾[(٢)]. على مذهب من تأول هذا فى إلاَّ؛ كقوله فى سورة الأنفال ، بعد وصف المؤمنين : ﴿ كما أخْرَجَكَ رَبُّكَ من بَيْتِكَ بالحقِّ ﴾[(٣)]. ولم يُشبِّهْ قصةَ المؤمنين بإخراج الله إياه ، ولكن الكلام مردودٌ إلى معنى فى أول السورة ومحمولٌ عليه؛ وذلك: أن النبى صلى الله عليه رأى يوم بدرٍ قِلَّةَ المسلمين وكراهة كثير منهم للقتال؛ فَنفَّلَ كلَّ امرىءٍ منهم ما أصاب ، وجعل لكل من قتل قتيلا كذا ، ولمن أتى بأسير كذا ؛ فكره ذلك قومٌ فتنازعوا واختلفوا وحاجّوا النبى صلى الله عليه وجادلوه ، فأنزل الله سبحانه: « يسألونَكَ عنِ الأنفَالِ قل الأنفالُ للهِ والرَّسُولِ ﴾: يجعلها لمن يشاء؛ ﴿ فاتَّقُوا

= وجهان : أحدهما : أن يقول : إن الرسل معصومة مغفور لها آمنة يوم القيامة ، ومن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فهو يخاف ويرجو ، فهذا وجه ، والآخر أن يجعل الاستثناء من الذين تركوا فى الكلمة ؛ لأن المعنى : لا يخاف لدى المرسلون ، إنما الخوف على من سواهم ، ثم استثنى فقال : إلا من ظلم ثم بدل حسنا ، يقول : كان مشركا فتاب من الشرك ، وعمل حسنا فذلك مغفور له وليس يخاف »

(١) فى الطبرى ١٩/ ٨٥ « وقال بعض النحويين : إن إلا فى اللغة بمنزلة الواو ، وإنما معنى هذه الآية : لا يخاف لدى المرسلون ، ولا من ظلم ثم بدل حسنا . وجعلوا مثله كقول الله : لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم ... » . والصواب من القول هو القول الذى قاله الحسن البصرى وابن جريج ومن قال قولهما ، وهو أن قوله : إلا من ظلم استثناء صحيح من قوله : لا يخاف لدى المرسلون ، إلا من ظلم منهم فأتى ذنبا فإنه خائف لديه من عقوبته ، وقد بين الحسن معنى قيل الله لموسى ذلك ، وهو قوله : قال : إنى إنما أخفتك لقتلك النفس .... » .

(٢) سورة البقرة ١٥٠ .

(٣) سورة الأنفال ٥ .

اللهَ وأَصْلِحُوا ذاتَ بينِكُمْ ﴾ . أى فرِّقوها بينكم على السواء؛ ﴿ وأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ فيما بعد ﴿ إنْ كنتُم مؤْمنين[1] ﴾؛ ووصف/المؤمنين، ثم قال : ﴿ كما أخْرَجَكَ ربُّكَ مِن بَيْتِكَ بالحقِّ وإنَّ فَرِيقاً مِنَ المُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ ﴾ يريد: أن كراهتهم لما فعلته فى الغنائم ككراهتهم للخروج معك ، كأنّه قال : هذا من كراهيتهم كما أخرجك وإيَّاهم ربُّك وهم كارِهون .

ومن تتبع هذا من كلام العرب وأشعارِها وجده كثيراً ، قال الشاعر :

فلا تَدْفِنُونِى إنَّ دَفْنِى مُحَرَّمٌ ... عليكم ؛ ولكنْ خامِرِى أُمَّ عامِرِ[2]

يريد : لا تدفنونى ولكن دعونى للتى يقال لها ؛ إذا صِيدَت : خامِرِى أُمَّ عامر ، يعنى الضَّبُع ، لتأكلنى .

وقال عَنْترةُ :

هل تُبلِّغَنِّى دارَها شَدَنيَّةٌ ... لُعِنَتْ بمَحْرُومِ الشرابِ مصرَّمِ[3]

يريد دُعِىَ عليها بأن يحرم ضرعُها أن يَدِرَّ فيه لبن ، فاستجيب للداعى ، فلم تحمل ولم تُرضِع .

ومثله قول الآخر :

* مَلْعُونَةٌ بعُقْرٍ أَوْ خادِجِ[4] *

أى: دُعِىَ عليها أن لا تحملَ ، وإن حملتْ : أن تُلقِىَ ولدَها لغير تمام ؛ فإذا لم تحمل الناقة ولم تُرضِع كان أقوى لها .

---

(١) سورة الأنفال ١ وتفسير الطبرى ٩ / ١١٩ـــ١٢٠ .

(٢) البيت للشنفرى ، كما فى الأغانى ٢١ / ١٣٦ والشعر والشعراء ١ / ٢٦ والحماسة بشرح التبريزى ٢ / ٦٣ وذيل الأمالى ٣٦ والصناعتين ص ١٣٨ والبحر المحيط ٢ / ٣٧٧ ومجمع البيان ١ / ٧٤ وفى أمالى المرتضى « لتأبط شرا ويروى للشنفرى » وفى الحيوان ٦ / ٤٥٠ .

(٣) البيت له من معلقته ، كما فى ديوانه ص ١٢٤ وشرح القصائد العشر ص ١٨٣ وأمالى المرتضى ٣ / ١٥٨ واللسان ١٧ / ٢٧٥ شدنية : ناقة منسوبة إلى موضع أو فحل باليمن قال التبريزى : « قوله لعنت ، يدعو عليها بانقطاع لبنها ، أى بأن يحرم ضرعها اللبن فيكون أقوى لها . وقوله : بمحروم الشراب أى ممنوع شرابه ، والمصرم : الذى أصاب أخلافه شىء فقطعه من صرار أو غيره » .

(٤) صدره : * تحذى بنا كل خنوف فاسج * ، كما فى اللسان ٣ / ١٦٩ .

ومن أمثال العرب : عسى الغُوَيْرُ أبؤُساً (١) . أى: عسى أنْ يأتينا من قِبَل الغويرِ بأسٌ ومكروه ، والغُوير : ماء ، ويقال : هو تصغير غار .

* * *

ومثله قوله سبحانه : ﴿ قُل هى للذينَ آمنوا فى الحياةِ الدُّنيا خالصةً يومَ القيامةِ ﴾(٢) . أى هى للذين آمنوا – يعنى فى الدنيا – مشتركة ، وفى الآخرة خالصة .

ومنه قوله : ﴿ إنَّما ذَلِكُم الشّيطانُ يخوِّفُ أَوْلياءَهُ ﴾(٣) . أى يخوّفكم بأوليائه؛ كما قال سبحانه : ﴿ لِيُنْذِرَ بَأْساً شديداً مِنْ لَدُنْهُ ﴾(٤) . أى لينذركم ببأس شديد .

وقوله: ﴿ يَوْمئذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعىَ لا عِوَجَ لَهُ ﴾(٥) أى لا عِوَج لهم عنه .

وقوله : ﴿ مَنْ كانَ يريدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَميعاً ﴾(٦) . أى يعلم أنّ العزّة لمن هى .

وقوله: ﴿ ما أُرِيدُ مِنْهُم مِنْ رِزْقٍ ﴾ (٧) أى ماأريد أن يرزقُوا أنفسهم . ﴿ وما أُرِيدُ أنْ يُطْعِمُونِ ﴾(٧) أى ماأريد أن يطعموا أحدا من خلقى .

وأصل هذا: أن البشر عباد الله وعياله/فمن أطعم عيال رَجُلٍ ورزقهم، فقد رزقه وأطعمه: [٩٩]
إذ كان رزقهم عليه .

ومنه قوله سبحانه : ﴿ ألاّ يَسْجُدُوا لِلهِ الذى يُخرِجُ الخَبْءَ ﴾(٨) أراد: ألاّ يا هؤلاء اسجدوا لله . وقال الشاعر:

---

(١) سبق شرحه ص ٦٤ .

(٢) سورة الأعراف ٣٢ .

(٣) سورة آل عمران ١٧٥ .

(٤) سورة الكهف ٢ .

(٥) سورة طه ١٠٨ .

(٦) سورة فاطر ١٠ .

(٧) سورة الذاريات ٥٧ .

(٨) سورة النمل ٢٥ .

* يادارَ سَلْمَى يا اسْلَمى ثمّ اسْلَمِى (١) *

***

ومن الاخْتصار: القسَمُ بلاجواب إذا كان فى الكلام بعده ما يدلُّ على الجواب ، كقوله : ﴿ قٓ والقرْآنِ الْمَجيدِ بَلْ عَجِبوا أَنْ جاءَهُم مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فقَالَ الكافِرُونَ هذا شىءٌ عَجِيبٌ أئِذَا مِتْنَا ﴾ نبعث . ثم قالوا : ﴿ ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ (٢) أى: لا يكون .

وكذا قوله عز وجل : ﴿ والنَّازِعَاتِ غَرْقاً والنَّاشِطَاتِ نَشْطاً ، والسَّابِحاتِ سَبْحاً ، فالسَّابِقاتِ سَبْقاً فالمدَبِّراتِ أَمْراً ﴾ . ثم قال : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴾ (٣) . ولم يأت الجواب لعلم السامع به: إذ كان فيما تأخر من قوله دليلٌ عليه؛ كأنّه قال : والنَّازعاتِ وكذا وكذا لتبعثُنَّ ؛ فقالوا : ﴿ أَئِذا كُنَّا عِظَاماً نَخِرَةً ﴾ (٤) نُبعث ؟!.

***

ومن الاختصار قوله: ﴿ إلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إلى الماءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ ﴾ (٥) أراد: كباسط كفيه إلى الماء ليقبض عليه فيبلِّغه فاه ، قال ضَابِئ :

فإنِّى وإيَّاكم وشَوْقاً إليكمُ كقابِضِ ماءٍ لم تَسِقْهُ أَنَامِلُه (٦)

والعرب تقول لمن تعاطى مالا يجد منه شيئاً : هو كالقابِضِ على الماء .

***

---

(١) للعجاج، كما فى ديوانه ص٥٨ وعجزه: * بسمسم أو عن يمين سمسم * وهو له فى الموشح ص ١٥ ، ٢١٧ وشرح شواهد الشافية ٤٢٨ ومجاز القرآن ١٧٥ ـ ب .

(٢) سورة ق ١ ـ ٣ والصناعتين ص ١٣٨ .

(٣) سورة النازعات ١ ـ ٦ .

(٤) النازعات ١١ .

(٥) سورة الرعد ١٤ والصناعتين ص ١٣٨ .

(٦) فى اللسان ١٢ / ٢٥٩ « وسقت الشىء أسقه وسقا : إذا حملته ، قال ضابىء بن الحرث البرجمى . فإنى ـ البيت ـ أى لم تحمله ، يقول : ليس فى يدى شىء من ذلك ، كما أنه ليس فى يد القابض على الماء شىء » وكذلك هو فى مجاز القرآن ١١٠ ـ ١ .

ومنه: أن تحذف لا، من الكلام والمعنى إثباتها ؛ كقوله سبحانه: ﴿ تَاللهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾(١) أى لا تزال تذكر يوسف .

وهى تحذف مع اليمين كثيراً؛ قال الشاعر(٢) :

فَقُلْتُ يَمِينَ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِداً وَلَوْ ضَرَبُوا رَأْسِى لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي

وقال آخر :

فَلا وَأَبِى دَهْمَاءَ زَالَتْ عَزِيزَةً على قومِها ما فَتَلَ الزَّنْدَ قَادِحُ(٣)

ومنه قوله : ﴿ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾(٤)، أى: لئلا تضلوا . و ﴿ إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمواتِ والأَرضَ أَنْ تَزُولا ﴾(٥) ، أى: لئلا تزولا .

وقوله : ﴿ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ ﴾(٦) ، أى: لا تحبط أعمالكم.

* * *

[١٠٠] ومن الاختصار / أن تضمر لغير مذكور؛ كقوله جل وعز: ﴿ حتى تَوارَتْ بِالحِجَابِ ﴾(٧) يعنى: الشمس ، ولم يذكرها قبل ذلك .

وقوله : ﴿ ولَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِها من دَابَّةٍ ﴾(٨) ، يريد : على الأرض .

وقال: ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً ﴾(٩)، يعنى: بالوادى .

---

(١) سورة يوسف ٨٥ .

(٢) هو امرؤ القيس ، ديوانه ص ١٠٨ والصناعتين ص ١٣٨ واللسان ١٧/٣٥٥ وتفسير الطبرى ١٣/٢٨ . وروايتهم : « ولو قطعوا » .

(٣) شرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٢٧٨ وتفسير الطبرى ١٣/٢٨ « ماقبل » « ماقيل للزند » الصناعتين ص ١٣٨ « وأبى دهمان » الخزانة ٤/٤٦ « دهماء : اسم امرأة . وقد أقسم الشاعر بوالدها . وانظر قول أبى حنيفة الدينورى فى صفة الزند والزندة وكيفية الفتل فى هذه الصفحة وما بعدها .

(٤) سورة النساء ١٧٦ .

(٥) سورة فاطر ٤١ .

(٦) سورة الحجرات ٢

(٧) سورة ص ٣٢ .

(٨) سورة فاطر ٤٥ .

(٩) سورة العاديات ٤ .

وقال : ﴿ إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ﴾(١) ، أى بموسى : أنه ابنها .

وقال: ﴿ وَالنَّهَارِ إِذا جَلَّاهَا ﴾(٢) ، يعنى: الدنيا أو الأرض .

وكذلك قوله : ﴿ وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾(٣) ، أى : عُقْبَى هذه الفَعْلَة .

وقال : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فى لَيلةِ القَدْرِ ﴾(٤) ، يعنى : القرآن . فكنَى فى أوَّل السّورة .

قال حُميدُ بن ثَوْر فى أوَّل قصيدةٍ :

وصَهْبَاءَ مِنْهَا كالسَّفِينَةِ نَضَّجَتْ ... به الحَمْلَ حتَّى زادَ شَهْرًا عَدِيدُها(٥)

أراد وصهباء من الإبل .

وقال حاتم :

أَمَاوِيَّ ما يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الفَتَى ... إذا حَشْرَجَتْ يَوْماً وَضَاقَ بِها الصَّدْرُ(٦)

يعنى النفس .

وقال لبيد :

حتى إذا أَلْقَتْ يَدًا فى كافِرٍ ... وأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلامُهَا(٧)

يعنى الشمس بدأتْ فى المغيب .

---

(١) سورة القصص ١٠ .

(٢) سورة الشمس ٣ .

(٣) سورة الشمس ١٥ .

(٤) سورة القدر ١ .

(٥) البيت فى اللسان له ٣/٣٠٢ « الأصمعى : إذ حملت الناقة فجازت السنة من يوم لقحت قيل : أدرجت ، ونضجت ، وقد جازت الحق ، وحقها الوقت الذى ضربت فيه » .

(٦) ديوانه ص ٣٩ « حشرجت نفس » وتفسير الطبرى ١٣/٢١ واللسان ١٧/٢١٠ وأمالى المرتضى ٤/٦٣ والعمدة ٢/٢٦٣ ومجموعة المعانى ٣١ والعقد ١/٣٣٦ وأمالى ابن الشجرى ١/٥٠ والبحر المحيط ٨/٣٨٩ ومجمع البيان ١/٨٧ .

(٧) شرح القصائد العشر ص ١٦٠ « ألقت : يعنى الشمس ، أضمرها ولم يجر لها ذكر . ومعنى قوله : ألقت يدا : أى بدأت فى المغيب ، وعنى بالكافر الليل ؛ لأنه يستر بظلمته ، وأجن : ستر ، وعورات الثغور : المواضع التى تؤتى منها المخافة ، وكل مكان يتخوف منه فهو ثغر » وهو فى الصناعتين ص ١٣٨ وإصلاح المنطق ١٤٣ .

وقال طَرَفة :

* ألا لَيْتَنى أَفْدِيكَ مِنْهَا وأَفْتَدِى[١] *

يعنى من الفلاة .

وأنشد الفراء :

إذا نُهِىَ السَّفيهُ جَرَى إليه　　وخالَفَ والسَّفيهُ إلى خِلافِ[٢]

أراد جرى إلى السَّفَه .

***

وقال الله عز وجل فى أول سورة الرحمن عز وجل: ﴿ فَبِأَىِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[٣] ولم يذكر قبل ذلك إلا الإنسان ، ثم خاطب الجانّ معه لأنَّه ذكرهم بعد ، وقال : ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴾[٤] .

قال الفرَّاء : ومثله قول المُثقِّب العَبْدِى :

فما أَدْرى إذا يَمَّمْتُ أرضاً　　أُريد الخيرَ : أيُّهما يَلِينى ؟[٥]

أَأَلْخَيْرُ الذى أنا أَبْتَغيه ؟　　أَم الشرُّ الذى هو يَبْتَغينى ؟

فكنى عن الشر وقرنه فى الكناية بالخير قبل أن يذكره ، ثم أتى به بعدَ ذلك .

***

---

(١) من معلقته ، وصدره : * على مثلها أمضى إذا قال صاحبى * قال التبريزى فى شرح القصائد العشر ص ٧٤ « أى على مثل هذه الناقة أسير وأمضى إذا قال صاحبى : إنا هالكون من خوف الفلاة . وقوله : ألا ليتنى أفديك منها وأفتدى ، معناه : من الفلاة ، فجاء بمكنيها ولم يجر لها ذكر لدلالة المعنى عليها ، كقوله تعالى : حتى توارت بالحجاب ... »

(٢) أمالى ابن الشجرى ١/٢٧٣ وأمالى المرتضى ١/١٤٥ والخزانة ٢/٣٨٣ والعمدة ٢/٢٦٣ ومجمع البيان ١/١٠٠ وتفسير الطبرى ٢/٣٢٣ ، ٣/١٢٨ ، ٤/١٥٢ ومجالس ثعلب ١/٧٥ .

(٣) سورة الرحمن ١٣ .

(٤) سورة الرحمن ١٥ ،

(٥) من قصيدة له فى المفضليات ص ٢٩٢ وفى الشعر والشعراء ١/٣٥٧ والخزانة ٤/٤٩ وشرح شواهد الشافية ص ١٨٨ والصناعتين ١٣٩ وشرح شواهد المغنى ص ٦٩ وأمالى اليزيدى ص ١١٦ « إذا وجهت وجها » ومعجم الشعراء ص ٤٠٣ والعمدة ٢/٢٦٢ وتفسير الطبرى ٢٢/٩٨ من غير نسبة .

ومن ذلك حذف الصفات كقول الله سبحانه: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾(١).

أي : كالوا لهم أو وزنوا لهم .

وقوله : ﴿ واخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾(٢) . أي : اختار منهم(٣)./ [١٠١]

وقال العجاج :

* تحتَ الذى اخْتارَ له اللهُ الشَّجَرْ(٤) *

أي : اختار له من الشجر .

وكقوله : ﴿ الَّذِينَ إنْ مَكَّنَّاهُمْ فى الأَرْضِ(٥) ﴾ . أى : مكنا لهم . والعرب تقول عَدَدْتُكَ مائةً ، أى : عددت لك ، وأستغفِرُ اللهَ ذنبى . قال الشاعر :

أستغفرُ اللهَ ذنباً لستُ مُحْصِيَهُ ... رَبَّ العبادِ إليه الوجهُ والعملُ(٦)

وشبعت خُبْزًا ولَحْمًا ، وشرِبتُ ورَوِيتُ ماءً ولبنا ، وتَعرَّضْتُ معروفك ، ونزَلْتُكَ ونأيْتُكَ ، وبتُّ القومَ ، وغَالَيْتُ السلعة، وثوَيتُ البَصْرَةَ وسرقْتُكَ مالاً ، وسعيت القوم واسْتَجَبْتُكَ . قال الشاعر :

وداعٍ دعَا يا مَنْ يُجيبُ إلى النَّدَى ... فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِندَ ذَاكَ مُجِيبُ(٧)

---

(١) سورة المطففين ٣ .

(٢) سورة الأعراف ١٥٥ .

(٣) قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن ٧٧ـ١ « مجازه : اختار موسى من قومه ، ولكن بعض العرب يختارون فيخلفون ، من ذلك العجاج * تحت الذى اختار له الله الشجر * أى تحت الشجرة التى اختار الله من الشجر » .

(٤) ديوانه ص ١٥ وقبله : * وعصبة النبي إذ خافوا الحصر * شدوا له سلطانه حتى اقتسر * بالقتل أقواما وأقواما أسر * تحت الذى اختار له الله الشجر * وانظر اللسان ٥/ ٣٥٠ والصناعتين ص ١٣٩ .

(٥) سورة الحج ٤١ .

(٦) سيبويه ١/ ١٧ الخزانة ١/ ٤٨٦ الصاحبى ١٥١ أمالى المرتضى ٣/ ٤٧ الاقتضاب ٤٦٠ تفسير الطبرى ١/ ٥٦ ، ٢٠/ ٨٢ والبحر المحيط ١/ ٣٦١ واللسان ٦/ ٣٣٠ غير منسوب فى الجميع .

(٧) هو كعب بن سعد الغنوى ، كما فى الأمالى ٢/ ١٥١ والأصمعيات ص ١٤ ومجاز القرآن ٨٢ـ١ والاقتضاب ص ٤٥٩ وشواهد المغنى ص ٢٣٦ والبيت غير منسوب فى أمالى المرتضى ٣/ ٦٠ وتفسير الطبرى ١/ ١٠٩ والبحر المحيط ٢/ ٤٧ ومجمع البيان ١/ ٢٧٨ .

وقوله جل وعزّ ﴿ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْئُولاً ﴾(١) . أى : مسئولاً عنه .

قال أبو عبيدة : يقال لَتُسْئَلُنَّ عهدى، أى عن عهدى .

***

ومن الاختصار قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ(٢) ﴾ . أراد : يشترون الضلالة بالهدى، فحذف الهدى . أى : يستبدلون هذا بهذا .

ومثله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى ﴾(٣) .

***

ومن الاختصار قوله : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الْآخِرِينَ ﴾(٤) . أى : أبقينا له ذكراً حسنا فى الآخرين ، كأنه قال : تركنا عليه ثناء حسنا ، فحذف الثناء الحسن لعلم المخاطب بما أراد .

***

ومن الاختصار قوله : ﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ(٥) ﴾ . لأنه لما أنزل عليه : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾(٦) قال المشركون : ما نشهد لك بهذا فمن يشهد لك به؟ فترك ذكر قولهم وأنزل : ﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ﴾ . يدلك على هذا أن لكن إنما تجىء بعد نفى لشىء ، فيُوجب ذلك الشىء بها .

***

(١) سورة الإسراء ٣٤ .

(٢) سورة النساء ٤٤ والصناعتين ص ١٣٩ .

(٣) سورة البقرة ١٦ .

(٤) سورة الصافات ١٠٨ والصناعتين ص ١٣٩ .

(٥) سورة النساء ١٦٦ .

(٦) سورة النساء ١٦٣ .

ومن الاختصار قوله : ﴿ فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فى الأَرْضِ ﴾[١] . أراد : فبعث الله غرابا يبحث التراب على غرابٍ ميتٍ لِيُوارِيَه ، ﴿ لِيُرِيَهُ كيف يُوارى سَوْءَةَ أخيه ﴾[٢] .

* * *

ومنه قوله : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فى قُلُوبِهِم مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ ﴾[٣] أى : فى مرضاتهم[٤] .

---

(١) سورة المائدة ٣١ .

(٢) نقله بنصه أبو هلال فى الصناعتين ص ١٣٩ .

(٣) سورة المائدة ٥٢ .

(٤) نقله أيضا فى الصناعتين ١٣٩ .

باب تكرار الكلام والزيادة فيه

[١٠٢] /وأما تكرار الأنْباء والقصص، فإن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن نجوما فى ثلاث وعشرين سنة[1]، بفرضٍ بعد فرض، تَيسيرا منه على العباد؛ وتدريجا لهم إلى كمال دينه، ووعظ بعد وعظ: تنبيها لهم من سِنَة الغَفْلَة، وشَحْذاً لقلوبهم بِمُتَجَدِّدِ الموعظة، وناسخٍ بعد منْسُوخ: استِعْباداً لهم واختبارا لبصائرهم، يقول الله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾[2].

الخطاب للنبى صلى الله عليه، والمراد بالتَّثْبيت هو والمؤمنون.

وكان رسول الله صلى الله عليه يتخَوَّل أصحابَهُ بالموعظة مخافة السآمة عليهم، أى يتعَهَّدُهم بها عند الغفلة ودُثُور القلوب.

ولو أتاهم القرآن نَجْماً واحداً لسبَقَ حدوث الأسباب التى أنزله الله بها، ولثقُلَت جُمْلةُ الفرائض على المسلمين، وعلى من أراد الدخول فى الدين، ولبطل معنى التنبيه، وفسد معنى النسخ؛ لأن المنسوخ يُعْمَل به مدة ثم يُعمل بناسخه بعده.

وكيف يجوز أن يَنزل القرآن فى وقت واحد: افعلوا كذا ولا تفعلوه؟.

ولم يفرض الله على عباده أن يحفظوا القرآن كلّه، ولا أن يختموه فى التعلم، وإنما أنزله ليعملوا بمُحْكَمِه، ويؤمنوا بمتشابِهه، ويأْتَمِروا بأمره، وينتهوا بزجره، ويحفظوا للصلاة مقدار الطاقة، ويقرءوا فيها الميسور.

---

(١) فى الطبرى ١٩/٨ عن ابن جريج: «أنزل عليه لأربعين، ومات النبى صلى الله عليه وسلم لسنتين أو لثلاث وستين».

(٢) سورة الفرقان ٣٢ وقال الطبرى ١٩/٨ «يقول تعالى ذكره: وقال الذين كفروا، لولا نزل عليه القرآن، يقول: هلا نزل على محمد، صلى الله عليه وسلم، القرآن جملة واحدة، كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة؟ قال الله: كذلك لنثبت به فؤادك، تنزيله عليك الآية بعد الآية، والشىء بعد الشىء، لنثبت به فؤادك نزلناه ...»

قال الحسن : نزل القرآن ليُعْملَ به ، فاتخذ الناس تِلاوتَه عَمَلًا .

وكان أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه ورضى عنهم، وهم مصابيح الأرض وقادةُ الأنَام ومُنْتَهى العلم ، إنما يقرأ الرَّجلُ منهم السورتين والثلاث والأربع ، والبعض والشّطر من القرآن، إلا نفرامنهم وفقهم الله / لجمعِه، وسهّل عليهم حفظه[١] . [١٠٣]

قال أنس بن مالك : كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا ، أى جلّ فى عيوننا وعظُم فى صدورنا .

قال الشَّعْبىّ : توفى أبو بكر وعمر وعلى رحمهم الله ولم يجمعوا القرآن[٢] .

وقال : لم يختمه أحد من الخلفاء غير عثمان .

وروى عن شَريك ، عن اسماعيل بن أبى خالد[٣] : أنه قال : سمعت الشَّعْبى يحلف بالله عزّ وجلّ لقد دخل عَلِىٌّ حُفْرَتَه وما حفظ القرآن[٤] .

***

وكانت وفودُ العرب ترِدُ على رسول الله صلى الله عليه للإسلام ، فيُقْرِئُهم المسلمون شيئا من القرآن، فيكون ذلك كافيا لهم.

---

(١) فى تفسير القرطبى ١/٤٠ عن ابن عمر قال : كان الفاضل من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فى صدر هذه الأمة لايحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها ، ورزقوا العمل بالقرآن ؛ وإن آخر هذه الأمة يقرءون القرآن ، منهم الصبى والأعمى ، ولا يرزقون العمل به » .

(٢) راجع الإتقان ١/١٢٢–١٢٥ وتفسير القرطبى ١/٥٦–٥٨ .

(٣) إسماعيل بن أبى خالد البجلى الأحمسى ، أبو عبد الله الكوفى أحد الأعلام ، روى عن الشعبى ، وكان أعلم الناس به . وهو ثقة ، قال أبو نعيم : مات سنة ست وأربعين ومائة ، راجع خلاصة تذهيب الكمال ص ٢٨ .

(٤) فى تفسير القرطبى ١/٥٨ « قال أبو بكر الأنبارى : والحديث الذى روى عن محمد بن كعب القرظى ، قال كان من ختم القرآن ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حى : عثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب، وعبدالله بن مسعود ، حديث ليس بصحيح عند أهل العلم ، إنما هو مقصور على محمد بن كعب ، فهو مقطوع لا يؤخذ به ولا يعول عليه » .

وكان يبعث إلى القبائل المتفرِّقة بالسُّور المختلفة ، فلو لم تكن الأنباء والقصص مُثَنَّاةً ومكرَّرة لوَقَعَتْ قصَّة موسى إلى قوم ، وقصة عيسى إلى قوم ، وقصة نوح إلى قوم ، وقصة لوط إلى قوم فأراد الله بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص فى أطراف الأرض ويُلْقِيَها فى كل سمعٍ ، ويثبتها فى كل قلب ، ويزيد الحاضرين فى الإفهام والتحذير .

وليست القصص كالفروض ، لأنَّ كُتُبَ رسول الله صلى الله عليه كانت تُنْفَذُ إلى كل قوم بما فرضه الله عليهم من الصلاة ، وعددها وأوقاتها ، والزّكاة وسنتها ، وصوم شهر رمضان ، وحجّ البيت ، وهذا مالا تُعرف كيفيته من الكتاب ، ولم تكن تنفذ بقصة موسى وعيسى ونوح وغيرهم من الأنبياء ، وكان هذا فى صدر الإسلام قبل إكمال الله الدين ، فلما نشره الله عزّ وجلّ فى كل قطر ، وبثَّه فى آفاق الأرض ، وعلم الأكابر الأصاغر ، وجُمِع القرآن بين الدَّفَّتَين : زال هذا المعنى ، واجتمعت الأنباء فى كل مصر وعند كل قوم .

* * *

وأما تكرار الكلام من جنس واحد وبعضُه يجزئ عن بعض ، كتكراره فى ﴿ قُلْ يا أَيُّهَا الكافِرُونَ ﴾ وفى سورة الرحمن بقوله : ﴿ فبأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ﴾ فقد
[١٠٤] أعْلَمْتُك أنَّ القرآن نزل بلسان القوم ، وعلى / مذاهبهم ، ومن مذاهبهم التكرار : إرادةَ التوكيد والإفهام ، كما أن من مذاهبهم الاختصار : إرادة التخفيف والإيجاز ، لأن افتتان المتكلم والخطيب فى الفنون ، وخروجَه عن شيء إلى شيء ـ أحسن من اقتصاره فى المقام على فنّ واحد .

وقد يقول القائل فى كلامه : والله لا أفعله ثم والله لا أفعله ، إذا أراد التوكيد وحَسْمَ الأطماع مِنْ أنْ يَفعله ، كما يقول : والله أفعله ، بإضمار «لا» إذا أراد الاختصار .

قال الله عز وجل : ﴿ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾(١) .

وقال : ﴿ فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً(٢) ﴾ .

---

(١) سورة التكاثر ٣ ـ ٤ .

(٢) سورة الانشراح ٥ ـ ٦ .

وقال: ﴿ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴾[(١)].

وقال: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾[(٢)] كلٌّ هذا يراد به التأكيد للمعنى الذى كرِّر به اللفظ.

وقد يقول القائل للرجل: اعْجَل اعجل، وللرامى: ارمِ ارم. وقال الشاعر:

كَمْ نِعْمَةٍ كانَتْ لَكُم كَمْ كَمْ وَكَمْ[(٣)]

وقال الآخر:

هَلاَّ سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْدَةَ يَوْمَ وَلَّوا أَيْنَ أَيْنَا[(٤)]

وقال عَوْفُ بن الخَرِع:

وكادَتْ فزارَةُ تَصْلَى بِنَا فَأَوْلَى فزارةَ أَوْلَى فزارا[(٥)]

* * *

وربما جاءت الصفة فأرادوا توكيدها، واستوحشُوا من إعادتها ثانيةً لأنها كلمةٌ واحدةٌ. فغيَّرُوا منها حرفا ثم أتبعوها الأولى؛ كقولهم: عَطْشَانُ نَطْشَانُ، كرِهُوا أن يقولوا عَطْشان عطشان، فأبدلوا من العين نوناً. وكذلك قولهم: حَسَنٌ بَسَنٌ، كرهوا أن يقولوا حسنٌ حسنٌ، فأبدلوا من الحاء باء. وشيطان لَيطان. فى أشباه له كثيرة[(٦)].

* * *

---

(١) سورة القيامة ٣٤، ٣٥.

(٢) سورة الانفطار ١٧، ١٨.

(٣) أمالى المرتضى ١/٨٤، الصناعتين ص ١٤٤ والصاحبى ١٧٧ غير منسوب فى الجميع.

(٤) البيت لعبيد بن الأبرص، كما فى ديوانه ص ٢٨ ومختارات ابن الشجرى ٢/٣٩ والشعر والشعراء ١/٢٢٤ والأغانى ١٩/٨٥ وهو غير منسوب فى الصناعتين ص ١٤٤ وإعجاز القرآن للباقلانى ص ٩٤.

(٥) البيت من قصيدة فى المفضليات ص ٤١٦ وسيبويه ١/٣٣١ والصاحبى ١٩٤ غير منسوب، وروايتهما «تشفى بنا» وإعجاز القرآن ص ٩٤ وفيه: «وكانت .. فأولى فزارة أولى لها» وهو خطأ.

(٦) نقل ذلك أبو هلال فى الصناعتين ص ١٤٤.

ولاموضع أولى بالتكرار للتوكيد ، من السبب الذى أنزلت فيه: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا الـكافِرون﴾ لأنهم أرادوه على أن يعبد مايعبدون ، ليعبدوا مايعبد ، وأبدوا فى ذلك وأعادوا ، فأراد الله عز وجل حَسْمَ أطماعهم وإكْذاب ظُنُونِهم ، فأَبْدَأَ وأَعادَ فى الجواب . وهو معنى قوله : ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[١] أى تلين لهم فى دينك فيلينون فى أديانهم . [١٠٥]

وفيه وجه آخر ، وهو أن القرآن كان ينزل شيئاً بَعْدَ شيء وآيةً بعد آية ، حتى لربما نزل الحرفان والثلاثة .

قال زيد بن ثابت : كنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه ﴿لاَ يَسْتَوِى القَاعِدُون مِنَ الْمُؤْمِنِينَ والمُجاهِدُون فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ . فجاء عبد الله بن أمّ مَكْتُوم[٢] فقال : يا رسول الله إنى أحب الجهاد فى سبيل الله ولكن بى من الضرر ما ترى ؛ قال زيد : فَثَقُلَتْ فَخِذُ رسول الله صلى الله عليه على فخذى حتى خشيت أن تَرُضَّها ، ثم قال : اكْتُبْ : ﴿لاَ يَسْتَوِى القَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ والمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾[٣] .

وروَى عبد الرَّزّاق ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن أنه قال فى قول الله عز وجل: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾[٤] قال : كان ينزل آيةً وآيتين وآياتٍ ، جوابا لهم عما يسألون وردًّا على النبى صلى الله عليه[٥] . وكذلك معنى قوله سبحانه : ﴿ونَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً﴾[٦] . شيئا بعد شيء .

فكأن المشركين قالوا له : أَسْلِمْ ببعض آلهتنا حتى نؤمن بإلهك ، فأنزل الله :

---

(١) سورة القلم ٩ .

(٢) كان عبد الله بن أم مكتوم أعمى .

(٣) سورة النساء ٩٥ .

(٤) سورة الفرقان ٣٢ .

(٥) فى تفسير الطبرى ٨/١٩ .

(٦) سورة الإسراء ١٠٦ .

﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾(١) . يريد ان لم تؤمنوا حتى أفعل ذلك . ثم غَبَرُوا مُدَّة من المدد وقالوا : تعبد آلهتنا يوماً أو شهرا أو حولا ونعبد إلهك يوما أوشهرا أوحولا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾(٢) . على شريطة أن تؤمنوا به فى وقت وتشركوا به فى وقت(٣) .

قال أبو محمد :

وهذا تمثيل أردت أن أريك به موضعَ الإمكان .

***

وأما تكرار ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإنه عدَّد فى هذه الصورة نعماءه وأذْكَرَ عبادهُ آلاءه ، ونبههم على قدرته ولطفه بخلقه ، ثم أتبع ذِكْرَ كل خَلَّة وصَفَها بهذه

---

(١) سورة الكافرون ٢ ، ٣ .

(٢) سورة الكافرون ٤ ، ٥ وانظر الطبرى ٣٠/٢١٣–٢١٤ .

(٣) نقل المرتضى ذلك فى أماليه ١/٨٣–٨٤ ثم قال : « وقد طعن بعض الناس على هذا التأويل بأن قال : إنه يقتضى شرطا وحذفا لا يدل عليه ظاهر الكلام ، وهو ماشرطه فى قوله : « ولا أنتم عابدون ماأعبد » قال : وإذا كان مانفاه عن نفسه من عبادة مايعبدون مطلقا غير مشروط ، فكذلك ماعطف عليه . وهذا الطعن غير صحيح ؛ لأنه لا يمتنع إثبات شرط بدليل وإن لم يكن فى ظاهر الكلام ، ولا يمتنع عطف المشروط على المطلق بحسب قيام الدلالة . وعن هذا السؤال ثلاثة أجوبة ، كل واحد منها أوضح مما ذكره ابن قتيبة . أولها : ماحكى عن أبى العباس ثعلب أنه قال : إنما حسن التكرار لأن تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت الأخرى ، وتلخيص الكلام : قل ياأيها الكافرون ، لاأعبد ماتعبدون الساعة وفى هذه الحال ، ولا أنتم عابدون ماأعبد فى هذه الحال أيضا ، واختص الفعلان منه ومنهم بالحال . وقال من بعد : ولا أنا عابد ماعبدتم فى المستقبل ، ولا أنتم عابدون ماأعبد فيماتستقبلون ، فاختلفت المعانى ، وحسن التكرار فى اختلافها . ويجب أن تكون السورة على هذا مختصة بمن المعلوم أنه لا يؤمن ، وقد ذكر مقاتل وغيره : أنها نزلت فى أبى جهل والمستهزئين ، ولم يومن من الذين نزلت فيهم أحد ، والمستهزءون هم : العاصى ابن وائل ، والوليد بن المغيرة ، والأسود ابن عبد المطلب ، والأسود بن عبد يغوث ، وعدى بن قيس . والجواب الثانى ، وهو جواب الفراء أن يكون التكرار للتأكيد ، كقول المجيب مؤكدا : بلى بلى ، والممتنع مؤكدا : لا لا . ومثله قول الله تعالى : « كلا سوف تعلمون، كلا سوف تعلمون ... » راجع بقية الكلام فى ص ٨٤–٨٦ .

[١٠٦] الآيةوجعلهافاصلة بين كل نعمتين، ليُفهّمهم النِّعَمَ ويُقرِّرهم بها[١] . وهذا كقولك / للرجل أحسنتَ إليه دهرك وتابعت عنده الأيادى ، وهو فى ذلك يُنكرك ويَكفرك : ألم أُبَوِّئْكَ منزِلاً وأنت طريد؟ أفتنكِرُ هذا؟ و:ألم أحملك وأنت راجل؟ ألم أحج بكوأنتصَرُورَةٌ[٢]؟ أفَتُنْكِرُ هذا ؟ .

ومثل ذلك تكرارُ ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ؟ ﴾[٣] فى سورة اقتربت الساعة، أى: هل من مُعْتَبِرٍ ومتّعظ .

***

وأما تكرار المعنى بلفظين مختلفين فلإشْباع المعنى والاتساع فى الألفاظ ، وذلك كقول القائل: آمُرُكَ بالوفاء ، وأنْهاكَ عن الغدر . والأَمْرُ بالوفاء هو النّهىُ عن الغدر . و : آمركم بالتَّواصُل ، وأنهاكم عن التّقاطع . والأمر بالتواصل هو النهى عن التقاطع .

وكقوله سبحانه : ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾[٤] . والنخل والرُّمّان من الفاكهة ، فأفردهما عن الجملة التى أدخلهما فيها ، لفضلهما وحسن موقعهما .

وقوله سبحانه : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾[٥] وهى منها ،

---

(١) نقل هذا أبو هلال فى الصناعتين ص ١٤٤ وانظر أمالى المرتضى ٨٦/١ وقد قال المرتضى فى ص ٨٨ « فإن قيل : إذا كان الذى حسن التكرار فى سورة الرحمن ماعدده من الآيات ومن نعمه ، فقد عدد فى جملة ذلك ماليس بنعمة ، وهو قوله : « يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » وقوله : «هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن » فكيف يحسن أن يقول بعقب هذا : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » ؟ وليس هذا من الآلاء والنعم ؟ قلنا : الوجه فى ذلك أن فعل العقاب وإن لم يكن نعمة ، فذكره ووصفه والإنذار به ، من أكبر النعم ؟ لأن فى ذلك زجرا عن مايستحق به العقاب ، وبعثا على مايستحق به الثواب ، فإنما أشار تعالى ، بقوله : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » بعد ذكر جهنم والعذاب فيها ـ إلى نعمه بوصفها ، والإنذار بعقابها ، وهذا مما لاشبهة فى كونه نعمة » .

(٢) فى اللسان ١٢٣/٦ « رجل صرور وصرورة : لم يحج قط » .

(٣) سورة القمر ١٥ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٥١ .

(٤) سورة الرحمن ٦٨ .

(٥) سورة البقرة ٢٣٨ .

فأفرَدها بالذِّكر ترغيباً فيها وتشديداً لأمْرِها ، كما تقول : إيتني كل يوم ، ويومَ الجمعة خاصَّة .

وقال سبحانه : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ﴾(١) والنَّجوى هو السر . وقد يجوز أن يكون أراد بالسرّ ماأسرُّوه فى أنفسهم ، وبالنَّجوى ماتسارُّوا به .

وقال ذوالرمة :

لَمياءُ فى شفَتيْها حُوَّةٌ لَعَسٌ وفى اللِّثَاتِ وفى أنيابِها شَنَبُ(٢)

واللّعس هو : حُوَّةٌ ، فكرّر لما اختلف اللفظان .

ويمكن أن يكون لما ذكر الحُوَّة خشى أن يتوهَّم السامع سَوادًا قبيحاً ، فبيّن أنه لَعَسٌ ، واللعسُ يُستحسن فى الشِّفاه .

* * *

وأما الزيادة فى التوكيد / فكقوله سبحانه : ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَالَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾(٣) لأن الرجل قد يقول بالمجاز : كلمت فلانا ، وإنما كان ذلك كِتاباً أو إشارة على لسان غيره ، فأعْلَمنا أنهم يقولون بألسنتهم . وكذلك قوله : ﴿ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾(٤) لأن الرجل قد يكتب بالمجاز وغيرُه الكاتب عنه . [١٠٧]

ويقولُ الأمّى : كتبتُ إليك ، وهذا كتابى إليك . وكلُّ فعلٍ أمرْتَ به فأنت

---

(١) سورة الزخرف ٨٠ وقال الطبرى فى تفسيره ٢٥/ ٦٠ « يقول : أم يظن هؤلاء المشركون بالله أنا لانسمع ماأخفوا عن الناس من منطقهم ، وتشاوروا بينهم وتناجوا به دون غيرهم ، فلانعاقبهم عليه لخفائه علينا ؟ ... عن محمد ابن كعب القرظى ، قال : بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها ، قرشيان وثقفى ، أو ثقفيان وقرشى ، فقال واحد من الثلاثة : أترون الله يسمع كلامنا ؟ فقال الأول : إذا جهرتم سمع ، وإذا أسررتم لم يسمع ، قال الثانى : إن كان يسمع إذا أعلنتم ، فإنه يسمع إذا أسررتم ، قال : فنزلت « أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم ، بلى ورسلنا لديهم يكتبون » .

(٢) ديوانه ص ٥ « اللمى : السمرة فى الشفة تضرب إلى الخضرة ، والحوة : حمرة فى الشفة تضرب إلى السواد ، والشنب : برودة عذوبة الفم ورقة فى الأسنان » والبيت له فى اللسان ١/ ٤٨٨ ، ٨/ ٩١ ، ١٨/ ٢٢٦ .

(٣) سورة آل عمران ١٦٧ .

(٤) سورة البقرة ٧٩ .

الفاعلُ له وإن وَلِيَهُ غيرُكَ . قال الله عز وجل : فى التَّابوتِ ﴿ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾[١] . قال ابن عباس رضى الله عنه فى رواية أبى صالح عنه : هذا كما تقول : حَمَلْتُ إلى بلد كذا وكذا بُرًّا وقمحًا ؛ وإنما تريد أمَرْتُ بحمله .

فأعلمنا أنهم يكتبونه بأيديهم ويقولون : هو من عند الله ، وقد علموا يقينا ـ إذ كتبوه بأيديهم ـ أنه ليس من عندالله .

وقال تعالى : ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾[٢] لأن فى اليمين القُوَّةَ وشدَّةَ البطش ، فأخبرنا عن شدة ضَرْبه بها .

وقال الشَّمَّاخ :

إذا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ باليَمِينِ[٣]

أى أخذها بقوة ونشاط .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾[٤] كما تقول : رأى عينى وسمعُ أذنى .

---

(١) سورة البقرة ٢٤٨ وقال الطبرى فى تفسيره ٢/٣٨٨ : « اختلف أهل التأويل فى صفة حمل الملائكة : ذلك التابوت ، فقال بعضهم : معنى ذلك : تحمله بين السماء والأرض حتى تضعه بين أظهرهم ... وقال آخرون معنى ذلك : تسوق الملائكة الدواب التى تحمله ... وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : حملت التابوت الملائكة ، حتى وضعته فى دار طالوت ، بين أظهر بنى إسرائيل ، وذلك أن الله تعالى ذكره ، قال : « تحمله الملائكة » ولم يقل : تأتى به الملائكة ، وما جرته البقر على عجل ، وإن كانت الملائكة هى سائقتها ، فهى غير حاملته ؛ لأن الحمل المعروف هومباشرة الحامل بنفسه حمل ما حمل ، فأما ما حمله على غيره وإن كان جائزا فى اللغة . أن يقال فى حمله بمعنى معونته الحامل ، أو بأن حمله كان عن سببه ـ فليس سبيله سبيل ما باشر حمله بنفسه ، فى تعارف الناس إياه بينهم ، وتوجيه تأويل القرآن إلى الأشهر من اللغات أولى من توجهيه إلى أن لا يكون الأشهر ، ما وجد إلى ذلك سبيل » .

(٢) سورة الصفات ٩٣ وقال الطبرى فى تفسيره ٢٣/٤٦ « يقول تعالى ذكره : فمال على آلهة قومه ضربا لها باليمين ، بفأس فى يده ، يكسرهن » .

(٣) ديوانه ص ٩٧ من قصيدة يمدح بها عرابة الأوسى ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والبيت له فى الشعر والشعراء ١/٢٧٨ والإصابة ٤/٢٣٤ والخزانة ١/٤٥٣ ، ٢ / ٢٢٣ والبحر المحيط ١/١٦٠ والعمدة ٢/١٣١ وأمالى القالى ١/٢٧٤ ونقد الشعر ص ٢٥ وهو غير منسوب فى تفسير الطبرى ٢٣/٣٢ .

(٤) سورة الأنعام ٣٨ .

وقوله : ﴿ وَلَـٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾(١) . كما تقول: نفسى التى بين جنبَىَّ .

وقال : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِى الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾(٢) .

أراد توكيد ما أوجبه عليه من الصِّيام بجمع العددين وذِكرِه مُجْمَلا ، كما قال الشاعر :

ثلاثٌ واثنتانِ فهنَّ خَمْسٌ وسادِسةٌ تَميلُ إلى شَمامِ(٣)

* * *

وقد تزاد « لا » فى الكلام والمعنى: طرحها لإباء فى الكلام أو جَحْدٍ ، كقول الله عزّ وجلّ : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾(٤) . أى ما منعك أن تسجد ، فزاد فى الكلام « لا » : لأنه لم يسجد .

---

(١) سورة الحج ٤٦ .

(٢) سورة البقرة ١٩٦ .

(٣) البيت للفرزدق ، كما فى ديوانه ٨٣٥ وقبله :

فقلن له : نواعدك الثريا وذاك إليه مجتمع الزحام

وبعده :

فبتن بجانبى مصرعات وبت أفض أغلاق الختام

وهو من شعره الذى تعهر فيه ، وهو له فى الموشح ص ١١٤ والبحر المحيط ٧٩/٢ ومجمع البيان ٢٩١/١ واللسان ٢٤٥/٦ وفيه « وثالثة تميل إلى السهام » وهو تحريف والشمام : المشامة ، كما قال ابن سلام فى طبقات الشعراء ص ٣٨ .

(٤) سورة الأعراف ١٢ وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن : « مجازه : مامنعك أن تسجد ؛ والعرب تضع لا فى موضع الإيجاب ، وهى من حروف الزيادة قال : فما ألوم البيض ألا تسخرا » وقال الطبرى فى تفسيره ٩٦/٨ « قال بعض نحويى البصرة : معنى ذلك : مامنعك أن تسجد ، ولا ، ههنا زائدة ... وقال بعض نحويى الكوفة نحو القول الذى ذكرناه عن البصريين ، فى معناه وتأويله ، غير أنه زعم أن العلة فى دخول « لا » فى قوله : « ألا تسجد » أن فى أول الكلام جحدا . يعنى بذلك قوله : لم يكن من الساجدين ؛ فإن العرب ربما أعادوا فى الكلام الذى فيه جحد الجحد كالإستيثاق والتوكيد له ... » يقصد الطبرى بالأول أبا عبيدة ، وبالثانى الفراء ثم قال الطبرى بعد أن سرد من رأى غيرهما : « والصواب عندى من القول فى ذلك أن يقال : إن فى الكلام محذوفا ، قد كفى دليل الظاهر منه ، وهو أن معناه : مامنعك من السجود فأحوجك أن لاتسجد ، فترك ذكر « أحوجك » استغناء بمعرفة السامعين » .

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أنّها إذَا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾(١) يريد وما يشعركم أنها إذا جاءَتْ يؤمنون ، فزاد « لا » لأنّهم لا يؤمنون إذا جاءت(٢) . [١٠٨]

ومن قرأها بكسر إنَّ ، فإنه يجعل الكلام تاماً عند قوله : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ ثم يبتدئ فيقول: ﴿ إنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾(٣) .

وقوله سبحانه : ﴿ وحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعونَ ﴾(٤) . يريد أنهم يَرْجِعُون ، فزاد « لا »: لأنهم لا يرجعون .

* * *

وقوله سبحانه : ﴿ لِئلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ ﴾(٥) . يريد ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون ، فزاد « لا » فى أوّل الكلام ؛ لأنّ فى آخر الكلام جَحْداً(٦) .

---

(١) سورة الأنعام ١٠٩ .

(٢) فى الطبرى ٢١٢/٧ « ... وما يشعركم أيها المؤمنون بأن الآيات إذا جاءت هؤلاء المشركين بالله ـ أنهم لا يؤمنون به ، ففتحوا الألف من « أن » وممن قرأ ذلك كذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة . وقالوا : أدخلت لا فى قوله : « لا يؤمنون » صلة ـ كما أدخلت فى قوله : مامنعك ألا تسجد » وفى قوله : « وحرام على قرية أهلكناها أنها لا يرجعون » وإنما المعنى : وحرام عليهم أن يرجعوا ، وما منعك أن تسجد . وقد تأول قوم قرءوا ذلك بفتح الألف ، من أنها بمعنى لعلها ، وذكروا أن ذلك كذلك فى قراءة أبى بن كعب » .

(٣) فى الطبرى ٢١١/٧ عن مجاهد « وما يشعركم وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت ، ثم استقبل يخبر عنهم فقال : إذا جاءت لا يؤمنون . وعلى هذا التأويل قراءة من قرأ ذلك بكسر ألف « أنها » على أن قوله : « إنها إذا جاءت لا يؤمنون » خبر مبتدأ منقطع عن الأول . وممن قرأ ذلك كذلك بعض قراء المكيين والبصريين » .

(٤) سورة الأنبياء ٩٥ .

(٥) سورة الحديد ٢٩ .

(٦) فى الطبرى ١٤٣/٢٧ « وقيل : لئلا يعلم ، وإنما هو ليعلم ، وذكر أن ذلك قراءة عبد الله : لكى يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون ؛ لأن العرب تجعل « لا » صلة فى كل كلام دخل فى أوله وآخره جحد غير مصرح كقوله فى الجحد السابق الذى لم يصرح به: مامنعك ألا تسجد إذ أمرتك ... » .

وكذلك قول أبى النجم :

* فما أَلُومُ البِيضَ أَلاَّ تَسْخَرَا (١) *

أى أن تسخرا ، فزاد « لا » فى آخر الكلام: للجحد فى أوله.

وقول العجَّاج :

* فى بِئْرِ لا حُورٍ سَرَى وما شَعَرْ (٢) *

فزاد « لا » فى أول الكلام: لأن فى آخره جَحْدًا .

***

وأما زيادة «لا» فى قوله : ﴿ لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ ، وَلاَ أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ (٣) . وقوله : ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بالشَّفَقِ واللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ (٤) . و : ﴿ لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا

(١) الصاحبى ١٣٨ ومجاز القرآن ٧١ب وتفسير الطبرى ١/٦٢ والأضداد لابن الأنبارى وبعده : « لما رأين الشمط القفندرا * والشمط بياض شعر الرأس يخالط سواده . والقفندر : القبيح المنظر . وهو فى اللسان ٦/٤٢٥ غير منسوب . وفى العمدة ٢/٢٦٣ نقلا عن ابن قتيبة : فما ألوم النجم أن لا تسهرا « يريد أن تسهرا » وهو خطأ.

(٢) فى ديوان العجاج ص ١٦ وقبله : * وغبرا قتما فيجتاب الغبر * » والصاحبى ١٣٨ والأضداد لابن الأنبارى ١٨٦ وفى اللسان ٥/٢٩٦ « الحور : الرجوع عن الشىء وإلى الشىء ، حار إلى الشىء وعنه حورا ومحارا ومحارة وحؤورا : رجع عنه وإليه ، وقول العجاج : * فى بئر لاحور سرى وما شعر * أراد فى بئر لاحؤور فأسكن الواو الأولى وحذفها لسكونها وسكون الثانية بعدها قال الأزهرى : و « لا » صلة فى قوله . قال الفراء : « لا » قائمة فى هذا البيت صحيحة ، أراد : فى بئر ماء لايحير عليه شيئا » وفى تفسير الطبرى ١/٦٢ « وكان بعض أهل البصرة يتأوله بمعنى فى بئر حور سرى ، أى فى بئر هلكة ، وأن لا بمعنى الإلغاء والصلة ... وكان بعض نحويى الكوفيين يستنكر ذلك من قوله ... وكان يتأول فى « لا » بقوله : إنها جحد صحيح ، وأن معنى البيت : سرى فى بئر لاتحير عليه خيرا ، ولا يتبين له فيها أثر عمل ، وهو لا يشعر بذلك ، ولا يدرى به ، من قولهم : طحنت الطاحنة فما أحارت شيئا ، أى لم يتبين لها أثر عمل » ويقصد الطبرى ببعض أهل البصرة أبا عبيدة ، وببعض نحويى الكوفيين الفراء . وانظر كلاما حول هذا البيت فى اللسان ٢٠/٣٥٤–٣٥٥ .

(٣) سورة القيامة ١ ، ٢ وانظر تفسير الطبرى ٢٩/١٠٨–١٠٩ .

(٤) سورة الانشقاق ١٦ وقال الطبرى فى تفسيره ٣٠ / ٧٦ « أقسم ربنا بالشفق ، والشفق : الحمرة .... والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يقال : إن الله أقسم بالنهار مدبرا والليل مقبلا .وقوله: « والليل وما وسق » يقول : والليل وما جمع ، مما سكن وهدأ فيه من ذى روح ، كان يطير أو يدب نهارا . يقال : وسقته أسقه وسقا ، ومنه طعام موسوق ، وهو المجموع فى غرائر أو وعاء » .

البَلَدِ ﴾(١) — : فإنها زيدت فى الكلام على نيّة الرَّدّ على المكذبين ؛ كما تقول فى الكلام : لا والله ما ذاك كما تقول ، ولو قلتَ : والله ماذاكَ كما تقول ، لكان جائزا ، غير أن إدخالكَ « لا » فى الكلام أولا، أبْلغُ فى الرَّدّ.

وكان بعض النحويين(٢) يجعلها صلة ، ولو جاز هذا لم يكن بين خبرٍ فيه الجَحْد وخبرٍ فيه الإقرار، فَرْقٌ .

***

و « أَلاَ » تُزَادُ فى الكلام للتنبيه ، كقوله : ﴿ أَلاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ ﴾(٣) وَ: ﴿ أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ ﴾(٤) . وقال الشاعر :

أَلاَ أَيُّهذَا الزَّاجِرِى أَحْضُرُ الوَغَى ... وأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ: هَلْ أَنتَ مُخْلِدِى(٥) ؟

(١) سورة البلد ١ وفى الطبرى ١٢٣/٣٠ « يقول تعالى ذكره : أقسم يامحمد بهذا البلد الحرام ، وهو مكة ... » .

(٢) فى الأضداد لابن الأنبارى ص ١٨٦ « وقال الكسائى وغيره ... معناه : أقسم ، ولازائدة ، وقال الفراء : لالاتكون فى أول الكلام زائدة ، ولكنها رد على الكفرة ، إذ جعلوا لله عز وجل ولدا وشريكا وصاحبة ، فرد الله عليهم قوله فقال ؛ لا ، وابتدأ بأقسم » وفى اللسان ٣٥٣/٢٠ « قال الفراء : وكان كثير من النحويين يقولون : لاصلة . قال : ولايبتدأ بجحد ، ثم يجعل صلة يراد به الطرح ؛ لأن هذا لوجاز لم يعرف خبر فيه جحد ، من خبر لاجحد فيه، ولكن القرآن العزيز نزل بالرد على الذين أنكروا البعث والجنة والنار ، فجاء الإقسام بالرد عليهم فى كثير من الكلام ، المبتدأ منه وغير المبتدأ ، كقولك فى الكلام : لا والله لاأفعل ذلك ، جعلوا « لا » وإن رأيتها مبتدأة رداً لكلام قدمضى ، فلو ألغيت « لا » مما ينوى به الجواب لم يكن بين اليمين التى تكون جوابا ، واليمين التى تستأنف فرق » وهذا النص يبين لنا أن الفراء هوالمقصود بقول الطبرى ١٠٨/٢٩ « وقال بعض نحويى الكوفة : لارد لكلام قد مضى من كلام المشركين الذين كانوا ينكرون الجنة والنار ... الخ .

(٣) سورة هود ٥ .

(٤) سورة هود ٨ .

(٥) البيت لطرفة من معلقته ، فى شرح القصائد العشر ص ٨٠ « ألا أيهذا اللائمى » وفى ديوانه ص ٢٩ :

« ألا أيها اللاحىّ أن اشهد الوغى ... وأن أحضر اللذات »

والبيت له فى سيبويه ٤٥٢/١ ومجمع البيان ١٤٩/١ والشطر الأول غير منسوب فى الصاحبى ١٠٤ ، ١٩٧ وقال التبريزى فى شرحه « ومعنى البيت : ألا أيهذا اللائمى فى حضور الحرب لئلا أقتل ، وفى أن أنفق مالى لئلا أفتقر ، ماأنت مخلدى إن قبلت منك فدعنى أنفق مالى ولا أخلفه » .

أراد أيُّها الزاجرى أن أَحضر الوغى فزاد « ألا » وحذف « أنْ » .

* * *

والباء تُزاد فى الـكلام ، والمعنى إلقاؤها ، كقوله سبحانه : ﴿ تَنْبُتُ بالدُّهْنِ ﴾(١) .

وقوله : ﴿ اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ ﴾(٢) أى اسم ربك .

و ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ ﴾(٣) أى يَشْرَبُهَا .

﴿ وهُزِّى إلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾(٤) أى هُزِّى جِذْعَ .

وقال ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمُ المَفْتُونُ ﴾(٥) أى أيكم المفتون . [١٠٩]

وقال الأعشى :

* ضَمِنَتْ بِرِزْقِ عِيالِنَا أَرْمَاحُنَا(٦) *

وقال الآخر :

* نَضْرِبُ بالسَّيْفِ ونَرْجُو بالفَرَجْ(٧) *

---

(١) سورة المؤمنون ٢٠ واللسان ٢٠/٣٢٧ .

(٢) سورة العلق ١ .

(٣) سورة الإنسان ٦ واللسان ٢٠/٣٢٧ .

(٤) سورة مريم ٢٥ .

(٥) سورة القلم ٦ .

(٦) أنشده ابن قتيبة فى أدب الـكاتب وعلق عليه ابن السيد فى الاقتضاب بقوله : هذا البيت لأعشى بكر ، ولم يقع فى شعر الأعشى رواية أبى على البغدادى هكذا ، إنما وقع فى روايته :

ضمنت لنا أعجازهن قدورنا وضروعهن لنا الصريح الأجردا

وقبله فى صفة إبل :

مثل الهضاب جزارة لسيوفنا فإذا تراع فإنها لن تطردا

قال أبو على : ويروى : * ضمنت لنا أعجازها أرماحنا * أى ضمنت أرماحنا أعجاز إبلنا أن يغار عليها ، فنحن ننحرها ونشرب ألبانها . والصريح من اللبن : ماذهبت رغوته . والأجرد : الذى لارغوة له ، ولعل الذى ذكر ابن قتيبة رواية ثانية ، أومن قصيدة أخرى وقعت فى غير روايتنا » وانظر ديوان الأعشى ص ٥٤ واللسان ٤/٩٢ .

(٧) صدره : « * نحن بنو جعدة أصحاب الفلج * وهو للنابغة الجعدى ، كما فى الخزانة ٤/٥٩ ومعجم =

وقال امرؤ القيس :

* هَصَرْتُ بِغُصْنٍ ذِى شَمَارِيخَ مَيَّالِ[(١)] *

أى : غصنا .

وقال أمية بن أبى الصَّلْت :

إذ يسفُّونَ بالدقيق وكانُوا قبلُ لا يأْكُلون شيئاً فَطِيراً[(٢)]

وقال : ﴿ تُلقُونَ إلَيْهِمْ بالمودَّةِ ﴾[(٣)] .

وقوله : ﴿ ومن يُرِدْ فيه بإلْحَادٍ بظُلْمٍ ﴾[(٤)] .

***

ومِنْ ، قد تزداد فى الكلام أيضا؛ كقوله: ﴿ ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ ﴾[(٥)] . أى : ما أريد منهم رزقاً .

وتقول : ما أتانى من أحد ، أى أحد .

***

واللام، قد تزاد ، كقوله سبحانه : ﴿ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يرْهَبُونَ ﴾[(٦)] .

***

= البلدان (فلج) وهوفى الاقتضاب ص ٤٥٨ والجواليقى ٣٨١ واللسان ٢٠/٣٢٩ وشواهد المغنى ص ١١٤ ومجاز القرآن ١٥٠ـ ١ وتفسير الطبرى ١٨/١٢ غير منسوب ، وفيهما : « نضرب بالبيض » .

(١) ديوانه ص ١٠٨ وصدره : * فلما تنازعنا الحديث وأسمحت » وهو فى أدب الكاتب والاقتضاب ص ٤٥٧ـ ٤٥٨ .

(٢) صدره فى أدب الكاتب وهو فى الاقتضاب ص ٤٥٦ « أراد يسفون الدقيق، فزاد الباء، وأظنه يصف بنى إسرائيل » .

(٣) سورة الممتحنة ١ .

(٤) سورة الحج ٢٥ .

(٥) سورة الذاريات ٥٧ .

(٦) سورة الأعراف ١٥٤ .

والكاف ، قد تزاد كقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾(١) .

***

وعلى قد تزاد . قال حُمَيد بن ثَوْر :

أَبَى اللّٰهُ إلا أَنَّ سَرْحَةَ مالكٍ على كلِّ أفْنانِ العِضَاهِ تَرُوقُ(٢)

أراد : تروق كلّ أفنان .

وعن تُزادُ . قال تعالى : ﴿ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾(٣) .

***

وإنَّ الثقيلة تزاد كقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾(٤) .

وكذلك قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ المَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ﴾(٥) .

وقال الشاعر :

إنَّ الخليفة إنَّ اللّٰهَ سَرْبَلَهُ سِرْبَالَ مُلكٍ به تُرْجَى الخَواتِيم(٦)

***

---

(١) سورة الشورى ١١ .

(٢) أدب الكاتب وشرح شواهد المغنى ٤٣ واللسان ٣ / ٣٠٩ والعمدة ١ / ٢٨٠ وقال ابن السيد فى الاقتضاب ص ٤٥٨ « السرحة : شجرة من العضاه يستظل بها من الحر ، وهى فى هذا البيت كناية عن امرأة ، وكان عمر بن الخطاب عهد إلى الشعراء ألا يشبب رجل منهم بامرأة ، وتوعدهم على ذلك ، فكان الشعراء يكنون عن النساء بالشجرة وغيرها . والافنان : الأنواع ، واحدها : فن . ومعنى تروق : تعجب ، وإنما جعل « على » فى هذا البيت زائدة ؛ لأن راق يروق لايحتاج فى تعديه إلى حرف جر ، إنما يقال : راقنى الشىء يروقنى . فالمعنى : يروق كل أفنان » .

(٣) سورة النور ٦٣ .

(٤) سورة الكهف ٣٠ .

(٥) سورة الجمعة ٨ .

(٦) البيت لجرير ، كما فى الخزانة ٣٤٦/٤ والبيت غير منسوب فى اللسان ٥٤/١٥ وأمالى الزجاج ص ٤٢ .

وإن الخفيفة تُزداد، كقول الشاعر :

ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ بهِ كاليومِ هانِيَ أينُقٍ جُرْبِ[١]

وقال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ﴾[٢] .

وقال بعضهم : أراد فيما مكّنّاكم فيه، وإن زائدة.

وقال بعضهم : هى بمعنى مكّنّاهم فيما لم نُمكنكم فيه[٣] .

***

وإذ قد تزاد، كقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾[٤] .

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ﴾[٥] . أى : وقال .

وقال ابن مَيَّادَة :

* إذْ لا يزال قائل أبِنْ أبِنْ[٦] *

وما قد تزاد، كقوله : ﴿ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴾[٧] و ﴿ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾[٨] .

***

---

(١) البيت لدريد بن الصمة، كما فى الشعر والشعراء ١/٣٠٢ والأغانى ٩/١١، ١٣/١٣٦ والبيان والتبيين ١/١٠٧ وأمال العالى ١/٦١ وفيها وفى الأغانى : « طالى أينق » .

(٢) سورة الأحقاف ٢٦ .

(٣) قال الطبرى ٢٦/١٨ « يقول تعالى ذكره للكفار : ولقد مكنا أيها القوم عادا الذين أهلكناهم بكفرهم فيما لم نمكنكم فيه من الدنيا، وأعطيناهم منها الذى لم نعطكم منها من كثرة الأموال، وبسطة الأجسام وشدة الأبدان » .

(٤) سورة البقرة ٣٠، والحجر ٢٨ .

(٥) سورة لقمان ١٣ .

(٦) فى اللسان ١٧/٢٥٨ وبعده : * هوذلة المشآة عن ضرس اللبن * وقوله : أبن أبن، أى نحها . والمشآة : زبيل يخرج به الطين والحمأة من البئر، وربما كان من أدم . والضرس : تضريس طى البئر بالحجارة، وإنما أراد الحجارة، فاضطر وسماها لبنا احتياجا إلى الروى . والذى أنشده الجوهرى :

إما لايزال قائل أبن أبن دلوك عن حد الضروس واللبن

قال ابن برى : « هو لسالم بن دارة، وقيل لابن ميادة، قاله ابن دريد » والبيت برواية الجوهرى أيضا فى اللسان ٧/٤٢٥ وهو غير منسوب فى إصلاح المنطق ١٩٠ .

(٧) سورة المؤمنون ٤٠ .

(٨) سورة الإسراء ١١٠ .

وواو النسق قد تزاد حتى يكون الكلام كأنّه لا جواب له ، كقوله : ﴿ حتّى إِذَا جاءُوها وفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا ﴾(١) . والمعنى : قال لهم خزنتها .

وقوله: ﴿ فلمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ ﴾(٢). [١١٠]

وقوله سبحانه : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ ﴾(٣) .

وكقوله : ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ ﴾(٤) .

وقوله : ﴿ اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ﴾(٥) أي : لنَحْمل خطاياكم عنكم .

قال امرؤ القيس :

فلمّا أجَزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ وانْتَحَى ... بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ(٦)

أراد انتحى . وقال آخر:

حتَّى إذا قَمِلَتْ بُطُونُكُمْ ... ورأَيْتُمُ أَبْنَاءَكُمْ شَبُّوا(٧)

---

(١) سورة الزمر ٧٣ .

(٢) سورة يوسف ١٥ .

(٣) سورة الصافات ١٠٣ وقال الطبرى ٢٣ / ٥٠ « فلما أسلما ـ يعنى إبراهيم وإسحاق ـ أمرهما لله وفوضاه إليه ، واتفقا على التسليم لأمره والرضا بقضائه ... وقوله : « وتله للجبين » يقول : وصرعه للجبين ، والجبينان : ماعن يمين الجبهة وعن شمالها ، وللوجه جبينان ، والجبهة بينهما » وقال فى ١٧ / ٧٣ « وناديناه » معناه : ناديناه بغير واو » .

(٤) سورة الأنبياء ٩٦ ، ٩٧ وفى تفسير الطبرى ١٧ / ٧٣ « الحدب : الشىء المشرف ، ينسلون : يعنى أنهم يخرجون مشاة مسرعين فى مشيهم ، كنسلان الذئب ... والواو فى قوله : « واقترب الوعد الحق » مقحمة ، ومعنى الكلام : حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق . وذلك الوعد الذى وعد الله عباده أنه يبعثهم فيه من قبورهم للجزاء والثواب والعقاب » .

(٥) سورة العنكبوت ١٢ :

(٦) البيت من معلقته ، ديوانه ص ٩٨ واللسان ٧ / ٩١ وشرح القصائد العشر ص ٢٧ « أجزنا : قطعنا . انتحى : اعترض : والخبت بطن من الأرض غامض . والقف : ماارتفع من الأرض وغلظ ولم يبلغ أن يكون جبلا . والعقنقل : المتعقد الداخل بعضه فى بعض . وجواب « فلما أجزنا » قوله : « هصرت بفودى رأسها فتمايلت » وقال الطبرى ١٧ / ٧٣ : يريد فلما أجزنا ساحة الحى انتحى بنا .

(٧) الرجز أنشده ابن قتيبة فى المعانى الكبير ١ / ٥٣٣ وقال فى شرحه: « قملت: كثرت. والبطون: =

وقلبتمُ ظهرَ المِجَنِّ لنَا   إن اللئيمَ العاجزُ الخَبُّ

أراد : قلبتم .

***

ومما يُزاد فى الكلام : الوَجْهُ ، يقول الله عز وجل : ﴿ وَلاَ تَطْرُدِ الذين يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [١] أى : يريدونه بالدعاء .

و ﴿ كلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [٢] . أى : إلا هو .

و ﴿ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾ [٣] ، أى : فَثَمَّ الله .

و ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ ﴾ [٤] ، أى : لله .

***

والاسم يُزاد ، قال أبو عبيدة : ﴿ بِاسْمِ اللهِ ﴾ إنما هو بالله [٥] ، وأنشد للبيد :

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسمُ السلام عليكما   ومَنْ يَبْكِ حَوْلاً كامِلاً فقدِ اعْتَذَرْ [٦]

أى : السلام عليكما .

و ﴿ تبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ﴾ [٧] ، أى تبارك ربُّك .

= القبائل، وأراد : قلبتم ظهر المجن لنا ، ثم أدخل الواو ... » وهو أيضا غير منسوب فى اللسان ٢٠ / ٣٨١ من إنشاد الفراء وفى ١٤ / ٨٦ ومجالس ثعلب ١ / ٧٤ وتفسير الطبرى ٤ / ٨٥ .

(١) سورة الأنعام ٥٢ .

(٢) سورة القصص ٨٨ .

(٣) سورة البقرة ١١٥ .

(٤) سورة الإنسان ٩ .

(٥) يرى الطبرى فساد هذا الرأى ، وقد دلل على فساده بأدلة . واضحة، راجع ١ / ٤٠ .

(٦) البيت للبيد ، كما فى الأغانى ١٤ / ١٠١ وهو غير منسوب فى أمالى الزجاج ص ٤٢ .

(٧) سورة الرحمن ٧٨ وقال الطبرى فى تفسيره ٢٧ / ٩٥ « يقول تعالى ذكره : تبارك ذكر ربك يامحمد ، ذى الجلال ، يعنى ذى العظمة » .

باب الكناية والتعريض

الكناية أنواع ، ولها مواضع :

فمنها أن تَكْنى عن اسم الرجل بالأُبُوّةِ لتزيد فى الدّلالة عليه إذا أنت رَاسلته أو كتبت إليه، إذْ كانت الأسماء قد تتفّق ، أو لتعظمه فى المخاطبة بالكُنية ؛ لأنها تدلّ على الحُنْكة[١] وتخبر عن الاكْتِهال .

***

وقد ذهب هؤلاء إلى أنّ الكنية كَذِب مالم يكن الولدُ مُسمى بالاسم الذى كُنِيَ به عن الأب ، وتقع للرجل بعد الولادة .

[١١١] وقالوا: إن كانت الكناية للتعظيم فمابالُه كَنى أبا لهب[٢] / وهو عدوّه ، وسمّى محمداً صلى الله عليه وهو وَليُّه و نَبيُّه ؟

والجواب عن هذا : ان العرب كانت ربّما جعلت اسم الرجل كُنْيَتَه ، فكانت الكُنية هى الاسم .

قال أبو محمد :

خبّرنى غير واحد عن الأصمعى أن أبا عمرو بن العلاء وأبا سفيان بن العلاء أسماؤهما كُناهما[٣] .

وربما كان للرجل الاسم والكنية ، فغلبت الكنية على الاسم فلم يعرف إلا بها، كأبى سفيان[٤] ، وأبى طالب[٥] ، وأبى ذَرّ[٦] ، وأبى هريرة[٧] ، ولذلك كانوا يكتبون على ابن

---

(١) فى اللسان ١٢/٢٩٩ « والحنكة : السن والتجربة والبصر بالأمور» .

(٢) فى اللسان ٢٠/٩٨ « واسمه عبد العزى ، عرف بكنيته فسماه الله بها » وانظر المعارف ٥٢ .

(٣) المعارف لابن قتيبة ص ٢٣٥ .

(٤) اسمه صخر بن حرب ، المعارف ١٥٠ .

(٥) اسمه عبد مناف ، المعارف ٥٢ .

(٦) اسمه جندب بن السكن ، أو برير بن جنادة ، أو جندب بن جنادة ، المعارف ١١٠ .

(٧) اختلفوا فى اسمه وأكثروا ، فقيل : عبد الله ، وقيل عبد الرحمن وقيل عبد عمرو، وقيل عبد =

أبو طالب ، ومعاوية بن أبوسفيان ؛ لأن الكنية بكمالها صارت اسما ، وحظُّ كلِّ حرف الرفعُ مالم ينصبه أو يجرّه حرف من الأدوات أو الأفعال ، فكأنَّه حين كُنِّى قيل: أبوطالب ، ثم تُرِكَ ذلك كهيئته، وجُعل الاسمان واحدا .

وقد رُوِى فى الحديث أن اسم أبى لهب عبد العزّى، فإن كان هذا صحيحا فكيف يذكره الله سبحانه بهذا الاسم وفيه معنى الشرك والكذب لأن الناس جميعا عَبيدُ الله ؟

وقال المفسرون فى قول الله عز وجل : ﴿ هُوَ الذى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ ، فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾(١) ـ: إن حوّاء لما أثقلت أتاها إبليس فى صورة رجل فقال لها : ماهذا الذى فى بطنك؟ وذلك أول حملها ، فقالت: ماأدرى، فقال لها : أرأيت إن دعوت ربى فولدتِه إنسانا أتُسمِّينه بى؟ فقالت : نعم. وقالت هى وآدم: ﴿ لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ . أى : لئن خلقته بشراً مثلنا ولم تجعله

= شمس وقيل أكثر من ذلك ، راجع المعارف ١٢٠ .

(١) سورة الأعراف ١٨٩ وفى تفسير الطبرى ٩/٩٧ « يعنى بالنفس الواحدة آدم ، وجعل منها زوجها : حواء ، فجعلت من ضلع من أضلاعه ؛ ليسكن إليها ، ويعنى بقوله : ليسكن إليها : ليأوى إليها لقضاء حاجته ولذته ، ويعنى بقوله : فلما تغشاها : فلما تدثرها لقضاء حاجته منها ، فقضى حاجته منها حملت حملا خفيفا ، وفى الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ظهر عما حذف، وذلك قوله : فلماتغشاها حملت ، وإنما الكلام فلما تغشاها فقضى حاجته منها حملت . وقوله : حملت حملا خفيفا : يعنى بخفة الحمل : الماء الذى حملته حواء فى رحمها من آدم ، إنه كان خفيفا ، وكذلك هوحمل المرأة ماء الرجل خفيف عليها، وأما قوله : « فمرت به » فإنه يعنى : استمرت بالماء ، قامت بهوقعدت وأتمت الحمل ... قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله أخبر عن آدم وحواء ، أنهما دعوا الله ربهما بحمل حواء ، وأقسما : لئن أعطاهما مافى بطن حواء صالحا ليكونا من الشاكرين . والصلاح قد يشمل معانى كثيرة : منها الصلاح فى استواء الخلق ، ومنها الصلاح فى الدين ، والصلاح فى العقل والتدبير ، وإذا كان ذلك كذلك ، ولاخبر عن الرسول يوجب الحجة بأن ذلك على بعض معانى الصلاح دون بعض ، ولا فيه من العقل دليل ـ وجب أن يعم كما عمه الله ، فيقال : إنهما قالا : لئن آتيتنا صالحا بجميع معانى الصلاح . وأما قوله : « لنكونن من الشاكرين » فإنه : لنكونن ممن يشكرك على ماوهبت لنا من الولد صالحاً .

بهيمةً . فلما ولدته أتاها إبليس ليسألها الوفاء فقالت : ما اسمك ؟ قال : الحرث ، فتسمى بغير اسمه ، ولو تسمى باسمه لعرفته ، فسمته عبد الحرث ، فعاش أياما ثم مات فقال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾[1] وإنما جعلا له الشرك بالتسمية لا بالنية والعَقْد[2] ، وانتهى الكلام فى قصة آدم وحواء ، ثم ذكر مَنْ أشرك به بالعقدِ والنّية من ذرّيتهما فقال: ﴿ فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ولو كان / أراد آدم وحواء لقال: عمايشركان، [١١٢]
فهذا يدلك على العموم .

***

وإن كان اسم أبى طالب كنيتَه فإنما ذكَره بما لا يُعرَف إلا به ، والاسمُ والكنية عَلَمَان يُميِّزان بين الأعيان والأشخاص ، ولا يقعان لِعلة فى المسمى كما تقع الأوصاف ، فبأىِّ شىء عُرِف الرجل جاز أن تَذْكُره به غير أن تَكذِب فى ذلك .

ولو كان من دعا أبا القاسم بأبى القاسم ولا قاسم له كان كاذباً لكان من دعا المُسمى بكلب وقردٍ وغُراب وذُباب كاذباً ؛ لأنه ليس كما ذكر .

وقد طعنت الشّعُوبية على العرب بأمثال هـذه الأسماء ، ونسبوهم إلى سوء الاختيار ، وجهلوا معانيَهم فيها ، وكان القوم يتفاءلون ويتطيّرون ، فمن تسمى منهم بالأسماء الحُسْنَى أراد أن يكثر له الفأل بالحسن ، ومن تسمَّى بقبيح الأسماء أراد صرفَ الشرّ عن نفسه ؛

---

(١) سورة الأعراف ١٩٠ .

(٢) قال الطبرى ٩/١٠١ « وأولى القولين بالصواب قول من قال : عنى بقوله : « فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فى الاسم لافى العبادة ، وإن المعنى بذلك آدم وحواء : لإجماع الحجةمن أهل التأويل علىذلك . فإن قال قائل : فما أنت قائل إذا كان الأمر على ماوصفت فى تأويل هذه الآية ، وأن المعنى بها آدم وحواء ـ فى قوله : « فتعالى الله عما يشركون » أهو استنكاف من الله أن يكون له في الأسماء شريك ؟ أو فى العبادة ؟ فإن قلت : فى الأسماء ، دل على فساده قوله : « أيشركون مالا يخلق شيئا وهم يخلقون ؟ » وإن قلت فى العبادة ، قيل لك : أفكان آدم أشرك فى عبادةالله غيره ؟ قيل له : إن القول فى تأويل قوله : « فتعالى الله عما يشركون » ليس بالذى ظننت ، وإنما القول فيه : فتعالى الله عما يشرك به مشركو العرب من عبدة الأوثان . فأما الخبر عن آدم وحواء ، فقد انقضى عند قوله : « جعلا له شركاء فيما آتاهما » ثم استأنف قوله : « فتعالى الله عما يشركون » .

وذلك أن العرب كانت إذا خرجت لِلمُغَارِ قالوا : إلى من نقصد ؟ فتطيروا من كلب وجُعَل وقرد ونمِر وأسد ، وقالوا : ميلوا بنا إلى بنى سعد و[إلى] غَنْمٍ (١) وما أشبه ذلك .

***

ومن الكناية قول الله عز وجل : ﴿ يا وَيْلَتا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فلاناً خَلِيلاً ﴾ (٢) . ذهب هؤلاء وفريق من المُتَسَمين بالمسلمين إلى أنه رجل بعينه ، وقالوا : لم كنى عنه ؟ وإنما يَكنِي هذه الكناية من يخافُ المُبادَاة ويحتاج إلى المُداجاة .

وقال آخرون : بل كان هذا الرجل مُسمى فى هذا الموضع فغيِّر وكُنى عنه . وذهبوا إلى أنه عمر ، وتأوَّلوا الآية فقالوا : ﴿ يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ على يَدَيهِ ﴾ . يعنى أبا بكر رضى الله عنه ﴿ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾ . يعنى محمدا صلى الله عليه ﴿ يا وَيْلَتا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً ﴾ يعنى عمر رضى الله عنه ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِي ﴾ يعنى علياً .

قال أبو محمد :

ونقول فى الرد على أولئك إذ كان غلطهم من وجهة قد يَغلطُ فى مثلها من رَقّ علمه . فأما هؤلاء ففى قولهم ما أَنْبَأَ عن نفسه ، ودلَّ على / جهل مُتأوِّله، كيف يكون علىٌّ رحمة الله [١١٣]
عليه ذِكراً ؟ وهل قال أحد: إن أبا بكر لم يسلم ، ولم يتخذ بإسلامه مع الرسول سبيلا ؟ .

وليس هذا التفسير بنكر من تفسيرهم وما يدَّعُونه من علم الباطن كادّعاءهم فى الجِبْتِ والطَّاغُوت (٣) أنهما رجلان، وأن الخمر والميسر رجلان آخران، وأن العنكبوت غير العنكبوت والنحل غير النحل ، فى أشباهٍ كثيرة من سخفهم وجهالاتهم .

---

(١) فى اللسان ١٥/٣٤٢ « بنو غنم : قبيلة من تغلب ، وهو غنم بن تغلب بن وائل » .

(٢) سورة الفرقان ٢٨ وانظر البحر المحيط ٦/٤٩٥ واللسان ١٧/١٠٢ والطبرى ١٩/٦ وتفسير ابن كثير ٣/٣١٧ والكشاف ٣/٩٥ .

(٣) قال تعالى فى سورة النساء ٥١ : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت » وانظر اختلاف العلماء فى تفسيرهما فى الطبرى ٢٥/٨٣–٨٤ .

وقال ابن عباس فى تفسير هذه الآية : إنّ عُقْبةَ بن أبى مُعَيْط صنع طعاماً ودعا أشراف أهل مكة فكان رسول الله صلى الله عليه فيهم ، فامتنع من أن يطعم أو يَشْهَدَ عُقبةُ بشهادة الحقِّ ، ففعل ذلك ، فأتاه أُبَىّ بن خَلَف ، وكان خليله ، فقال : صَبَأْتَ ؟ فقال : لا ولكن دخل علىّ رجلٌ من قريش فاستحييت من أن يخرج من منزلى ولم يَطْعَم . فقال : ما كنت لِأَرضَى حتى تبصق فى وجهه وتفعل به وتفعل ، ففعل ذلك ، فأنزل الله هذه الآية عامة ، وهذان الرجلان سبب نزولها .

كما أنه قد كانت الآية ، والآى تنزل فى القصة تقع : وهى لجماعة الناس .

والمفسرون على أن هذه الآية نزلت فى هذين الرجلين ، وإنما يختلفون فى ألفاظ القصة .

فأراد الله سبحانه بـ « الظالم » كل ظالم فى العالم ، وأراد بـ « فلان » كل من أُطِيعَ بمعصية الله وأُرْضِىَ بإسخاطِ الله .

ولو نزلت هذه الآية على تقديرهم فقال : ويَوْمَ يَعَضُّ الظالم ــ قارون وهامَان ، وعقْبَةُ ابن أبى مُعَيْط ، وأُبَىُّ بن خَلَف ، وعُتْبَةُ بن ربيعة ، وشَيْبَة بن أبى ربيعة ، والمغيرة ، وفلان وفلان ، بالأسماء ــ على أيديهم يقولون : ياليتنا لم نتخذ فرعون ، و نُمْرُوذ ، وعقبة بن أبى معيط وأبا جهل ، والأسود ، وفلانا ، وفلانا بالأسماء ــ لطال هنا وكثر وثقل ، ولم يدخل فيه من تأخر بعد نزول القرآن من هذا الصِّنف ، وخرج عن مذاهب العرب بل عن مذاهب الناس جميعا فى كلامهم .

فكان « فلان » كناية عن جماعة هذه الأسماء .

وقد يقول القائل : ماجاءك إلا فلان بن فلان ، يريد أشراف الناس المعروفين/ ، والشاعر [١١٤]
يقول :

* فى لُجّةٍ أَمْسِكْ فُلاناً عنْ فُلِ (١) *

---

(١) هو أبو النجم ، كما فى سيبويه ١/٣٣٣ واللسان ١٤/٤٩/١٧/٢٠١ــ٢٠٢ والصاحبى ١٩٤ ومقاييس اللغة ٤/٤٤٧ .

يريد : أمسك فلانا عن فلان ، ولم يرد رجلين بأعيانهما ، وإنما أراد أنهم فى غمرة الشرّ وضجَّته : فالحَجَزَةُ تقولُ لهذا : أمسك ، ولهذا : كُفَّ .

و« الظالم » دليل على جماعة الظالمين كقوله: ﴿ وَيَقُولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ يريد جماعة الكافرين .

* * *

ومن هذا الباب التعريض، والعرب[1] تستعمله فى كلامها كثيرا ، فتبلغُ إرادتها بوجه هو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح ، ويعيبون الرجل إذا كان يُكاشف فى كل شىء ويقولون :

* لاَ يُحْسِنُ التَّعْرِيضَ إلاَّ ثَلْبًا[2] *

وقد جعله الله فى خِطبةِ النساء فى عدّتهنّ جائزا فقال : ﴿ وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ ﴾[3] . ولم يجز التصريح .

والتعريض فى الخِطْبة : أن يقول الرجل للمرأة : والله إنك لجميلة ، ولعل الله أن يرزقك بَعْلاً صالحاً ، وإن النساء لَمِنْ حاجتى ، هذا وأشباهه من الكلام .

ورَوَى بعض أصحاب اللغة أن قوما من الأعراب خرجوا يَمْتَارُونَ فلما صدرُوا خالف رجل فى بعض الليل إلى عِكْمِ[4] صاحبه فأخذ منه بُرًّا وجعله فى عِكْمِهِ ، فلما أراد الرحلة قاما يَتعاَ كمان فرأى عكمَه يَشُولُ وعكمَ صاحبه يثقل ، فأنشأ يقول:

لَمْ أَرَ عِكْماً سَارِقاً قبل اليومْ   عِكْمٌ تَغَشَّى بَعْضَ أَعْكَامِ القَوْمْ[5]

فخوّن صاحبه بوجه هو ألطف من التصريح .

---

(١) من هنا إلى قوله: « لم أر عكما سارقا قبل اليوم » نقله الثعالبى فى كتاب الكنايات ص٥٦–٥٧ ،

(٢) الرجز فى اللسان ٢٣٤/١ غير منسوب .

(٣) سورة البقرة ٢٣٥ واللسان ٤٦/٩ .

(٤) فى اللسان ٣٠٩/١٥ « والعكم : العدل مادام فيه المتاع، والعكمان : عدلان يشدان على جانبى الهودج ... ومن أمثالهم قولهم : كعكمى العير ، يقال للرجلين يتساويان فى الشرف » .

(٥) فى الكنايات للثعالبى : « عكم تعشى » وهو تحريف .

ورُوِى فى بعض الحديث: أن رجلا(١) كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه من مَغْزًى كان فيه:

ألا أبلغ أبا حَفصٍ رَسُولاً فِدًى لك ـ من أخى ثقةٍ ـ إزَارِى (٢)
قلائصنا هَدَاكَ اللهُ إنا شُغِلْنَا عنكم زَمَنَ الحِصَارِ (٣)
فما قُلُصٌ وُجِدْنَ مُعقَّلاتٍ قفا سَلْعٍ بِمُخْتَلَفِ النِّجَارِ (٤) [١١٥]
يُعَقِّلُهُنَّ جَعْــدٌ شَيْظَمِىٌّ وبئس مُعقِّلُ الذَّوْدِ الظُّؤَّارِ (٥)

قال أبو محمد:

وقد ذكرتُ الحديث والتفسير وطريقَه فى كتاب «غريب الحديث».

(١) هذا الرجل هو: أبو المنهال بقيلة الأكبر الأشجعى، وسبب كتابته بهذا الشعر إلى عمر أنه بلغه وهو فى غزاة له أن جعدة بن عبد الله السلمى والى مدينتهم، كان يخرج النساء إلى سلع عند خروج أزواجهن إلى الغزو، فيعقلهن، ويأمرهن بالمشى ويقول: لايمشى فى العقال إلا الحصان، فربما وقعت فتكشف فيبتهج بذلك جعدة لأنه كان غزلا صاحب نساء، وأبيات بقيلة فى المؤتلف والمختلف للآمدى ص ٦٣ واللسان ٥/٧٥، ٨/٣٥٠.

(٢) أبو حفص: كنية عمر بن الخطاب. والإزار هنا كناية عن النفس والأهل.

(٣) كنى بالقلائص عن النساء، ونصبها على الإغراء، وهى فى الأصل جمع قلوص، وهى الناقة الشابة.

(٤) المعقلة: المشدودة بالعقال، والتشديد فيه للتكثير. ورواية الآمدى فى المؤتلف والمختلف «لمن قلص تركن معقلات» وفى اللسان ١٣/٤٨٦ «يعنى نساء معقلات لأزواجهن، كما تعقل النوق عند الضراب، وفى اللسان ٥/٧٥ بعد هذا البيت:

قلائص من بنى كعب بن عمرو وأسلم أو جهينة أو غفار
يعقلهن جعــدة من سليم غوى يبتغى سقط العذارى

(٥) رواية صدر البيت هنا كروايته فى اللسان ٦/١٨٨، ٨/٣٥٠، ١٣/٤٨٦، ١٥/٢١٥ وفى المؤتلف والمختلف ص ٦٣ واللسان ٥/٧٥ «أبيض شيظمى» ورواية العجز فيهما فى الموضعين الأخيرين: «معقل الذود الخيار» والشيظمى: الطويل الجسم الفتى، والذود: القطيع من الإبل وقد اختلف فى تحديد عدده. والظؤار كفعال ـ بالضم جمع ظئر، وهو من الجموع العزيزة، والظئر العاطفة على غير ولدها المرضعة له، من الناس والإبل، الذكر والأنثى فى ذلك سواء. وجاء فى اللسان ١٣/٤٨٦ «أراد أنه يتعرض لهن، فكنى بالعقل عن الجماع، أى أن أزواجهن يعقلونهن، وهو يعقلهن أيضا، كأن البدء للأزواج والإعادة له».

وإنما كَنَى بالقُلُص ، وهى النُّوق الشَّوابُّ، عن النساء ، وعرَّضَ برجل يقال له : جَعْدة كان يخالِفُ إلى المُغيَّبات من النساء ، ففهم عمر رضى الله عنه ما أراد وجلد جَعْدَةَ ونفاه (١) .

وقال عنترة :

يا شَاةَ ما قَنَصٍ لمن حَلَّتْ لهُ   حَرُمَتْ علىَّ ولَيْتَهَا لم تَحْرُمِ (٢)

يُعرِّض بجارية، يقول : أىُّ صَيْدٍ أنت لمن حَلَّ له أن يَصِيدَكِ فأمَّا أنا فإنَّ حُرْمَةَ الجِوَار قد حَرَّمَتْك علىَّ .

***

وقد جاء فى القرآن التعريض، فمن ذلك ماخبّر الله سبحانه به من نبإ الخصم ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُد ففزِعَ مِنْهُمْ ، قَالُوا : لاَ تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا على بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ ﴾ (٣) . ثم قال : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِى لَهُ تِسْعٌ وتِسْعُونَ نَعجَةً وَلِى نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وعَزَّنِى فِى الخِطَابِ ﴾ (٤) .

إنما هو مثل ضربه الله سبحانه له ونبهه على خطيئته به .

---

(١) نقل هذه القصة ابن رشيق فى العمدة ١/٢٨١ـ٨٢ وصدرها بقوله : وروى ابن قتيبة. وفى اللسان ٥/٧٥ « فلما وقف عمر على الأبيات عزله ، وسأله عن ذلك الأمر ، فاعترف ، فجلده مائة معقولا ، وأطرده إلى الشام ، ثم سئل فيه فأخرجه من الشام ، ولم يأذن له فى دخول المدينة ، ثم سئل فيه أن يدخل ليجمع ، فكان إذا رآه عمر توعده ، فقال :

أكلَّ الدهر جعدة مستحق   أبا حفص لشتم أو وعيد

فما أنا بالبرئ براه عذر   ولا بالخالع الرسن الشرود

(٢) البيت من معلقته ، فى شرح القصائد العشر ص ٢٠٠ قال التبريزى : « قوله : «ياشاة» كناية عن المرأة ، وأراد : ياشاة قنص ، أى صيد . وقوله : لمن حلت له ، أى لمن قدر عليها . وقوله : حرمت على ، معناه هى من قوم أعداء ، واحتج من قال ذلك بقوله « علقتها عرضا وأقتل قومها » والمعنى على هذا أنها لما كانت فى أعدائى لم أصل إليها ، وامتنعت منى ، وأصل الحرام : الممنوع : وقال الأخفش : معنى « حرمت على » أى هى جارتى وليتها لم تحرم ، أى ليتها لم تكن لى جارة حتى لا تكون لها حرمة ، وقيل إنما كانت امرأة أبيه » والبيت له فى شرح شواهد المغنى ص ٢٥٢ ومجمع البيان ١/٥٢٦ والعمدة ١/٢٨١ .

(٣) سورة ص ٢٢ .

(٤) سورة ص ٢٣ .

ووَرّى عن النساء بذكر النِّعاج ، كما كنى الشاعر عن جارية بشاةٍ ، وكنى الآخر عن النساء بالقُلُص .

وروَى المِنْهَال عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس فى قول الله سبحانه حكاية عن موسى صلى الله عليه : ﴿ لاَ تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ ﴾[١] : لم ينس ولكنها من مَعاريض الكلام[٢] .

أراد ابن عباس أنه لم يقل : إنى نسيت فيكون كاذباً ، ولكنه قال : لا تؤاخذنى بما نسيت، فأوهمه النسيان[٣] ، ولم ينس ولم يكذب .

ولهذا قيل : إن فى المعاريض عن الكذب لَمَنْدُوحة[٤] .

ومنه قول ابراهيم صلى الله عليه: ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾[٥] أى سأسقم لأن من كتِب عليه الموتُ، فلا بد من أن يَسْقم .

ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾[٦] أى: ستموت ويموتون .

فأَوْهَمهم إبراهيم بمعاريض الكلام أنه سقيم عليل ، ولم يكن عليلا سقيما ولا كاذبا .

وكذلك ما رُوِى فى الحديث من قوله حين خاف على نفسه وامرأته : «إنها أختى» لأن بنى آدم يرجعون / إلى أبوين فهم إخوة ، ولأن المؤمنين إخوة ، قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[٧] . [١١٦]

---

(١) سورة الكهف ٧٣ .

(٢) فى الطبرى ١٥/ ١٨٤ « عن سعيد بن جبير ، عن أبى بن كعب الأنصارى فى قوله : «لا تؤاخذنى بما نسيت » قال : لم ينس ، ولكنها من معاريض الكلام ... عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : «لا تؤاخذنى بما نسيت» أى بما تركت من عهدك » .

(٣) نقل هذا الثعالبي فى الكنايات ، ولم ينسبه للمؤلف .

(٤) فى اللسان ٩/ ٤٥ « والتعريض : خلاف التصريح ، والمعاريض : التوريه بالشىء عن الشىء ، وفى المثل ، وهو حديث مخرج عن عمران بن حصين ، مرفوع : إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب ، أى سعة المعاريض ، جمع معراض من التعريض وفى حديث عمر : أما فى المعاريض مايغنى المسلم عن الكذب ، وفى حديث ابن عباس : ماأحب بمعاريض الكلام حمر النعم » .

(٥) سورة الصافات ٨٩ .

(٦) سورة الزمر ٣٠ .

(٧) سورة الحجرات ١٠ .

وكذلك قوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْئَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ (١) .

أراد : بل فعله الكبير إن كانوا ينطقون فسلوهم ، فجعل النطق شرطا للفعل ، أى إن كانوا ينطقون فقد فعله ، وهو لا يعقل ولا ينطق .

وقد رُوِىَ عن النبى صلى الله عليه وسلم أنّ إبراهيم كَذَبَ ثلاث كَذَبات ما منها واحدة إلا وهو يُمَاحِل بها عن الإسلام (٢) ، فسمّاها كَذَبات لأنها شاكَهت (٣) الكذب وضارَعَتْه .

ولذلك قال بعض أهل السلف لابنه : « يا بنى لا تكذبن ولا تشبّهنّ بالكذب » . فنهاه عن المعاريض لئلا يجرى على اعتيادها فيتجاوزها إلى الكذب، وأحَبّ أن يكون حاجزاً من الحلال بينه وبين الحرام .

***

ومن هذا الباب قول الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٤) . والمعنى: إنّا لضالّون أو مهتدون ، وإنكم أيضا لضالون أو مهتدون ، وهو جل وعز يعلم أن رسولَهُ المُهْتَدِى وأن مُخَالِفَهُ الضالّ، وهذا كما تقول للرّجل يُكذبك ويخالفك: إنّ أحدنا لكاذب ، وأنت تعنيه، فكذّبْته من وجهٍ هو أحسن من التصريح ، كذلك قال الفرّاء (٥) .

***

(١) سورة الأنبياء ٦٣ .

(٢) فى اللسان ١٤١/١٤ « وفى حديث الشفاعة : إن إبراهيم يقول ، لست هنا كم ، أنا الذى كذبت ثلاث كذبات . قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : «والله مافيها كذبة إلا وهو يماحل بها عن الإسلام ، أى يدافع ويحاول ، من المحال ـ بالكسر ـ وهو الكيد وقيل المكر » .

(٣) فى اللسان ٤٠٢/١٧ « شاكهه الشىء مشاكهة وشكاها : شابهه وشاكله ووافقه وقاربه » .

(٤) سورة سبأ ٢٤ .

(٥) راجع اختلاف أهل العربية فى وجه دخول أو فى هذا الموضع فى تفسير الطبرى ٦٥/٢٢ .

وأما قوله سبحانه : ﴿ فإنْ كُنْتَ فى شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾[١] ففيه تأويلان :

أحدهما أن تكون المخاطبة لرسول الله صلى الله عليه والمُراد غيره من الشُّكَّاك ؛ لأَنَّ القرآن نزل عليه بمذاهب العرب كلهم ، وهم قد يُخَاطِبون الرَّجل بالشيء ويريدون غيره ، ولذلك يقول مُتَمَثِّلُهُمْ : إيَّاكِ أعنى واسمعى ياجارة[٢] .

ومثله قوله : ﴿ يا أَيُّهَا النَّبِىُّ اتقِ اللهَ وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾[٣] .

الخطاب للنبى صلى الله عليه والمراد بالوصية والعِظة المؤمنون ، يدلك على ذلك أنه قال : ﴿ وَاتَّبِعْ ما يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللهَ كانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾[٤] . ولم يقل بما تعمل خبيرا .

ومثل هذه الآية / قوله : ﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ؟ ﴾[٥] ، أى سل من أرسلنا إليه من قبلك رُسلا من رسلنا ، يعنى

---

(١) سورة يونس ٩٤ وقال الطبرى ١١/١١٥ : « يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ، صلى الله عليه : فإن كنت يامحمد فى شك من حقيقة ماأخبرناك وأنزل إليك من أن بنى إسرائيل لم يختلفوا فى نبوتك قبل أن تبعث رسولا إلى خلقه ، لأنهم يجدونك عندهم مكتوبا ، ويعرفونك بالصفة التى أنت بها موصوف فى كتابهم فى التوراة والإنجيل فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك من أهل التوراة والإنجيل ، كعبد الله بن سلام ونحوه من أهل الصدق والإيمان بك منهم ، دون أهل الكذب والكفر بك منهم » وقال فى ص ١١٦ « لم يكن صلى الله عليه وسلم شاكا فى حقيقة خبر الله وصحته ، والله بذلك من أمره كان عالما ، ولكنه خاطبه خطاب قومه بعضهم بعضا ؛ إذ كان القرآن بلسانهم نزل » .

(٢) مثل يضرب لمن يتكلم بكلام ويريد به شيئا غيره ؛ وهو فى مجمع الأمثال ١/٥٠ـ٥١ وجمهرة الأمثال ص ٧ .

(٣) سورة الأحزاب ١ .

(٤) سورة الأحزاب ٢ .

(٥) سورة الزخرف ٤٥ وتفسير الطبرى ٢٥/٤٦ـ٤٧ وانظر أمالى المرتضى ٣/١٦٥ـ١٦٨ فقد أدار المجلس السادس والخمسين منها على تأويل هذه الآية بعد أن تملأ من كلام ابن قتيبة هنا ، ثم انتقده .

أهل الكتاب ، فالخطاب للنبي صلى الله عليه والمراد المشركون .

ومثل هذا قول الكُمَيْت فى مدح رسول الله صلى الله عليه :

إلى السّراج المُنيرِ أحمدَ لا ... يَعْدِلُنى رَغْبةٌ ولا رَهَبُ(١)

عنه إلى غيرِهِ ولو رفعَ النـ ... ـاسُ إلىَّ العيونَ وارْتقَبُوا

وقيل : أفرطتَ ، بل قصدتُ ولو ... عَنّفنى القائلون أوْ ثلبُوا(٢)

لجَّ بتفضيلكَ اللِّسانُ ولو ... أُكْثِرَ فيك اللَّجاجُ واللَّجَبُ

أنت المُصفّى المَحْضُ المُهذّبُ فى النّسْـ ... ـبةِ إن نصَّ قومَكَ النَّسَبُ(٣)

فالخطاب للنبي صلى الله عليه ، والمراد أهل بيته ، فورّى عن ذكرهم به ، وأراد بالعائبين واللائمين بنى أمية .

وليس يجوز أن يكون هذا للنبي صلى الله عليه ؛ لأنّه ليس أحد من المسلمين يَسوءه مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يُعنِّفُ قائلا عليه ، ومن ذا يُساوَى به ويُفَضَّل عليه حتى يكثر فى مدحه الضّجاج واللَّجَب(٤) ؟ وإن الشعراء ليمدحون الرجل من أوساط الناس

(١) قال المرتضى ٣/١٦٧ « وقد رد على ابن قتيبة هذا الجواب ، وقيل : إنه أخطأ فى الإعراب ؛ لأن لفظة « إليه » لايصح إضمارها فى مثل هذا الموضع ، لأنهم لايجوزون : « الذى جلست عبد الله » على معنى : الذى جلست إليه عبد الله ، لأن « إليه » حرف منفصل عن الفعل ، والمنفصل لايضمر ، فلما كان القائل إذا قال : « الذى أكرمت إياه عبد الله » ولم يجز أن يضمر إياه لانفصاله من الفعل — كانت لفظة إليه بمنزلته . وكذلك لايجوز : « الذى رغبت محمد » بمعنى الذى رغبت فيه محمد ، لأن الإضمار إنما يحسن فى الهاء المتعلقة بالفعل ، كقولهم : « الذى أكلت طعامك ، والذى صديقك » معناهما : الذى أكلته ولقيته . وقال الفراء : إنما حذفت الهاء لدلالة الذى عليها . وقال غيره فى حذفها غير ذلك . وكل هذا ليس مما تقدم فى شىء ، فصح ان جواب ابن قتيبة مستضعف ، والمعتمد ماتقدم » .

(٢) الهاشميات ص ٥٨—٥٩ وأمالى المرتضى ٣/١٦٦ وشرح شواهد الشافية ص ٣١١ وتفسير الطبرى ١/٣٨٣—٣٨٤ والعمدة ٢/١٣٥—١٣٦ ومجمع البيان ١/١٨٢ والموازنة ص ٤٠ .

(٣) بعد هذا البيت فى الهاشميات والعمدة :

« إليك ياخير من تضمنت الـ * أرض وإن عاب قولى العيب

وهذا البيت فى الموشح ص ١٩٨ مما أنكر على الكميت « فلا يعيب قوله فى وصف النبي صلى الله عليه وسلم إلا كافر بالله أو مشرك » .

(٤) قارن تعليق المؤلف على الأبيات بتعليق المرتضى عليها ٣/١٦٦ .

فيُفْرِطون ويفرِّطون فيغلون وما يرفع الناسُ إليهم العيُون ولا يرتقبون ، فكيف يُلامُ هذا على الاقتصاد فى مدح مَنِ الإفراطُ فى مدحه غير تفريط ، ولكنه أراد أهل بيته .

***

والتأويل الآخر أنّ الناس كانوا فى عصر النبي صلى الله عليه أصنافا: منهم كافرٌ به مُكذِّب ، لا يرى إلا أن ما جاء به الباطل .

وآخر مؤمن به مُصَدِّقٌ يعلم أن ما جاء به الحق .

وشاكٌ فى الأمر لا يدرى كيف هو ، فهو يُقدِّم رجلا ويؤخّر أخرى .

فخاطَبَ الله سبحانه هذا الصِّنْف من الناس فقال : فإن كنت أيها الإنسان فى شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان محمد صلى الله عليه/ [١١٨] فسل الأكابر من أهل الكتاب والعلماء الذين يقرءون الكتاب من قَبْلك ، مثل : عبد الله ابن سلّام ، وسَلْمانَ الفارسى ، وتميم الدّارِي وأشباههم[(١)] ، ولم يرد المعاندين منهم فيشهدون على صدقه ويُخبرونَك بنبوّته وما قدّمه اللهُ فى الكتب من ذكره فقال : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ ، وهو يريد غير النبي صلى الله عليه ؛ كما قال فى موضع آخر : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾[(٢)] . ووحّد وهو يريد الجمع، كما قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ ﴾[(٣)] . و ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ ﴾[(٤)] . وقال : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ ﴾[(٥)] .

ولم يُرِد فى جميع هذا إنسانا بعينه ، إنما هو لجماعة الناس . ومثلُه قول الشاعر :

إذا كنتَ مُتَّخِذاً صاحِباً   فلا تصحبَنَّ فتًى دارِميًّا

---

(١) انظر أمالى المرتضى ٣/١٦٦ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠ .

(٣) سورة الانفطار ٦ وتفسير الطبرى ٣٠/٥٥ .

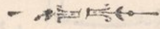
(٤) سورة الانشقاق ٦ وتفسير الطبرى ٣٠/٧٣ .

(٥) سورة الزمر ٨ وتفسير الطبرى ٢٣/١٢٧ .

لم يرد بالخطاب رجلا بعينه ؛ إنما أراد من كان مُتَّخِذًا صاحباً فلا يجعله من دارم .

وهذا وإن كان جائزاً حسناً فإنّ المذهب الأول أعجب إلىّ ؛ لأنّ الكلام اتصل حتى قال : ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النّاسَ حَتّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

وهذا لا يجوز أن يكون إلا لرسول الله صلى الله عليه .



(١) سورة يونس ٩٩ وقال الطبرى فى تفسيره ١١/١١٦ : « يقول : فلا تكونن من الشاكين فى صحة ذلك وحقيقته . ولو قال قائل : إن هذه الآية خوطب بها النبى ، صلى الله عليه وسلم ، والمراد بها بعض من لم يكن صحت بصيرته بنبوته ، ممن كان قد أظهر الإيمان بلسانه ، تنبيها له على موضع تعرف حقيقة أمره الذى يزيل اللبس عن قلبه ، كما قال جل ثناؤه : « يأيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما » ـ كان قولا غير مدفوعة صحته » .

باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه

من ذلك الدعاء على جهة الذم لا يراد به الوقوع ، كقول الله عز وجل : ﴿ قُتِلَ الخَرَّاصُونَ ﴾[1] ، و﴿ قُتِلَ الإنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾[2] ، و﴿ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[3] وأشباه ذلك[4] .

---

(١) سورة الذاريات ١٠ فى الطبرى ٢٦/١١٩ « وقال ابن زيد فى قوله : « قتل الخراصون » : قال : القوم الذين كانوا يتخرصون الكذب على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قالت طائفة : إنما هو ساحر والذى جاء به السحر ، وقالت طائفة : إنما هو شاعر والذى جاء به شعر وقالت طائفة : إنما هو كاهن والذى جاء به كهانة ، وقالت طائفة : أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ؛ يتخرصون على رسول الله » .

(٢) سورة عبس ١٧ وفى الطبرى ٣٠/٣٥ « وفى قوله : « أكفره » وجهان : أحدهما : التعجب من كفره مع إحسان الله إليه وأياديه عنده ، والآخر : ما الذى أكفره ؟ أى أى شىء أكفره ؟ »

(٣) سورة التوبة ٣٠ وفى الطبرى ١٠/٨٠ « عن ابن عباس : يقول : لعنهم الله ، وكل شىء قتل فى القرآن فهو لعن ، وقال ابن جريج : قاتلهم الله ، يعنى النصارى . كلمة من كلام العرب . وأما أهل المعرفة بكلام العرب فإنهم يقولون : معناه : قتلهم الله ... قالوا : ومعنى قوله : قاتلهم الله ، كقوله : قتل الخراصون ، وقتل أصحاب الأخدود — واحد ، وهو بمعنى التعجب . فإن كان الذى قالوا كما قالوا ، فهو من نادر الكلام الذى جاء على غير القياس .. » .

(٤) نقل هذا الكلام أحمد بن فارس فى كتاب الصاحبى ص ١٦٩ ثم قال : « لا يجوز لأحد أن يطلق فيما ذكره الله ، أنه دعاء لا يراد به الوقوع ، بل هو دعاء عليهم أراد الله وقوعه بهم فكان كما أراد ؛ لأنهم قتلوا وأهلكوا وقوتلوا ولعنوا ، وما كان الله ليدعو على أحد فتحيد الدعوة عنه . قال : « تبت يدا أبى لهب » فدعا عليه ثم قال : « وتب » أى وقد تب وحاق به التباب . وابن قتيبة يطلق إطلاقات منكرة ، ويروى أشياء شنعة ، كالذى رواه عن الشعبى : أن أبا بكر وعمر وعليا توفوا ولم يجمعوا القرآن قال : وروى شريك عن إسماعيل بن أبى خالد قال : سمعت الشعبى يقول ويحلف بالله : لقد دخل على حفرته وما حفظ القرآن . وهذا كلام شنع جدا فيمن يقول : « سلونى قبل أن تفقدونى ، سلونى فما من آية إلا أعلم أبليل نزلت أم بنهار ، أم فى سهل أم فى جبل » وروى السدى ، عن عبد خير ، عن على رضى الله تعالى عنه : أنه رأى من الناس طيرة عند وفاة رسول الله ، صلى الله تعالى عليه وسلم ، فأقسم ألا يضع على ظهره رداء حتى يجمع القرآن . قال : فجلس فى بيته حتى جمع القرآن ، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن ، جمعه من =

ومنه قول رسول الله صلى الله عليه للمرأة : « عَقْرَى حَلْقَى »(١) ، أى عقرها الله ، وأصابها بوجع فى حلقها .

وقد يراد بهذا أيضا التعجب من إصابة الرجل فى منطقه، أو فى شعره ، أو رميه ، فيقال :
قاتله الله ما أحسن ما قال / ، وأخزاه الله ما أشعره ، ولله درّه ما أحسن ما احتج به . [١١٩]

ومن هذا قول امرئ القيس فى وصف رامٍ أصاب :

فهو لا تَنْمِى رَمِيَّتُهُ ... مَالَهُ لا عُدّ مِنْ نَفَرِهْ(٢)

يقول : إذا عُدَّ نفرُه، أى قومه ، لم يُعدّ معهم، كأنه قال : قاتله الله ، أماته الله .

وكذلك قولهم : هَوَتْ أمه ، وهَبِلَتْه ، وثكلته . قال كعب بن سعد الغَنَوِى :

هَوَتْ أُمُّهُ ما يَبْعَثُ الصُّبْحُ غادِيا ... وما يُؤَدِّى اللَّيلُ حِينَ يَؤُوبُ(٣)

= قلبه ، وكان عند آل جعفر ، وحدثنا على بن إبراهيم ، عن على بن عبد العزيز ، قال: قال أبو عبيد : حدثنى نصر بن باب ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن أبى عبدالرحمن السلمى ، أنه قال : مارأيت أحدا أقرأ من على ، صلوات الله عليه ، صلينا خلفه فأسوأ برزخاً ثم رجع فقرأه ، ثم عاد إلى مكانه . قال أبو عبيد : البرزخ مابين كل شيئين ، ومنه قيل للميت هو فى البرزخ ، لأنه بين الدنيا والآخرة ، فأراد أبو عبد الرحمن بالبرزخ مابين الموضع الذى أسقط على ـ صلوات الله عليه ، منه ذلك الحرف ، إلى الموضع الذى كان انتهى إليه »!.

(١) فى اللسان ١١/ ٣٤٥ « وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لصفية بنت حيي حين قيل له يوم النفر : إنها نفساء أو حاضت ، فقال : « عقرى حلق ، ماأراها إلا حابستنا » معناه : عقر الله جسدها وحلقها أى اصابها بوجع فى حلقها ، كما يقال : رأسه وعضده وصدره : إذا أصاب رأسه وعضده وصدره قال الأزهرى : وأصله عقرا حلقا ، وأصحاب الحديث يقولون : عقرى حلقى بوزن غضبى حيث هو جار على المؤنث ، والمعروف فى اللغة التنوين على أنه مصدر فعل متروك اللفظ تقديره : عقرها الله عقرا وحلقها الله حلقا » .

(٢) ديوانه ص ٦١ واللسان ٧/ ٤٨ وفى ٢٠/ ٢١٧ « وأنميت الصيد فنمى ينمى ، وذلك أن ترميه فتصيبه ويذهب عنك فيموت بعد مايغيب ، ونمى هو ، قال امرؤ القيس : فهو الخ » وقد ذكره ابن قتيبة فى المعانى الكبير ٢/ ٧٧٦ ، ٨٣٦ وقال فى الموضع الأول : « يقول : لاتجوز الموضع الذى رماها فيه حتى تموت ، وقوله : « لاعد من نفره » يدعو عليه بالموت ، يقول : إذا عد أهله لم يعد معهم . ولم يرد وقوع الفعل ، ولكنه كما يقال : قاتله الله » .

(٣) الأمالى ٢/ ١٥٠ وجمهرة أشعار العرب ص ١٣٣ والأصمعيات ص ١٣ والصاحبى ١٦٩ والبحر المحيط ٨/ ١٦٩ واللسان ٢٠/ ٢٥٠ « ومعنى هوت أمه أى هلكت أمه » .

ومن ذلك الجزاء عن الفعل بمثل لفظه والمعنيان مختلفان ، نحو قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ، اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾(١) ، أى يجازيهم جزاء الاستهزاء . وكذلك: ﴿ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ ﴾(٢) ، ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ ﴾(٣)، ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾(٤) ، هى من المبتدئ سيئة ، ومن الله جل وعز جزاء . وقوله : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾(٥). فالعدوان الأول ظلم، والثانى جزاء، والجزاء لا يكون ظلما ، وإن كان لفظه كلفظ الأول .

ومنه قول النبى صلى الله عليه : « اللهم إنَّ فُلاناً هَجَانى ، وهو يعلم أنى لست بشاعر ، اللهم والْعَنْهُ عددَ ما هجانى ، أو مكان ما هجانى »(٦) ، أى جازه جزاء الهجاء .

وكذلك قوله : ﴿ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾(٧) .

***

ومنه أن يأتى الكلام على مذهب الاستفهام وهو تقرير ، كقوله سبحانه : ﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾(٨)، ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾(٩) و ﴿ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾(١٠) ، و ﴿ قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمٰنِ ﴾(١١) .

---

(١) سورة البقرة ١٤ ، ١٥ .
(٢) سورة التوبة ٧٩ .
(٣) سورة آل عمران ٥٤ .
(٤) سورة الشورى ٤٠ .
(٥) سورة البقرة ١٩٤ .
(٦) فى اللسان ٢٠/٢٢٨ « قال ابن الأثير : وفى الحديث : اللهم إن عمرو بن العاص هجانى ، وهو يعلم أنى لست بشاعر الخ » وانظر النهاية لابن الأثير ٤/٢٥٢ .
(٧) سورة التوبة ٦٧ .
(٨) سورة المائدة ١١٦ .
(٩) سورة طه ١٧ .
(١٠) سورة القصص ٦٥ .
(١١) سورة الأنبياء ٤٢ .

ومنه أن يأتى على مذهب الاستفهام وهو تعجب ، كقوله : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ ﴾(١) ، كأنّه قال : عمَّ يتساءلون يا محمد ؟ ثم قال: عن النبإ العظيم يتساءلون . وقوله : ﴿ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴾ على التعجب ، ثم قال : ﴿ لِيَوْمِ الفَصْلِ ﴾(٢) أُجِّلت .

***

وأن يأتى على مذهب الاستفهام وهو توبيخ ، كقوله : ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرانَ مِنَ العَالَمِينَ ﴾(٣) .

***

ومنه أن يأتى الكلام على لفظ الأمر وهو تهديد ، كقوله : ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾(٤) .

***

[١٢٠] وأن يأتى على لفظ الأمر وهو تأديب / ، كقوله : ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾(٥) ، ﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فى المَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾(٦) .

***

وعلى لفظ الأمر وهو إباحة ، كقوله : ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾(٧) ، ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فى الْأَرْضِ ﴾(٨) .

***

---

(١) سوره النبأ ١ .

(٢) سورة المرسلات ١٢ ، ١٣ .

(٣) سورة الشعراء ١٦٥ .

(٤) سورة فصلت ٤٠ .

(٥) سورة الطلاق ٢ .

(٦) سورة النساء ٣٤ .

(٧) سورة النور ٣٣ .

(٨) سورة الجمعة ١٠ .

وعلى لفظ الأمر وهو فرض ، كقوله : ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ ﴾[١] ، و ﴿ أَقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾ و ﴿ آتُوا الزَّكَاةَ ﴾[٢] .

* * *

ومنه عامٌّ يُرادُ به خاص ، كقوله سبحانه حكاية عن النبي صلى الله عليه : ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[٣] . وحكاية عن موسى : ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٤] ، ولم يرد كل المسلمين والمؤمنين ؛ لأن الأنبياء قبلهما كانوا مؤمنين ومسلمين ، وإنما أراد مؤمني زمانه ومسلميه .

وكقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[٥] ولم يصطفهم على محمد صلى الله عليه ، ولا أُمَمَهُمْ على أُمَّته ، ألا تراه يقول : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[٦] ، وإنما أراد عالمي أزمنتهم . وكقوله سبحانه : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ﴾[٧] ، وإنما قاله فريق من الأعراب . وقوله : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾[٨] ، ولم يرد كل الشعراء .

ومنه قوله سبحانه: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾[٩] وإنما قاله نُعَيْمُ بنُ مسعودٍ لأصحاب محمد صلى الله عليه ﴿ إِنَّ النَّاسَ قد جمعوا لكم ﴾ ، يعني أبا سفيان ، وعُيَيْنَةَ بن حِصْن ، ومالك بن عوف .

وقوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[١٠] ، يريد المؤمنين منهم ، يدلك

---

(١) سوره البقرة ٢٨٢ .
(٢) سورة البقرة ٤٣ وغيرها .
(٣) سورة آل عمران ١٦٣ .
(٤) سورة الأعراف ١٤٣ .
(٥) سورة آل عمران ٣٣ .
(٦) سورة آل عمران ١١٠ .
(٧) سورة الحجرات ١٤ .
(٨) سورة الشعراء ٢٢٤ .
(٩) سورة آل عمران ١٧٣ وتفسير الطبرى ٤/١١٨–١٢١ .
(١٠) سورة الذاريات ٥٦ .

على ذلك قوله فى موضع آخر : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ ﴾[١] ، أى خلقنا .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً ﴾[٢] ، يريد النبى صلى الله عليه وحده .

* * *

ومنه جمع يُرادُ به واحدٌ واثنان ، كقوله : ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] واحد واثنان فما فوق .

وقال قتادة فى قوله تعالى : ﴿ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً ﴾[٤] ـ: كان رجل من القوم لايمالئهم على أقاويلهم فى النبى صلى الله عليه، ويسير مجانباً لهم ، فسماه الله طائفة وهو واحد . / [١٢١]

وكان قتادة يقول فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ﴾[٥] : هو رجل واحد ناداه : يامحمد إِنّ مَدْحِى زَيْنٌ ، وإِنّ شتمى شَيْنٌ ، فخرج إليه النبى صلى الله عليه ، فقال : « ويلك ذاك الله جل وعز » ونزلت الآية .

وقوله سبحانه : ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُس ﴾[٦] ، أى أخوان فصاعداً .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ ﴾[٧] ، جاء فى التفسير أنهما لوحان . وقوله : ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾[٨] ، وهما قلبان .

---

(١) سورة الأعراف ١٧٩ .

(٢) سورة المؤمنون ٥١ .

(٣) سورة النور ٢ .

(٤) سورة التوبة ٦٦ .

(٥) سورة الحجرات ٤ .

(٦) سورة النساء ١١ .

(٧) سورة الأعراف ١٥٠ .

(٨) سورة التحريم ٤ .

وقوله : ﴿ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾[(١)] ، يعنى عائشة وصفوان بن المُعطَّل .

وقال : ﴿ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ ، وهو واحد ، يدلك على ذلك قوله « ارْجِعْ إِلَيْهِمْ ﴾[(٢)] .

***

ومنـه واحد يراد به جميع كقوله : ﴿ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴾[(٣)] ، وقوله : ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[(٤)] . وقوله : ﴿ نُخْرِجكم طِفْلًا ﴾[(٥)] .

وقوله : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾[(٦)] والتفريق لايكون إلا بين اثنين فصاعداً .

وقوله : ﴿ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾[(٧)] ، والعرب تقول : فلان كثير الدرهم والدينار ، يريدون الدراهم والدنانير . وقال الشاعر :

هُم المَوْلَى وإن جَنَفُوا علينا ... وإنَّا مِنْ لِقَائِهمُ لَزُورُ[(٨)]

وقال الله عز وجل : ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ ﴾[(٩)] ، أى الأعداء ، ﴿ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾[(١٠)] ، أى رفقاء ؛ وقال الشاعر :

فقلنا أَسْلِمُوا إنَّا أَخُوكُمْ ... وقد بَرِئَت من الإِحَنِ الصُّدُورُ[(١١)]

***

---

(١) سورة النور ٢٦ .

(٢) سورة النمل ٣٥ ، ٣٧ .

(٣) سورة الحجر ٦٨ .

(٤) سورة الشعراء ١٦ .

(٥) سورة الحج ٥ .

(٦) سورة البقرة ٢٨٥ .

(٧) سورة الحاقة ٤٧ .

(٨) فى اللسان ١٠/٣٧٧ « وقول عامر الخصفى : هم المولى ــ البيت ــ قال أبو عبيدة : المولى ههنا : فى موضع الموالى ، أى بنى العم ، كقوله تعالى : « ثم يخرجكم طفلا » والجنف : الميل والجور » .

(٩) سورة المنافقون ٤ .

(١٠) سورة النساء ٦٩ .

(١١) البيت فى اللسان ١٨/٢١ للعباس بن مرداس ، ومجاز القرآن ٤٧ ب ، ٢٦ ، ٣٠ ، ١٥٥ ومجمع البيان ١/٣٦٥ .

ومنه أن تصف الجميع صفة الواحد، نحو قوله: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فاطَّهَّرُوا ﴾[١]. وقوله: ﴿ وَالمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾[٢]. وتقول: قومٌ عَدْل. قال زهير:

متى يَشْتَجِرْ قوم يَقُلْ سَرَوَاتُهم ... هُمُ بَيْنَنا فَهُم رضاً وهُمُ عَدْلُ[٣]

وقال الشاعر:

* إنَّ العواذِلَ ليْسَ لى بأمير[٤] *

وقال آخر:

* المالُ هَدْىٌ والنِّساءُ طَوالِقُ *

* * *

[١٢٢] ومنه[٥] أن يوصف الواحد بالجمع، نحو قولهم: بُرْمَةٌ أَعْشَارٌ[٦] / وثوب أَهْدَامٌ[٧] وأَسْمالٌ[٨]، ونَعلٌ أَسْماطٌ[٩]، أى غير مُطْبَقَة.

---

(١) سورة المائدة ٦.

(٢) سورة التحريم ٤.

(٣) ديوانه ص ١٠٧ « يشتجر: من المشاجرة، وهى الخصومة، وسرواتهم: أشرافهم، وهم بيننا أى الحا كمون بيننا. ومعنى البيت: أنه إذا اختلف قوم فى أمر رضوا بحكم هؤلاء لما عرف من عدلهم وصحة حكمهم » والبيت فى الصاحبى ١٨١ والأضداد للسجستانى ص ٧٥.

(٤) البيت غير منسوب فى اللسان ٦/١٩٨ والطبرى ١٩/٣٤ وصدره:

* ياعاذلاتى لاتزدن ملامتى *

وفيهما: « إن العواذل لسن لى » وفى الطبرى « لاتردن ملامتى » وهو فى مجاز القرآن ص ١٥٥ وفيه: « بأمين ».

(٥) نقله أحمد بن فارس فى الصاحبى ص ١٨١ ولم ينسبه إلى صاحبه!

(٦) فى اللسان ٦/٢٤٩ « أعشار: مكسرة على عشر قطع ».

(٧) فى اللسان ١٦/٨٦ « الأهدام: الأخلاق من الثياب، والهدم ـ بالكسر ـ الثوب الخلق ».

(٨) فى اللسان ١٣/٣٦٧ « قال أبوعبيدة: الأسمال: الأخلاق، الواحد منه سمل، وثوب أخلاق: إذا أخلق، وثوب أسمال، كما يقال: رمح أقصاد، وبرمة أعشار ».

(٩) فى اللسان ٩/١٩٦ « ونعل سميط وأسماط: لارقعة فيها، وقيل: ليست بمخصوفة، والسميط من النعل: الطاق الواحد ولا رقعة فيها ».

قال الشاعر :

* جاءَ الشّتاءُ و قَمِيصِى أَخْلاقْ[١] *

***

ومنه أن يجتمع شيئان ولأحدهما فِعلٌ فيجعل الفعل لهما، كقوله سبحانه : ﴿ فَلمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾[٢] .

رُوِى فى التفسير أنَّ النَّاسِىَ كان يُوشَعَ بن نون ، ويدلّك قوله لموسى صلى الله عليه : ﴿ إنِّى نَسِيتُ الحُوتَ ﴾[٣] .

وقوله : ﴿ يا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُم رُسُلٌ مِنْكُمْ ؟ ﴾[٤] والرسل من الإنس دون الجن .

وقوله : ﴿ مَرجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ ﴾[٥] ثم قال : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللّؤْلُؤُ والمَرْجَانُ ﴾[٦] . واللؤلؤ والمرجان إنما يخرجان من الماء الملح لا من العذب .

وكذلك قــوله : ﴿ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيًّا وتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾[٧] .

وقد غلط فى هذا المعنى أبو ذُؤَيْب الهُذَلىّ ، ولا أدرى أمن جهة هذه الآيات غَلِط أم من غيرها . قال يذكر الدّرّة :

---

(١) غير منسوب فى اللسان ١١/٣١٥ وبعده : « * شراذم يضحك منى التواق * قيل : التواق : اسم ابنه ، ويروى : « النواق » بالنون ؛ وفيه ١١/٣٧٦ ، ١٥/٢١٥ والاقتضاب ص ١٢ وتفسير الطبرى ١٤/١٤ ، ١٩/٤٧ .

(٢) الصاحبى ١٨٥

(٣) سورة الكهف ٦١ .

(٤) سورة الكهف ٦٣ .

(٥) سورة الأنعام ١٣٠ .

(٦) سورة الرحمن ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ .

(٧) سورة فاطر ١٢ .

فجاء بها ما شِئْتَ مِنْ لَطِميَّةٍ يَدُومُ الفُرَاتُ فوقَها ويَموجُ(١)

والفُرَات لا يدوم فوقها وإنما يدوم الأَجاجُ .

***

ومنه(٢) أن يجتمع شيئان فيجعل الفعل لأحدهما أو تنْسبه إلى أحدهما وهو لهما، كقوله : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾(٣) وقوله : ﴿واللهُ وَرَسُولُه أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾(٤) ، وقوله : ﴿اسْتَعِينُوا بالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إلاَّ عَلى الْخَاشِعِين﴾(٥) .

وقال ﴿عَنِ الْيمينِ وعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ﴾(٦) أراد : عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد

وقال الشاعر :

إنَّ شَرْخَ الشَّبابِ والشعرَ الأَسْوَدَ مالم يُعاصَ كان جُنونا(٧)

وقال آخر :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف(٨)

***

(١) ديوانه ص ٥٧ واللسان ١٥/١٠٤ وفيه : « تدوم البحار » ، ١٦/١٧ والوساطة ص ١٣ ومقاييس اللغة ٢/٢٥٦ « يقول : كأن فيها ماء يموج فيها لصفائها وحسنها » والصناعتين ص ٧١ .

(٢) نقله أحمد بن فارس فى الصاحبى ١٨٥ .

(٣) سورة الجمعة ١١ .

(٤) سورة التوبة ٦٢ .

(٥) سورة البقرة ٤٥ .

(٦) سورة ق ١٧ .

(٧) البيت لحسان بن ثابت ، كما فى ديوانه ص ٤١٣ واللسان ٣/٥٠٧ وأمالى ابن الشجرى ١/٢٧٧ والكامل ٢/٧٩ ولحسان أو لابنه عبد الرحمن فى الحيوان ٣/١٠٨ وفيه ٦/٢٤٤ غير منسوب وكذلك فى الصناعتين له ص ١٥٢ ! وغير منسوب فى ص ١٤٥ وكذلك فى مجاز القرآن ١٦٣ له وص ٨٧ــ ١ من غير نسبة والبيت غير منسوب فى الصاحبى ص ١٨٦ ومجمع البيان ١/١٠٠ ومقاييس اللغة ٣/٢٦٩ والبحر المحيط ١/١٨٥ وقال ابن الشجرى : « قال : مالم يعاص ، فأفرد الضمير وإن كان لاثنين ، وذلك لأن كل واحد منهما بمنزلة الآخر ، فجريا مجرى الواحد ، ألا ترى أن شرخ الشباب هو اسوداد الشعر ؟ ولولا أنهما لاصطحابهما صارا بمنزلة المفرد ، كان حق الكلام أن يقال : يعاصيا » .

(٨) البيت من قصيدة لعمرو بن امرئ القيس الأنصارى يخاطب بها مالك بن العجلان ، كما فى اللسان =

ومنه أن تخاطب الشاهد بشىء ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب، كقوله عز وجل : ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾(١) . وقوله : ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾(٢) . وقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾(٣) . ثم قال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾(٣) . قال الشاعر :

يا دارَ مَيّةَ بالعلياءِ فالسَّنَدِ ... أقْوَتْ وطالَ عليها سالِفُ الأَبَدِ(٤)

***

وكذلك أيضاً تجعل خطاب الغائب للشاهد، كقول الهُذَلِىّ :

يا وَيْحَ نَفْسِى كان جِدَّةُ خالِدٍ ... وبياضُ وجْهِكَ للتُّرابِ الأعْفَرِ(٥)

***

ومنه(٦) أن يخاطب الرجل بشىء ثم يجعل الخطاب لغيره، كقوله : ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ ، الخطاب للنبى صلى الله عليه ؛ ثم قال للكفار : ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللهِ

٦/٣٥١ وقبله :

يامال ، والسيد المعمم قد ... يبطره بعض رأيه السرف

ونسبه سيبويه ١/٣٧-٣٨ لقيس بن الخطيم وهو غير منسوب فى أمالى ابن الشجرى ١/٢٦٥ ، ٢٧٨ والبحر المحيط ٢/٣٢٣ ، ٣/١٢٨ ومجمع البيان ١/٨٩ ، ١٠٠ والصاحبى ص ١٨٦ .

(١) سورة يونس ٢٢ .

(٢) سورة الروم ٣٩ .

(٣) سورة الحجرات ٧ .

(٤) البيت للنابغة ، كما فى ديوانه ص ٢٣ والصاحبى ص ١٨٣ وشرح القصائد العشر ص ٢٩٠ « وأقوت : خلت من أهلها ، والسالف : الماضى ، والأبد : الدهر » .

(٥) البيت لأبى كبير الهذلى ، كما فى ديوان الهذليين ص ١٠١ من القسم الثانى ، وفيه : « يالهف نفسى ... يقول : دفن فى أرض ترابها أعفر إلى الحمرة ماهو » وأمالى ابن الشجرى ١/١٠٢ والبحر المحيط ١/٢٤ ومجمع البيان ١/٢٧ والصاحبى ص ١٨٣ وأمالى المرتضى ٤/١٣٩ وفى تفسير الطبرى ١/٥٢ : « فرجع إلى الخطاب بقوله : « وبياض وجهك » بعدما قد مضى الخبر عن خالد ، على معنى الخبر عن الغائب »

(٦) نقله أحمد بن فارس فى الصاحبى ض ١٨٤ .

وَأَنْ لا إلَهَ إلّا هُوَ ﴾ ، يدلك على ذلك قوله : ﴿ فهل أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ؟ ﴾[١] ؛ وقال : ﴿ فمَنْ رَبُّكُما يا مُوسَى؟ ﴾[٢] ؛ وقال : ﴿ فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾[٣] ؛ وقال : ﴿ إنّا أَرْسَلْناكَ شاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ، ثم قال : ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾[٤] .

وقال : ﴿ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾[٥] ، يريد أباكم آدم صلى الله عليه .

* * *

ومنه[٦] أن تأمر الواحد والاثنين والثلاثة فما فوقُ أَمْرَكَ الاثنين ، فتقول : إفعلا . قال الله تعالى : ﴿ أَلْقِيا في جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾[٧] ، الخطاب لخزنة جهنم ، أو زَبانِيَتِها.

قال الفراء : والعرب تقول : ويلَك ارْحَلاها وازْجُراها ، وأنشد لبعضهم :

فقلتُ لصاحِبي لا تحبسانَا ... بنَزْعِ أُصُولِهِ واجْتَزَّ شِيحَا[٨]

---

(١) سورة هود ١٤ .

(٢) سورة طه ٤٩ .

(٣) سورة طه ١١٧ .

(٤) سورة الفتح ٨ ، ٩ .

(٥) سورة النجم ٣٢.

(٦) راجع الصاحبي ١٨٦ .

(٧) سورة ق ٢٤ وتفسير الطبري ٢٦/١٠٣ .

(٨) البيت لمضرس بن ربعي الأسدي ، كما في اللسان ٧/١٨٤ وشرح شواهد الشافية ص ٤٨١ وشرح شواهد المغني للسيوطي ص ٢٠٤ ونسبه الجوهري ليزيد بن الطثرية ، وروى : « وقلت لحاطبي » و « لاتحبسنا » بنون التوكيد الشديدة ، و « لنزع » و « اجدز » والبيت غير منسوب في اللسان ٥/١٩٤ والصاحبي ص ٨٠ ، ١٨٦ والطبري ٢٦/١٠٣ .

وقوله : « فقلت : لصاحبي » أراد بالصاحب من يحتطب له بدليل رواية : « وقلت لحاطبي » وقوله : « لاتحبسانا » خاطب الواحد بلفظ الاثنين ، والباء في قوله : « بنزع » للسببية والضمير في قوله : « أصوله » راجع إلى الحطب والجز : القطع وأصله في الصوف . يقول لصاحبه : لاتحبسنا عن شي اللحم بأن تقلع أصول الحطب وعروقه ، بل اكتف بقطع الشيح فهو أسهل وأسرع .

قال الشاعر :

فإنْ تزْجُرانِي يابْنَ عَفَّانَ أَنْزَجِرْ وإنْ تدَعانِي أَحْمِ عِرْضاً مُمَنَّعَا[١]

قال الفراء : ونرى أصل ذلك أنّ الرُّفقة أدْنى ما تـكون ثلاثة نفرٍ ، فجرى كلام الواحد على صاحبيه ، ألا ترى أنّ الشعراء أكثرُ شيءٍ قِيلًا : ياصاحِبِيّ ، ويا خليليّ[٢] .

وقال غير الفراء : قال النبي صلى الله عليـه وسلم : الواحد شيطان والاثنان شيطانان والثلاثة رَكْبٌ[٣] .

وتوعّد معاوية / رَوْحَ بن زِنْباع فاعتذر رَوْحٌ[٤] فقال معاوية خَلّيا عنه : [١٢٤]

---

(١) البيت لسويد بن كراع العكلي ، كما في اللسان ٧/١٨٤ وشرح شواهد الشافية ص ٤٨٤ وهو غير منسوب في الصاحبي ص ١٨٦ وتفسير الطبري ٢٦/١٠٣ وقال ابن بري كما في اللسان وشرح شواهد الشافية : « كان سويد قد هجا بني عبد الله بن دارم ، فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان بن عفان فأراد ضربه ، فقال سويد قصيدة أولها :

تقول ابنة العوفي ليلى : ألا ترى إلى ابن كـراع لايزال مفزعا

مخافة هذين الأميرين ، سهدت رقادي وغشتني بياضـا مقزعا

فإن أنتما أحكمتماني فازجرا أراهط تؤذيني من الناس رضعا

وإن تزجراني ـ البيت ـ قال : وهذا يدل على أنه خاطب اثنين : سعيد بن عثمان ، ومن ينوب عنه أو يحضر معه . وقوله : « وإن تدعاني أحم عرضا ممنعا أي إن تركتماني حميت عرضي ممن يؤذيني ، وإن زجرتماني انزجرت وصبرت » .

(٢) قول الفراء هذا نقله أحمد بن فارس في الصاحبي ص ١٨٦ ، وذكره الطبري في تفسيره ٢٦/١٠٣ـ١٠٤ ولم يصرح باسمه ، بل قال : « بعض أهل العربية » .

(٣) في موطأ مالك ص ٩٧٨ وسنن أبي داود ٣/٥٠ وتيسير الوصول ٢/٩٠ « الراكب شيطان ، والراكبان شيطانان ، والثلاثة ركب » .

(٤) ولى معاوية روح بن زنباع ، فعتب عليه في جناية فـكتب إليه بالقدوم ، فلما قدم أمر بضربه بالسياط ، فلما أقيم ليضرب ، قال : نشدتك الله ياأمير المؤمنين ، أن تهدم مني ركنا أنت بنيته ، أوأن تضع مني خسيسة أنت رفعتها ، أو تشمت بي عدوا أنت وقمته ، وأسألك بالله إلا أتى حلمك وعفوك دون إفساد صنائعك ، فقال معاوية : خليا عنه ، ثم أنشد : إذا الله الخ راجع الأمالي ٢/٢٥٥ وعيون الأخبار ١/١٠٢ وزهر الآداب ٢/٢٧٧ وأمالي الزجاج ص ٧ .

* إذا الله سَنَّى عَقْدَ شَيْءٍ تَيَسَّرَا[١] *

وقوله : سَنَّى ، أى فتح .

قالوا : وأدنى ما يكون الآمر والنّاهى بين الأعوان اثنان ، فجرى كلامُهم على ذلك ، ووكَّل اللهُ عز وجل بكل عبدٍ مَلَكَين ، وأمر فى الشهادة بشاهدين .

***

ومنه أن يخاطب الواحد بلفظ الجميع ، كقوله سبحانه : ﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾[٢] ، وأكثر من يخاطب بهذا الملوك ؛ لأنّ من مذاهبهم أن يقولوا : نحن فعلنا ، بقوله الواحد منهم يعنى نفسه ، فخُوطِبُوا بمثل ألفاظهم . يقول الله عز وجل : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾[٣] ، و ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[٤] .

ومن هذا قوله عز وجل : ﴿ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ ﴾[٥] ، وقوله : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ﴾[٦] ، وقوله : ﴿ فَأْتُوا بِآبَائِنَا ﴾[٧] .

***

ومنه أن يتصل الكلام بما قبله حتى يكون كأنه قول واحد وهو قولان ، نحو قوله : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[٨] ، وليس هذا من قولها[٩] ، وانقطع الكلام عند قوله : ﴿ أَذِلَّةً ﴾ ، ثم قال الله تعالى :

---

(١) المعانى الكبير غير منسوب ١/٤٧٤ وقد اختلف فى صدره فقيل : هو : « * وأعلم علما ليس بالظن أنه * » وقيل : هو « * فلا تيأسا واستغورا الله إنه * أى اطلبا من الله الغيرة ، وهى الميرة » وأنشده ثعلب : « فلا تعجلا واستغورا » قال ابن سيدة : « وعندى أن معناه : اسألوه الخصب إذ هو مير الله خلقه » والبيت فى الأمالى ١/٢٣٥ وأساس البلاغة ١/٤٦٤ ، ٢/١٧٧ .

(٢) سورة المؤمنون ٩٩ والصاحبى ١٨٢ .

(٣) سورة يوسف ٣ .

(٤) سورة القمر ٤٩ .

(٥) سورة يونس ٨٣ .

(٦) سورة هود ١٤ .

(٧) سورة الدخان ٣٦ .

(٨) سورة النمل ٣٤ .

(٩) أى بلقيس ملكة سبأ ، راجع تفسير الطبرى ١٩/٩٦ .

﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ .

وقوله : ﴿ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ، أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾(١) ، هـذا قول المرأة ، ثم قال يوسف : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾(٢) ، أى ليعلم الملك أنى لم أخُن العزيز بالغيب .

وقوله : ﴿ يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾ ، انقطع الكلام ؛ ثم قالت الملائكة : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾(٣) .

وقوله حكايةً عن ملأ فرعون : ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ﴾ ، هذا قول الملأ ؛ ثم قال فرعون : ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ؟ ﴾(٤) .

* * *

ومنه أن يأتى الفعل على بنية الماضى وهو دائم ، أو مستقبل(٥) ، كقوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(٦) ، أى أنتم خير أمّة .

وقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ؟ ﴾(٧) ، أى وإذ يقول الله يوم القيامة ، يدلك على ذلك قوله سبحانه : ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾/(٨) . [١٢٥]

وقوله : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾(٩) ، يريد يوم القيامة . أى سيأتى قريباً فلا تستعجلوه .

---

(١) سورة يوسف ٥١ .
(٢) سورة يوسف ٥٢ .
(٣) سورة يس ٥٢ .
(٤) سورة الأعراف ١١٠ .
(٥) الصاحبي ١٨٦ .
(٦) سورة البقرة ١١٠ .
(٧) سورة المائدة ١١٦ .
(٨) سورة المائدة ١١٩ .
(٩) سورة النحل ١ .

وقوله : ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِى الْمَهْدِ صَبِيًّا؟﴾[١] ، أى من هو صبىٌّ فى المهد .

وكذلك قوله : ﴿وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً بَصِيرًا﴾[٢] ، وكذلك قوله : ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾[٣] .

وقوله: ﴿وَاللهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾[٤]، أى فنسوقه. فى أشباه لهذا كثيرة فى القرآن ، إنما هو : الله سميع بصير ، والله على كل شىء قدير .

***

ومنه أن يجىء المفعول به على لفظ الفاعل[٥] ، كقوله سبحانه : ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾[٦] ، أى لا معصوم من أمره .

وقوله : ﴿مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾[٧] ، أى مدفوق .

وقوله : ﴿فِى عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾[٨] ، أى مرضى بها .

وقوله : ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾[٩] ، أى مأمونا فيه .

وقوله : ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾[١٠] ، أى مُبْصَرًا بها .

---

(١) سورة مريم ٢٩ .

(٢) سورة النساء ١٣٤ .

(٣) سورة الأحزاب ٢٧ .

(٤) سورة فاطر ٩ وتفسير الطبرى ٧٩/٢٢ .

(٥) الصاحبي ص ١٨٧ .

(٦) سورة هود ٤٣

(٧) سورة الطارق ٦ .

(٨) سورة الحاقة ٢١ والقارعة ٧ .

(٩) سورة العنكبوت ٦٧ .

(١٠) سورة الإسراء ١٢ .

والعرب تقول: ليل نائِم، وسرٌّ كاتم ، قال وَعْلَةُ الجَرْمِيّ :

ولما رأيتُ الخَيْلَ تَتْرَى أثايجاً علمتُ بأنّ اليومَ أَحْمَسُ فاجِرُ(١)

أي يوم صعب مفجور فيه .

***

وأن يأتى فَعِيلٌ بمعنى مُفْعِل ، نحو قوله : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾(٢) ، أى مبدعها . وكذلك : ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٣) ، أى مؤلم . وقال عَمْرُو بن مَعْدِيكَرِب :

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِى السَّمِيعُ يُؤَرِّقُنى وأَصْحَابى هُجُوعُ(٤)

يريد الداعى المُسْمِع .

***

وفَعِيلٌ ، يراد به فَاعِل ، نحو : حفيظ ، وقدير ، وسميع ، وبصير، وعليم ، ومَجيد ، وبَدِئُ الخلق ، أى بادِئُه ، من قولك : بدأ الله الخلق .

وبصير فى هذا المعنى من بَصُرَ ، وإن لم يُستعمل منه فاعل إلا فى موضع واحدٍ ، وهو قولهم : أَرَيْتُهُ لَمْحًا بَاصِرًا ، أى نظراً شديداً باستقصاء وتَحْدِيق .

***

ومنه أن يأتى الفاعل على لفظ المفعول به(٥) ، وهو قليل ، كقوله : ﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾(٦) ، أى آتيا .

---

(١) نسبه ابن قتيبة فى المعانى الكبير ٢/٩٤٦ لوعلة الجرمى وقال فى شرحه : « أثايج : جماعات ، أحمس : شديد ، فاجر : يركب فيه الفجور ، ولا يبقى فيه محرم ، أراد مفجور فيه » وهو لوعلة أيضا فى العقد الفريد ٥/٢٣١ والأغانى ١٥/٧٧ والنقائض ١/١٥٥ والخزانة ١/١٩٩ . وهو للحارث بن وعلة الجرمى فى المفضليات ص ١٦٦ وفى الأزمنة والأمكنة ٢/٣٠٨ ، ٢/٣١٢ « أحمس جاذر » قالوا : أراد بالجاذر : المجذور ، وروى « فاجر » أى شديد ذو فجور »

(٢) سورة البقرة ١١٧ والأنعام ١٠١ .

(٣) سورة البقرة ١٠ وغيرها كثير .

(٤) فى الأغانى ١٤/٣٣ من أبيات « يقولها فى أخته ريحانة بنت معديكرب ، لما سباها الصمة ابن بكر ... » والبيت له فى اللسان ١٠/٢٨ والأضداد للسجستانى ص ١٣٣ وتفسير الطبرى ١/٩٥ والبحر المحيط ١/٣٦٤ والشعر والشعراء ١/٣٣٢ وصدره فى الصاحبى ٢٠١ ومجاز القرآن ٩٦-١ .

(٥) الصاحبى ص ١٨٨ .

(٦) سورة مريم ٦١ .

بابُ تأويل الحروف
التي ادُّعِيَ على القرآن بها الاستحالةُ وفسادُ النَّظْم

[١٢٦] من ذلك الحروف المُقَطَّعة/ (١) قد اختلف المفسرون في الحروف المُقَطَّعَة :

فكان بعضهم يجعلها أسماء للسور ، تُعْرَف كل سورة بما افتتحت به منها .

وكان بعضهم يجعلها أقساما .

وكان بعضهم يجعلها حروفا مأخوذة من صفات الله تعالى يجتمع بها في المُفْتَتَح الواحد صفاتٌ كثيرة ، كقول ابن عباس : في ﴿ كهيعص ﴾ : إنّ الكاف من كافٍ ، والهاء من هادٍ ، والياء من حكيم ، والعين من عليم ، والصاد من صادق (٢)

وقال الكَلْبيّ : هو : كتابٌ كافٍ ، هادٍ ، حكيمٌ ، عالمٌ ، صادقٌ .

ولكل مذهب من هذه المذاهب وجه حسن ، ونرجو ألا يكون ماأريد بالحروف خارجا منها إن شاء الله .

***

فإن كانت أسماء للسور فهي أعلام تدل على ماتدل عليه الأسماء من أعيان الأشياء وتفرق بينها ، فإذا قال القائل : قرأت ﴿ المص ﴾ أو قرأت ﴿ ص ﴾ أو ﴿ ن ﴾ دلّ بذاك

---

(١) راجع تفسير الطبري ١/٦٧-٧٤ واللسان ١/٤-٦ والبحر المحيط ١/٣٤ والقرطبي ١/١٥٤-١٥٧ والكشاف ١/١٢-١٩ ومجمع البيان ١/٣٢-٣٣ والإتقان ٢/١٣-١٩ والصاحبي ٩٣-٩٦ .

(٢) سورة مريم ١ وتفسير الطبري ١٦/٣٢ وفي اللسان ١٧/٣٥٠ « وروى عن سعيد بن جبير في تفسيره عن ابن عباس ، أنه قال : في « كهيعص » : هو كاف ، هاد ، يمين ، عزيز ، صادق . قال أبو الهيثم : فجعل قوله : « كاف » أول اسم الله كاف ، وجعل « الهاء » أول اسمه : هاد ، وجعل « الياء » أول اسمه : يمين ، من قولك : يمن الله الإنسان ييمنه يمناً ويمناً فهو ميمون ... قال : فجعل اسم اليمين مشتقا من اليمن ، وجعل « العين » عزيزا ، و « الصاد » صادقا ، والله أعلم » .

على ماقرأ ، كما تقول : لقيت محمدا وكلمت عبد الله ، فهى تدل بالاسمين على العينين ، وإن كان قد يقع بعضها مثل « حم » و « الم » لعدة سُوَر ــ فإنّ الفصل قد يقع بأن تقول : حم السّجْده ، والم البقرة ، كما يقع الوفاق فى الأسماء ، فتدل بالإضافات وأسماء الآباء والـكنى .

***

وإن كانت أقساما فيجوز أن يكون الله عز وجل أقسم بالحروف المقطعة كلّها واقتصر على ذكر بعضها مِنْ ذِكْرِ جميعها ، فقال : « الم » وهو يريد جميع الحروف المقطعة ، كما يقول القائل : تعلمت « أ ب ت ث » وهو لايريد تعلُّم هذه الأربعة الأحرُف دون غيرها من الثمانية والعشرين ، ولـكنّه لما طال أن يذكرها كلّها اجتزأ بذكر بعضها ، ولو قال : تعلمت « حاء طاء صاد » لَدَلَّ أيضا على حروف المعجم كما دلّ بالقول الأول ، إلا أن الناس يدلون بأوائل الأشياء عليها فيقولون : قرأت « الحمدلله » يريدون فاتحة الـكتاب / فيسمونها [١٢٧] بأول حرف منها . هذا الأكثر ، وربما دلّو بغير الأول أيضا ، أنشد الفرّاء(١) :

لـمـا رَأَيْتُ أَنَّها فى حُطِّى ... أَخَذْتُ مِنْهَا بِقُرُونٍ شُمْطِ

يريد « فى أبى جادٍ » فدَلَّ بحُطِّى كما دَلَّ غيره بأبى جادٍ .

***

وإنما أقسم الله بحروف المعجم لشرفها وفضلها ، ولأنها مبانى كتبه المنزلة بالألسنة المختلفة

---

(١) الرجز لأبى القمقام الأسدى ، كما فى تهذيب الألفاظ ص ٤٤٧ والأمالى ٢/٢٠٠ غير منسوب ، وكذلك فى اللسان ١٢/٣٦٨ ومجمع البيان ١/٣٣ وتفسير الطبرى ١/٦٨ « بعض الرجاز من بنى أسد :

لـمـا رأيت أمرها فى حطى ... وفنـكت فى كذب ولط

أخذت منها بقرون شمط ... فلم يزل ضربى بها ومعطى

حتى علا الرأس دم يغطى

فزعم أنه أراد بذلك : الخبر عن المرأة أنها فى « أبى جاد » فأقام قوله : « لما رأيت أمرها فى حطى » مقام خبره عنها أنها فى « أبى جاد » إذ كان ذاك من قوله ، يدل سامعه مايدله عليه قوله : « لما رأيت أمرها فى أبى جاد » .

ومبانى أسمائه الحُسْنَى وصفاته العُلى ، وأصولُ كلامِ الأمم [١] ، بها يتعارفون ويذكرون الله ويوحِّدون .

وقد أقسم الله فى كتابه بالفَجْر ، والطُّور ، وبالعَصْر ، وبالتِّين ، والزَّيتُون ، وهما جبلان ينبتان التين والزيتون ، يقال لأحدهما : طُورُ زِيتَا ولِلآخر : طورتينا ، بالسّريانية ، من الأرض المقدسة ، فسماها بما يُنْبتان . وأقسم بالقلم إعظاما لما يسطرون .

ووقع القسم بها فى أكثر السور على القرآن فقال: ﴿ الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾[٢] كأنه قال : وحروفِ المعجم لهو الكتاب لا ريب فيه .

و ﴿ الٓمٓ اللّهُ لَا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ ، أى وحروفِ المعجم لهو الله لا إله إلا هو ﴿ الْحَىُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾[٣] .

و ﴿ الٓمٓصٓ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ ، أى وحروف المعجم لهو كتاب أُنزل إليك ﴿ فَلَا يَكُنْ فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ﴾[٤] ، و ﴿ يٓس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾[٥] .

و ﴿ صٓ وَالْقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ ﴾[٦] ، و ﴿ قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾[٧] ، كله أقسام .

* * *

وإن كانت حروفاً مأخوذةً من صفات الله فهذا فَنٌّ من اختصار العرب ، وقلّما تفعل العربُ شيئاً فى الكلام المتصل الكثير إلا فعلت مثله فى الحرف الواحد المنقطع ، فكما يستعيرون الكلمة فيضعونها مكان الكلمة لتقارب مابينهما ، أَوْ لأنَّ إحداها سبب

---

(١) فى البحر المحيط ١/٣٤ « وقال الأخفش : هى مبادئ كتب الله المنزلة بالألسنة المختلفة ، ومبان من أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، وأصول كلام الأمم » .

(٢) سورة البقرة ١ ، ٢ .

(٣) سورة آل عمران ١ ، ٣ .

(٤) سوةره الأعراف ١ ، ٢ .

(٥) سورة يس ١ ، ٢ .

(٦) سورة ص ١ .

(٧) سورة ق ١ .

للاخرى ، فيقولون للمطر: سماء؛ لأنه من السماء ينزل ، ويقولون للنبات : نَدَى؛ لأنه بالندى يَنبُت ، ويقولون : ما بِهِ طِرْقٌ ، أى ما به قوّة ، وأصل الطِّرق : الشحم ، فيستعيرونه مكان القوّة؛ لأنّ القوّة تـكون عنه .

كذلك يستعيرون الحرف فى الكلمة مكان الحرف فيقولون : مَدَهْتُه ، بمعنى : مدحته ؛ لأن الحاء والهاء يخرجان / جميعاً من مخرج واحد . ويقولون للقبر : جَدَثٌ وجَدَفٌ ، [١٢٨] ويقولون : ثُومٌ وفُومٌ ومغَاثِير ومغَافِير (١) ، لقرب مخرج الفاء من الثاء .

ويقولون : هَرَقْتُ الماء وأرقته ، ولصِق ولسِق ، وسَحَقْتُ الزعفران وسَهَكْتُه ، وغُمار الناس وخُمارهم . فى أشباهٍ لهذا كثيرة يبدلون فيها الحرفَ من الحرف لتقارب ما بينهما .

***

وكما يقلبون الـكلام ويُقدِّمون ما سبيله أن يؤخَّر ، ويؤخرون ما سبيله أن يُقدَّم ، فيقولون :

* كان الزناء فريضة الرجم * (٢)

أى : كان الرجم فريضة الزنا .

ويقولون :

* كأنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَماؤُه * (٣)

يريدون : كأن لون سمائه من غبرتها لون أرضه .

---

(١) فى اللسان ٦/٣١٠ « والمغاثير لغة فى المغافير » وفى ص ٣٣٢ « والمغافير : صمغ يسيل من شجر العرفط غير أن رائحته ليست بطيبة » .

(٢) الشطر للنابغة الجعدى ، كما فى اللسان ١٩/٧٩ وقبله :

* كانت فريضة ماتقول كما *

وهو غير منسوب فى الأضداد للسجستانى ص ١٥٢ والبحر المحيط ٦/٣٣ ومجمع البيان ١/٢٥٥ وأمالى المرتضى ١/١٥٥ .

(٣) لرؤبة كما فى ديوانه ص ١ وصدره : * وبلدة عامية أعماؤه * ويروى : * ومهمه مغبرة أرجاؤه * وهو غير منسوب فى أمالى المرتضى ١/١٥٥ .

ويقولون : اعرض الناقة على الحوض ، يريدون اعرض الحوض على الناقة .

وكذلك يقدمون الحرف فى الكلمة وسبيله التّأخير ، ويؤخرون الحرف وسبيله التقديم فيقولون : جَذَبَ وجَبَذَ ، وبئر عميقة ومَعِيقة ، وأَحْجَمْتُ عن الأمر وأَجْحَمْتُ ، وبَتَلْتُ الشىء أى قطعته وبلته ، وما أطيبهُ وما أيْطَبَهُ . ورجل أغْرَل وأرغل [1] ، واعتاقه الأمر واعتقاه ، واعتام واعتمى ، فى أشباه لهذا كثيرة .

***

وكما يزيدون فى الكلام الكلمةَ والمعنى طرحُها كقول الشاعر :

* فما أَلُومُ البِيضَ ألاَّ تَسْخَرَا * [2]

يريد أن تسخر . ويزيدون إذْ ، واللام ، والكاف ، والباء ، وأشباهٍ لهذا مما ذكرناه فى باب المجاز — كذلك يزيدون فى الكلمة الحرف ، كما قال المُفَضَّلُ العَبْدِى :

* وبعضُهم على بَعْضٍ حنيقُ [3] *

أى حَنِقٌ .

وقال الآخر :

* أقولُ إِذْ خَرَّتْ على الكَلْكالِ [4] *

أراد : الكَلْكَلَ .

---

(١) فى اللسان ١٤/٢ « رجل أرغل وأغرل ، وهو الأقلف » .

(٢) لأبى النجم ، كما فى تفسير الطبرى ٦٢/١ وعجزه : * لما رأين الشمط القفندرا * وهو غير منسوب فى مجاز القرآن ٧١ ب ، واللسان ٤٢٥/٦ والأضداد لابن الأنبارى ص ١٨٥ . والقفندر : القبيح المنظر وانظر ص ١٩١ .

(٣) فى اللسان ٣٥٦/١١ لمفضل النكرى . وصدره : * تلاقينا بغنية ذى طريف * .

(٤) فى تفسير الطبرى ٧٠/١ وبعده * ياناقتى ماجلت عن مجالى * وهو فى الصاحبي ١٩٣ غير منسوب وكذلك فى الموشح ص ٩٤ وتفسير الطبرى ٧٠/١ والبحر المحيط ٥٠/٣ واللسان ١١٧/١٤ ، ٣١٢/٢٠ « قلت وقد خرت الخ » .

وأنشد الفرّاء :

إِنَّ شَكْلِى وإِنَّ شَكْلَكِ شَتَّى ... فالْزَمِى الخُصَّ وَاخْفِضِى تَبْيَضِضِّى (١)

فزاد ضادا ، فى أشباه لهذا كثيرة .

***

[١٢٩] وكما يحذفون من الكلام البعض / إذا كان فيما أبقوا دليل على ما ألقوا ، فيقولون : والله أفعل ذاك ، يريدون : لا أفعل . ويقولون : أتانا فلانٌ عند مغيب الشمس ، أو حين. أى حين كادت تغيب . وقال ذو الرمة يذكر حميراً :

فلمَّا لَبِسْنَ الليلَ أو حِينَ نَصَّبَتْ ... له من خذَا آذانِها وهو جانحُ (٢)

أراد : وحين أقبل الليل .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ﴾ (٣) ، أراد لكان هذا القرآن ، فحذف .

***

وكذلك يحذفون من الكلمة الحرف والشّطر والأكثرَ ، ويبقون البعض والشطر والحرف ، يوحون به ويومئون . يقولون : « لم يك » ، فيحذفون النون مع حذفهم الواو لاجتماع الساكنين . ويقولون : « لم أُبَل » يريدون : لم أُبَالِ . ويقولون : ولَاكِ افعل كذا يريدون : ولكن ، قال الشاعر :

* وَلَاكِ اسْقِنِى إِنْ كانَ ماؤُكَ ذا فَضْلِ (٤) *

---

(١) تفسير الطبرى ١/ ٧٠ غير منسوب، واللسان ١/ ٢٤٨ ، ٨/ ٣٩١ والشطر الثانى فى ١٨/ ٢٢٦ وأمالى ابن الشجرى ١٧/ ١٩٧ .

(٢) سبق الكلام عليه فى ص ١٦٧

(٣) سورة الرعد ٣١ .

(٤) نسبه سيبويه للنجاشى ١/ ٩ وصدره : * ولست بآتيه ولا أستطيعه * وقال الأعلم فى شرحه : « حذف النون من « لكن » لاجتماع الساكنين ضرورة لإقامة الوزن ... وصف أنه اصطحب ذئبا فى فلاة مضلة لاماء بها ، وزعم أن الذئب رد عليه فقال : لست بآت مادعوتنى إليه من الصحبة ، ولا أستطيعه ؛ لأنى وحشى وأنت إنسى ، ولكن اسقنى إن كان ماؤك فاضلا عن ريك . وأشار بهذا إلى تعسفه

ويحذفون فى الترخيم ، فيقولون : يا صاحِ ، يريدون : يا صاحب ، ويا حارِ ، يريدون : يا حارث .

وقرأ بعض المتقدمين : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾(١) ، أى يا مالك .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَا يَا اسْجُدُوا لِلَّهِ ﴾(٢) ، أى ألا يا هؤلاء اسجدوا لله .

ويقولون : عِمْ صَبَاحاً ، أى أنعِمْ .

وقال الفرَّاء فى قولهم : سَتَرَى : إنما أرادوا : سوف ترى ، فحذفوا الواو والفاء . وكذلك أمثالها .

كقولك: سيكون كذا ، وسيفعل كذا، تأويلُها عنده : سوف يكون ، وسوف يفعل . وفى قوله : بينا ، إنما هو بينما .

وقال فى الآن : إنما هو أصله الأوانُ ، كما قالوا : الراحُ والرِّياح للخمر ، قال لَبيد :

* دَرَسَ المَنَا بِمُتالِعٍ فَأَبَانِ(٣) *

أراد : المنازل ، فقطع .

وقال الطِرِمَّاح يذكر بقرا :

تَتَّقِى الشَّمْسَ بِمَدْرِيَّةٍ كالْحَمَالِيجِ بِأَيْدِى التِّلَامْ(٤)

المَدْرِيَّة : القرون ههنا .

والحماليج : مَنَافِيخُ الصّاغة / شبَّه قرونها بها إذا نُفِخ فيها . [١٣٠]

والتِّلَامُ : أراد التّلاميذ ، يعنى غلمان الصاغة فقطع .

= للفلوات التى لاماء فيها فيهتدى الذئب إلى مظانه فيها ، لاعتياده لها » والبيت للنجاشى فى سر الفصاحة ص ٧٤ والموشح ص ٩٣ وهو غير منسوب فى العمدة ٢/٢٥٥ واللسان ١٧/٢٧٦ .

(١) سورة الزخرف ٧٧ والصاحبي ص ١٩٤ وجاء فى البحر المحيط ٨/٢٨ : « وقرأ الجمهور : « يامالك » وقرأ عبد الله وعلى وابن وثاب والأعمش : « يامال » بالترخيم ، على لغة من ينتظر الحرف . وقرأ أبو السرار الغنوى : « يامال » بالبناء على الضم ، جعله اسما على حياله » .

(٢) سورة النمل ٢٥ وقرأ قراء المدينة « ألا يسجدوا » بتشديد ألا .

(٣) عجزه : * فتقادمت بالحبس فالسوبان * كما فى اللسان ١٦/١٤٢ وشرح شواهد الشافية ص ٣٩٧ .

(٤) ديوانه ص ١٠٠ وانظر اللسان ١٤/٣٣٣ والمعانى الكبير ٢/٧٦٤ ، ٧٩١ .

وقال أبو دؤاد :

* فـكأنّما تذْكِى سَنَا بِكُها الحُبَا(١) *

أراد الحُبَاحِب .

وقال الآخر :

أناسٌ ينَالُ الماءَ قَبْــلَ شِفاهِهِمْ   لهمْ وَارِداتُ الغُرْضِ شُمٌّ الأَرَانِبِ(٢)

أراد : الغرضُوف .

وقال الآخر :

* فى لُجّةٍ أمْسِكْ فُلاناً عَنْ فُلِ(٣) *

أراد : عن فلان .

وقال :

* قَواطِناً مكّةَ من وُرْقِ الحَمِى(٥) *

أراد الحَمام .

---

(١) الصاحبى ١٩٤ وفى اللسان ١/٢٨٨ « وقوله :

يذرين جندل حائر لجنوبها   فـكأنها تذ كى سنابكها الحبا

إنما أراد : الحباحب ، أى نار الحباحب . يقول : تصيب بالحصا فى جريها جنوبها » .

(٢) البيت غير منسوب فى اللسان ٩/٥٩ وأساس البلاغة ٢/٥٠٠ وفيهما : « كرام ينال الماء » وفى اللسان : « قيل : إنه أراد الغرضوف الذى فى قصبة الأنف ، فحذف الواو والفاء ، ورواه بعضهم : « لهم عارضات الورد » .

(٣) سبق تخريجه فى ص ٢٠٣

(٤) فى اللسان ١٥/٤٨ « وأما قول العجاج :

وربِّ هذا البلد المحرم   والقاطنات البيت غير الريم

قواطنا مكة من ورق الحمى

فإنما أراد الحمام ، فحذف الميم وقلب الألف ياء . قال أبو إسحاق : هذا الحذف شاذ ، لايجوز أن يقال فى الحمار : الحمى : فأما الحمام هنا ، فإنما حذف منها الألف فبقيت الحمم ، فاجتمع حرفان من جنس واحد ، فلزمه التضعيف ، فأبدل من الميم ياء » وانظر ديوان العجاج ص ٥٨ـ٦٢ واللسان ١٠/٣٥٤ ، ١٧/٢٢١ـ٢٢٢ ، ٢٠/١٦٢ وسيبويه ١/٨ ، ٥٦ ، ٢/١٢٢ ومقاييس اللغة ١/١٣١ وشرح ابن الناظم ص ٢٤٦ والأمالى ٢/١٩٩ وسر الفصاحة ٧٤ والعمدة ٢/٢٥٦ والموشح ص ٩٤ .

وأنشد الفرّاء :

قلت لها : قِفِى ، فقالت لى : قَافْ (١)

أراد فقالت : قد وقفْتُ ، فأومأت بالقاف إلى معنى الوقوف .

* * *

ولم نزل نسمع على ألسنة الناس: الألف : آلاء الله ، والباء: بهاء الله ، والجيم: جمال الله ، والميم : مجد الله . فكأنّا إذا قلنا : « حم » دللنا بالحاء على حليم ، ودللنا بالميم على مجيد .

وهذا تمثيل أردت أن أريكَ به مكان الإمكان .

وعلى هذا سائر الحروف .

ومن ذهب إلى هذا المذهب فلا أُراه أراد أيضا إلا القسم بصفات الله فجمع بالحروف المقطعة معانى كثيرة من صفاته ، لا إله إلا هو .

ورِوى أن بعض السلف وأحسبه عليا رحمة الله عليه قال : الرَّحِيمُ هو من الرَّحْمن .

* * *

وقد كان قوم من المفسرين يفسرون بعض هـذه الحروف فيقولون : « طه » يارجل ، و « يس » يا إنسان ، و « نون » الدّواة .

وقال آخر : « الحوت » و « حم » : قُضِى والله ما هو كائن ، و «قاف» : جبل محيط

---

(١) هذا أول رجز للوليد بن عقبة ، وسبب قوله أنه لما شهد عليه عند عثمان بن عفان ، بشرب الخمر ، كتب إليه يأمره بالشخوص فخرج وخرج معه قوم يعذرونه ، فيهم عدى بن حاتم ، فنزل الوليد يوما يسوق بهم فقال يرتجز :

قلت لهـا قفى فقالت قاف ... لاتحسبينا قـد نسينا الإيجاف

والنشوات من عتيق أو صاف ... وعزف قينات علينا عزاف

فقال له عدى : إلى أين تذهب بنا ؟ أقم » راجع الأغانى ٥/١٨١ وشرح شواهد الشافية ص٢٧١ وهو فى الصاحبى ٩٤ غير منسوب وكذلك فى مجمع البيان ١/٣٤ والبحر المحيط ١/٣٥ والعمدة ١/٢٨٠ واللسان ١١/٢٧٥ .

بالأرض ، و« صَادِ » ـ بكسر الدال ـ من المُصَادَاةِ وهى المعارضة[١] .

وهذا مالا نعرِض فيه ؛ لأنا لا ندرى كيف هو ولا من أى شىء أُخِذَ ، خلا صادِ وما ذُهِب إليه فيها .

---

(١) فى تفسير الطبرى ٢٣/٧٤ « اختلف أهل التأويل فى معنى قوله : « ص » فقال بعضهم : هو من المصاداة ، من صاديت فلانا ، وهو أمر من ذلك ، كأن معناه عندهم : صاد بعملك القرآن ، أى عارضه به ، ومن قال هذا تأويله فإنه يقرؤه بكسر الدال ؛ لأنه أمر . وكذلك روى عن الحسن ... وقال آخرون : هى حرف هجاء ... وقال آخرون : هو اسم من أسماء القرآن أقسم الله به ... وقال آخرون : معنى ذلك صدق الله .. »

﴿ فى سورة سبأ ﴾

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ﴾ (١) .

[١٣١] تأويله : أن إبليس لما سأل الله تبارك وتعالى النَّظِرَةَ / فأنظره قال : لَأُغْوِيَنَّهُمْ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ (٢) آذَانَ الأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَلَأَتَّخِذَنَّ مِنْهُمْ نَصِيباً مَفْرُوضاً (٣) وليس هو فى وقت هذه المقالة مستيقناأنّ ماقدّره الله فيهم يتمّ ، وإنما قاله ظانا ، فلما اتبعوه وأطاعوه صدق ما ظنّه عليهم أى فيهم ، ثم قال الله : وماكان تسليطنا إيّاه إلا لنعلم من يؤمن من أى المؤمنين من الشاكين .

وعِلْم الله تعالى نوعان :

أحدهما علم ما يكون من إيمان المؤمنين ، وكفر الكافرين ، وذنوب العاصين ، وطاعات المطيعين قبل أن نكون ؛ وهذا علم لا تجب به حجة ولا تقع عليه مثوبةٌ ولا عقوبة .

والآخر : علم هذه الأمور ظاهرة موجودة فَيَحِقّ القَوْلُ ويقع بوقوعها الجزاء ، فأراد جلّ وعز : ما سلطناه عليهم إلا لنعلم إيمان المؤمنين ظاهرًا موجودًا ، وكفر الكافرين ظاهرًا موجودا .

وكذلك قوله سبحانه : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٤) ، أى يعلم جهاده وصَبْرَه موجودًا يجب له به الثواب .

---

(١) الآية ٢٠ ، ٢١ وانظر تفسير الطبرى ٢٢/٦٠-٦١ .

(٢) فى اللسان ١٢/٢٧٥ « البتك : القطع ... قال أبو منصور : كأنه أراد — والله أعلم — تبحير أهل الجاهلية آذان أنعامهم وشقهم إياها » .

(٣) قال تعالى فى سورة النساء ١١٧-١١٩ « إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا ، لعنه الله وقال : لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ، ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ، ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا » .

(٤) سورة آل عمران ١٤٢ .

وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾[١] .

تأويله أنّ المشركين قالوا : إن محمداً مجنون وساحر ، وأشباه هذا من خَرْصِهِم[٢] ، فقال الله جل وعز لنبيه صلى الله عليه : قل لهم : اعتبروا أمرى بواحدة ، وهى أن تنصحوا لأنفسكم ، ولا يميل بكم هوًى عن حق ، فتقوموا لله وفى ذاته مقاماً يخلو فيه الرجل منكم بصاحبه فيقول له : هلُمّ فلْنَتَصادَق، هل رأينا بهذا الرجل جنّة قط أو جربنا عليه كذبا ؟ فهذا موضع قيامهم مثنى.

ثم ينفرد كل واحد عن صاحبه فيُفكِّر وينظر ويعتبر ، فهذا موضع قيامهم فُرادى. فإنّ فى ذلك مادلهم على أنه نذير .

وكل من تحير / فى أمر قد اشتبه عليه واسْتَبْهم، أخرجه من الحيرة فيه: أن يسأل ويناظِر [١٣٢]
ثم يُفكِّر ويعتبر .

---

(١) سورة سبأ ٤٦ وانظر تفسير الطبرى ٢٢/٧٠–٧١ .

(٢) فى اللسان ٨/١٨٦ « خرص يخرص ، بالضم ، خرصا وتخرص أى كذب ، ورجل خراص كذاب ، وفى التنزيل « قتل الخراصون » ... قال الفراء : معناه : لعن الكذابون الذين قالوا : محمد شاعر ، وأشباه ذلك ، خرصوا بما لاعلم لهم به. وأصل الخرص : التظنى فيما لاتستيقنه ، ومنه خرص النخل والكرم : إذا حزرت التمر ؛ لأن الحزر إنما هو تقدير بظن لا إحاطة ، والاسم : الخرص — بالكسر — ثم قيل للكذب: خرص لما يدخله من الظنون الكاذبة » .

﴿ فى سورة الفرقان ﴾

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ، ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾[١] .

امتداد الظل مابين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، كذلك قال المفسرون ، ويدلك عليه أيضا قوله فى وصف الجنة : ﴿ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴾[٢] أى لا شمس فيه ، كأنه مابين هذين الوقتين.

﴿ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾ أى : مُسْتَقِرًا دائمًا حتى يكون كظل الجنة الذى لا تَنْسَخُهُ الشمس .

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ﴾ يقول : لما طلعت الشمس دلت عليه وعلى معناه . وكلّ الأشياء تعرف بأضدادها ، فلولا الشمس ما عُرِفَ الظل ، ولولا النور ماعرفت الظلمة ، ولولا الحق ما عرف الباطل . وهكذا سائر الألوان والطُّعُوم ، قال الله عز وجل : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٣] يريد به ضدين : ذكرا وأنثى ، وأسودَ وأبيض ، وحلواً ، وحامضا ، وأشباه ذلك .

﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ يعنى : الظّل الممدود بعد غروب الشمس ، وذلك أنّ الشمس إذا غربت عاد الظل الممدود ، وذاك وقت قَبْضه .

وقوله : ﴿ قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ أى : خفيا ؛ لأن الظل بعد غروب الشمس لا يذهب كلُّه دفعةً واحدةً ، ولا يُقبِل الظلام كلّه جُملة ، وإنما يَقبِضُ اللهُ جل وعز ذلك الظل قبضا خفياً شيئاً بعد شىء ، ويُعقِب كلّ جزء منه يَقْبِضُه بجزء من سواد الليل حتى يذهب كلّه .

فدلَّ الله عز وجل بهذا الوصف على قدرته ولطفه فى مُعاقبَتِه بين الشمس والظل والليل؛ لمصالح عباده وبلاده .

وبعضهم يجعل قبض الظل عند نسخ الشمس إياه ، ويجعل قوله ﴿ قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ أى : سهلا خفيفا عليه .

وهو وجه ، غير أن التفسير الأول أجمع للمعانى / وأشبه بما أراد . [١٣٣]

(١) سورة الفرقان ٤٥ـ٤٦ وانظر تفسير الطبرى ١٩/١٢ـ١٤ .

(٢) سورة الواقعة ٣٠ .

(٣) سورة الذاريات ٤٩ .

﴿ في سورة يس ﴾

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ، لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ، وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ، وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾(١) .

قوله : ﴿ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ أى : إلى مستقر لهـا ، كما تقول : هو يجرى لغايته وإلى غايته .

ومُسْتَقَرُّها : أقصى منازلها فى الغروب ، وذلك لأنها لا تزال تتقدم فى كل ليلة حتى تنتهى إلى أبعد مَغَاربها ثم ترجع(٢) ، فذلك مستقرها لأنها لا تُجَاوِزه .

وقرأ بعض السلف : ﴿ والشَّمْسُ تَجْرِي لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا ﴾(٣) والمعنى : أنها لا تقف ، ولا تستقر ، ولـكنها جارية أبداً .

وقـوله : ﴿ وَالقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ ﴾ يريد : أنه ينزل كل ليلة منزلا ، ومنازله ثمانية وعشرون منزلا عندهم ، من أول الشهر إلى ثمان وعشرين ليلة منه ثم يَسْتَتِرُّ .

وهذه المنازل هى النجوم التى كانت العرب تنسب إليها الأَنْواء . وأسماؤها عندهم(٤) الشَّرَطَان والبَطِين ، والثُّرَيّا(٥) ، والدَّبَران ، والهقْعة ، والهَنْعَةُ ، والذِّراع ، والنَّثْرَة ، والطَّرْف والجَبْهَة ، والزُّبْرَةُ(٦) ، والصَّرْفة ، والعَوَّاء ، والسِّماكُ ، والغَفْر ، والزُّبَانَى ، والإكْلِيل ،

---

(١) سورة يس ٣٨ـ٤٠ وانظر تفسير الطبرى ٢٣/٥ـ٧ .

(٢) قارن هذا بما فى الطبرى ٢٣/٥ .

(٣) فى البحر المحيط ٧/٣٣٦ « وقرأ عبدالله وابن مسعود وعكرمة وعطاء بن أبى رباح ، وزين العابدين والباقر وابنه الصادق وابن أبى [عبلة] : « لامستقر لها » نفيا مبنيا على الفتح ، فيقتضى انتفاء كل مستقر ، وذلك فى الدنيا ، أى هى تجرى دائما فيها لاتستقر ، إلا ابن أبى عبلة فإنه قرأ برفع « مستقر » وتنوينه على إعمالها إعمال ليس » .

(٤) راجع أسماء المنازل فى اللسان ١/١٧١ .

(٥) فى اللسان بدل « الثريا » : « النجم » .

(٦) فى اللسان « الخراتان » مكان « الزبرة » .

والقَلْبُ ، والشَّوْلة ، والنَّعَائِم ، والبَلْدَة ، وسَعْدُ الذَّابِح ، وسَعْدُ بُلَعٍ ، وسَعْدُ السُّعُود ، وسَعْدُ الأَخْبِيَة ، وفرغ الدّلو المقدَّم ، وفَرْغُ الدّلْو المُؤَخَّر ، والرِّشا وهو الحوت .

وإذا صار القمر فى آخر منازله دَقَّ حتى يعود كالعُرْجُون القديم وهو العِذْقُ اليابس . والعرجون إذا يبس دَقَّ واسْتَقْوَس حتى صار كالقوس انحناء ؛ فشُبّه القمر به ليلة ثمانية وعشرين[١] .

ثم قال سبحانه : ﴿ لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِى لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ ﴾ يريد : أنهما يسيران
[١٣٤] الدّهر دَائِبَين ولا يجتمعان ، فَسُلْطان القمر بالليل ، وسلطان الشمس بالنهار ، ولو / أدركت الشمس القمر لذهب ضوءُه ، وبطل سلطانه ، ودخل النهار على الليل .

يقول الله جل وعز حين ذكر يوم القيامة: ﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ ﴾[٢] . وذلك عند إبطال هذا التدبير، ونقض هذا التأليف .

﴿ وَلاَ اللَّيْـلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾ يقول : هما يتعاقبان ، ولا يَسْبِق أحدُهما الآخر: فيفوته ويذهب قبل مجىء صاحبه .

﴿ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) أى : يجرُون ، يعنى الشمس والقمر والنجوم .

---

(١) قال الطبرى فى تفسيره ٢٣/٥ « فتأويل الـكلام : وآية لهم تقديرنا القمر منازل للنقصان بعد تناهيه وتمامه واستوائه ، حتى عاد كالعرجون القديم . والعرجون من العذق : من الموضع النابت فى النخلة إلى موضع الشماريخ . وإنما شبهه جل ثناؤه بالعرجون القديم ، والقديم هو اليابس ، لأن ذلك من العذق لايكاد يوجد إلا متقوسا منحنيا إذا قدم ويبس ، ولا يكاد أن يصاب مستويا معتدلا كأغصان سائر الأشجار وفروعها ، فـكذلك القمر إذا كان فى آخر الشهر قبل استسراره صار فى انحنائه وتقوسه نظير ذلك العرجون » .

(٢) سورة القيامة ٩ .

﴿ فى سورة المرسلات ﴾

﴿ انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِى ثَلَاثِ شُعَبٍ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ ﴾(١) .

هذا يقال فى يوم القيامة للمكذبين ، وذلك أن الشمس تدنو من رءوس الخلائق ، وليس عليهم يومئذ لباس ، ولا لهم كِنَانٌ ، فتلفَحُهم الشمس وتَسْفَعُهُم وتأخذ بأنفاسهم ، ومَدّ ذلك اليوم عليهم وكَرْبه ، ثم ينجّى الله برحمته من يشاء إلى ظِل من ظِلّه ، فهناك يقولون : ﴿ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾(٢) ويقال للمكذبين: ﴿ انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾(٣) من عذاب الله سبحانه وعقابه ، انطلقوا من ذلك إلى ظل من دخان نار جهنم قد سطع ثم افترق ثلاث فِرَق ، وكذلك شأن الدخان العظيم إذا ارتفع أن يتشعب. فيكونون فيه إلى أن يفرغ من الحساب ، كما يكون أولياء الله فى ظل عرشه أو حيث شاء من الظل إلى أن يفرغ من الحساب ، ثم يؤمَرُ بكل فريق إلى مُسْتَقَرّه من الجنة أو النار .

ثم وصف الظل فقال : ﴿ لَا ظَلِيلٍ ﴾ أى : لا يُظِلّكم من حَرّ هذا اليوم بل يدنيكم من لهب النار إلى ما هو أشد عليكم من حر الشمس ، ولا يغنى عنكم من اللهب .

وهذا مثل قوله سبحانه: ﴿ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾(٤) واليَحْمُوم : الدّخان ، وهو سُرَادِقُ أهل النار / فيما ذكر المفسرون(٥) . [١٣٥]

ثم وصف النار فقال : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾ فمن قرأه بتسكين الصاد ، أراد القَصْر من قُصُور مياه الأعراب(٦) .

---

(١) سورة المرسلات ٣٠–٣٣ ، وانظر تفسير الطبرى ٢٩/١٤٦–١٤٨ .

(٢) سورة الطور ٢٧ .

(٣) سورة المرسلات ٢٩ .

(٤) سورة الواقعة ٤٣ .

(٥) راجع تفسير الطبرى ٢٧/١١٠–١١١ .

(٦) فى تفسير الطبرى ٢٩/١٤٦ « فقرأ ذلك قراء الأمصار « كالقصر » بجزم الصاد ، واختلف الذين قرأوا ذلك كذلك فى معناه فقال بعضهم: هو واحد القصور . . وقال آخرون : بل هو الغليظ من الخشب =

ومن قرأه القَصَر شبَّهه بأعناق النخل ، ويقال : بأصوله إذا قُطع .

ووقع تشبيه الشّرر بالقصر فى مقاديره ، ثم شبَّهَهُ فى لونه بالجمالات الصُّفْر وهى السود ، والعرب تسمى السُّود من الإبل صُفْراً ؛ قال الشاعر :

تِلْكَ خَيْلِى مِنها وتِلْكَ رِكابى   هُنَّ صُفْرٌ أولادُها كالزَّبيب (١)

أى : هنّ سود .

وإنما سُمِّيت السُّود من الإبل : صُفْرًا ؛ لأنه يشُوب سوادَها شىء من صفرة ، كما قيل لبيض الظباء : أُدْم ، لأن بياضها تعلوه كُدْرَة .

والشَّرَرُ إذا تطاير فسقط وفيه بقية من لون النار ، أَشْبَه شىء بالإبل السّود ، لما يَشوبُها من الصفرة .

= كأصول النخل وماأشبه ذلك ... وذكر عن ابن عباس أنه قرأها .. كالقصر « بفتح القاف والصاد .. وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندنا : ماعليه قراء الأمصار ، وهو سكون الصاد ، وأولى التأويلات به : أنه القصر من القصور ، وذلك لدلالة قوله : « كأنه جمالات صفر » على صحته . والعرب تشبه الإبل بالقصور المبنية .. وقيل « بشرر كالقصر » ولم يقل : كالقصور و « الشرر » جماع ، كما قيل « سيهزم الجمع ويولون الدبر » ولم يقل : الأدبار ؛ لأن الدبر بمعنى الأدبار ، وفعل ذلك توفيقا بين رءوس الآيات ومقاطع الكلام ؛ لأن العرب تفعل ذلك كذلك ، وبلسانها نزل القرآن ، وقيل : « كالقصر » ومعنى الكلام : كعظم القصر ، كما قيل : « تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت » ولم يقل : كعيون الذى يغشى عليه ؛ لأن المراد فى التشبيه الفعل لا العين » وانظر اللسان ٦/٤١٢ .

(١) البيت للأعشى ، كما فى ديوانه ص ٢١٩ ، واللسان ٦/١٣٠ .

﴿ فى سورة الأنعام ﴾

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ، فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾(١) .

يريد : أنهم كانوا لا يَنْسِبونَك إلى الكذب ولا يعرفونك به ، فلما جِئْتَهُمْ بآيات الله جَحَدُوها، وهم يعلمون أنك صادق . والجَحْدُ يكون ممن علم الشىء فأنكره، يقول الله عزوجل: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا ﴾(٢) .

---

(١) سورة الأنعام ٣٣ وانظر تفسير الطبرى ٧/١١٥–١١٦ .

(٢) سورة النمل ١٤ وفى تفسير الطبرى ١٩/٨٦–٨٧ «وقوله : «وجحدوا بها» يقول: وكذبوا [أى فرعون وقومه] بالآيات التسع أن تكون من عند الله ... وقوله : « واستيقنتها أنفسهم » يقول : وأيقنتها قلوبهم ، وعلموا يقينا أنها من عند الله فعاندوا بعد تبينهم الحق ومعرفتهم به ... وقوله : « ظلما وعلوا » يعنى بالظلم الاعتداء ، والعلو الكبر ، كأنه قيل : اعتداء وتكبرا » .

﴿ فى سورة النساء ﴾

﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً . وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴾[١] :

فيه قولان :

أحدهما أن تكون القسمة : الوصية ، يقول : إذا حضرها أقرباؤكم الذين لا يرثونكم ، والمساكين ، واليتامى ، فاجعلوا لهم فيها حظًا ، وألينوا لهم القول ، وليخش من حضر الوصية وهو لو كان له ولد صِغار خاف عليهم بعده الضّيْعَة ، أن يأمر الموصى بالإسراف فيما يعطيه
[١٣٦] اليتامى والمساكين وأقاربه الذين لا يرثون / فيكون قد أمره بما لم يكن يفعله لو كان هو الميت. وهو معنى قول سعيد بن جُبَيْر وقَتَادَة .

قال قتادة : إذا حضرتَ وصية ميت فمُرْه بما كنت آمراً به نفسك ، وخَفْ على ورثته ما كنت خائفا على ضَعَفَةِ أولادك لو تركتهم بعدك[٢] .

والقول الآخر : أن تكون القسمة قسمة الورثة الميراث بعد وفاة الرجل ، يقول : فإذا حضرها الأقارب واليتامى والمساكين فارْضَخُوا[٣] لهم وعِدُوهم ، ثم استأنف معنى آخر فقال: وليخش من لو ترك ولدا صغارا خاف عليهم الضّيْعَة ، فليُحْسن إلى من كَفَله من اليتامى وليفعل بهم ما يحب أن يفعل بولده من بعده . وهو معنى قول ابن عباس فى رواية أبى صالح عنه .

---

(١) سورة النساء ٨ ، ٩ وتفسير الطبرى ٤/١٧٦ـ١٨٤ .

(٢) راجع قول قتادة فى الطبرى ٤/١٨٢ .

(٣) فى اللسان ٣/٤٩٦ « الرضخ : العطية القليلة » .

﴿ فى سورة البقرة ﴾

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ، فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾(١).

هذا مثل ضربه الله تبارك وتعالى للمنافقين والمُرائين بأعمالهم لا يريدون به شيء منها.

يقول: يَرِدُون يوم القيامة على أعمال قد مَحقَهَا الله وأبطلها، ووَكلهم فى ثوابها إلى من عَمِلوا له، أحوجَ ما كانوا إلى أعمالهم، فمثلهم كمثل رجل كانت له جَنَّة فيها من كل الثمرات، وأصابه الكِبَرُ فضعُفَ عن الكسب، وله أطفال لا يُجدُون عليه ولا ينفعونه، فأصابها إِعْصارٌ فيه نار فاحترقت، ففقدَها أَحْوَجَ ما كان إليها عند كبر السن، وضعف الحِيلة، وكثرة العيال، وطُفُولة الولد. وهو معنى قول ابن عباس وغيره.

وقد ضرب الله لهم قبل هذا مثلا فيه هذا المعنى بعينه، فقال: ﴿كَالَّذِى يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَىْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾(٢) / [١٣٧]

يريد سبحانه: أنه مَحق كَسْبَهُم، فلم يقدروا عليه حين حاجتهم إليه، كما أذهب المطر التراب عن الصَّفا، ولم يوافق فى الصَّفا مَنْبِتاً.

ثم ضرب مثلا للمخلصين، فقال: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أى: تحقيقاً من أنفسهم؛ فقال: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ وأحسن ما تكون الجنان والرّياض: على الرُّبا؛ ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ وهو أشدّ المطر فَأَضْعَفَتْ

---

(١) سورة البقرة ٢٦٦ وتفسير الطبرى ٣/٤٩-٥٣.

(٢) سورة البقرة ٢٦٤ وتفسير الطبرى ٣/٤٣-٤٦.

فى الحمل ، ثم قال : ﴿ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾[١] أى : أصابها طَلّ ، وهو أضعف المطر ، فتلك حالها فى التزَّل وتضاعف الثمر ، لا ينقص بالطَّل عن مقدارها بالوابل .

(١) سورة البقرة ٢٦٥ وتفسير الطبرى ٣/٤٦–٤٩ وفى ص ٤٨ « الربوة : من الأرض : مانشز منها فارتفع عن السيل .. وإنما سميت الربوة لأنها ربت فغلظت وعلت ، من قول القائل : ربا هذا الشىء يربو : إذا انتفخ فعظم .. وإنما وصفها بذلك جل ثناؤه لأن ماارتفع عن المسايل والأودية أغلظ ، وجنان ماغلظ من الأرض أحسن وأزكى ثمرا وغرسا وزرعا ، مما رق منها ، ولذلك قال أعشى بنى ثعلبة فى وصف روضة :

ماروضة من رياض الحزن معشبة   خضراء جاد عليها مسبل هطل

فوصفها بأنها من رياض الحزن ؛ لأن الحزون غرسها ونباتها أحسن وأقوى من غروس الأودية والتلال وزروعها » .

﴿في سورة الرعد﴾

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ، كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْباطِلَ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً، وَأَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ، كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثالَ﴾(١)

هذا مثل ضرَبه اللهُ للحق والباطل. يقول: الباطل وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال وعلاه، فإن الله سيَمْحَقه ويُبطله، ويجعل العاقبة للحق وأهله، ومثلُ ذلك مطر جَوْد أسال الأودية بقدَرِها، الكبير على قدره، والصغير على قدره.

﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ أي: عاليا على الماء كما يعلو الباطل تارةً على الحق. ومن جواهر الأرض التي تُدخَلُ الكِيْرَ ويُوقَدُ عليها، يعني الذهب والفضة للحلية، والشَّبَه والحديد للآلة حيث يعلوها مِثْلُ زبد الماء.

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً﴾ أي: يلقيه الماءُ عنه / فيتعلّق بأصول الشّجر وبجَنَبات [١٣٨] الوادي، وكذلك خَبث الفِلِزّ يَقْذِفُه الكِير، فهذا مثل الباطل.

﴿وَأَمَّا ما﴾ الماء الذي ﴿يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ ويُنبتُ المرعى ﴿فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ وكذلك الصَّفْوُ من الفِلِزّ يبقى خالصاً لا شَوْبَ فيه، فهو مَثلُ الحق.

---

(١) سورة الرعد ١٧ وتفسير الطبري ١٣/ ٩٠–٩٣.

﴿ فى سورة النور ﴾

قول الله عز وجل : ﴿ اللّٰهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ، الْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ، يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِى اللّٰهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللّٰهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ، وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ، فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللّٰهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ . لِيَجْزِيَهُمُ اللّٰهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ، وَاللّٰهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللّٰهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ، وَاللّٰهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ . أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِى بَحْرٍ لُجِّىٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ، ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّٰهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾(١) .

هذا مثل ضربه الله لقلب المؤمن ، وما أودعه بالإيمان والقرآن من نوره فيه . فبدأ فقال : ﴿ اللّٰهُ نُورُ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، أى بنوره يهتدى مَنْ فى السموات والأرض .

ثم قال : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾ ، يعنى فى قلب المؤمن . كذلك قال المُفسِّرون .

وكان أُبَىٌّ يقرأ : ﴿ اللّٰهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِ الْمُؤْمِنِ ﴾ ، رَوَى ذلك عُبَيْدُ الله بن موسى ، عن أبى جعفر الرّازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالِيَة(٢) .

﴿ كَمِشْكَاةٍ ﴾ ، وهى الكُوَّة غير النافذة .

---

(١) سورة النور ٣٥ــ٤٠ وتفسير الطبرى ١٨/١٠٤ــ١١٧ .

(٢) تفسير الطبرى ١٨/١٠٥ والبحر المحيط ٦/٤٥٥ .

﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ ، أى سراج . ﴿ المِصْبَاحُ ﴾ فى قنديل ، القنديل كأنّه من شدة بياضه وتَلَأْلُؤه كوكب دُرِّى، يَتَوَقَّدُ ذلك المصباح بزيت من شجرة ﴿ لا شَرْقِيَّةٍ ﴾ ، أى لا بارزة للشمس كلّ النهار ﴿ وَلا غَرْبِيَّةٍ ﴾ لا مُسْتَتِرة فى الظلّ كلّ النهار، ولكنها شرقية غربية تُصيبُها الشمس فى بعض النهار والظلّ فى بعض النهار ، وإذا كان كذلك فهو أَنْضَرُ لها ، وأجود لحملها ، وأكثر لِنَزْلِهَا [(١)] ، وأصفى لدُهنها .

﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىءُ وَلَوْ لَمْ ﴾ يُسْرَج به من شدة صفائه . وتم الكلام ثم ابتدأ فقال :

﴿ نُورٌ على نُورٍ ﴾ ، يعنى نُورَ المصباح على نور الزّجاجة والدُّهْن . ﴿ يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ ، ثم قال / : [١٣٩]

هذا المصباح ﴿ فى بُيُوتٍ ﴾ [(٢)] ، يعنى المساجد ؛ وذكر أهلها فقال : ﴿ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [(٣)] ، يريد أن القلوب يوم القيامة تعرف أَمْرَهُ يقيناً فتتقلَّبُ عما كانت عليه من الشك والكفر ، وأن الأبصار يومئذ ترى ما كانت مُغطّاة عنه فتتقلّب عمّا كانت عليه . ونحوه قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فى غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [(٤)] .

ثم ضرب مثلاً للكافرين، فقال: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمآنُ مَاءً ﴾ ، أى كالسراب يحسبه العطشان من البُعد ماءً يرويه ﴿ حَتَّى إِذا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ﴾ .

كذلك الكافر يحسب ماقدّم من عمله نافِعَهُ، حتى إذا جاءَه ، أى مات ، لم يجد عمله شيئاً

---

(١) فى اللسان ١٤/١٨٢ « النزل والنزل ـ بالتحريك ـ ريع مايزرع ، أى زكاؤه وبركته والجمع أنزال ... وأرض نزلة : زاكية الزرع والكلاء » .

(٢) سورة النور ٣٦ .

(٣) سورة النور ٣٧ .

(٤) سورة ق ٢٢ .

لأنّ الله عزّ وجلّ قد أبطله بالكفر ومحقه ، ﴿ وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ ﴾ ، أى عند عمله ﴿ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ﴾[1] .

ثم ضرب مثلا آخر ، فقال : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فى بَحْرٍ لُجِّىٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ، ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ ، يريد أنه فى حيرة من كُفره كهذه الظلمات .

﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا ﴾ فى قلبه ، ﴿ فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾[2] .

---

(١) سورة النور ٣٩ .

(٢) سورة النور ٤٠ .

﴿ فى سورة سبإ ﴾

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ . وَقَالُوا : آمَنَّا بِهِ، وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ . وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ . وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ، إِنَّهُمْ كَانُوا فِى شَكٍّ مُرِيبٍ﴾[1] .

كان الحسن ـ رضى الله عنه ـ يجعل الفزع يوم القيامة إذا بعثوا من القبور[2] ، يقول : ولو ترى يا محمد فزعهم حين لا فَوْتَ ، أى لا مهربَ ولا ملجأ يفوتُون به ويلجأون إليه ، وهذا نحو قوله : ﴿ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾[3] ، أى نادَوْا حين لا مهرب .

﴿ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ ، يعنى القبور[4] .

﴿ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ ﴾ ، أى بمحمد صلى الله عليه .

﴿ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ ﴾ ، والتناوش: التّناول، أى كيف لهم بنيل مايطلبون من الإيمان فى هذا الوقت: الذى لا يُقالُ فيه كافرٌ ولا تقبل توبته ؟

وقوله : ﴿ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ، يريد بُعْدَ ما بين مكانهم يوم القيامة ، وبين المكان الذى تُتقبّل فيه الأعمال . ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ ، أى بمحمد صلى الله عليه . يقول: كيف ينفعهم الإيمان به فى الآخرة: وقد كفروا به فى الدنيا ؟

---

(١) سورة سبأ ٥١ـ٥٤ وتفسير الطبرى ٢٢/٧٢ـ٧٦ .

(٢) الطبرى ٢٢/٧٣ .

(٣) سورة ص ٣ .

(٤) هذا على تفسير الحسن ، وذهب غيره إلى أن الله عنى بهذه الآية المشركين الذين وصفهم بقوله : « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا : ماهذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم » وقالوا : وعنى بقوله : « إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب » عند نزول نقمة الله بهم فى الدنيا ، وهو الرأى الذى ارتضاه الطبرى فى ص ٧٣ وأنا إلى رأى الحسن أميل .

﴿ وَيَقْذِفُونَ بِالغَيْبِ ﴾ ، أى بالظنّ أن التوبة تنفعهم . ﴿ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ، أى بعيدٍ من موضع تقبُّلِ التوبة .

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ من الإيمان . ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ ﴾ ، أى بأشباههم من الأمم الخالية .

***

وكان غير الحسن يجعل الفزع عند نزُولِ بَأْسِ الله من الموت أو غيره ، ويعتبره بقوله فى موضع آخر : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا : آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ . فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ، سُنَّةَ اللهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ فى عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾[1] .

---

(١) سورة غافر ٨٤ــ٨٥ وتفسير الطبرى ٥٨/٢٤ .

في سورة النور

﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ ، أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ﴾(١) .

كان المسلمون فى صدر الإسلام حين أُمروا بالنصيحة ونُهوا عن الخيانة وأُنزل عليهم : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾(٢) . أى : لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حق ـ أدَقُّوا النظر وأفرطوا فى التوقّى ، وترَكَ بعضهم مُؤاكلة بعض ، فكان الأعمى لا يؤاكل الناس؛ لأنه لا يبصر الطعام فيخاف أن يستأْثِر ، ولا يؤاكله الناس يخافون لضرره أن يقصر .

وكان الأعرج يَتَوَقّى ذلك ؛ لأنه يحتاج لزمانته إلى/ أن يتفسّح فى مجلسه ، ويأخذ أكثر [١٤١]
من موضعه ، ويخاف الناس أن يسبقوه لضعفه .

وكان المريض يخاف أن يفسد على الناس طعامهم بأمور قد تعترى مع المرض: من رائحة تتغيّر أو جرح يَبِضّ(٣) أو أنف يذِنّ(٤) أو بول يَسْلَس(٥) ؛ وأشباه ذلك . فأنزل الله تبارك وتعالى: ليس على هؤلاء جناح فى مؤاكلة الناس ، وهو معنى قول ابن عباس فى رواية أبى صالح .

---

(١) سورة النور ٦١ وتفسير الطبرى ١٨/١٢٨–١٣٣ .

(٢) سورة البقرة ١٨٨ .

(٣) يبض : يسيل .

(٤) فى اللسان ١٧/٣٢ « ذن أنفه يذن : إذا سال . والذنين والذنان : المخاط الرقيق الذى يسيل من الأنف » .

(٥) فى اللسان ٧/٤١١ « وسلس بول الرجل : إذا لم يتهيأ له أن يمسكه » .

وأما عائشة رضى الله عنها فإنها قالت : كان المسلمون يُوعِبون[١] مع رسول الله صلى الله عليه فى المَغازى ، ويدفعون مفاتيحهم إلى الضَّمْـنَى ، وهم الزَّمْنى ، ويقولون لهم : قد أحلَلْنا لكم أن تأكلوا مما فى منازلنا ، فكانوا يتوقَّوْن أن يأكلوا من منازلهم حتى نزلت هذه الآية .

وإلى هذا يذهب قوم؛ منهم الزُّهْرِى[٢] .

ثم قال الله عز وجل: ﴿ وَلاَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ ﴾. أراد: ولا عليكم أنفسكم أن تأكلوا من أموال عيالكم وأزْوَاجِكم .

وقال بعضهم : أراد: أن تأكلوا من بيوت أولادكم ، فنسب بيوت الأولاد إلى الآباء ؛ لأن الأولاد كسبهم وأموالهم كأموالهم ؛ يدلك على هذا: أن الناس لا يتوقَّوْن أن يأكلوا من بيوتهم ، وأن الله سبحانه عدد القرابات وهم أبعد نسبا من الولد ، ولم يذكر الولد . وقال المفسرون فى قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وتَبَّ ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾[٣] أراد: ما أغنى عنه ماله وولده ، فجعل الولد كسباً .

ثم قال : ﴿ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ ﴾ يريد إخوتكم ﴿ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ ، أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ ، أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ ، أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ ، أَوْ بُيُوتِ خَالاَتِكُمْ ، أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ ﴾ ، يعنى العبيد ؛ لأن السيد يملك منزل عبده . هذا على تأويل ابن عباس .

---

(١) فى اللسان ٢/٣٠٠ « وأوعب القوم : إذا خرجوا كلهم إلى الغزو ، وفى حديث عائشة : كان المسلمون يوعبون فى النفير مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أى يخرجون بأجمعهم فى الغزو » .

(٢) فى تفسير الطبرى ١٧/١٢٩ « عن معمر قال : قلت للزهرى فى قوله : « ليس على الأعمى حرج » : ما بال الأعمى ذكر ههنا والأعرج والمريض ؟ فقال : أخبرنى عبيد الله بن عبد الله ، أن المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمناهم ، وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم ، يقولون : قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما فى بيوتنا . وكانوا يتحرجون من ذلك ، يقولون : لاندخلها وهم غيب . فأنزلت هذه الآية رخصة لهم »

(٣) سورة المسد ١ـ٢ وتفسير الطبرى ٣٠/٢١٨ .

[١٤٢] وقال غيره : أو ما خزنتموه لغيركم ، يريد الزَّمْنى الذين كانوا يخزنون / للغزاة ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً ﴾ من منازل هؤلاء إذا دخلتموها وإن لم يحضروا ولم يعلموا ، من غير أن تتزوَّدوا وتحملوا ؛ ولا جُناح عليكم أن تأكُلوا جميعاً أو فُرَادَى ، وإن اختلفتم : فكان فيكم الزَّهِيد ، والرَّغيب[١] ، والصحيح ، والعليل .

وهذا من رخصتِه للقَرَابَاتِ وذوى الأَوَاصِرِ ، كرخصته فى الغرباء والأباعد لمن دخل حائطاً وهو جائع : أن يُصِيبَ من ثمره ، أو مرَّ فى سفر بغنم وهو عطشان : أن يشرب من رِسْلِها[٢] ؛ وكما أوجَبَ للمسافر على من مرَّ به الضيافةَ : تَوْسِعَةً منه ولطفا بعباده ، ورغبةً بهم عن دناءة الأخلاق ، وضيق النظر .

(١) فى اللسان ٤ / ١٨٠ عن الأزهرى : « رجل زهيد العين : إذا كان يقنعه القليل ، ورغيب العين : إذا كان لا يقنعه إلا الكثير » .

(٢) الرسل : اللبن ، كما فى اللسان ١٣ / ٣٠٣ .

﴿ فى سورة الأنعام ﴾

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ: هَذَا رَبِّى ، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ : لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ : هَذَا رَبِّى ، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ : لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ : هَذَا رَبِّى ، هَذَا أَكْبَرُ، فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ : يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(١) .

كان العصر الذى بَعَثَ الله عز وجل فيه إبراهيم صلى الله عليه عصر نُجُوم وكِهَانة ، وإنما أمرَ نُمْرُوذُ بقتلِ الوِلدان فى السنة التى ولد فيها إبراهيم صلى الله عليه؛ لأن المنجمين والكهَّان قالوا : إنه يولد فى تلك السنة من يدعو إلى غير دينه ، ويَرْغَبُ عن سُنَّتِه(٢) .

وكان القوم يعظِّمون النجومَ ويقضُون بها على غائب الأمور ، ولذلك نظر إبراهيم نظرةً فى النجوم فقال : ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ .

وكان القوم يريدون الخروج إلى مَجْمعٍ لهم، فأرادوه على أن يغدُوَ معهم ، وأراد كَيْدَ أصنامهم خِلافَ مَخْرَجهم؛ فنظَر نظرة فى النجوم، يريد علم النجوم، أى فى مقياس من مقاييسها، أو سبب من أسبابها ، ولم ينظر إلى النجوم أنفسها . يدلك على ذلك قوله : ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى النُّجُومِ ﴾/ولم يقل: إلى النجوم . وهذا كما يقال : فلان ينظر فى النجوم ، إذا كان يعرف [١٤٣] حسابها ، وفلان ينظر فى الفقه والحساب والنحو .

وإنما أراد بالنظر فيها: أن يوهمهم أنه يعلم منها ما يعلمون ، ويتعرف الأمور من حيث يتعرفون ؛ وذلك أبلغ فى المِحَال والطف فى المكيدة ﴿ فَقَالَ : إِنِّى سَقِيمٌ ﴾(٣) أى سأَسْقَمُ فلا أقدر على الغُدُوِّ معكمْ . هذا الذى أوهمهم بمعاريض الكلام، ونيته أنه سَقِيمٌ غداً لا محالة،

(١) سورة الأنعام ٧٦–٧٩ وتفسير الطبرى ٧/١٦٢–١٦٥ .

(٢) راجع تفصيل ذلك فى الطبرى ٧/١٦٣ .

(٣) سورة الصافات ٨٩ وتفسير الطبرى ٢٣/٤٥ .

لأن من كانت غايته الموت ومصيره إلى الفناء فسَيَسْقَم . ومثله قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾(١) ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم مَيِّتاً فى ذلك الوقت ، وإنما أراد : أنك ستموت وسيموتون .

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى ﴾ الزُّهَرَةَ ﴿ فَقَالَ هَذَا رَبِّى ﴾ يريد : أن يستدرجهم بهذا القول ، ويُعَرِّفهم خطأهم ، وجهلَهم فى تعظيمهم شأن النجوم ، وقضاءهم على الأمور بدلالتها. فأراهم أنه معظِّمٌ ما عظَّموا ، ومُلتمس الهدى من حيث التمسوا . وكلٌّ من تابَعَكَ على هواكَ وشايعك على أمرك : كُنت به أوثق ، وإليه أسكَنَ وأرْكَنَ . فأنسوا واطمأنّوا .

﴿ فَلَمَّا أَفَلَ ﴾ أراهم النقص الداخِل على النجم بالأُفول ؛ لأنه ليس ينبغى لإلهٍ أن يزول ولاأن يغيب، فـ ﴿ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ واعتبر مثل ذلك فى الشمس والقمر حتى تَبين للقوم ما أراد ، من غير جهة العِناد والمباداة بالتنقص والعيب .

ثم قال : ﴿ إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ، إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ ﴾ ومافيها : من نجم وقمر وشمس ﴿ وَالْأَرْضَ ﴾ وما فيها : من بحر وجبل وحجر وصنم ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ . ومثل هذا : الحَوارىّ / حين ورد على قوم يعبدون بُدّاً(٢) لهم [١٤٤] فأظهر تعظيمه وتَرْفيله(٣) ، وأراهم الاجتهاد فى دينهم ؛ فأكرموه وفضّلوه وائتمنوه وصدَرُوا فى كثير من الأمور عن رأيه . إلى أن دَهَمَهم عدوٌّ لهم خافه الملكُ على مملكته ، فشاور الحَوارِىَّ فى أمره ؛ فقال : الرأى أن ندعو إلهنا ، يعنى البُدَّ ، حتى يكشف ما قد أظلّنا ؛ فإنا

---

(١) سورة الزمر ٣٠ .

(٢) فى اللسان ٤٨/٤ « البد : الصنم الذى يعبد ، لاأصل له فى اللغة . فارسى معرب ، والجمع : البددة » بفتح الباء والدال .

(٣) فى اللسان ٣١١/١٣ « الترفيل : التسويد والتعظيم ، ورفلت الرجل : إذا عظمته وملكته ، قال ذو الرمة :

إذا نحن رفلنا أمرأ ساد قومه ... وإن لم يكن من قبل ذلك يذكر

لمثل هذا اليوم كُنّا نُرشّحه . فاسْتَكَفُّوا(١) حوله يتضرّعون إليه ويجأرون ، وأمرُ عدوّهم يستفحل، وشَوْكتهُ تشتد يوما بعد يوم. فلما تبين لهم من هذه الجهة أن بُدَّهُم لا ينفع ولا يدفع، ولا يبصر ولا يسمع ، قال : ههنا إله آخر أدْعوه فيَستَجيب وأستَجِيرُه فيجير ، فهلموا فلنَدْعُهُ . فدَعَوُا الله جميعاً فصرف عنهم ما كانوا يُحاذرون ، وأسلموا .

ومن الناس من يذهب إلى أن إبراهيم صلى الله عليه كان فى تلك الحال على ضلال وحَيرة. وكيف يتوهَّمُ ذلك على من عصمه الله وطهره فى مستقرِّه ومُستَوْدَعِه ، والله سبحانه يقول: ﴿ إذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾(٢) . أى : لم يشرك به قطّ ، كذلك قال المفسرون ، أو من قال منهم(٣) .

ويقول فى صدر الآية : ﴿ وَكَذلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾(٤) ثم قال على أثر ذلك: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ﴾.

فرُوِىَ: أنه رأى فى الملكوت عبداً على فاحشة فدعا الله عليه؛ ثم رأى آخر على فاحشة فدعا اللهَ عليه؛ فقال له الله : « يا إبراهيم أُكْفُفْ دعوتك عن عبادى فإن عبدى بين خلالٍ ثلاث: إما أن أخرج منه ذرِّية طيّبة، أو يتوب فأغفر له ، أو النار من ورائه ».

أَفَتَرَى الله أراه الملكوت ليوقن ، فلما أيقن رأى كوكبا فقال : هذا ربى على الحقيقة والاعتقاد / ؟! . [١٤٥]

---

(١) فى اللسان ٢١٣/١١ « قال الفراء : استكف القوم حول الشىء أى أحاطوا به ينظرون إليه » .

(٢) سورة الصافات ٨٤ .

(٣) راجع تفسير الطبرى ٤٤/٢٣ .

(٤) سورة الأنعام ٧٥ .

﴿ في سورة الأنعام ﴾

﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ، قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ ، نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ، قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَٰذَا ، فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[1] .

أراد : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ﴾[2] ، وأنشأ لكم ﴿ مِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ يعنى : كبارا وصغارا ﴿ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾[3] ، أى : لا تقفوا أثره فيما يُحرِّم عليكم مما لم يُحرِّمه الله ، ويحلّه لكم مما حرّمه الله عليكم .

ثم قال : ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ ، أى : كلوا مما رزقكم الله ثمانيةَ أزواج ، وإنْ شئتَ جعلتَه منصوباً بالرّدّ إلى الحَمُولَةِ والفَرْشِ تَبْيِيناً لها[4] .

والثمانية الأزواج : الضأن ، والمعز ، والإبل ، والبقر .

وإنما جعلها ثمانية وهى أربعة ؛ لأنه أراد : ذكراً وأنثى من كل صنف ، فالذكر زوجٌ ، والأنثى زوج ، والزوج يقع على الواحد والاثنين[5] . ألا ترى أنك تقول للرجل : زوج؛ وهو

(١) سورة الأنعام ١٤٣ـ١٤٤ وتفسير الطبرى ٨/٤٨ـ٥١ .

(٢) سورة الأنعام ١٤١ .

(٣) سورة الأنعام ١٤٢ .

(٤) فى تفسير الطبرى ٨/٤٨ « وإنما نصب الثمانية لأنها ترجمة عن الحمولة والفرش وبدل منها ، كأن معنى الكلام : ومن الأنعام أنشأ ثمانية أزواج ، فلما قدم قبل الثمانية الحمولة والفرش بين ذلك بعد فقال : ثمانية أزواج على ذلك المعنى . . » .

(٥) قال أبو بكر محمد بن القاسم الأنبارى فى كتاب الأضداد ص ٣٢٧ « وقال قطرب : الزوج من الأضداد ، يقال زوج للاثنين وزوج للواحد . وهذا عندى خطأ ، لايعرف الزوج فى كلام العرب لاثنين ، إنما يقال للاثنين : زوجان ، بهذا نزل كتاب الله ، وعليه أشعار العرب ، قال الله عز وجل : « وأنه =

واحد، وللمرأة: زوج؛ وهى واحدة؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾(١).

وكانوا يقولون: ما فى بطون الأنعام حلال لذكورنا ونسائنا إن كان الجنين ذكراً، ومُحَرَّمٌ على إناثنا إن كان أنثى. ويُحرِّمون على الرجال والنساء الوَصِيلَةَ وأخاها، ويزعمون أن الله حرّم ذلك عليهم. فقال الله سبحانه: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَـٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾(٢).

وقال يُقَايِسُهم فى تحريم ماحرَّموا: ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ من الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ﴾ الله عليكم ﴿أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ؟﴾، فإن كان التحريم من جهة الذكرين: فكل ذكر حرام عليكم، وإن كان التحريم من جهة الأُنْثَيَيْنِ: فكل أُنثى حرامٌ عليكم؛ ﴿أَمْ﴾ حرَّم عليكم ﴿مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ﴾: من الأجنّة؟.

= خلق الزوجين الذكر والأنثى» أراد بالزوجين الفردين، إذ ترجم عنهما بذكر وأنثى. وقال عز ذكره: «ثمانية أزواج من الضأن اثنين – الآية – فكأن المعنى: ثمانية أفراد، أنشأ من الضأن اثنين، وكذلك مابعدهما، فالأزواج معناها: الأفراد لاغير، والعرب تفرد الزوج فى باب الحيوان فيقولون: الرجل زوج المرأة والمرأة زوج الرجل ... ويقال للأبيض والأسود: زوجان، وللحلو والحامض: زوجان، ولايقال لأحدهما زوج. فمن ادعى أن الزوج يقع على الاثنين فقد خالف كتاب الله وجميع كلام العرب؛ إذ لم يوجد فيهما شاهد له، ولا دليل على صحته وتأوله» وانظر للسان ٣/١١٥.

وقال الطبرى فى تفسيره: ٨/٤٨ «ويقال للاثنين: هما زوج، كما قال لبيد:

من كل محفوف يظل عصيه ... زوج عليه كلة وقرامها

وانظر معنى البيت فى شرح القصائد العشر ص١٣١.

(١) سورة النجم ٤٥.

(٢) سورة المائدة ١٠٣ وقد جاء فى تفسير الطبرى ٧/٥٦–٥٧ «والبحيرة: الفعيلة من قول القائل: بحرت أذن هذه الناقة: إذا شقها، أبحرها بحرا، والناقة مبحورة، ثم تصرف المفعولة إلى فعيلة، فيقال: هى بحيرة ... عن أبى الأحوص عن أبيه قال: دخلت على النبى، صلى الله عليه وسلم، فقال: أرأيت إبلك ألست تنتجها مسلمة آذانها، فتأخذ الموسى فتجدعها، تقول: هذه بحيرة، وتشق آذانها، تقول: هذه حرم؟ قال: نعم، قال: فإن ساعد الله أشد، وموسى الله أحدّ، كل مالك لك حلال، لايحرم عليك منه شىء ...

فإن كان التحريم من جهة الاشتمال: فالأرحام تشتمل على الذكور، وتشتمل على الإناث، وتشتمل على الذكور والإناث، فكل جنين حرام. ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَـٰذَا﴾ / أى حين أمر الله بهذا فتكونون على يقين؟ أم تفترونه عليه وتختلقونه؟ توبيخ [١٤٦]
﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(١).

وأما السائبة، فإنها المسيبة المخلاة، وكانت الجاهلية يفعل ذلك أحدهم ببعض مواشيه، فيحرم الانتفاع به على نفسه، كما كان بعض أهل الإسلام يعتق عبده سائبة فلا ينتفع به ولا بولائه، وأخرجت المسيبة بلفظ السائبة كما قيل: عيشة راضية بمعنى مرضية.

وأما الوصيلة، فإن الأنثى من نعمهم فى الجاهلية كانت إذا أتأمت بطنا بذكر وأنثى قيل: قد وصلت الأنثى أخاها بدفعها عنه الذبح فسموها وصيلة.

وأما الحامى، فإنه الفحل من النعم، يحمى ظهره من الركوب والانتفاع بسبب تتابع أولاد تحدث من فحلته. وقد اختلف أهل التأويل فى صفات المسميات بهذه الأسماء، وما السبب الذى من أجله كانت تفعل ذلك... ص ٧-٦٠».

(١) سورة الأنعام ١٤٤ وتفسير الطبرى ٨/٥٠-٥١.

﴿ فى سورة التين ﴾

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِين ، إلّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ، أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ؟ ﴾(١) .

يريد : عدّلنا خلقه، وقوّمناه أحسن تعديل وتقويم .

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ ، والسّافلون : هم الضعفاء والزَّمْنَى والأطفال ، ومن لا يستطيع حيلة ، ولا يجد سبيلا . وتقول : سَفَل يسفُل فهو سافِل ، وهم سافِلُون . كما تقول : غلا يغلُو فهو غالٍ وهم غالُون . وهو مثل قوله سبحانه : ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾ .

وأراد: أنّ الهرِم يَخْرَفُ ويُهْتَرُ وينقص خَلْقُه ، ويضعف بصره وسمعه ، وتقلّ حيلته ، ويعجز عن عمل الصالحات؛ فيكونُ أسْفَلَ من هؤلاء جميعاً .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ فى وقت القوّة والقدرة، فإنَّهم فى حال الكِبر غيرُ منقوصِين ؛ لأنّا نعلم أنا لو لم نسلبهم القدرة والقُوّة لم يكونوا ينقطعون عن عمل الصّالحات ، فنحن نُجْرِى لهم أجْرَ ذلك ولا نَمُنُّهُ ، أى لا نقطعه ولا ننقصه . وهو معنى قول المفسرين ؛ ومثله قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ ، والخسر : النقصان ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾(٢) فإنهم غير منقوصين . ونحوه قولُ رسول الله صلى الله عليه : « يقول الله للكرام الكاتبين : إذا مرض عبدى فاكتبوا له ما كان يعمل فى صحته: حتى أُعافِيَهُ أو أَقْبِضَهُ » .

ثم قال : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ ﴾ أيها الإنسان ﴿ بِالدِّينِ؟ ﴾ أى : بِمُجازاتِى إيّاك بعملك وأنا أحْكَمُ الحاكمين ؟

---

(١) سورة التين ٣ـ٨ وتفسير الطبرى ٣٠/١٥٥ـ١٦١ .

(٢) سورة العصر ٢ـ٣ .

﴿ فى سورة والشمس وضحاها ﴾

قوله سبحانه : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾(١) .

أقسم بالنفس وخالقه لها / ثم قال : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ ، أى: فهّمها أعمال [١٤٧] البر وأعمال الفجور ، حتى عرف ذلك الجاهلُ والعاقل ، ثم قال : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ يريد أفلح من زكى نفسه، أى: أنماها وأعلاها بالطاعة والبرّ والصّدقة واصطناع المعروف .

وأصل التزكية : الزّيادة ، ومنه يقال : زكا الزرع يزكو : إذا كثر رَيْعُهُ ، وزكتِ النَّفقة : إذا بُورِكَ فيها ، ومنه زكاة الرّجل عن ماله ؛ لأنّها تُثَمِّرُ ماله وتُنَمِّيه . وتزكية القاضى للشّاهد منه؛ لأنه يرفعه بالتَّعْديل والذّكر الجميل .

﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾، أى: نقصها وأخفاها بترك عمل البرّ، وبركوب المعاصى(٢) . والفاجرُ أبداً خَفِيُّ المكان ، زَمِرُ المُرُوءَة ، غامض الشّخص ، ناكِسُ الرأس .

ودَسَّاهَا من دَسَّست ، فقُلِبَتْ إِحْدَى السِّينات ياءً ، كما يقال: لبَّيْتُ، والأصل لبّبْتُ(٣)؛ و: قَصَّيْتُ أظفارى ، وأصله قَصَصْتُ ، ومثله كثير.

فكأنّ النَّطِفَ(٤) بارتكاب الفواحش دَسّ نفسه وقَمَعها ، ومُصْطَنِعَ المعروفِ شهر نفسه ورفعها .

وكانت أجواد العرب تنزل الرُّبا وأيْفاعَ(٥) الأرض لتشْهرَ أماكنها للمُعْتَفِين ، وتُوقِدَ النِّيران فى الليل للطّارقين .

---

(١) سورة الشمس ٧ــ١٠ وتفسير الطبرى ٣٠/١٣٤ــ١٣٦ .

(٢) قال الطبرى ٣٠/١٣٥ « يقول تعالى ذكره : وقد خاب فى طلبته فلم يدرك ماطلب والتمس لنفسه من الصلاح ــ من دساها ، يعنى من دسس الله نفسه فأخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى ، حتى ركب المعاصى وترك طاعة الله » .

(٣) راجع اللسان ٢/٢٢٦ .

(٤) النطف : المتهم ، كما فى اللسان ١١/٢٤٨ .

(٥) اليفاع : المشرف من الأرض .

وكانت اللئام تنزل الأَوْلاجَ[١] والأطراف والأَهْضَامَ[٢]: لتُخفى أماكنها على الطّالبين.

فأولئك أعلَوْا أنفسهم وزكّوها، وهؤلاء أخفَوْا أنفسهم ودسّوها؛ قال الشاعر:

وبوَّأْتَ بَيْتَكَ فى مَعْلَمٍ رَحِيبِ المَبَاءَةِ والمَسْرَحِ[٣]
كَفَيْتَ العُفَاةَ طِلابَ القِرَى ونَبْحَ الكِلابِ لِمُسْتَنْبِحِ
تَرَى دَعْسَ آثَارِ تِلْكَ المطىِّ م أَخَادِيدَ كاللَّقَمِ الأَفْيَحِ[٤]
ولو كنتَ فى نَفَقٍ زَائغٍ لـكُنْتَ على الشَّرَكِ الأَوْضَحِ[٥]

ومثل هذا كثير.

---

(١) الأولاج: جمع ولجة — بالتحريك — وهى موضع أو كهف يستتر فيه المارة من مطر أو غيره، كما فى اللسان ٣/٢٢٣.

(٢) فى اللسان ١٦/٩٨ «الهضم: ما تطامن من الأرض وجمعه أهضام».

(٣) الأبيات فى الحيوان ١/٣٨١–٣٨٢، ٥/١٣٤–١٣٥ والبيت الأول غير منسوب فى كتاب المعانى الكبير ص ٤٠٩.

(٤) فى اللسان ٧/٣٨٧ «دعست الإبل الطريق تدعسه دعسا: وطئته وطئاً شديدا. والدعس: الأثر، وقيل: هو الأثر البين» وفيه ٤/١٣٩ «الأخاديد: شرك الطريق وكذلك أخاديد السياط فى الظهر ما شقت منه» وفى ١٦/٢٠ «واللقم — بالتحريك — وسط الطريق والأفيح: الواسع».

(٥) زائغ مائل، والشرك: الطريق الواسع.

﴿ فى لا أقسم بيوم القيامة ﴾

/﴿ أَيَحْسَبُ الإنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ؟ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّىَ بَنَانَهُ ، بَلْ يُرِيدُ الإنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾ (١) . [١٤٨]

هذا ردّ من الله عليهم ، وذلك أنهم ظنوا أن الله لا ينشرُ الموتى ، ولا يَقْدِرُ على جَمْعِ العِظام البالية ؛ فقال: بلى ، فاعلموا أنّا نقدر على رد السُّلاميَات (٢) على صغرها ، ونؤلِّف بينها حتى يَسْتوىَ البَنان . ومَنْ قدَر على هذا فهو على جمع كبار العظام أَقْدَرُ (٣) .

ومثلُ هذا رجل قلت له : أتُراكَ تقدِر على أن تؤلّف هذا الحَنْظَلَ فى خيط ؟ فيقول لك : نعم و بَيْنَ الخَرْدل .

وأما قوله سبحانه: ﴿ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾ فقد كثرت فيه التفاسير (٤) ، فقال سعيد بن جُبَيْر يقول : سوف أتوب ، سوف أتوب .

وقال الكلبى : يُكثِرُ الذنوب ، ويؤخّرُ التوبة .

وقال آخرون: يتمنّى الخطيئةَ .

وفيه قول آخر : على طريق الإمكان إن كان الله تعالى أراده ؛ وهو: أن يكون الفجور بمعنى التكذيب بيوم القيامة ، ومن كذَّب بحق فقد فجر .

---

(١) سورة القيامة ٣ـ٥ وتفسير الطبرى ٢٩/١١٠ـ١١١ .

(٢) فى اللسان ١٥/١٩٠ « قال ابن الأعرابى : السلامى : عظام صغار على طول الإصبع أو قريب منها ، فى كل يد ورجل أربع سلاميات أو ثلاث » .

(٣) قال الطبرى : « يقول تعالى ذكره : أيظن ابن آدم أن لن نقدر على جمع عظامه بعد تفرقها ؟ بلى قادرين على أعظم من ذلك : أن نسوى بنانه ، وهى أصابع يديه ورجليه فنجعلها شيئا واحداً كخف البعير ، أو حافر الحمار ، فكان لا يأخذ ما يأكل إلا بفيه كسائر البهائم ، ولكنه فرق أصابع يديه ، يأخذ بها ، ويتناول ويقبض إذا شاء ويبسط ، فحسن خلقه ... » . وتفسير ابن قتيبة أحب إلىّ .

(٤) راجع تفسير الطبرى ٢٩/١١١ـ١١٢ .

وأصل الفجور : الميل ، فقيل للكاذب والمكذِّب والفاسق : فاجرٌ ؛ لأنه مال عن الحق .

وقال بعض الأعراب لعمر بن الخطاب رحمه الله ـ وكان أتاه فشكى إليه نَقَبَ إبله ودَبَرَها واسْتَحْمَله فلم يَحمله ـ :

أَقْسَمَ بالله أبو حَفْصٍ عُمَرْ ما مَسَّها مِنْ نَقَبٍ ولا دَبَرْ[١]
فاغفر له اللهمَّ إن كان فَجَرْ

أى : كذب .

وهذا وجهٌ حسن ؛ لأن الفجور اعترض بين كلامين من أسباب يوم القيامة ؛ أولهما : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَه ؟ ﴾ والآخر : ﴿ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ؟ ﴾ فكأنه قال : أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه فى الآخرة ؟ بلى : نقدر على أن نجمع ما صغر منها ونؤلف بينه .

﴿ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾ أى : ليكذِّب بيوم القيامة وهو أمامه ، فهو يسأل ﴿ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ؟ ﴾ أى : متى يكون ؟

---

(١) اللسان ٢/٢٦٢ ، ٦/٣٥٤ والصاحبي ص ١٥٥ أراد بالنقب هنا : رقة الأخفاف . والدبر ـ بالتحريك ـ الجرح الذى يكون فى ظهر الدابة : وقيل : هو أن يقرح خف البعير . وفجر : أى كذب ومال عن الصدق .

﴿ فى والصّافّات ﴾

[١٤٦] / ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ، قَالُوا : إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾[١] .

يقول هذا المشركون يوم القيامة لقُرنائهم من الشياطين، إنكم كنتم تأتوننا عن أيماننا، لأن إبليس قال : ﴿ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾[٢] فشياطينهم تأتيهم من كل جهة من هذه الجهات بمعنًى من الكيد والإضلال.

وقال المفسرون : فمن أتاه الشيطان من جهة اليمين: أتاه من قِبَل الدِّين فَلَبَسَ عليه الحقّ.

ومن أتاه من جهة الشمال: أتاه من قِبَل الشّهوات.

ومن أتاه من بين يديه : أتاه من قبل التّكذيب بيوم القيامة والثواب والعقاب .

ومن أتاه من خَلْفِه: خوّفه الفقر على نفسه وعلى من يُخَلِّف بعده ، فلم يصل رحمًا ، ولم يُؤَدِّ زكاةً. فقال المشركون لقرنائهم: إنكم كنتم تأتوننا فى الدنيا من جهة الدِّين، فتشبّهون علينا فيه حتى أضْللتمونا . فقال لهم قرناؤهم: ﴿ بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ أى: لم تكونوا على حق فنُشَبِّهَهُ عليكم ونُزِيلكم عنه إلى باطل . ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ اى : قدرة فنقهركم ونجبركم ﴿ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ، فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴾ نحن وأنتم العذاب ﴿ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴾[٣] يعنى بالدعاء والوَسْوسة، ومثل هذا قوله سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾[٤] .

---

(١) سورة الصافات ٢٧ـ٢٨ وتفسير الطبرى ٢٣/٣٢ـ٣٣ .

(٢) سورة الأعراف ١٧ .

(٣) سورة الصافات ٢٩ـ٣٢ .

(٤) سورة إبراهيم ٢٢ .

﴿ في سورة ص ﴾

﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ، أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ، جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴾[1] .

أخبر الله سبحانه عن عنادهم وتكبرهم وتمسكهم بآلهتهم فى أول السورة ، فقال :
[١٥٠] ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾[2] ، وحكى قولهم : ﴿ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا / عَلَى آلِهَتِكُمْ ﴾[3] ، أى اذهبوا ودعوه وتمسكوا بآلهتكم ؛ فقال الله عز وجل : ﴿ أَعِنْدَهُمْ ﴾ بآلهتهم هذه خزائن الرحمة ؟! ﴿ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴾ ، أى فى أبواب السماء ، وأبواب السماء : أسبابها ؛ قال الشاعر :

* ولو نَالَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ[4] *

ويكون أيضاً ﴿ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴾ ، أى : فى الحبال إلى السماء ، كما سألوك أن ترقى فى السماء وتأتيهم بكتاب . ويقال للرجل إذا تقدم فى العلم وغيره وبرع : قد ارتقى فى الأسباب ، كما يقال : قد بلغ السماء .

ونحو هذا قوله فى موضع آخر : ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾[5] .

وهذا كله توبيخ ، وتقرير بالعجز .

---

(١) سورة ص ٩–١١ وتفسير الطبرى ٢٣/٨١–٨٣ .

(٢) سورة ص ١ .

(٣) سورة ص ٦ .

(٤) الشطر لزهير من معلقته ، وصدره * ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * كما فى ديوانه ص ٣٠ وشرح القصائد العشر ص ١٢٠ واللسان ١/٤٤١ .

(٥) سورة الطور ٣٨ وقال الطبرى فى تفسيره ٢٧/٢٠ « يقول : أم لهم سلم يرتقون فيه إلى السماء يستمعون عليه الوحى ، فيدعون أنهم سمعوا هنالك من الله أن الذى هم عليه حق ، فهم بذلك متمسكون بما هم عليه . وقوله : « فليأت مستمعهم بسلطان مبين » يقول : فإن كانوا يدعون ذلك فليأت من يزعم أنه استمع ذلك فسمعه — بسلطان مبين ، يعنى بحجة تبين أنها حق ، كما أتى محمد ، صلى الله عليه وسلم ، بها على حقيقة قوله وصدقه فيما جاءهم به من عند الله . والسلم فى كلام العرب : السبب والمرقاة .. » .

ثم قال بعدُ : ﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴾ .

وجُنْدٌ بمعنى حزب لهذه الآلهة . و « ما » زائدة ، ومهزوم : مَقْمُوع ذليل . وأصل الهَزْم : الكسر ، ومنه قيل للنُّقْرَة فى الأرض : هَزْمَةٌ ، أى كَسْرَة ، وهزَمْتُ الجيش أى كَسَرْتُهم ، وتهزَّمَت القِرْبَةُ : أى انكسرَتْ[1] .

يقول : هم حزب عند ذلك مَقْمُوعٌ ذليل من الأحزاب ، أى عند هذه المحن ، وعند هذا القول ، لأنّهم لا يقدرون أن يدّعوا لآلهتهم شيئاً من هذا ، ولا لأنفسهم .

والأحزاب : سائر من تقدّمهم من الكُفّار ، سُمّوا أحزاباً لأنهم تحزّبوا على أنبيائهم . يقول الله سبحانه على إثر هذا الكلام : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ﴾[2] وكذا وكذا .

ثم قال : ﴿ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴾ فأعلمنا أن مشركى قريش حزب من هؤلاء الأحزاب . وكان ابن عباس ـ فى رواية أبى صالح ـ يذهب إلى أن الله تعالى أخبر رسوله أنه سيهزم المشركين يوم بَدْر .

---

(١) فى اللسان ٩٢/١٦ « وتهزمت القربة : يبست وتكسرت فصوتت ، والهزوم : الكسور فى القربة وغيرها ، واحدها هزم وهزمة . والهزيمة فى القتال : الكسر والفل » .

(٢) سورة ص ١٢ وبقية الكلام : « ذو الأوتاد * وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب » .

﴿ فى سورة السجدة ﴾

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ
[١٥١] سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾/(١).

يريد سبحانه: أنه يَقضِى الأمرَ فى السماء ويُنزله مع الملائكة إلى الأرض فتُوقِعه، ثم تعرج إلى السماء أى تصعد بما أوقعته من ذلك الأمر، فيكون نزُولها به ورجوعُها فى يوم واحدٍ مقداره ألف سنة مما تعدُّون. يريد مقدار المسير فيه على قدر مسيرنا وعدَدِنا ألف سنة؛ لأن بُعد ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام لابن آدم، فإذا قطعته الملائكة، بادئةً وعائدةً فى يوم واحد، فقد قطعت مسيرة ألف سنة فى يوم واحد.

(١) سورة السجدة ٥ وتفسير الطبرى ٢١/٥٨-٥٩.

في سورة النمل

﴿ قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾(١) .

أصل ادَّارَكَ : تدارك ، فأدغمت التاء في الدال ، وأُدخلت ألف الوصل ليسلم للدَّالِ الأولى السكون ؛ ومثله : ﴿ حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً ﴾(٢) و ﴿ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾(٣) و ﴿ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ ﴾(٤) ؛ إنما هو : تداركوا ، وتثاقلتم ، وتطيّرنا .

ومعنى تدارك : تتابع؛ و ﴿ عِلْمُهُمْ ﴾ : حكمهم على الآخرة ، وحَدْسُهُم الظنون . وأراد وما يشعرون متى يُبعثون إلّا بِتَتَابُعِ الظنون في علم الآخرة ، فهم يقولون تارة: إنها تكون، وتارة : إنها لا تكون ، وإلى كذا تكون ، وما يعلم غَيْبَ ذلك إلا الله تعالى .

ثم قال : ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ﴾ بل هم من علمها ﴿ عَمُونَ ﴾ .

وكان ابن عباس يقرؤها : ﴿ بَلَى أَدَّارَكَ عِلْمُهُمْ ؟ ﴾(٥) .

وهذه القراءة أشدّ إيضاحاً للمعنى ؛ لأنه قال : « وما يشعرون متى يبعثون » ، ثم قال : بل تداركت ظنونهم في علم الآخرة؛ فهم يَحْدِسُون ولا يدرون .

---

(١) سورة النمل ٦٥–٦٦ وتفسير الطبري ٢٠/٥–٧ .

(٢) سورة الأعراف ٣٨ .

(٣) سورة التوبة ٣٨ .

(٤) سورة النمل ٤٧ .

(٥) في تفسير الطبري ٢٠/٥ « وكان ابن عباس – فيما ذكر عنه يقرأ بإثبات « ياء » في « بل » ثم يبتدئ : « أدارك » بفتح ألفها على وجه الاستفهام ، وتشديد الدال ... عن أبي حمزة قال : سمعت ابن عباس يقرأ بلى أدارك علمهم في الآخرة إنما هو استفهام أنه لم يدرك . وكأن ابن عباس وجه ذلك إلى أن مخرجه مخرج الاستهزاء بالمكذبين بالبعث » ثم قال الطبري في ص ٦ « فأما القراءة التي ذكرت عن ابن عباس فإنها وإن كانت صحيحة المعنى والإعراب ، فخلاف لما عليه مصاحف المسلمين ؛ وذلك أن في « بلى » زيادة ياء في قراءته ليست في المصاحف ، وهي مع ذلك قراءة لا نعلمها قرأ بها أحد من قراء الأمصار » . وانظر القراآت الشاذة لابن خالويه ص ١١٠ .

﴿ فى سورة الامتحان ﴾

[١٥٢] /﴿ يَاأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فى سَبِيلِى وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾[١] .

ذكر المفسرون: أنّها أنزلت فى حَاطِب بن أبى بَلْتَعَة ، وكان كتب إلى المشركين بمكة يخبرهم بمسير الرسول صلى الله عليه إليهم ؛ لأنّ عياله كانوا بمكة ، ولم يكن له بها عشيرة تمنع منهم ، فأراد أن يتقرب إليهم ليكفُّوا عن عياله[٢] فأنزل الله : ﴿ يَاأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ ، أى تخبرونهم بما يُخبِرُ بمثله الرجلُ أَهْلَ مودَّته ، وتنصحون لهم ﴿وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾ ، مع النبى صلى الله عليه ﴿ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ﴾ تمّ الكلام ، يعنى من مكة ﴿ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ

(١) سورة الممتحنة ١ وتفسير الطبرى ٢٨/٣٧–٣٨ .

(٢) فى تفسير الطبرى ٢٨/٣٨ ، ٣٩ عن على رضى الله عنه ، قال : لما أراد النبى ، صلى الله عليه وسلم أن يأتى مكة ، أسر إلى ناس من أصحابه أنه يريد مكة فيهم حاطب بن أبى بلتعة ، وأفشى فى الناس أنه يريد خيبر ، فكتب حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة أن النبى يريدكم . فبعثنى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أنا والزبير بن العوام والمقداد وأبا مرثد ، فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها . فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة ، فوجدنا امرأة فقلنا : أخرجى الكتاب قالت : ليس معى كتاب . فوضعنا متاعها وفتشنا فلم نجده فى متاعها ، فقال أبو مرثد : لعله أن لا يكون معها ، فقلت : ما كذب النبى ولا كذب . فقلنا : لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب ، فأخرجته من عقاصها وأخذنا الكتاب فانطلقنا به إلى رسول الله ، فإذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ، فأرسل إلى حاطب فقال : ياحاطب ماهذا ؟ قال : يارسول الله لاتعجل علىّ ، كنت امرأ ملصقا فى قريش ، ولم يكن لى فيهم قرابة ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة ، فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى ، وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتداداً عن دينى ، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ، فقال رسول الله : قد صدقكم . فقال عمر : يارسول الله ، دعنى أضرب عنق هذا المنافق . فقال الرسول : إنه قد شهد بدراً ، وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم . ففاضت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم . » وانظر الحديث فى أحكام القرآن للشافعى ٢/٤٦–٤٩ .

رَبِّكُمْ ﴾ ، أى أخرجوا الرسولَ وأخرجوكم لأنْ آمنتم بالله وحده ﴿ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فى سَبِيلِى وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِى ﴾[1] ، يريد : فلا تلقوا إليهم بالمودة إن كنتم خرجتم مجاهدين فى سبيلى طالبين رضاى .

ثم قال : ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ ﴾ ، أى : كيف تَسْتَتِرُونَ بمودّتكم لهم منّى وأنا أعلم بما تُضمرون وما تُظْهِرون ؟

ثم ضرب لهم إبراهيم صلى الله عليه ، مثلاً حين تبرّأ من قومه ونابذهم وباغضهم إلى قوله سبحانه : ﴿ وَبَدَا[2] بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ : لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ ، يريد: أنّ إبراهيم صلى الله عليه عاداهم وهجرهم فى كل شىء إلا فى قوله لأبيه : لأستغفرنّ لك .

---

(١) قال الطبرى فى تفسيره ٢٨/ ٣٨ « وقوله: «إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى» من المؤخر الذى معناه التقديم ، ووجه الكلام : ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم . ويعنى بقوله تعالى ذكره : « إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى » إن كنتم خرجتم من دياركم فهاجرتم منها إلى مهاجركم للجهاد فى طريقى الذى شرعته لكم ودينى الذى أمرتكم به والتماس مرضاتى » .

(٢) قال تعالى فى سورة الممتحنة ٤ « قد كان لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم: إنا برءاؤ منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة » الخ . وانظر تفسير الطبرى ٢٨/ ٤١-٤٢ .

﴿ فى سورة الحج ﴾

﴿ مَنْ كانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ فى الدُّنْيا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّماءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ . فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ ما يَغيظُ ﴾(١) .

[١٥٣] كان قوم من المسلمين / لشدَّة غيظهم وحَنَقهم على المشركين ، يَستبطئُون ما وعد اللهُ رسولَه من النصر . وآخرون من المشركين يريدون اتِّباعَه ويخشون ألّا يتم له أمره ، فقال تعالى : ﴿ مَنْ كانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ ﴾ ، يعنى محمداً عليه السلام ، على مذاهب العرب فى الإضْمار لغير مذكور ، وهو يسمَعُنى أُعِدُه النصر والإظْهار والتمكين ، وإن كان يستعجل به قبل الوقت الذى قضيتُ أن يكون ذلك فيه ، ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ ﴾ أى بحبل ﴿ إِلَى السَّماءِ ﴾ ، يعنى سقف البيت ، وكل شىء علاكَ وأظلّكَ فهو سماء ، والسحاب سماء ، يقول الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً مُبارَكاً ﴾(٢) ؛ وقال سَلامَةُ ابن جَنْدَل(٣) يذكر قتلَ كِسرى النعمانَ :

هُوَ المُدْخِلُ النعمانَ بَيْتاً سَماؤُهُ   نُحُورُ الفُيولِ بَعْدَ بَيْتٍ مُسَردَقِ(٤)

يعنى: سقفه ، وذلك أنّه أدخله بيتاً فيه فِيلَة فتوَطَّأتْهُ حتى قتلته .

وقوله : ﴿ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾ . قال المفسرون أى: ليختنق ﴿ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ ما يَغيظُ ﴾ هل يذهب ذلك مافى قلبه . وهذا كرجلٍ وعدته شيئاً مرّة بعد مرّة ، ووكّدت على نفسك الوَعْدَ وهو يُراجِعك فى ذلك ، ولا تسكن نفسه إلى قولك ، فتقول له : إن كنت لا تثق بما أقوله ، فاذهب فاختنق . تريد : اجهد جهدك .

---

(١) سورة الحج ١٥ وتفسير الطبرى ١٧/٩٥–٩٧ .

(٢) سورة ق ٩ .

(٣) شاعر جاهلى ترجم له المؤلف فى الشعر والشعراء ١/٢٢٩–٢٣٠ .

(٤) البيت فى اللسان ١٢/٢٣ « صدور الفيل » « وبيت مسردق ، وهو أن يكون أعلاه وأسفله مشدودا كله .. »

هذا معنى قول المفسرين .

وفيه وجه آخر على طريق الإمكان ؛ وهو أن تكون السماء ههنا: السماء بعينها لا السقف، كأنه قال : فليمدد بسبب إليها أى بحبل ، وليرتق فيه ، ثم ليقطع حتى يَخِرَّ فيَهْلِكَ ، أى: ليفعل هذا إن بلغهُ جَهْدُه ، فلينظر هل ينفعه. ومثله قوله لرسول الله صلى الله عليه ـ حين سأله المشركون أن يأتيهم بآية ولم يشأ الله أن يأتِيَهُم بها ، فشقَّ ذلك عليه ـ :

﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ [١٥٤] الْجَاهِلِينَ﴾[١] يريد : اجهد إن بلغ هذا جهدك .

وروى ابن عُيَيْنَة[٢] عن ابن أبى نُجَيْحٍ[٣] ، عن كَرْدَم[٤] : أَنّ رجلا سأل أبا هريرة وابنَ عمر وابن عبّاس عن رجل قتل مؤمنا متعمداً ، هل له توبة ؟ فكلهم قال : هل يستطيع أن يُحْيِيَهُ ؟ هل يستطيع أن يَبْتَغِيَ نفقاً فى الأرض أو سلما فى السماء ؟

يريدون : أنه لا توبة له ، كما أن هذا لا يكون .

وقال أبو عبيدة :

﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ﴾ أى : يرزقه الله . وذهب إلى قول العرب :

---

(١) سورة الأنعام ٣٥ وتفسير الطبرى ٧/١١٧-١١٨ .

(٢) يقصد سفيان بن عيينة بن أبى عمران الهلالى ، أحد أئمة الإسلام ، قال ابن وهب : مارأيت أعلم بكتاب الله من ابن عيينة . وقال الشافعى : لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز . مات سنة ثمان وتسعين ومائة ، ومولده سنة سبع ، كما فى خلاصة تذهيب الكمال ص ١٢٤ .

(٣) فى خلاصة تذهيب الكمال ص ١٨٣ « عبد الله بن أبى نجيح الثقفى ، مولاهم ، أبو يسار المكى عن طاوس ومجاهد ، وعنه عمرو بن شعيب ، وأبو إسحاق الفزارى وشعبة ، وثقه أحمد . روى عنه ابن عيينة . قال : مات سنة إحدى وثلاثين ومائة »

أرض منصورة ؛ أى : مَمْطُورَة ، وقد نُصِرَت الأرض : أى مُطرَت[1] .

كأنه يريد : من كان قانطا من رزق الله ورحمته فليفعل ذلك ، فلينظر هل يذهب كيده ، أى حيلته ، غيظه لتأخر الرزق عنه؟ .

---

(١) فى تفسير الطبرى ١٧/٩٦ « وقال آخرون : معنى النصر ههنا : الرزق ، فعلى قول هؤلاء ، تأويل الكلام : من كان يظن أن لن يرزق الله محمدا في الدنيا ولن يعطيه . وذكروا سماعا من العرب : من ينصرني نصره الله ، بمعنى : من يعطنى أعطاه الله . وذكروا أيضا سماعا منهم : نصر المطر أرض كذا : إذا جادها وأحياها . واستشهد لذلك ببيت الفقعسى :

وإنك لاتعطى امرأ فوق حظه ... ولا تملك الشق الذى الغيث ناصره

وانظر اللسان ٧/٦٧ .

﴿ فى سورة البقرة ﴾

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ . صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ . أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ، يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ . يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ، كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ، وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ، إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) .

﴿ الَّذِى ﴾ ههنا بمعنى الذين (٢) استوقدوا نارا ، وربما جاءت مؤدِّية عن جميع ، قال الشاعر :

إن الذى حَانَتْ بِفَلْجٍ دماؤُهم هُمُ القَوْمُ كلّ القوم يا أمَّ خالدِ (٣)

---

(١) سورة البقرة ١٧ـ٢٠ .

(٢) نقله ابن رشيق فى العمدة ٢٥٧/٢ ، وقال الطبرى فى تفسيره ١٠٩/١ « وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة : أن « الذى » فى قوله : « كمثل الذى استوقد نارا » بمعنى « الذين » كما قال جل ثناؤه : « والذى جاء بالصدق وصدق به ، أولئك هم المتقون » وكما قال الشاعر : فإن الذى حانت ـ البيت ـ وقد أغفل قائل ذلك فرق ما بين « الذى » فى الآيتين ، وفى البيت ؛ لأن « الذى » فى قوله : « والذى جاء بالصدق » قد جاءت الدلالة على أن معناها الجمع ، وهو قوله : « أولئك هم المتقون » وكذلك « الذى » فى البيت ، وهو قوله : « دماؤهم » وليست هذه الدلالة فى قوله : « كمثل الذى استوقد نارا » فذلك فرق ما بين « الذى » فى قوله : « كمثل الذى استوقد نارا » وسائر شواهده التى استشهد بها على أن معنى « الذى » فى الآية بمعنى الجماعة وغير جائز لأحد نقل الكلمة التى هى الأغلب فى استعمال العرب على معنى إلى غيره ، إلا بحجة يجب التسليم لها » .

(٣) البيت للأشهب بن رميلة ، كما فى المؤتلف والمختلف للآمدى ص ٣٣ وبعده :

هم ساعد الدهر الذى يتقى به وما خير كف لا تنوء بساعد

واللسان ١٧٣/٣ « وفلج موضع بين البصرة وضرية ، وقيل : هو واد بين بطريق البصرة إلى مكة ببطنه منازل للحاج » والبيان والتبيين ٥٥/٤ وروايته : « وإن الألى » والخزانة ٥٠٨/٢ وسيبويه ٩٦/١ وسمط اللآلى ٣٥/١ ومجاز القرآن ٢١٦ وشواهد المغنى ص ١٧٥ وفى مجمع البيان ٥٤/١ والعمدة ٢٥٧/٢ غير منسوب فيهما . وعجزه فى الكشاف ١٩/١ غير منسوب .

أراد : مَثَلُ المنافقين كمثل قوم كانوا فى ظلمة فأَوْقَدُوا نارا، فلما أضاءت النار ما حولهم أطْفَأَهَا الله وتركهم فى ظلمات لا يبصرون .

فالظلمةُ الأولى التى كانوا فيها ، الكفرُ .

واسْتِيقَادُهُم النارَ قولُهم : « لا إله إلا الله ، وإن محمدا رسول الله » .

فلما أضاءت لهم ما حولهم واهتدوا وآمنوا: خَلَوْا إلى شياطينهم فنافقوا ، وقالوا : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ فسلبهم نور الإيمان ، وتركهم فى ظلمات الكفر لا يبصرون .

[١٥٥] ثم ضرب لهم مثلا آخر / شبيهاً بهذا المثل، فقال : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ .

فالصيب : المطر ، والظلمات : ظلمة الليل ، وظلمة السحابة ، والرعد دليل على شدة ظلمة الصَّيِّب وهَوْلِه .

أراد : أومثل قوم فى ظلمات ليل ومطر. فضَرَبَ الظلماتِ لكفرهم مثلا، والبرقَ لتوحيدهم مثلا، فقال : إذا قالوا : لا إله إلا الله اهتدوا كما يهتدى هؤلاء القوم بالبرق إذا لمع فيمشون .

وجعله يكاد يَخْطَفُ الأبصار لِشدّة ضوئه(١) .

وإذا نافقوا فاستهزءوا وخلوا بشياطينهم فتَابَعُوهم عَمُوا وصَمُّوا ، كما يُظْلِمُ على هؤلاء إذا سكن لَمَعَانُ البرق فيقومون .

---

(١) فى تفسير الطبرى ١ / ١٢١ « ... كمثل غيث سرى ليلا فى مزنة ظلماء وليلة مظلمة ، يحدوها رعد ويستطير فى حافاتها برق شديد لمعانه كثير خطرانه ، يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ويختطفها من شدة ضيائه ونور شعاعه ، وينهبط منها تارات صواعق تكاد تدع النفوس من شدة أهوالها زواهق . فالصيب : مثل لظاهر ما أظهر المنافقون بألسنتهم من الإقرار والتصديق . والظلمات التى هى فيه : لظلمات ما هم مستبطنون من الشك والتكذيب ومرض القلوب . وأما الرعد والصواعق : فلما هم عليه من الوجل من وعيد الله إياهم على لسان رسوله فى آى كتابه ... » .

﴿فى سورة المزَّمِّل﴾

﴿المُزَّمِّل﴾ : المُتَزَمِّل ، فأدغمت التاء فى الزَّاى وكذلك المُدَّثِّر هو : المُتَدَثِّر بِثِيَابِه ، فأُدْغِمت التاء فى الدال . وكل من التف بثوبه فقد تزَمَّل به .

﴿قُمِ اللَّيْـلَ إلاَّ قَلِيلاً﴾ أى : صلِّ الليل إلا شيئا يسيراً منه تنام فيه وهو الثلث، ثم قال : ﴿نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً﴾[١] أى : قم نصفه ، فاكتفى بالفعل الأول من الثانى لأنّه دليل عليه ، أو انقص من النصف قليلا إلى الثلث ، أو زِدْ على النصف إلى الثلثين. جعَل له سعةً فى مدّة قيامه بالليل . فلما نزلت هذه الآية قام رسول الله صلى الله عليه وطائفة من المؤمنين معه، أَدْنَى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه ، وأخذ المسلمون أنفسهم بالقيام على المقادير حتى شَقَّ ذلك عليهم . فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَى اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ أى : وتقوم نصفه وثلثه ﴿وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ فيعلم مقدار / ثلثيه ونصفه وثلثه ، وسائر أجزائه ومواقيته ، ويعلم أنكم [١٥٦] ﴿لَنْ تُحْصُوهُ﴾ أى : لن تطيقوا معرفة حقائق ذلك والقيام فيه ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[٢] رخّص لهم أن يقوموا ما أمكن وخفّ ، لغير مدة معلومة ولا مقدار .

وكان هذا فى صدر الإسلام ، ثم نسخ بالصلوات الخمس . كذلك قال المفسرون .

وقوله : ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْـلِ﴾[٣] وهى آناؤه وساعاته ، مأخوذة من نَشَأْتُ تَنْشَأُ نَشْئًا ، ونشأْت أى : ابتدأت وأقبلت شيئا بعد شىء ، وأنشأها الله فنشأت وأنشأت . ومنه قوله سبحانه : ﴿أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ فِى الْحِلْيَةِ﴾[٤] وقوله : ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾[٥] أى :

---

(١) سورة المزمل ١ـ٣ وتفسير الطبرى ٢٩/٧٨ـ٨٠ .

(٢) سورة المزمل ٢٠ وتفسير الطبرى ٢٩/٨٧ـ٨٩ .

(٣) سورة المزمل ٦ وتفسير الطبرى ٢٩/٨٠ـ٨٢ .

(٤) سورة الزخرف ٧٨ .

(٥) سورة الواقعة ٣٥ .

ابتدأناهن و نَبّتناهن ، ومنه قيل لصغار الجوارى : نشأٌ [١] .

فكأنه قال : إن ساعات الليل الناشئة ، فا كتفى بالوصف من الاسم .

وقوله ﴿ أَشَدُّ وَطْأً ﴾ أى : أثقل على المصلى من ساعات النهار ، وهو من قولك : اشتدت على القوم وَطْأَةُ سُلْطانِهِم : إذا ثقل عليهم ما يُلزِمهم ويأخذهم به . فأعلم الله نبيه أن الثواب فى قيام الليل على قدر شدة الوطأة وثقلها .

ومن قرأها ﴿ وِطاءً ﴾ على تقدير فِعال [٢] فهو مصدر لِوَاطَأْت فلانًا على كذا مُواطأة ووِطاءً . وأراد : أنّ القراءة فى الليل يَتَوَاطأ فيها قلب المصلى ولسانه وسمعه على التَّفَهُّم والأداء والاستماع ، بأ كثر مما يَتَواطأ عليه بالنهار .

﴿ وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ أى : أخلص للقول وأسمع له [٣] ؛ لأن الليل تهدأ عنه الأصوات ، وتنقطع فيه الحركات ، فيخلص القول ، ولا يكون دون تَسَمُّعِه وتَفَهُّمِه حائل .

وقوله : ﴿ إِنَّ لَكَ فِى النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً ﴾ [٤] يعنى : تصرفاً وإقبالا وإدبارا فى حوائجك وأشغالك .

---

(١) فى اللسان ١/١٦٥ « قال نصيب :

ولولا أن يقال : صبا نصيب ... لقلت بنفسى النشأ الصغار

(٢) قرأ بعض قراء البصرة ومكة والشام : « وطاء » بكسر الواو ومد الألف ، على أنه مصدر من قول القائل : واطأ اللسان القلب مواطأة ووطاء . والصواب من القول فى ذلك عندنا « أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب » كما فى تفسير الطبرى ٢٩/٨١ـ٨٢ .

(٣) فى الطبرى ٢٩/٨٢ « وقوله : « وأقوم قيلا » يقول : وأصوب قراءة ... »

(٤) سورة المزمل ٧ .

﴿ فى سورة الفتح ﴾

﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْىَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ، وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، لِيُدْخِلَ اللهُ فِى رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ، لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ (١) .

كان بمكة قوم مؤمنون مختلطون بالمشركين غير متميزين ولا معروفى الأماكن ، فلما صدّ المشركون رسولَ الله صلى الله عليه عن المسجد الحرام وعَكَفُوا الهَدْىَ أن يَبْلُغ مَحِلَّه، قال الله سبحانه : لولا أن بمكة رجالاً مؤمنين ونساءً مؤمنات لا تعرفونهم فتطئُونهم لو دخلتموها ، أى تقتلونهم لِيُدْخِلَهُمُ اللهُ فى رَحْمَته لو فعلتم فتُصِيبَكُمْ من قتلهم بغير علم مَعَرَّةٌ ، أى يَعيبكم المشركون بذلك ويقولون : قد قتلوا أهل دينهم وعذبوهم كما فعلوا بنا ، وتلزمكم الديات (٢) .

ثم قال : ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا ﴾ ، أى تميزوا من المشركين ﴿ لَعَذَّبْنَا ﴾ المشركين بالسيف ﴿ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ ، فصار قوله سبحانه : ﴿ لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ جواباً لكلامين : أحدهما : ﴿ لَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ ﴾ ، والآخر : ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا ﴾ .

---

(١) سورة الفتح ٢٥ وتفسير الطبرى ٢٦/ ٦٠ ، ٦٥ .

(٢) قال الطبرى فى ص ٦٥ و « أن » من قوله : « أن تطئوهم » فى موضع رفع رداً على الرجال ؛ لأن معنى الكلام : ولولا أن تطؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم ، فتصيبكم منهم معرة بغير علم ، لأذن الله لكم أيها المؤمنون فى دخول مكة ، ولكنه حال بينكم وبين ذلك ؛ ليدخل الله فى رحمته من يشاء ، يقول : ليدخل الله فى الإسلام من أهل مكة من يشاء قبل أن تدخلوها . وحذف جواب لو استغناء بدلالة الكلام عليه .

وقوله : « لو تزيلوا » يقول : لو تميز الذين فى مشركى مكة من الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات الذين لم تعلموهم منهم ، ففارقوهم وخرجوا من بين أظهرهم — لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما . يقول : لقتلنا من بقى فيها بالسيف ، أو لأهلكناهم ببعض مايؤلمهم من عذاب الله » .

﴿ فى سورة الأعراف ﴾

﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ، ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١) .

كلّ شىء يَلْهَثُ فإنما يلهث من إِعْياء أو عطش أو عِلّة ، خلا الكلب ، فإنّه يلهث فى حال الدّلال ، وحال الرّاحة ، وحال الصّحّة والمرض ، وحال الرّىّ والعطش .

فضربه الله مَثَلاً لمن كذّب بآياته فقال : إن وعظْتَه فهو ضالّ ، وإن لم تعِظْه فهو ضالّ ، كالكلب إن طردته وزجرته فسعى لَهَث ، أو تركته على حاله أيضاً لهث .

ونحوه قوله : ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ

---

(١) سورة الأعراف ١٧٦ وفى تفسير الطبرى ٩/٨٨–٨٩ « يقول تعالى ذكره : فمثل هذا الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها مثل الكلب الذى يلهث ، طردته أو تركته . ثم اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله جعل الله مثله كمثل الكلب ، فقال بعضهم : مثله به فى اللهث ، لتركه العمل بكتاب الله وآياته التى آتاها إياه ، وإعراضه عن مواعظ الله التى فيها إعراض من لم يؤته الله شيئا من ذلك فقال جل ثناؤه فيه : إذا كان سواء أمره وعظ بآيات الله التى أتاه إياه أولم يوعظ ، فى أنه لايتعظ بها ولايترك الكفر به ، فمثله مثل الكلب الذى سواء أمره فى لهثه ، طرد أولم يطرد ؛ إذ كان لايترك اللهث بحال ... وقال آخرون : إنما مثل جل ثناؤه بالكلب ؛ لأنه كان يلهث كما يلهث الكلب » .

وقال الطبرى : إن التأويل الأول أولى القولين بالصواب « لدلالة قوله تعالى : « ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا » فجعل ذلك مثل المكذبين بآياته ، وقد علمنا أن اللهاث ليس فى خلقة كل مكذب كتب عليه ترك الإنابة من تكذيب بآيات الله ، وإن ذلك إنما هو مثل ضربه الله لهم ، فكان معلوما بذلك أنه للذى وصف الله صفته فى هذه الآية ، كما هو لسائر المكذبين بآيات الله — مثل » .

أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾(١) .

---

(١) سورة الأعراف ١٩٣ وقال الطبرى فى تفسيره ٩/١٠٢ « يقول تعالى ذكره فى وصفه وعيبه مايشرك هؤلاء المشركون فى عبادتهم ربهم إياه ومن صفته : إنكم أيها الناس إن تدعوهم إلى الطريق المستقيم والأمر الصحيح السديد ، لايتبعوكم ؛ لأنها ليست تعقل شيئا ، فتترك من الطرق ما كان عن القصد منعدلا جائرا ، وتركب ما كان مستقيما سديدا . وإنما أراد الله جل ثناؤه بوصف آلهتهم بذلك من صفتها ، تنبيههم على عظيم خطئهم وقبح اختيارهم . يقول جل ثناؤه : فكيف يهديكم إلى الرشاد من إن دعى إلى الرشاد وعرفه لم يعرفه ولم يفهم رشادا من ضلال ، وكان سواء دعاء داعيه إلى الرشاد وسكوته ؛ لأنه لايفهم دعاءه ولا يسمع صوته ولا يعقل مايقال له ؟ فكيف يعبد من كانت هذه صفته ؟ أم كيف يشكل عظيم جهل من اتخذ ما هذه صفته إلها ؟ وإنما الرب المعبود : هو النافع من يعبده ، الضار من يعصيه ، الناصر وليه ، الخاذل عدوه ، الهادى إلى الرشاد من أطاعه ، السامع دعاء من دعاه . وقيل : « سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون » فعطف بقوله : « صامتون » وهو اسم على قوله : أدعوتموهم » وهو فعل ماض ، ولم يقل : أم صمتم ، كما قال الشاعر :

سواء عليك الفقر أم بت ليلة ... بأهل القباب من نمير بن عامر

وقد ينشد : أم أنت بائت » .

﴿ فى سورة البقرة ﴾

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ، أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ؟ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ العَذَابِ ﴾[1] .

نزلت فى بنى قُرَيْظَة والنَّضِير . يقول : أخذ الله عليكم فى الكتاب ألا تسفكوا دماءكم ، أى لا تَقْتَتِلُوا ، فيقتل بعضكم بعضاً ، ولا تتركوا أسيراً فى أيدى الآسِرِين فيقتلوه ، ولا تُخرجوا أنفسكم من دياركم ، أى لا تغلبوا أحداً على داره وتخرجوه . فقبلتم ذلك وأقررتم به ، وهو أخذ الميثاق ﴿ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ بذلك ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ أى تَقْتَتِلُون فيقتل بعضكم بعضاً ، ﴿ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالعُدْوَانِ ﴾ أى تتعاونون ﴿ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ ﴾ بهم ﴿ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ﴾ من ديارهم ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ ﴾ فى فك الأسير ﴿ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ فى إخراجكم من أخرجتم من ديارهم ﴿ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ . فجُوزِىَ بنو النَّضِير بأن أخرجهم رسولُ الله صلى الله عليه عن ديارهم لأوَّل الحَشْر .

وجُوزِىَ بنو قُرَيْظَة بقتل المُقَاتِلَة وسَبْى الذُّرِّيَّة[2] .

---

(١) سورة البقرة ٨٤ـ٨٥ وتفسير الطبرى ١/٣١٢ـ٣١٨ .

(٢) فى تفسير الطبرى ١/٣١٨ « ثم اختلف فى الخزى الذى أخزاهم الله بما سلف من معصيتهم إياه ، فقال بعضهم : ذلك هو حكم الله الذى أنزله إلى نبيه محمد ، صلى الله عليه وسلم ، من أخذ القاتل بمن قتل والقود به قصاصا والانتقام للمظلوم من الظالم . وقال آخرون : بل ذلك هو أخذ الجزية منهم ما أقاموا على دينهم ذلة لهم وصغارا . وقال آخرون : بل ذلك الخزى الذى جوزوا به فى الدنيا : إخراج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، النضير من ديارهم لأول الحشر ، وقتل مقاتلة قريظة وسبى ذراريهم ، فكان ذلك خزيا فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » .

﴿ فى الزخرف ﴾

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾[١] .

لما قال المشركون: لله ولد ، ولم يرجعوا عن مقالتهم بما أنزله الله على رسوله عليه السلام من التبرُّؤ من ذلك قال الله سبحانه لرسوله عليه السلام: ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ ﴾ أى : عندكم فى ادعائكم . ﴿ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ أى : أول الموحدين ، ومَنْ وَحَّدَ الله فقد عبده ، ومن جعل له ولداً أو نِدًّا فليس من العابدين وإن اجتهد .

ومنه قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٢] . أى إلا ليُوَحِّدون / . [١٥٩]

قال مُجَاهد : يريد إن كان لله ولد فى قولكم، فأنا أول من عبد الله ووحّده وكذَّبكم بما تقولون[٣] .

وبعض المفسرين يجعل «إن» بمعنى «مَا» ؛ وليس يعجبنى ذلك .

ويقال : العابدون ههنا الغِضابُ الآنفون . يقال : عَبِدْتُ من كذا أَعْبَدُ عَبَداً[٤] . وأكثرُ ما تأْتى الأسماءُ من فَعِلَ يَفْعَلُ على فَعِلٍ، كقوله : وَجِلَ يَوْجَلُ فهو وَجِلٌ ، وفَزِعَ يفزَعُ فهو فَزِعٌ .

وربما جاء على فاعل نحو عَلِمَ يعلم فهو عالمٌ .

---

(١) سورة الزخرف ٨١ وتفسير الطبرى ٢٥/٦٠–٦١ .

(٢) سورة الذاريات ٥٦ .

(٣) تفسير الطبرى ٢٥/٦٠ ورأى مجاهد هذا هو الذى ارتضاه الأزهرى فى تأويل هذه الآية المشكلة ، وقال عنه بعد أن ذكر أقوال السلف فيها : إنه « أحسن من جميع ماقالوا وأسوغ فى اللغة وأبعد من الاستكراه وأسرع إلى الفهم » راجع تفصيل ذلك فى اللسان ٤/٢٦٥–٢٦٦ .

(٤) فى تفسير الطبرى ٢٥/٦١ « وقال آخرون : معنى ذلك : قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول الآنفين ذلك ، ووجهوا معنى العابدين إلى المنكرين الآبين ، من قول العرب : قدعبد فلان من هذا الأمر : إذا أنف منه وغضب وأباه ، فهو يعبد عبدا ، كما قال الشاعر :

ألا هويت أم الوليد وأصبحت ... لما أبصرت فى الرأس منى تعبد

وكما قال الآخر :

متى مايشأ ذو الود يصرم خليله ... ويعبد عليه لامحالة ظالما

وربما جاء منه على فَعِل وفاعِل نحو صَدى يصدى فهو صدٍ وصادٍ ، كذلك تقول : عَبِد يعبَدُ فهو عَبِدٌ وعابِدٌ ، قال الشاعر :

* وأعْبَدُ أن تُهْجَى تَميمٌ بِدَارِمِ (١) *

---

(١) فى اللسان ٢٦٥/٤ « وقيل فى قول الفرزدق :

أولئك قوم إن هجونى هجوتهم وأعبد أن أهجو كليبا بدارم :

اعبد أى آنف » والبيت للفرزدق فى البحر المحيط ٢٨/٨ .

﴿ فى سورة النساء ﴾

﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ : سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا ، لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى الدِّينِ . وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا ، لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ ، وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ . فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[١] .

هؤلاء قوم من اليهود كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه إذا حدّثهم وأمرهم : سمِعْنا ، ويقولون فى أنفسهم : عصينا ، وإن أرادوا أنْ يكلموه بشىءٍ قالوا له : اسمع يا أبا القاسم[٢] ، ويقولون فى أنفسهم : لاسمعت ، ويقولون له : راعنا ، يُوهِمُونَه فى ظاهر اللفظ أنهم يريدون: انتظرنا حتى نكلمك بما نريد ، كما تقول العرب : أَرْعِنى سَمْعك وراعِنى ، أى : انتظرنى وترفَّق بى وتلوّم على، هذا ونحوه، وإنما يريدون سَبَّه بالرُّعُونَة فى لغتهم ، فقال الله سبحانه: ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ ﴾ كذا وكذا، ويقولون : ﴿ رَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ ﴾ أى : قلباً للكلام بها ، ﴿ وَطَعْنًا فِى الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ مكان قولهم : سمعنا وعصينا ، وقالوا : واسمع مكان قولهم : لا سمعت ، وانظرنا مكان قولهم : راعنا ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ ﴾[٣] .

[١٦٠] والعرب تقول : نَظَرْتُكَ وانتظرْتك بمعنى واحد[٤] ، قال الحُطَيْئَة :

---

(١) سورة النساء ٤٦ وتفسير الطبرى ٥/٧٥-٧٧ .

(٢) قال ابن قتيبة فى المعارف ص ٦١ « وولد لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم من خديجة : القاسم وبه كان يكنى .. قال مجاهد مكث القاسم سبع ليال ثم مات » بمكة .

(٣) فى الطبرى ٥/٧٦ « يعنى بذلك جل ثناؤه : ولو أن هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم قالوا لنبى الله : سمعنا يامحمد قولك وأطعنا أمرك وقبلنا ماجئتنا به من عند الله ، واسمع منا وانظرنا مانقول وانتظرنا نفهم عنك ماتقول لنا « لكان خيرا لهم وأقوم » يقول : لكان ذلك خيرا لهم عند الله ، وأقوم يقول : وأعدل وأصوب فى القول ، وهو من الاستقامة ، من قول الله : « وأقوم قيلا » بمعنى : وأصوب قيلا » .

(٤) قال الطبرى ٥/٧٧ « ... فلا نعرف انظرنا فى كلام العرب إلا بمعنى : انتظرنا ، وانظر إلينا . فأما انظرنا بمعنى انتظرنا فمنه قول الحطيئة :

وقد نَظَرْتُكُمْ إِيناءَ عَاشِيَةٍ لِلْخَمْسِ طَالَ بِهَا حَوْزِي وتَنْسَاسِي (١)

وقد نظرتكم لو أن درتكم يوما يجيء بها مسحى وإبساسي

وأما انظرنا بمعنى انظر إلينا ، فمنه قول عبد الله بن قيس الرقيات :

ظاهرات الجمال والحسن ينظر ن كما ينظر الأراك الظباء

بمعنى : كما ينظر إلى الأراك الظباء » .

(١) ديوانه ص ٥٣ « نظرتكم عشاء صادرة » واللسان ٧/ ٧٤، ٢٠٥ إيناء صادرة * للورد »، ٨/ ١١٥ « إيناء صادرة للخمس ... يقول : انتظرتكم كما تنتظر الإبل الصادرة التي ترد الخمس ثم تسق لتصدر . والإيناء : الانتظار ، والصادرة : الراجعة عن الماء . يقول : انتظرتكم كما تنتظر هذه الإبل الصادرة الإبل الخوامس لتشرب معها . والحوز : السوق قليلا قليلا ، والتنساس : السوق الشديد ، وهو أكثر من الحوز » وفى اللسان ١٩/ ٢٩٢ « أعشاء صادرة للخمس » قال شمر : يقول : انتظرتكم انتظار إبل خوامس ؛ لأنها إذا صدرت تعشت طويلا وفى بطونها ماء كثير ، فهى تحتاج إلى بقل كثير ، وواحد الأعشاء : عشى ، وعشى الإبل : ماتتعشاه » .

في سورة المائدة

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ : اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ، تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ ، فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ، وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ ، إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ . فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ . ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاسْمَعُوا ﴾[1] .

قد اختلف الناس قديما في تأويل هذه الآية والسبب الذي نزلت فيه ، وأنا مُخبرٌ من تلك المذاهب والتأويلات بأشْبهها بلفظ الكتاب ، وأولاها بمعناه .

وأراد الله عز وجل أن يعرفنا كيف نشهد بالوصية عند حضور الموت، فقال : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ أي : رجلان عَدْلان من المسلمين تُشْهِدُونهما على الوصيّة .

وعلم اللهُ سبحانه أن من الناس من يسافر فيَصْحبه في سفره أهل الكتاب دون المسلمين وينزل القرية التي لا يسكنها غيرهم ويَحضرُه الموت فلا يجد من يشهده من المسلمين ، فقال : ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ أي : من غير دينكم ﴿ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي : سافرتم ﴿ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾ وتمَّ الكلامُ، فالعَدْلان من المسلمين للحضر والسفر خاصّة إنْ أمكن إشْهادُهما في السفر ، والذّميان في السفر خاصة إذا لم يوجد غيرهما .

ثم قال ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ ﴾ أراد : تحبسونهما

---

(١) سورة المائدة ١٠٦–١٠٨ وتفسير الطبري ٧/٦٥–٨١ .

من بعد صلاة العصر إن ارتبتم فى شهادتهما وشككتم ، وخشيتم أن يكونا قد غيَّرا أو بدَّلا وكتما وخانا .

[١٦١] وخصّ هذا الوقت: لأنه قبل وُجُوبِ[١] الشمس ، وأهل الأديان يعظمونه /ويذكرون الله فيه ، ويَتوَقَّوْن الحلف الكاذب وقول الزّور ، وأهل الكتاب يصلُّون لطلوع الشمس وغروبها .

﴿ فَيُحْلِفَانِ بِاللهِ لاَ نَشْتَرِى بِهِ ثَمَنًا ﴾ أى : لا نبيعه بعرَضٍ ، ولا نحابى فى شهادتنا أحداً ولو كان ذا قربى ﴿ وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ ﴾ عَلِمْنَاها .

فإذا حلفا بهذه اليمين على ما شَهِدَا به ، قُبلت شهادتهما وأُمْضِى الأمرُ على قولهما .

ورَوى معاوية بن عمرٍو[٢] ، عن زائدة[٣] ، عن زكريا[٤] ، عن الشعبى أنه قال :

مات رجل بِدَقُوقَا[٥] ولم يَشهده إلا نصرانيَّان، فأَشهدَهُما على وصيته، فقدِمَا الكوفة وأبو موسى الأشْعَرِى عليها ، فتقدَّما إليه فأَحْلَفَهُمَا ـ فى مسجد الكوفة بعد العصر ـ بالله ما بدَّلا ولا كتمَا ولا كذبا . وأجاز شهادتهما[٦] .

﴿ فَإنْ عُثِرَ ﴾ بعد هذه اليمين أى : ظَهَرَ ﴿ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً ﴾ أى : حنثا فى اليمين بِكذبٍ فى قول أو خيانة فى وديعة ﴿ فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ ﴾ أى : قام فى اليمين مقامهما رجلان من قرابة الميت الذين استحق منهم الأوليان ، وهما الوَلِيّان ، يقال : هذا الأَوْلَى بفلان ، ثم يُحذف من الكلام بفلان ، فتقول :

(١) فى اللسان ٢/٢٩٤ « ووجبت الشمس وجباً ووجوبا : غابت » .

(٢) هو معاوية بن عمرو بن خالد بن غلاب . قال ابن سعد : مات سنة أربع عشرة ومائتين عن ست وثمانين سنة ، كما فى خلاصة تذهيب الكمال ص ٣٢٧ .

(٣) هو زائدة بن قدامة الثقفى ، مات غازيا بأرض الروم سنة اثنتين وستين ومائة ، كما فى خلاصة تذهيب الكمال ص ١٠٢ .

(٤) هو زكريا بن أبى زائدة ، قال أبو نعيم : مات سنة ثمان وأربعين ومائة ، كما فى خلاصة تذهيب الكمال ص ١٠٤ .

(٥) قرية بين أربل وبغداد ، كما فى معجم البلدان ٤/٦٦ .

(٦) تفسير الطبرى ٧/٧١ وانظر تفسير القرطبى ٦/٣٤٦ وأحكام القرآن ٢/١٤٨ .

هذا الأَوْلَى ، وهذان الأوليان؛ كما تقول : هذا الأكبرُ فى معنى الكبير ، وهذان الأكبران و ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ بمعنى منهم، كما تقول : استحققت عليك كذا ، واستوجبت عليك كذا، أى : استحققته منك ، واستوجبته منك ، وقال الله سبحانه : ﴿ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾[1] أى : من الناس .

وقال صَخْر الغَىّ :

مَتَى مَا تُنْكِروها تَعرِفُوها على أَقْطَارِها عَلَقٌ نَفِيثُ[2]

يريد : من أقطارها .

فإذا أقام الوليان مُقام الذِّمّيين لليمين ، حَلَفَا بالله لقد ظهرنا على خيانة الذميين وكذبهما وتبديلهما وما اعتدينا / عليهما ، ﴿ وَلَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا ﴾ أى : أَصَحُّ لِكُفْرِهما [١٦٢] وإيماننا .

فإذا حلف الوليان على ما ظَهَرَا عليه رُجِعَ على الذِّمّيين بما اخْتَانَا ، ونُقِضَ ما مَضَى عليه الحكم بشهادتهما .

ثم قال سبحانه : ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا ﴾ أى : هذا الحكم أقرب بهم إلى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ، يعنى أهل الذّمة ﴿ أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ ﴾ على أولياء الميّت ﴿ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ فَيُحَلَّفُوا على خيانتهم وكذبهم، فَيُفْضَحوا أو يُغرَّموا .

---

(١) سورة المطففين ٢ .

(٢) نسبه ابن قتيبة لصخر فى كتاب المعانى الكبير ٢/٩٧٠، وأدب الكاتب ص ٥٢١ ، والصواب إنه لأبى المثلم الهذلى من كلمة له رد بها على صخر الغى ، كما فى ديوان الهذليين ص ٢٢٤ من القسم الثانى . والأقطار : النواحى ، والعلق : الدم ، ويقال : دم نفيث : إذا نفثه الجرح ، أى أظهره . والهاء فى قوله : « تنكروها » تعود على المقالة ، قال ابن السيد فى الاقتضاب ص ٤٥٢ « والمعنى : إنى أقول فيكم مقالة لاتقدرون على إنكارها ورفعها عن أنفسكم ؛ لأنى أسمها بأسمائكم وأشهرها بذكركم ، وتأتيكم وعلى أقطارها الدم المنفوث ، أى انها مقالة تثير الحرب وسفك الدماء ، كما يقال : هذا كلام يقطر منه الدم » وانظر الجواليقى ص ٣٧٣ والبيت لصخر فى اللسان ٣/١٧ والمقصور والممدود ص ١٠٣ وهو غير منسوب فى اللسان ٢٠/٢٦٥ وتفسير الطبرى ٧/٧٩ .

وأكثر العلماء يذهب إلى أن هذا باب من الحُكْمِ مُحْكَمٌ ، وأنه لم ينسخ من سورة المائدة شيء ؛ لأنها آخر ما نزل .

وبعضهم يذهب إلى أنه مَنْسوخٌ (١) بقوله سبحانه :

﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ، فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾(٢) .

---

(١) راجع تفسير الطبرى ٨١/٧ وتفسير القرطبى ٣٥٠/٦ .

(٢) سورة البقرة ٢٨٢ .

في سورة الروم

﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ، تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾(١) .

هذا مثل ضربه الله لمن جعل له شركاء من خَلْقِه، فقال قبل المثل: ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾(٢) يريد: إعادته على المخلوق أهون من ابتدائه؛ لأنه ابتدأه فى الرحم نطفة ، وعلَقَة ، ومُضْغة ، وإعادته تكون بأن يقول له : ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾(٣) فذلك أهون على المخلوق من النَّشأة الأولى . كذلك قال ابن عباس فى رواية أبى صالح .

وإن جعلته لله جعلت أهون بمعنى: وهو هيّن عليه أى سهل عليه .

﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ يعنى : شهادة أن لا إله إلا الله .

ثم ضرب المثل فقال : ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ وذلك أقرب عليكم ﴿ هَلْ لَكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ ﴾ من عبيدكم الذين تملكون ﴿ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ ﴾ وعبيدكم ﴿ سَوَاءٌ ﴾ يأمرون / فيه كأمركم ، ويحكمون كحكمكم ؛ وأنتم ﴿ تَخَافُونَهُمْ [١٦٣]
كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ أى كما يخاف الرجلُ الحرُّ شريكه الحرَّ فى المال يكون بينهما ، فلا يأمر فيه بشىء دون أمره ، ولا يُمْضى فيه عَطيّةً بغير إذنه . وهو مثل قوله: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾(٤) أى لاتعيبوا إخوانكم من المسلمين .

وقوله: ﴿ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً ﴾(٥) أى بأمثالهم من المؤمنين . يقول : فإذا كنتم أنتم بهذه المنزلة فيما بينكم وبين أرقّائكم ، فكيف تجعلون لله من

---

(١) سورة الروم ٢٨ وتفسير الطبرى ٢١/٢٥–٢٦ .

(٢) سورة الروم ٢٧ وتفسير الطبرى ٢١/٢٣–٢٤ .

(٣) سورة الأنعام ٧٣ .

(٤) سورة الحجرات ١١ .

(٥) سورة النور ١٢

عبيده شركاء في ملكه ؟.

ومثله قوله : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ فجعل منكم المالك والمملوك ﴿ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا ﴾ يعني : السادة ﴿ بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾(١) من عبيدهم حتى يكونوا فيه شركاء. يريد: فإذا كان هذا لا يجوز بينكم، فكيف يجعلونه لله؟.

(١) سورة النحل ٧١ وتفسير الطبري ١٤/٩٥ .

﴿ فى سورة النحل ﴾

﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَىْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ﴾(١) .

هـذا مثل ضربه الله لنفسه ولمن عبد دُونه، فقال : ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لَا يَقْدِرُ عَلَى شَىْءٍ ﴾ فهذا مثل من جُعِلَ إلها دُونه أو معه ؛ لأنه عاجز مُدَبَّرٌ مملوك لا يقدر على نفع ولا ضرّ .

ثم قال : ﴿ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِراً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ ﴾ .

فهذا مَثَلُه جل وعزّ ؛ لأنه الواسع الجواد القادر الرّازق عِباده جَهْرًا من حيث يعلمون، وسرًّا من حيث لا يعلمون .

وقال بعض المفسرين: هو مثل للمؤمن والـكافر . فالعبد : هو الـكافر ، والمرزوق : هو المؤمن (٢) .

والتفسير الأول أعجب إلىّ ؛ لأنَّ المثل توسَّط كلامين هما لله تعالى / أمّا الأوّل فقوله : [١٦٤]
﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَالَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئاً وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾(٣) فهذا لله ومن عُبِدَ من دونه .

---

(١) سورة النحل ٧٥ وتفسير الطبرى ١٤/٩٩-١٠٢ .

(٢) قال بهذا ابن عباس وقتادة ، وقال الطبرى فى تفسيره ١٤/٩٩ « يقول تعالى ذكره : شبه الله لكم شبها أيها الناس للـكافر من عبيده ، والمؤمن منهم ؛ فأما مثل الـكافر فإنه لا يعمل بطاعة الله ولا يأتى خيرا ولا ينفق فى شىء من سبيل الله ماله لغلبة خذلان الله عليه ، كالعبد المملوك الذى لا يقدر على شىء فينفقه . وأما المؤمن بالله فإنه يعمل بطاعة الله وينفق فى سبيله ماله ، كالحر الذى آتاه الله مالا فهو ينفق منه سرا وجهرا يقول : بعلم من الناس وغير علم . هل يستوون ، يقول : هل يستوى العبد الذى لا يملك شيئا ولا يقدر عليه ، وهذا الحر الذى قد رزقه الله رزقا حسنا فهو ينفق كما وصف ؟ فـكذلك لا يستوى الـكافر العامل بمعاصى الله المخالف لأمره ، والمؤمن العامل بطاعته .. » .

(٣) سورة النحل ٧٣ .

وأمّا الآخر فقوله بعد انقضاء المثل : ﴿ الْحَمْدُ لله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ .

ولأنه ضرب لهذا المعنى مثلا آخر بعقب هذا الكلام، فقال: ﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ ﴾ أى : أخرس ﴿ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاَهُ ﴾ أى : عِيَالٌ وثِقْلٌ على قرابته ووَلِيِّه ﴿ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾ فهذا مثل آلهتهم لأنّها صمٌّ بكم عُمْىٌ ثِقْلٌ على من عبدَها، في خِدمتها والتَّعبُّد لها، وهى لا تأتيه بخير .

ثم قال: ﴿ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ؟ ﴾[1]

فجعل هذا المثل لنفسه .

(١) سورة النحل ٧٦ وتفسير الطبرى ١٤/١٠٠–١٠٢ .

﴿ فى سورة النحل أيضا ﴾

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ، تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ ﴾(١) .

هذا مثل لمن عاهد الله وحلف به، فقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾(٢) فتكونوا إن فعلتم كامرأة غزلت غزلا وقوّت مِرَّته وأبْرَمَته ، فلما استحكم نقضته ، فجعلته أنكاثاً .

والأنْكاثُ : ما نُقِضَ من أخْلاق بيوت الشعر والوبر ليغزل ثانية ويُعاد مع الجديد ، وكذلك مانقض من خَلَقِ الخزِّ .

ومنه قيل لمن أعطاك بيعته على السمع والطاعة ثم خرج عليك : نا كِثٌ ؛ لأنّه نقض ما وَكَّدَ على نفسه بالأيمان والعهُود ، كما تَنْقُضُ النّاكثة غَزْلها .

ثم قال : ﴿ تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ﴾ . أى : دَغَلًا وخيانة وحِيَلاً(٣) ﴿ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ ﴾(٤) أى : / لأن يكون قوم أغنى من قوم، وقوم أعلى من قوم ، تريدون : أن تقْتَطعُوا بأيمانكم حقوقاً لهؤلاء، فتجعلوها لهؤلاء . [١٦٥]

وقال المفسرون فى التى نقضت غزلها : هى امرأة من قريش وكانت حمقاء، فكانت تغزل الغَزْلَ من الصوف والشّعر والوبر بمغزل فى غِلَظِ الذّراع وصِنّارَةٍ فى قدر الإصبع وفَلْكَةٍ عظيمة ، فإذا أحكمته أمرَتْ خادمها فنقضته .

---

(١) سورة النحل ٩٢ وتفسير الطبرى ١٤/١١١–١١٣ .

(٢) سورة النحل ٩١ وتفسير الطبرى ١٤/١٠٩–١١١ .

(٣) فى تفسير الطبرى ١٤/١١٢ « والدخل فى كلام العرب : كل أمر لم يكن صحيحا » .

(٤) قال الطبرى فى تفسيره ١٤/١١٢ « أربى أفعل من الربا ، يقال : هذا أربى من هذا وأربأ منه : إذا كان أكثر منه .. وإنما يقال : أربى فلان ، من هذا ؛ وذلك للزيادة التى يزيدها على غريمه على رأس ماله » .

﴿ في سورة الصّافّات ﴾

﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّيَاطِينِ ﴾[١] .

طلعها : ثمرها ، سُمِّيَ طلْعاً لطلوعه كلّ سنة ، ولذلك قيل : طلْعُ النّخل لأوَّل ما يخرج من ثمره[٢] ، فإذا انتقل عن ذلك فصار في حال أخرى، سمي باسم آخر .

والشياطين : حيّات خفيفاتُ الأجسام قبيحات المناظر ، قال الشاعر وذكر ناقة :

تُلَاعِبُ مَثْنَى حَضْرَمِيٍّ كَأَنَّهُ   تَعَمُّجُ شيطانٍ بذى خِرْوَعٍ قَفْرِ[٣]

يعنى : زماماً ، شبّه تلوّيه بِتَلوِّى الحيّة .

وقال آخر :

عُجَيِّزٌ تَحْلِفُ حين أَحْلِفُ   كمثْلِ شيطان الحماطِ أَعْرَفُ[٤]

والحماط : شجر[٥]؛ والعرب تقول إذا رأت منظرا قبيحاً : كأنه شيطان الحماط. يريدون

---

(١) سورة الصافات ٦٤ ، ٦٥ وتفسير الطبرى ٢٣/٤٠–٤١ .

(٢) فى اللسان ١٠/١٠٨ « الطلع : نور النخلة مادام فى الـكافور الواحدة طلعة » .

(٣) نسبه الجاحظ فى الحيوان ٤/١٣٣ لطرفة وهو غير موجود فى ديوانه وذكره بدون نسبة فى ١/١٥٣ ، ٦/١٩٢ وهو غير منسوب كذلك فى مقاييس اللغة ٢/٢٨ ، ٣/١٨٤ واللسان ١/٢٨٧ ، ٣/١٥٣ ، ١٧/١٠٥ ، ١٨/١٣٠ .

والمثنىّ : زمام الناقة . والحضرمى : المنسوب إلى حضر موت ، ويقال : تعمجت الحية : أى تلوت ، والشيطان : الحية .

(٤) فى اللسان ١٧/١٠٤ « فإن العرب تسمى بعض الحيات شيطانا ، وقيل : هو حية له عرف قبيح المنظر ، وأنشد لرجل يذم امرأة له : عنجرد تحلف الخ وقد ورد البيت بهذه الرواية من غير نسبة أيضا فى ٩/١٤٦ ويقال : شىء أعرف : أى له عرف ، والعرف : منبت الشعر والريش من العنق .

(٥) راجع اللسان ٩/١٤٦ .

حيّة تأوى فى الحمَاط ، كما يقولون : أَيْمُ[١] الضّال ، وذِئبُ الغضَى[٢] ، وأرنبُ خُلّةٍ[٣] وتيْسُ حُلَّبٍ[٤] ، وقُنفُذُ بُرْقَةٍ[٥] .

وذهب بعض المفسرين إلى أنه أراد الشياطين بأعيانها[٦] . شبّه ثمر هذه الشّجرة فى قبحه برءوسها ، وهى إن لم تُرَ : فإنّها موصوفة بالقبح ، معروفة به[٧] .

---

(١) فى اللسان ٣٠٦/١٤ « الأيم والأيم — بسكون الياء وتشديدها مثل : هين وهين — الحية الأبيض اللطيف : وعم به بعضهم جميع ضروب الحيات » والضال : نوع من الشجر ، راجع وصفه فى اللسان ٤٢٢/١٣ .

(٢) فى اللسان ٣٦٥/١٩ « والعرب تقول : أخبث الذئاب ذئب الغضى ، وإنما صار كذا لأنه لايباشر الناس إلا إذا أراد أن يغير ، يعنون بالغضى هنا الخمر فيما ذكر ثعلب ، وقيل : الغضى هنا هذا الشجر ويزعمون أنه أخبث الشجر ذئابا » .

(٣) فى اللسان ٢٢٤/١٣ « الخلة من النبات ما كانت فيه حلاوة من المرعى » .

(٤) فى اللسان ٣٢٣/١ « يقال : تيس حلب ، وتيس ذوحلب ، وهى بقلة جعدة غبراء فى خضرة تنبسط على الأرض يسيل منها اللبن إذا قطع منها شىء ... أسرع الظباء تيس الحلب ؛ لأنه قد رعى الربيع .. » .

(٥) فى اللسان ٢٩٨/١١ « البرقة : أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل ، ويقال : قنفذ برقة ، كما يقال : ضب كديه ، والجمع برق — بفتح الراء — » .

(٦) راجع اللسان ١٠٤/١٧—١٠٥ .

(٧) فى تفسير الطبرى ٤١/٢٣ « فإن قال قائل : وما وجه تشبيهه طلع هذه الشجرة برءوس الشياطين فى القبح ولا علم عندنا بمبلغ قبح رءوس الشياطين . وإنما يمثل الشىء بالشىء تعريفا من الممثل له قرب اشتباه الممثل أحدهما بصاحبه ، مع معرفة الممثل له الشيئين كليهما أو أوحدهما ، ومعلوم أن الذين خوطبوا بهذه الآية من المشركين لم يكونوا عارفين شجرة الزقوم ولا برؤوس الشياطين ، ولا كانوا رأوهما ولا واحداً منهما ؟

قيل له : أما شجرة الزقوم فقد وصفها الله لهم وبينها حتى عرفوا ماهى وما صفتها فلم يتركهم فى عماء منها . وأما فى تمثيله طلعها برءوس الشياطين فأقوال لكل منها وجه مفهوم : أحدها أن يكون مثل ذلك برءوس الشياطين على ما قد جرى به استعمال المخاطبين بالآية بينهم ، وذلك أن استعمال الناس قد جرى بينهم فى مبالغتهم إذا أراد أحدهم المبالغة فى تقبيح الشىء قال : كأنه شيطان . فذلك أحد الأقوال . والثانى أن يكون مثل برأس حية معروفة عند العرب تسمى شيطانا ، وهى حية له عرف ، فيما ذكر ، قبيح الوجه والمنظر ... والثالث أن يكون مثل بنبت معروف برؤوس الشياطين ذكر أنه قبيح الرأس »

﴿في سورة النساء﴾

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ
مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً
مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾(١) الحسنة ههنا:
الخِصْبُ والمطر، يقول: إن أصابهم خِصْبٌ وغَيثٌ قالوا: هذا من عند الله / [١٦٦]
والسيئة: الجدب والقحط. يقول: وإن تصبهم سيئة يقولوا: هذه من عندك، أي بشؤمك، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾.

***

ومثل هذا قوله حكاية عن فرعون وملئه: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا: لَنَا هَذِهِ﴾ يريد: إذا جاءهم الخِصْبُ والمطر قالوا: هذا هو مالم نزل نتعرَّفه.

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ أي يتشاءمون بهم.

﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ﴾(٢) أي ماتطيّروا بموسى –لمجيئه– من عند الله.

ونحو قوله: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا﴾ أي خصباً وخيراً ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي جَدْبٌ وقحط ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي بذنوبهم ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾(٣)

***

---

(١) سورة النساء ٧٨–٧٩ وتفسير الطبري ٥/١١٠–١١٢.

(٢) سورة الأعراف ١٣١ وفي تفسير الطبري ٩/٢٠–٢١ «يقول الله تعالى ذكره: فإذا جاءت آل فرعون العافية والخصب والرخاء وكثرة الثمار ورأو مايحبون في دنياهم قالوا: لنا هذه نحن أولى بها، وإن تصبهم سيئة، يعني جدوب وقحوط وبلاء يطيروا بموسى ومن معه، يقول: يتشاءموا بهم ويقولوا: ذهبت حظوظنا وأنصباؤنا من الرخاء والخصب والعافية مذجاءنا موسى عليه السلام ...».

(٣) سورة الروم ٣٦ وفي تفسير الطبري ٢١/٢٩ يقول تعالى ذكره: وإذا أصاب الناس منا خصب ورخاء وعافية في الأبدان والأموال فرحوا بذلك، وإن تصبهم منا شدة من جدب وقحط وبلاء في الأموال والأبدان بما قدمت أيديهم، يقول: بما أسلفوا من سيء الأعمال بينهم وبين الله وركبوا من المعاصي، إذا هم يقنطون، يقول: إذا هم ييأسون من الفرج، والقنوط هو الإياس».

ثم قال : ﴿ مَاأَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ ﴾ أى من خير ﴿ فَمِنَ اللهِ ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ ﴾ أى من شر ﴿ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾[١] أى بذنبك ، الخطاب للنبى صلى الله عليه والمُرَادُ غيره، على مابَيَّنْتُ في باب الكناية .

(١) سورة النساء ٧٩ وفى تفسير الطبرى ١١١/٥ « يعنى مايصيبك يامحمد من رخاء ونعمة وعافية وسلامة فمن فضل الله عليك، يتفضل به عليك إحسانا منه إليك ... وما أصابك من شدة وأذى ومكروه فمن نفسك ، يعنى بذنب استوجبتها به ، اكتسبته نفسك » .

﴿في سورة يونس﴾

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[1] .

يريد أن الناس عند الغضب وعند الضّجر قد يَدعُون على أنفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وبالخزى وتعجيل البلاء ، كما قد يدعونه بالرزق والرحمة وإعطاء السُّؤْل .

يقول : فلو أجابهم الله إذا دعوه بالشر الذى يستعجلونَه استعجالَهم بالخير لقُضِيَ إليهم أجلُهم ، أى لهَلكُوا .

وفى الكلام حذف للاختصار كأنه قال : ولو يُعجّل اللهُ للناس إجابتهم بالشر الذى يستعجلونه استعجالهم بالخير ، لهلكوا .

(١) سورة يونس ١١ وتفسير الطبرى ١١/٦٥ .

﴿ فى سورة هود ﴾

[١٦٧] /﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ، فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(١) .

هذا كلام مردود إلى ماقبله ، محذوف منه الجواب للاختصار ، على ما بيَّنَّا فى باب المجاز .

وإنما ذكر الله تعالى قبل هذا الكلام قوماً رَكَنُوا إلى الدنيا ورَضُوا بها عِوَضاً من الآخرة فقال :

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾(٢) .

أى نُؤْتيهم ثوابَ أعمالهم فى الدنيا إذ كان عملُهم لها وطلبُهم ثوابَها ، وليس لهم فى الآخرة إلا النار .

﴿ وَحَبِطَ مَاصَنَعُوا فِيهَا ﴾ أى ذهب وبطل ؛ لأنهم لم يريدوا اللهَ بشىء منه .

ثم قايَسَ بين هؤلاء وبين النبى صلى الله عليه وصحابته فقال : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ يعنى محمداً صلى الله عليه . ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾ أى من ربه . الهاء مَرْدُودة إلى الله تعالى .

والشاهد من الله تعالى للنبى صلى الله عليه : جبريلُ عليه السلام(٣) ، يريد أنه يتبعه ويُؤَيِّده ويُسَدِّده ويَشْهَده .

ويقال : الشاهد : القرآن ﴿ يَتْلُوهُ ﴾ يكون بعده تالياً شاهداً له .

وهذا أعجب إلىَّ ؛ لأنّه يقول : ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى ﴾ يعنى التوراة . ﴿ إِمَاماً وَرَحْمَةً ﴾ قبل القرآن يشهد له بما قدَّم الله فيها من ذكره .

---

(١) سورة هود ١٧ وتفسير الطبرى ١٢/١٠–١٣ .

(٢) سورة هود ١٥ والآية التى بعدها : « أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون » وانظر تفسير الطبرى ١٢/٨–١٠ .

(٣) راجع تفسير الطبرى ١٢/١١–١٢ .

والجواب ههنا محذوف أراد : أَفَمَنْ كانت هـذه حاله كهذا الذى يريد الحياة الدنيا وزِينَتَها ؟ فاكتفى من الجواب بما تقدّم ؛ إذ كان فيه دليل عليه .

ومثله قوله : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْـلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ ، ولم يذكر الذى هو ضده ؛ لأنه قال بعد : ﴿ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾(١) .

فالقَانِتُونَ آناءَ الليـل والنهار هم الذين يعلمون ، وأضدادهم ، هم الذين لا يعلمون ، فاكتفى من الجواب / بما تأخّر من القول ؛ إذ كان فيه دليل عليه . [١٦٨]

وقوله : ﴿ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ ، يعنى أصحاب محمد صلى الله عليه ، يؤمنون بهذا .

***

﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴾، يعنى مشركى العرب وغيرهم . ﴿ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِنْهُ ﴾ ، أى فى شك . ﴿ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾(٢) ، الخطاب للنبى صلى الله عليه والمراد غيرُه ، على ما بينا فى باب الـكناية .

---

(١) سورة الزمر ٩ وتفسير الطبرى ٢٣/١٢٨–١٢٩ .

(٢) فى تفسير الطبرى ١٢/١٢ « يقول تعالى ذكره : ومن يكفر بهذا القرآن فيجحد أنه من عند الله من الأحزاب ، وهم المتحزبة على مللهم ، فالنار موعده ، أنه يصير إليها فى الآخرة بتـكذيبه ، يقول الله لنبيه محمد ، صلى الله عليه وسلم : فلا تك فى مرية منه ، يقول : فلا تك فى شك منه ، من أن موعد من كفر بالقرآن من الأحزاب النار ، وأن هذا القرآن الذى أنزلناه إليك من عند الله . ثم ابتدأ جل ثناؤه الخبر عن القرآن فقال : إن هذا القرآن الذى أنزلناه إليك يامحمد الحق من ربك لاشك فيه » .

﴿ فى سورة الأنعام ﴾

﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾[١] .

أراد : آتينا موسى الكتابَ تماماً على المحسنين ، كما تقول : أوصى بمال للذى غزا وحج، تريد الغَازِين الحاجِّين ، ويكون «الذى» فى موضع «من» كأنّه قال : تماماً على من أحسَن .

والمحسنون: هم الأنبياء، صلوات الله عليهم أجمعين ، والمؤمنون . و « على » فى هذا الموضع بمعنى « لام الجر » كما يقال : أَتَمَّ الله عليه وأَتَمَّ له . قال الرَّاعى :

رَعَتْهُ أَشْهُرًا وخَلا عليها ... فطَارَ النِّىُّ فيها واسْتَغَارَا[٢]

أراد : وخلالها .

وتَلْخِيصُهُ : آتينا موسى الكتابَ تتميماً مِنَّا للأنبياء وللمؤمنين الكُتُبَ . ﴿ وتفصيلاً ﴾ مِنّا ﴿ لِكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ .

وقد يكون أنْ تُجعل « الذى » بمعنى « ما » أى آتينا موسى الكتاب تماماً على ما أحْسَنَ من العلم والحكمة وكتبِ الله المتقدمة . وأراد بقوله ﴿ تَمَاماً ﴾ على ذلك ، أى زيادة على ذلك .

والتأويل الأول أعجب إلىّ؛ لأنه فى مصحف عبدالله : ﴿ تَمَاماً على الَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾[٣] وفى هذا ما دل على ذلك التأويل .

وقد يَتصرَّف أيضاً إلى معنى آخر ، كأنَّه قال : آتيناه الكتاب إِتْمَاماً مِنَّا للإحسان على مَنْ أحسَن[٤] .

---

(١) سورة الأنعام ١٥٤ وتفسير الطبرى ٨/٦٦–٦٨ .

(٢) البيت له فى اللسان ١٨/٢٦١ ، ٦/٣٤٣ « ويروى : فسار النى فيها ، أى ارتفع . واستغار أى هبط . وهذا كما قال : * تصوب الحسن عليها وارتقى * قال الأزهرى : معنى استغارا فى بيت الراعى هذا : أى اشتد وصلب ، يعنى شحم الناقة ولحمها إذا اكتنز ، كما يستغير الحبل إذا أغير أى شد فتله » وفيه ٢٠/٢٢٤ « النى : الشحم ، من نوت الناقة : إذا سمنت » .

(٣) قراءة عبد الله بن مسعود هذه فى تفسير الطبرى ٨/٦٦ والقراآت الشاذة ص ٤١ .

(٤) راجع تفسير الطبرى ٨/٦٧–٦٨ .

﴿ فى سورة المائدة ﴾

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا
/أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾(١). [١٦٩]

المحاربون لله ورسوله : هم الخارجون على الإمام وعلى جماعة المسلمين ، يُخيفون السُّبُل ويَسعَوْن فى الأرض بالفساد . وهم ثلاثة أصناف :

رجل قتل النفس ولم يأخذ مالا .

ورجل قتل النفس وأخذ المال .

ورجل أخذ المال ولم يقتل النفس .

فإذا قَدَرَ الإمامُ عليهم فإنَّ بعضَهم يقول : هو مخيَّر فى هذه العقوبات ، بأيِّها شاءَ عاقبَ كل صِنْفٍ منهم . وكان بعضُهم يجعل لكل صِنفٍ منهم حدًّا لا يتجاوَزُه إلى غيره .

فمن قتل النّفس ولم يأخذ المال قُتِل ؛ لأنّ النفس بالنفس .

ومن قتل النفس وأخذ المال : صُلِبَ إلى أن يموت ، فكان الشَّهر له بالصَّلْب جزاءً له بأخْذِه المال ، وقتله جزاءً له بقتله النفس .

ومن أصاب المال ولم يقتل ، فإن شاءَ الإمامُ قطع يده اليمنى جزاءً بالسَّرِق ورجلَه اليسرى جزاءً بالخروج والمجاهرة بالفساد ، وإن شاء نفاه من الأرض .

وقد اختلفوا فى نفيه من الأرض(٢) ، فقال بعضهم : هو أن يقال : مَنْ لَقِيَه فليقتله .

وقال آخر : هو أن يُطلب فى كل أرض يكون بها .

وقال آخر : هو أن يُنفى من بلده . وقال آخر : هو أن يحبس .

قال أبو محمد :

ولا أرى شيئاً من هذه التفاسير ، أشْبَه بالنفى فى هذا الموضع من الحبس ؛ لأنّه إذا حُبس

---

(١) سورة المائدة ٣٣ وتفسير الطبرى ٦/١٣٢–١٤٢ .

(٢) راجع تفصيل الخلاف فى تفسير الطبرى ٦/١٤٠–١٤٢ .

ومُنع من التصرُّف والتقلُّب فى البلاد ، فقد نُفِىَ منها كلِّها وأُلْجِئَ إلى مكان واحد[١] .

وقال بعض المسجونين :

خَرَجْنَا مِنَ الدُّنيا ونحْنُ من أَهْلِها فلسْنا مِنَ الأحياء فيها ولا المَوْتَى[٢]

إذا جاءَنا السَّجَّانُ يوماً لِحَاجَةٍ عَجِبْنَا وقُلْنَا : جاءَ هذا من الدُّنْيَا / [١٧٠]

ومَنْ جَعَلَ النَّفْىَ له أَنْ يُقَالَ : مَن لَقِيَهُ فليقتله ، أو أن يُطلب فى كل أرض يكون بها — فإنه يذهب فيما أحسب إلى أنّ هذا جزاؤه قبل أن يُقْدَرَ عليه ؛ لأنه لا يجوز أن يكون الإمام يظفر به فيدع عقوبته ثم يقول : مَنْ لقيه فليقتله . أو يجده فيتركه ثم يطلبه فى كل أرض .

وإذا كان هذا هكذا اختلفت العقوباتُ فصار بعضُها لمن قُدِرَ عليه ، وبعضُها لمن لم يُقْدَرْ عليه . وأشبَهُ الأشياء أنْ تكونَ كلّها فيمن ظُفِرَ به .

وأما نفيُه من بلده إلى غيره فليس نفى الخَارِبِ[٣] من بلده إلى غيره عُقُوبَةً له ؛ إذ كان فى خِرَابَتِهِ وخُروجِه غائباً عن مِصْرِه ، بل هو إهمال وتَسْليط وبَعْثٌ على التَّزيُّد فى العَبَث والفساد .

---

(١) راجع تفسير الطبرى ١٤١/٦ فإنه يقول : « وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال : معنى النفى من الأرض فى هذا الموضع : هو نفيه من بلد إلى بلد غيره ، وحبسه فى السجن فى البلد الذى نفى إليه حتى تظهر توبته من فسوقه ونزوعه عن معصية ربه » .

(٢) من أبيات ذكرها ابن قتيبة فى عيون الأخبار ٨١/١—٨٢ ولم ينسبها ، وذكرها مع غيرها الشريف المرتضى فى أماليه ١٠١/١ ونسبها لصالح بن عبد القدوس . وانظر المحاسن والأضداد ص ٣٨ .

(٣) فى اللسان ٣٣٧/١ « الخارب : اللص ... خرب : يخرب خرابة مثل : كتب يكتب كتابة » .

﴿ فى سورة الأنبياء ﴾

﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فى الظُّلُمَاتِ : أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾(١) .

يستوحش كثير من الناس من أن يلحقوا بالأنبياء ذنوباً، ويحمِلهم التنزيه لهم ، صلوات الله عليهم ، على مخالفة كتاب الله جلّ ذِكره ، واستكراهِ التأويل، وعلى أن يلتمسوا لألفاظه المخارج البعيدة بالحيل الضعيفة التى لا تَخِيل عليهم أو على من عَلِمَ منهم أنَّها ليست لتلك الألفاظ بشَكْل ، ولا لتلك المعانى بِلفْق(٢) ؛ كتأوُّلهم فى قوله تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾(٣) أى : بَشِمَ من أكل الشجرة ، وذهبوا إلى قول العرب : غَوِىَ الفَصِيلُ : إذا أكثر من اللبن حتى يَبْشَم . وذلك غوَى ـ بفتح الواو ـ يَغوِى غيًّا ، وهو من البَشم غَوِى ـ بكسر الواو ـ يغوَى غوًى ، قال الشاعر / يذكر قوساً : [١٧١]

مُعَطَّفَةُ الأَثْنَاءِ لَيْسَ فَصِيلُها ... بِرَازِئِها دَرًّا ولا مَيِّتٍ غَوَى(٤)

وأراد بالفصِيل : السَّهْم . يقول : ليس يَرْزَؤُها درًّا ، ولا يموتُ بَشَماً .

ولو وجد أيضا فى عصَى مثل هذا السَّنَن لرَكبوه ، وليس فى غَوَى شىءٌ إلا ما فى عصَى من معْنَى الذَّنب ؛ لأن العاصِىَ لله التَّارِكَ لأمره غاوٍ فى حاله تلك ، والغاوى عاصٍ . والغَىُّ ضدُّ الرّشد ، كما أن المعصية ضد الطاعة .

وقد أكل آدمُ ، صلى الله عليه وسلم ، من الشجرة التى نُهِىَ عنها باستزْلالِ إبليس

---

(١) سورة الأنبياء ٨٧ وفى تفسير الطبرى ١٧/٦٠ـ٦١ « يقول تعالى ذكره : واذكر يامحمد ذا النون ، يعنى صاحب النون ، والنون: الحوت ، وإنما عنى بذى النون يونس بن متى ... »

(٢) اللفق : ـ بكسر اللام ـ أحد لفقى الملاءة ، وهما لفقان ، ماداما متضامين ، راجع اللسان ١٢/٢٠٦ وأساس البلاغة ٢/٣٤٩ .

(٣) سورة طه ١٢١ وتفسير الطبرى ١٦/١٦٢ .

(٤) البيت غير منسوب فى اللسان ١٩/٣٧٩ « يعنى القوس وسهما رمى به عنها ، وهذا من اللغز » وغوى هنا مصدر ليس بفعل، وهو فى إصلاح المنطق ص ٢٢٧ وتهذيب إصلاح المنطق ٢/٥٤، وتفسير الطبرى ٨/٩٩، والمقصور والممدود ص ٨١ وانظره مع شرحه فى المعانى الكبير ٢/١٠٤٧

وخدائعه إيَّاه بالله والقسم به إنه لمنَ الناصحين ، حتى دَلاَّهُ بغرُورٍ (١) ، ولم يكن ذنبه عن إرْصادٍ (٢) وعداوة وإرْهَاصٍ (٣) كذُنوب أعداءِ الله . فنحن نقول : عَصَى وغَوَى ، كما قال الله تعالى ، ولا نقول : آدم عَاصٍ ولا غَاوٍ ؛ لأن ذلك لم يكن عن اعتقاد متقدِّم ولا نيّة صحيحة ، كما تقول لرجل قطع ثوبا وخاطه : قد قطعه وخاطه ، ولا تقل خائط ولا خيَّاط حتى يكون مُعَاوِداً لذلك الفعل معروفاً به .

وكتأولهم فى قوله سبحانه ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ أنها همَّتْ بالمعصية وهمّ هو بالفرار منها . وقال بعضهم : وهمَّ بضربها ، والله تعالى يقول : ﴿ لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ (٤) أفتُرَاه أراد الفرار منها أو الضرب لها ، فلما رأى البرهان أقام عندها وأمسك عن ضربها ؟ هذا ما ليس به خفاء ولا يغلط مُتَأَوِّلُه . ولـكنها همَّت منه بالمعصية همَّ نِيَّـةٍ واعتقادٍ ، وهَمَّ نبى الله صلى الله عليه وسلم هَمًّا عارِضاً بعد طُول المُرَاوَدَة ، وعنـد حدوث الشهوة التى أُتِىَ أ كثرُ الأنبياءِ فى هفواتهم منها .

وقد رُوى فى الحديث : أنه ليس من نبى إلا وقد أخطأ أو همّ بخطيئة غير يحيى بن زكريا عليهما السلام ؛ لأنَّه كان حَصُوراً لا يأتى / النساء ولا يُرِيدُهُنّ . فهذا يَدُلُّكَ على أنّ أ كثر [١٧٢]
زلّات الأنبياء من هذه الجهة ، وإن كانوا لم يَأْتُوا فى شىء منها فاحشةً بنِعَمِ الله عليهم ومَنِّه ؛ فإنَّ الصغيرَ منهم كبيرٌ ، لِمَا آتاهم الله من المعرفة ، واصطفاهم له من الرسالة ، وأقام عليهم من الحُجَّة ، ولذلك قال يوسف صلى الله عليـه : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ (٥) ، يريد ما أضمره وحدَّث به نفسَه عند حدوث الشّهوة . وقد وضع الله تعالى الحَرَجَ عمَّن همَّ بخطيئةٍ ولم يعملها .

***

---

(١) فى اللسان ١٨/٢٩٢ عن الجوهرى : « ودلاه بغرور أى أوقعه فيما أراد من تغريره » .

(٢) الإرصاد : الإعداد كما فى اللسان ٤/١٥٨ .

(٣) فى اللسان ٨/٣١١ « والإرهاس على الذنب : الإصرار عليه ، وفى الحديث : وإن ذنبه لم يكن عن إرهاص : أى عن إصرار وإرصاد ، وأصله من الرهص ، وهو تأسيس البنيان » .

(٤) سورة يوسف ٢٤ وتفسير الطبرى ١٢/١٠٨–١١٣ .

(٥) سورة يوسف ٥٣ .

وقالوا فى قوله: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً ﴾ : إنه غاضَبَ قومه . استيحاشاً من أن يكون مع تأييد الله وعصمته وتوفيقه وتطهيره، يخرج مُغَاضِباً لربِّه . ولم يذهب مغاضباً لربِّه ولا لقومه ؛ لأنه بُعث إليهم فدعاهم بُرْهَةً من الدّهر فلم يستجيبوا ، ووعَدَهم عن الله فلم يرغبوا ، وحذَّرهم بأسه فلم يرهبوا ، وأعلمهم أنّ العذابَ نازلٌ عليهم لوقت ذَكَرَهُ لهم ، ثم إنه اعتزلهم يَنْتَظِرُ هَلَكَتَهم . فلما حضر الوقت أوقرُب فكّرَ القومُ واعتبروا، فتابوا إلى الله وأنابوا ، وخرجوا بالمراضيع وأطفالها يَجْأَرُون ويتضرّعون ، فكشف الله تعالى عنهم العذابَ ومتّعهم إلى حين .

فإنْ كان نبى الله صلى الله عليه، ذهب مُغَاضِباً على قومه قبل أن يؤمنوا فإنما راغمَ من استحق فى الله أن يُرَاغَمَ ، وهجَرَ من وجب أن يهجر ، واعتزل من علم أنْ قد حقّت عليه كلمةُ العذاب ـ فبأىِّ ذنبٍ عُوقِب بالتهام الحوت ، والحَبْسِ فى الظُّلُمات ، والغمّ الطويل؟
وما الأمر الذى ألامَ فيه فنعاهُ اللهُ عليه إذ يقول: ﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾(١)
والمُليمُ : الذى أجرَمَ جُرْماً استوجب به اللَّوْم .

ولِمَ أخرجهُ من أُولى العَزْم من الرّسُل حين يقول لنبيه صلى الله عليه : ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾؟(٢)/. [١٧٣]

وإن كان الغضب عليهم بعد أن آمنوا فهذا أغلط مما أنكروا وأفحش مما استقبحوا، كيف يجوز أن يغضب على قومه حين آمنوا؟ ولذلك انْتُجِبَ(٣) ، وبه بُعث ، وإليه دعا .

وما الفرق بين عدو الله ووليّه إن كان وليّه يغضب من إيمان مائة ألف أو يزيدون ؟

والقول فى هذا أنّ المُغَاضَبَة : المُفَاعَلَة من الغضب ، والمُفَاعَلة تكون من اثنين ، تقول: غاضَبْتُ فلاناً مُغَاضَبَةً وتَغَاضَبْنَا : إذا غضب كلٌّ واحد منكما على صاحبه ، كما تقول: ضارَبْتُه مُضارَبةً ، وقاتلتُه مُقاتلةً ، وتَضارَبْنا وتقاتلنا .

وقد تكون المفاعلة من واحد فتقول : غاضَبْتُ من كذا : أى غَضِبْتُ ، كما تقول :

---

(١) سورة الصافات ١٤٢ .

(٢) سورة القلم ٤٨ .

(٣) المنتجب : المختار من كل شىء ، كما فى اللسان ٢/٢٤٥ .

سافرت وناوَلْتُ ، وَعَاطيت الرَّجُلَ ، وشارَفْتُ الموضع ، وجاوزْتُ وضاعَفْتُ ، وظاهرت وعاقبت .

ومعنى المُغَاضَبة هنا : الأنفة ؛ لأنّ الأنِفَ من الشيء يَغْضَبُ ، فتُسَمَّى الأَنفَةُ غضبا ، والغضبُ أنفةً ؛ إذ كان كل واحد بسببٍ من الآخر ، تقول: غضبت لك من كذا ، وأنت تُرِيد أنفت ، قال الشاعر :

غَضِبْتُ لكُمْ أَنْ تُسَامُوا اللَّفاءَ ... بِشَجْنَاءَ مِنْ رَحِمٍ تُوصَلُ(١)

يروى مرة : أنفت لكم ، ومرة : غضبت لكم ؛ لأنّ المَعْنَيين متقاربان .

وكذلك العَبَدُ أصله : الغَضَبُ ، ثم قد تُسمَّى الأَنفةُ عَبدًا . وقال الشاعر :

* وأَعْبَدُ أَنْ تُهْجَى تَمِيمٌ بِدَارِمِ(٢) *

يريد : آنَفُ .

وحكى أبو عُبَيدٍ ، عن أبي عَمْرو ، أنه قال في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ : هو من الغضب والأَنفة . ففسَّرَ الحرف بالمعنيين لتقاربهما .

فكأنّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم لمّا أخبرهم عن الله أنّه مُنزِلٌ العذاب عليهم / لأَجَلٍ، [١٧٤]
ثم بَلغَهُ بعد مُضِيّ الأَجَلِ أنَّه لم يأتِهم ما وعدهم ـ خَشِيَ أن يُنْسَبَ إلى الكذب ويُعَيَّر به ويُحقَّق عليه ، لاسيّما ولم تكن قرية آمنت عند حضور العذاب فنفعهَا إيمانُها غيرُ قومه، فدخلته الأَنَفَةُ والحَمِيَّةُ ، وكان مغيظًا بطول ما عاناه من تكذيبهم وهزئهم وأذاهم واستخفافهم بأمر الله ، مُشْتَهِياً لأَن ينزل بأسُ الله بهم ، هذا إلى ضِيقِ صَدْرِه ، وقلّة صبره على ما صبر على مثله أولوا العزم من الرُّسل .

---

(١) نسبه ابن قتيبة في المعاني الكبير ٥٢٨/١ لخداش بن زهير ، وروايته فيه « أنفنا لهم » وقد قال في شرحه : « اللفاء : النقصان، وشجناء : اشتباك الرحم ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في الرحم : إنها شجنة من الله عز وجل وشجر متشجن: ملتف » .

(٢) في اللسان ٢٦٥/٤ « وقيل في قول الفرزدق :

أولئك قوم إن هجوني هجوتهم ... وأعبد أن أهجو كليبا بدارم :

أعبد : أي آنف » .

وقد روى فى الحديث(١) أنه كان ضيِّق الصدر ، فلما حُمِّلَ أَعْباءَ النُّبُوَّة تفسَّخ تحتها تفسُّخَ الرُّبَعِ (٢) تحت الحِمْل الثَّقيل ، فمضى على وجهه مُضِيَّ الآبِق النَّادّ . يقول الله سبحانه : ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ، إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾(٣) .

* * *

﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ ، أى لن نُضَيِّقَ عليه ، وأنَّا نُخلِّيه ونُهْمِله(٤) ؛ والعرب تقول : فُلانٌ مُقدَّر عليه فى الرزق ، ومُقتَّرٌ عليه ، بمعنى واحد ، أى مضيّق عليه . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ﴾(٥) . وقَدَرَ ـ بالتخفيف والتثقيل ـ قال أبو عَمْرو بن العَلاء : قَتَرَ وَقَتَّر وقَدَر وقَدَّر ، بمعنى واحد ، أى ضيّق . فعاقبه اللهُ عن حميَّته وأَنَفَتِه وإباقته و كراهيته العفوَ عن قومة ، وقَبُولِ إِنَابَتِهِمْ ، بالحبس له ، والتَّضييق عليه فى بطن الحوت .

وفى رواية أبى صالح : أن ملـكا من ملوك بنى إسرائيل كان أمرَه بالمسير إلى نِينَوَى ليدعوَ أهلها بأمر شَعْيَاءَ النبى عليه السلام ، فأَنِف من أن يكون ذهابه إليهم بأمر أحدٍ غير الله تعالى، فخرج مُغَاضِباً للملك ، فعاقبه اللهُ بالتِقَام الحُوتِ .

قال : فلما قذفهُ الحوت بعثه اللهُ إلى قومه فدعاهم وأقام بينهم حتى آمنوا .

---

(١) راجع الحديث فى تفسير الطبرى ٦١/١٧ .

(٢) فى اللسان ١٤/٤ « وتفسخ الربع تحت الحمـل الثقيل : وذلك إذا لم يطقه » . وفيه ٤٦١/٩ « الربع الفصيل الذى ينتج فى الربيع » .

(٣) سورة الصافات ١٤٠ .

(٤) راجع تفسير الطبرى ٦٢/١٧ـ٦٣ .

(٥) سورة الفجر ١٦ .

﴿ فى سورة يوسف ﴾

﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ ﴾[١].

قد تكلم المفسرون فى هذه الآية بما فيه مَقْنَعٌ وغناء عن أن يوضح بغير لفظهم .

فروَى عبد الرّزاق ، عن مَعْمَرْ ، عن قَتَادَة ، أنّه قال : ﴿ اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ ﴾ من قومهم ﴿ وَظَنُّوا ﴾ أى : علموا ﴿ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ وكان يقرؤها بالتشديد[٢] .

وروَى عبد الرزّاق ، عن معمر ، عن الزُّهْرِى ، عن عروة ، عن عائشة ، أنها قالت : اسْتَيْأَسَ الرُّسُل ممن كذّبهم من قومهم أن يُصَدِّقوهم ، وظنَّت الرّسلُ أن من قد آمن بهم من قومهم قد كذَّبوهم ، جاءهم نصر الله عند ذلك . وكانت تقرأ ﴿ فَكُذِّبُوا ﴾ بضم الكاف وتشديد الذال[٣] .

وروى حجّاج ، عن ابن جُرَيج ، عن ابن أبى مُلَيكة ، عن عُروَة ، عن عائشة ، أنها قالت : لم يزل البلاء بالرّسل حتى خافوا أن يكون من معهم من المؤمنين قد كذَّبوهم[٤] .

وروَى حَجَّاجٌ ، عن ابن جُرَيجٍ ، عن مُجاهد، أنه قرأها ﴿ قد كَذَبُوا ﴾ بفتح الكاف

---

(١) سورة يوسف ١١٠ و تفسير الطبرى ١٣/٥٣-٥٨ .

(٢) قال الطبرى فى تفسيره ١٣/٥٨ « وبهذه القراءة كانت تقرأ عامة قراء المدينة والبصرة والشام ، أعنى بتشديد الذال من كذبوا ، وضم كافها ، وهذا التأويل الذى ذهب إليه الحسن وقتادة فى ذلك إذا قرئ بتشديد الذال وضم الكاف — خلاف لما ذكرنا من أقوال جميع من حكينا قوله من الصحابة ؛ لأنه لم يوجه الظن فى هذا الموضع منهم أحد إلى معنى العلم واليقين ، مع أن الظن إنما استعمله العرب فى موضع العلم فيما كان من علم أدرك من جهة الخبر أو من غير وجه المشاهدة والمعاينة ، فأما ما كان من علم أدرك من وجه المشاهدة والمعاينة ، فإنها لا تستعمل فيه الظن ، لا تكاد تقول : أظننى حيا ، وأظننى إنسانا ، بمعنى : أعلمنى إنسانا ، وأعلمنى حيا . والرسل الذين كذبتهم أممهم لا شك أنها كانت لأممها شاهدة . ولتكذيبها إياها منها سامعة ، فيقال فيها : ظنت بأممها أنها كذبتها » .

(٣) تفسير الطبرى ١٣/٥٨ .

(٤) تفسير الطبرى ١٣/٥٧ .

وَالذال وتخفيف الذال ، يريد : حتى إذا استيئس الرسل من إيمان قومهم فظنَّ قومُهم أنَّ الرُّسلَ قد كَذَبوا فيما بلَّغوا عن الله عز وجل [(١)].

وروَى حَجّاج ، عن ابن جُرَيْجٍ ، عن ابن أبى مُليكة ، عن ابن عباس ، أنه قرأ : ﴿ كُذِبُوا ﴾ بضم الكاف وكسر الذال وتخفيفها . وقال : كانوا بشراً ، يعنى الرسل ، يذهب إلى أن الرسل ضَعُفُوا فظنُّوا أنهم قد أُخْلِفُوا [(٢)]. ٥

وهذه مذاهب مختلفة ، والألفاظ تحتملها كلّها ، ولا نعلم ما أراد الله عز وجل ، غير أنّ أحْسنَهَا فى الظاهر وأولاها بأنبياء الله صلوات الله عليهم ، ما قالت أمّ المؤمنين عائشة رضى الله عنها .

---

(١) فى تفسير الطبرى ١٣/٥٨ « وروى عن مجاهد فى ذلك قول هو خلاف جميع ماذكرنا من أقوال الماضين الذين سمينا أسماءهم وذكرنا أقوالهم ، وتأويل خلاف تأويلهم ، وقراءة غير قراءة جميعهم ، وهو أنه كان يقرأ « وظنوا أنهم قد كَذبوا » بفتح الكاف والذال وتخفيف الذال ... وهذه القراءة لا أستجيز القراءة بها ؛ لإجماع الحجة من قراء الأمصار على خلافها . ولوجازت القراءة بذلك لاحتمل وجها من التأويل وهو أحسن مما تأوله مجاهد ، وهو : حتى إذا استيأس الرسل من عذابه الله قومها المكذبة بها ، وظنت الرسل أن قومها قد كذبوا وافتروا على الله بكفرهم بها . ويكون الظن موجها حينئذ إلى معنى العلم ، على ماتأوله الحسن وقتادة » .

(٢) قال الطبرى فى تفسيره ١٣/٥٧ « وهذا تأويل ، وقول غيره من أهل التأويل أولى عندى بالصواب ، وخلافه من القول أشبه بصفات الأنبياء ، والرسل إن جاز أن يرتابوا بوعد الله إياهم ويشكوا فى حقيقة خبره مع معاينتهم من حجج الله وأدلته مالا يعاينه المرسل إليهم — فيعذروا فى ذلك ، إن المرسل إليهم لأولى فى ذلك منهم بالعذر . وذلك قول إن قاله قائل لايخفى أمره . وقد ذكر هذا التأويل لعائشة فأنكرته أشد النكرة ، وقالت : معاذ الله ، ماحدث الله رسوله شيئا قط إلا علم أنه سيكون قبل أن يموت ، ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى ظن الأنبياء أن من تبعهم قد كذبوهم . وكانت تقرؤها : « قد كذبوا » تثقلها » .

﴿في سورة لإيلاف قريش﴾

يذهب بعضُ الناس إلى أنّ هذه السورة وسورة الفيل واحدة .

وبلغني / عن ابن عُيَيْنَة أنه قال : كان لنا إمام بالكوفة يقرأ ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ و ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ ولا يفرّق بينهما . [١٧٦]

وتَوَهَّم القومُ أنهما سورة واحدة ؛ لأنّهم رأوا قوله : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ مرْدودًا إلى كلام في سورة الفيل .

وأكثر الناس على أنّهما سورتان على ما في مصحفنا ، وإن كانتا مُتَّصِلَتَي الألفاظِ ، على مذهب العرب في التضمين .

والمعنى أنّ قريشًا كانت بالحرم آمنة من الأعداء أنْ تهجم عليها فيه ، وأنْ يعرض لها أحدٌ بسوء إذا خرجت منه لتجارتها . وكانوا يقولون : قريش سُكانُ حرم الله ، وأهل الله وولاة بيته . والحرمُ وادٍ جَدِيب لا زرع فيه ولا ضرع ، ولا شجر ولا مَرعَى ، وإنما كانت تعيش قريش فيه بالتّجارة ، وكانت لهم رحلتان في كل سنة : رحلةٌ إلى اليمن في الشتاء ، ورحلة في الصيف إلى الشام . ولولا هاتانِ الرِّحلتانِ لم يُمكن به مُقام ، ولولا الأَمْنُ بجوارِهم البيت لم يقدروا على التّصرُّف .

فلمّا قصد أصحاب الفيل إلى مكة ليَهْدِموا الكعبة وينقلوا أحجارها إلى اليمن فيبنوا به هناك بيتًا ينتقل به الأمن إليهم ، ويصير العزُّ لهم ، أهلكهم اللهُ سبحانه لتُقيم قريش بالحرم ويجاوروا البيت ، فقال يذكر نعمته : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[١] . ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾[٢] . أي : فعَل ذلك ليُؤلِّف قريشًا هاتين الرّحلتين اللتين بهما تعيُّشُهُمْ ومُقامهم بمكة[٣] . تقول : أَلِفْتُ موضع كذا : إذا

---

(١) سورة الفيل وآياتها ٥ .

(٢) سورة قريش ١ .

(٣) قال الطبري في تفسيره ٣٠ / ١٩٧ « واختلف أهل العربية في المعنى الجالب هذه اللام في قوله : =

لَزِمْته ، وآلَفنِيه اللهُ ، كما تقول : لزمت موضع كذا ، وألْزَمَنِيه اللهُ .

وكرَّر لإيلاف كما تقول فى الـكلام : أعطيتك المال لصيانة وجهك صِيَانةً عن كلّ

[١٧٧] الناس،فتـكرّر الـكلام للتوكيد، على ما بينا فى باب التكرار /.

ثم أمرهم بالشكر فقال: ﴿ فَلْيَعْبُدوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِى أَطْعَمَهُمْ ﴾ فى هذا الموضع الجَدِيب من الجوع ، وآمنهم فيه والناس يتخطَّفُون حَوْلَهُ من الخوف .

« لإيلاف قريش » فـكان بعض نحويى البصرة يقول : الجالب لها قوله : « فجعلهم كعصف مأكول » فهى فى قول هذا القائل صلة لقوله : جعلهم . فالواجب على هذا القول أن معنى الـكلام : ففعلنا بأصحاب الفيل هذا الفعل نعمة منا على أهل هذا البيت وإحسانا منا إلى نعمتنا عليهم فى رحلة الشتاء والصيف . فتـكون اللام فى قوله : لإيلاف بمعنى إلى ، كأنه قيل : نعمة لنعمة وإلى نعمة ؛ لأن إلى موضع اللام واللام موضع إلى ... كان بعض نحويى الـكوفة يقول : قد قيل هذا القول ، ويقال : إنه تبارك وتعالى عجب نبيه فقال : اعجب يا محمد لنعم الله على قريش فى إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، ثم قال : فلا يتشاغلوا بذلك عن الإيمان واتباعك ، يستدل بقوله : « فليعبدوا رب هذا البيت » وكان بعض أهل التأويل يوجه تأويل قوله : « لإيلاف قريش » إلى إلفة بعضهم بعضا ... والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن هذه اللام بمعنى التعجب ، وإن معنى الـكلام : اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف ، وتركهم عبادة رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف فليعبدوا رب هذا البيت . والعرب إذا جاءت بهذه اللام فأدخلوها فى الـكلام للتعجب اكتفوا بها دليلا على التعجب من إظهار الفعل الذى يجلبها .. وأما القول الذى قاله من حكينا قوله انه من صلة قوله : « فجعلهم كعصف مأكول » فإن ذلك لو كان كذلك لوجب أن يكون « لإيلاف » بعض « ألم تر » ، وأن لا تـكون سورة منفصلة من « ألم تر » ، وفى إجماع المسلمين على أنهما سورتان تامتان كل واحدة منهما منفصلة عن الأخرى ما يبين عن فساد القول الذى قاله من قال ذلك . ولو كان قوله : « لإيلاف قريش » من صلة قوله: « فجعلهم كعصف مأكول » لم تـكن « ألم تر » تامة حتى توصل بقوله : « لإيلاف قريش » ؛ لأن الـكلام لا يتم إلا بانقضاء الخبر ... » .

﴿ في سورة النحل ﴾

﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾(١).

تَفَيُّؤُ الظِّلَالِ: رجوعُها من جانب إلى جانب، فهى مرة تُجاهَ الشَّخْص، ومرة وراءه، ومرة عن يمينه، ومرة عن شماله.

وأصل الفَيْءِ: الرّجوع، ومنه قيل للظل فى العَشِيّ: فَيْءٌ؛ لأنه فاءَ، أى رجع من جانب إلى جانب. ومنه الفَيْءُ فى الإيلاء(٢) إنما هو الرّجوع إلى المرأة.

وأصل السجود: التّطَأْطُؤ والميل، يقال: سجد البعير وأُسْجِد: إذا طُوْطِئَ لِيُرْكَب، وسجدت النّخلة: إذا مالت. قال لبيد يصف نخلا:

* غُلْبٌ سَوَاجِدُ لم يَدْخُل بها الحَصَرُ(٣) *

فالغُلْب: الغلاظ الأعناق(٤). والسواجد: الموائل.

ومن هذا قيل لمن وضع جبهته بالأرض: ساجد، لأنه تَطَامَن فى ذلك.

ثم قد يُستعارُ السجودُ فيوضع موضع الاستسلام والطاعة والذُّل، كما يستعار التطأطؤ

---

(١) سورة النحل ٤٨ وفى تفسير الطبرى ١٤/٧٨ «فتأويل الكلام إذا: أو لم ير هؤلاء الذين مكروا السيئات إلى ماخلق الله من جسم قائم: شجر أو جبل أو غير ذلك، يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل، يقول: يرجع من موضع إلى موضع، فهو فى أول النهار على حال ثم يتقلص ثم يعود إلى حال أخرى فى آخر النهار».

(٢) الإيلاء: الحلف، يقال: آليت من امرأتى أولى إيلاء: إذا حلف ألا يجامعها.

(٣) فى اللسان ٤/١٨٩ «ونخلة ساجدة: إذا أمالها حملها، وسجدت النخلة: إذا مالت، ونخل سواجد: مائلة، عن أبى حنيفة، وأنشد للبيد:

بين الصفا وخليج العين ساكنة غلب سواجد لم يدخل بها الحصر

قال: وزعم ابن الأعرابى أن السواجد هنا: المتأصلة الثابتة».

(٤) اللسان ٢/١٤٤.

والتَّطامنُ فيوضعان موضع الخشوع والخضوع والانقياد والذل ، فيقال : تَطَامَنْ للحق؛ أى اخضَع له ، وتَطَأْطَأْ لها تَخَطَّك، أى تذلَّل لها ولا تعزَّز.

ومن الأمثال المبتذلة : اسْجُدْ للقرد فى زمانه[1] . يراد : اخضع للسِّفلة واللئيم فى دولته، ولا يُراد معنى سجود الصلاة . قال الشاعر :

[١٧٨] بِجَمْعٍ تَضِلُّ البُلْقُ فى حَجَرَاتِه تَرَى الأُكْمَ فيها سُجَّدًا للحَوَافِرِ[2] /

يريد أن حوافر الخيل قد قلعت الأُكْمَ ووطئَتْها حتى خشعت وانخفضت .

ومن خلق الله عز وجل: المُسَخَّرُ المقصورُ على فعل واحـد ، كالنّار شأْنُها الإحراق ، والشمس والقمر شأْنُهما المسير الليل والنَّهار دَائِبَيْن ، والفلك المسخّر للدّوران .

ومنه المُسَخَّرُ لمعنيين ، ثم هو مُخَيَّرٌ بينهما كالإنسانِ فى الـكلام والسكوت ، والقيام والقعود ، والحركة والسكون . والشمس والظلّ خَلْقان مُسَخَّران لِأَنْ يُعَاقِبُ كلٌّ واحدٍ منهما صاحِبَه بغير فصْلٍ .

والظلُّ فى أول النهار قبل طلوع الشمس يَعُمُّ الأرضَ كما تَعُمُّها ظلمةُ الليل ، ثم تطلع الشمسُ فَتَعُمُّ الأرضَ إلا ماسترته الشُّخُوصُ ، فإذا ستر الشّخص شيئًا عاد الظلّ . فرجوعُ الظلِّ بعد أن كان شمساً ، ودوَرانُه من جانب إلى جانب هو سُجُودُه ؛ لأنه مستسلم منقاد مطيع بالتَّسْخير ، وهو فى ذلك يميل ، والميل سجود .

---

(١) فى الحيوان ١/٣٥٥ « وقال العتابى :

اسجد لقرد السوء فى زمانه وإن تقاك بخنزوانه

* لاسيما مادام فى سلطانه *

(٢) من أبيات لزيد الخيل فى الـكامل ١/٣٥٨ وروايته : «بجيش» وقال المبرد فى شرحه : « قوله : تضل البلق فى حجراته ، يقول : لـكثرته لايرى فيه الأبلق ، والأبلق مشهور المنظر ؛ لاختلاف لونيه . وحجراته : نواحيه . وقوله : ترى الأكم منه سجدا للحوافر ، يقول : لـكثرة الجيش تطحن الأكم حتى تلصقها بالأرض » والبيت فى المعانى الـكبير لزيد وفى شرحه يقول ابن قتيبة : « يقول : إذا ضلت البلق فيه مع شهرتها فلم تعرف ، فغيرها أحرى أن تضل . يصف كثرة الجيش ، ويريد أن الأكم قد خشعت من وقع الحوافر » وهو لزيد أيضا فى الأغانى ١٦/٥٢ ومجموعة المعانى ص ١٩٢ ومجمع البيان ١/١٤١ وتفسير الطبرى ١/٢٨٩ وغير منسوب فيه ١/٢٣٨ وفى الأضداد لابن الأنبارى ص ٢٥٧ ، والصناعتين ص ٢٢١ والصاحبى ص٢٢٤ والأزمنة والأمكنة ١/٣٥ وعجزه كذلك فى اللسان ٤/١٨٩ والبحر المحيط ١/٥١ .

وكذلك قوله : ﴿ والنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَان ﴾[1] ، أى يستسلمان لله بالتَّسْخير .

وقوله : ﴿ وَلِلهِ يَسْجُدُ مَنْ فى السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾[2] ، أى يستسلم من فى السموات من الملائكة ، ومن فى الأرض من المؤمنين طَوْعاً ، ويستسلم من فى الأرض من الكافرين كَرْهاً مِنْ خوف السيف . ﴿ وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾ مُسْتَسْلِمةٌ .

وهو مثل قوله: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فى السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُون ﴾[3] .

---

(١) سورة الرحمن ٦ .

(٢) سورة الرعد ١٥ .

(٣) سورة آل عمران ٨٣ .

﴿ فى سورة وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ ﴾

﴿ نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴾[1] .

[١٧٩] قوله : ﴿ تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴾ / أى تُوفِى عليها وتُشْرِفُ ، ويقال : طلَع الجبلَ، واطَّلَع عليه : إذا علا فَوْقَهُ .

وخصّ الأفئدة ؛ لأنَّ الألمَ إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه . فأخبرنا أنهم فى حال مَن يموت وهم لا يموتون .

وهو كما قال : ﴿ فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى ﴾[2] . يريد أنه فى حال من يموت وهو لا يموت .

(١) سورة الهمزة ٦ ، ٧ وتفسير الطبرى ٣٠/١٩٠ .
(٢) سورة طه ٧٤ .

﴿ فى سورة محمد صلى الله عليه ﴾

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ، فَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فيها الْقِتالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكانَ خَيْرًا لَهُمْ * فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فى الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ ﴾(١) .

كان المسلمون إذا بطل الوحىُ يقولون : هَلّا نزل شىء ، تأميلًا أن تنزل عليهم بُشرى من الله وفتحٌ وخير وتخفيف ﴿ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ ﴾ أى مُحْدَثة ، وسميت المحدثة: مُحْكَمَةً ، لأنّها حين تنزل تكون كذلك حتى يُنْسخَ منها شىء ، وهى فى حَرْف عبد الله ﴿ فإذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْدَثَةٌ ﴾ . ﴿ وَذُكِرَ فيهَا القِتَالُ ﴾ ، أى فُرِضَ فيها الجهاد ﴿ رَأَيْتَ الَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ أى شكٌّ ونفاق ﴿ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ المَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ ﴾ ، يريد أنهم يشخصون نحوَكَ بأبصارهم وينظرون نظراً شديداً بتَحْديق وتحديد ، كما ينظر الشّاخِصُ ببصره عند الموت، من شِدَّة العداوة . والعرب تقول: رَأَيْتُه لَمْحًا باصِرًا، أى نظراً صُلْباً بتحديق . ونحوه قوله : ﴿ وَإِنْ يَكادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾(٢) ، أى يسقطونك بشدة نظرهم؛ وقد تقدم ذكر هذا(٣) .

ثم قال : ﴿ فَأَوْلَى لَهُمْ ﴾ تهدُّدٌ ووَعيدٌ . وتمّ الكلام ، ثم قال : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ﴾ وهذا مختصر ، يريد قولهم قبل نزول الفَرْضِ /: سَمْعٌ لك وطاعة . [١٨٠]

﴿ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ ﴾ ، أى جاء الجِدّ كرهوا ذلك ، فحذف الجواب على ما بينت فى باب الاختصار(٤) . ثم ابتدأ فقال : ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ .ثم قال : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ ، أى انصرفتم عن النبى عليه السلام وما يأمركم به ﴿ أَنْ تُفْسِدُوا فى الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ ، يريد فهل تريدون إذا أنتم تركتم محمداً صلى الله عليه وما يأمركم به — : أنْ تَعودُوا إلى مثل ما كنتم عليه من الكفر والإفساد فى الأرض وقطعِ الأرحام؟

---

(١) سورة محمد ٢٠–٢٢ وتفسير الطبرى ٢٦/٣٤–٣٦ والبحر المحيط ٨/٨٠–٨٢ .

(٢) سورة القلم ٥١ .

(٣) راجع ص ١٢٩

(٤) راجع ص ٩٩

﴿ في سورة قٓ ﴾

﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ * وَقَالَ قَرِينُهُ : هَذَا مَالَدَىَّ عَتِيدٌ * أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ * الَّذِى جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى الْعَذَابِ الشَّدِيدِ * قَالَ قَرِينُهُ : رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِى ضَلَالٍ بَعِيدٍ * قَالَ : لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[1] .

السائق ههنا : قرينُها من الشياطين ، سمِّى سائقاً : لأنه يتبعها وإنْ لم يحثُّها ويدفعها . وكان رسول الله صلى الله عليه يسوق أصحابه ، أى يكون وراءهم .

والشَّهيد : الملك الشاهد عليها بما عملت .

يقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا ﴾ فى الدنيا . ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ ﴾ أى : أريناك ما كان مستوراً عنك فى الدنيا .

﴿ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ أى : فأنت ثاقبُ البصر لمَّا كُشِفَ عنك الغطاء .

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ ﴾ يعنى : الملك .

﴿ هَذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴾ يعنى : ما كتبه من عمله ، حاضر عندى .

﴿ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ يقال : هو قول الملك ، ويقال : قول الله جل ذكره .

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ ﴾ من الشياطين : ﴿ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِى ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ .

* * *

وهذا مثل قوله سبحانه : ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾[2] يعنى : قرناءهم ،

---

(١) سورة ق ٢١ـ٢٩ وتفسير الطبرى ٢٦/١٠١ـ١٠٥ .

(٢) سورة الصافات ٢٢ .

والعرب تقول: زَوَّجتُ البعير بالبعير، إذا قرنت أحدَهما بالآخر . ومنه قوله: ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾(١) أى : قرنَّاهم بهن .

/ثم قال: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا : إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ، قَالُوا : بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ، وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ، فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾(٢) يعنى: نحن وأنتم ذائقون العذاب، وقد تقدم تفسير هذا(٣) . [١٨١]

* * *

﴿قَالَ﴾ الله تعالى : ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ يعنى : المجرمين وقُرَنَاءَهم من الشياطين ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ . أى : لا يغيَّرُ عن جهته، ولا يُحَرَّف ، ولا يُزاد فيه ولا يُنقص ؛ لأَنِّى أعلم كيف ضلُّوا وكيف أضللتموهم . ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾(٤) .

---

(١) سورة الدخان ٥٤ .

(٢) سورة الصافات ٢٧ـ٣١ .

(٣) راجع ص ٢٧١

(٤) سورة ق ٢٨ـ٢٩ .

﴿ فى سورة الروم ﴾

﴿ الٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ فِى أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلّٰهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللّٰهِ ﴾[١] .

كانت فارس غلبت الروم على أرض الجزيرة ، وهى أَدْنَى أرض الروم من سلطان فارس، فسُرّ بذلك مشركو قريش .

وكان المسلمون يحبّون أن تَظْهَر الروم على أهل فارس ؛ لأن الروم أهل كتاب ، وأهل فارس مجوس ، فساءهم أن غلبوهم على شىء من بلادهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ ﴾ أى : والروم من بعد أن غُلِبُوا ﴿ سَيَغْلِبُونَ ﴾ أهل فارس . وغَلَبهم يكون للغالبين والمغلوبين جميعاً ، كما تقول : والشهداء من بعد قَتْلهم سيرزقون ، أى : من بعد أن قتلوا ﴿ فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴾ والبِضْعُ : مافوق الثلاث ودون العشر . فغلبت الروم أهل فارس وأخرجوهم من بلادهم يوم الحُدَيْبية .

[١٨٢] ﴿ لِلّٰهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ أى : له الغلبة لمن شاء / مِن قبلُ ومنْ بعد ﴿ وَيَوْمَئِذٍ ﴾ أى : يوم يغلب الروم أهل فارس ﴿ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللّٰهِ ﴾ أهلَ الكتاب على المجوس .

قال الشَّعْبى فى سورة الفتح : أُنزلت بعد الحُدَيبية، فغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وبايعوه مبايعة الرِّضْوان، وأُطْعِمُوا نخلَ خَيْبر، وظَهَرت الرّوم على فارس، وفرح المؤمنون بتصديق كتاب الله ، وظهرت الرومُ على المجوس .

---

(١) سورة الروم ١ـ٥ وتفسير الطبرى ٢١/١١ـ١٦ .

﴿في سورة القَصَصْ﴾

﴿ إنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ ، وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾(١) مَعَادُ الرَّجُلِ : بلدُه لأنه يَتَصَرَّفُ فى البلاد ، ويَضْرِبُ فى الأرض ثم يعود إلى بلده . يقال : رُدَّ فلانٌ إلى مَعَادِهِ ، أى ردَّ إلى بلده . ومثله قولُهم لمنزل الرجل : مَثَابٌ ومَثَابَةٌ ؛ لأنَّه يتصرَّفُ فى حوائجه ثمَّ يَثُوبُ إليه.

وكان رسول الله صلى الله عليه، حين خرج من مكة إلى المدينة اغتم بمُفَارَقَةِ مكة ؛ لأنَّها مولده وموطنه ومنشؤُه ، وبها أهله وعشيرته ؛ واستوحش . فأخبره الله سبحانه فى طريقه أنَّه سَيَرُدُّه إلى مكة ، وبشّره بالظهور والغَلَبَة .

وفى الآية تقديم وتأخير ، والمعنى : إنَّ الذى فَرَضَ عليك القرآن ، أى جعلك نبيًّا يُنْزِلُ عليك القرآن ـ وما كُنْتَ ترجو قبْلَ ذلك أنْ تكون نبيًّا يُوحَى إليك الكتابُ ـ لَرَادُّكَ إلى مكة ظاهراً قاهراً . وهومعنى تفسير أبى صالح ومجاهد .

وقال الحسن : مَعَادُه: يوم القيامة ، ووافقه على ذلك الزُّهْرِى(٢)/ وروى عبد الرَّزَّاق ، [١٨٣]
عن مَعْمر ، عن قَتَادَة ، قال : هذا مما كان ابن عباس يَكْتُمه(٣) .

---

(١) سورة القصص ٨٥ـ٨٦ وتفسير الطبرى ٢٠/٧٩ـ٨١ .

(٢) تفسير الطبرى ٢٠/٨٠ .

(٣) فى تفسير الطبرى ٢٠/٨٠ عدة روايات عن ابن عباس قال فيها : لرادك إلى معاد ، أى إلى الموت أو إلى مكة .

﴿ فى سورة الجن ﴾

قال أبو محمد :

فى هذه السورة إشكال وغموضٌ : بما وقع فيها من تكرار إنَّ ، واختلافِ القرَّاء فى نصبها وكسرها ، واشْتِباهِ مافيها من قول الله تعالى وقول الجن . فاحْتَجْنَا إلى تأويل السورة كلِّها(١) .

قال تعالى لنبيه : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ﴾ وكانوا استمعوا لرسول الله صلى الله عليه وهو يقرأ ﴿ فَقَالُوا : إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ يعنى أنهم قالوا ذلك لقومهم حين رجعوا إليهم . واعْتِبارُ هذا قوله : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ(٢) ثم قال : ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ .

ثم قال : ﴿ وَإِنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾(٣) . يقال : جَدَّ فلانٌ فى قومه : إذا عظُم عندهم .

---

(١) تفسير الطبرى ٢٩/٦٤–٧٨ .

(٢) سورة الأحقاف ٢٩ وبقية الآية : « فلما حضروه قالوا : أنصتوا ، فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين » .

(٣) سرد الطبرى اختلاف أهل التأويل فى تفسيرهذه الآية ٢٩/٦٥–٦٦ ثم قال : « وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب : قول من قال : عنى بذلك : تعالت عظمة ربناوقدرته وسلطانه . وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب ؛ لأن للجد فى كلام العرب معنيين : أحدهما الجد الذى هو أبو الأب أو أبو الأم ، وذلك غير جائز أن يوصف به هؤلاء النفر الذين وصفهم الله بهذه الصفة ، وذلك أنهم قد قالوا : « فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً » ومن وصف الله بأن له ولداً أو جداً هو أبو الأب أو أبو الأم ، فلاشك أنه من المشركين . والمعنى الآخر : الجد الذى بمعنى الحظ ، يقال : فلان ذوجد فى هذا الأمر ، إذا كان له حظ فيه ، وهو الذى يقال له بالفارسية : البخت . وهذا المعنى الذى قصده هؤلاء النفر من الجن بقيلهم : « وأنه تعالى جد ربنا » إن شاء الله . وإنما عنوا أن حظوته من الملك والسلطان والقدرة والعظمة عالية ، فلا تكون له صاحبة ولا ولد ؛ لأن الصاحبة إنما تكون للضعيف العاجز الذى تضطره الشهوة الباعثه إلى اتخاذها ، وأن الولد إنما يكون عن شهوة أزعجته إلى الوقاع الذى يحدث منه الولد ، فقال النفر من الجن : علا ملك ربنا وسلطانه وقدرته وعظمته أن يكون ضعيفا ضعف خلقه الذين تضطرهم الشهوة إلى اتخاذ صاحبة أو وقاع شىء يكون منه ولد » .

ثم قال: ﴿ وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللهِ شَطَطًا ﴾ أى: جاهلنا يقول شططاً، أى: غُلواً فى الكذب والجور .

ثم قال : ﴿ وَإِنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًا ﴾ .

يقولون : كنا نتوهم أنّ أحدا لا يقول على الله باطلا ، يريدون : إِنَّا كنا قبل اليوم نُصدِّقهم ونحن نظن أن أحدا لا يكذب على الله . وانقطع ههنا قول الجن .

و«إن» فى جميع هذا مكسورة[1] إلا « أَنَّهُ اسْتَمَعَ » .

---

(١) وهى فى جميع هذا مفتوحة فى المصحف، ويجدر بنا أن نورد هنا أقوال القراء فى ذلك ، كما فصلها أبو جعفر الطبرى فى تفسيره ٢٩/٦٦ قال : « واختلفت القراء فى قوله : « وأنه تعالى » فقرأه أبو جعفر القارئ ، وستة أحرف أخر ، بالفتح ، منها : أنه استمع نفر ، وأن المساجد لله ، وأنه كان يقول سفيهنا ، وأنه كان رجال من الإنس ، وأنه لما قام عبد الله يدعوه ، وأن لو استقاموا على الطريقة .

وكان نافع يكسرها كلها إلا ثلاثة أحرف : أحدها : قل أوحى إلى أنه استمع نفر ، والثانية : وأن لو استقاموا ، والثالثة : وأن المساجد لله .

وأما قراء الكوفة غير عاصم ، فإنهم يفتحون جميع ما فى آخر سورة النجم ، وأول سورة الجن ، إلا قوله : فقالوا إنا سمعنا ، وقوله : قال إنما أدعو ربى ، وما بعده إلى آخر السورة ، وأنهم يكسرون ذلك غير قوله : ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم .

وأما عاصم ، فإنه كان يكسر جميعها إلا قوله : وأن المساجد لله ، فإنه كان يفتحها .

وأما أبو عمرو ، فإنه كان يكسرها جميعها إلا قوله : وأن لو استقاموا على الطريقة ، فإنه كان يفتح هذه وما بعدها .

فأما الذين فتحوا جميعها إلا فى موضع القول كقوله : فقالوا: إنا سمعنا ، وقوله: قال : إنما أدعو ربى ، ونحو ذلك ، فإنهم عطفوا أن فى كل السورة على قوله : فآمنا به ، وآمنا بكل ذلك ، ففتحوها بوقوع الايمان عليها ...

وأما الذين كسروها كلها ، وهم فى ذلك يقولون : وأن لو استقامو ، فكأنهم أضمرو يمينا مع لو ، وقطعوها عن النسق على أول الكلام ، فقالوا : والله أن لو استقاموا ...

ومن كسرها كلها ونصب : وأن المساجد لله ، فإنه خص ذلك بالوحى ، وجعل وأن لو مضمرة فيها اليمين ...

وأما نافع ، فإن ما فتح من ذلك فإنه رده على قوله : أوحى إلى ، وما كسره فإنه جعله من قول الجن . وأحب ذلك إلى أن أقرأ به : الفتح فيما كان وحيا ، والكسر فيما كان من قول الجن ؛ لأن ذلك أفصحها فى العربية ، وأبينها فى المعنى ، وإن كان للقراءات الأخر وجوه غير مدفوع صحتها » .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ ﴾ فإن شئت أن تنصب ﴿ وَأَنَّه ﴾ وتردها إلى قوله : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ ﴾ ، وأنه أوحى إليَّ أنه كان رجال ـ نَصَبْتَ . وإن شِئْت أن تكسرها وتجعلها مبتدأة من الله سبحانه ، فعَلْتَ .

وكان الرَّجل فى الجاهلية إذا سافر فصار إلى موضع مُقْفِرٍ مُوحِش لا أنيس به، قال: أعوذ بسيِّد هذا المكان من سفهائه ، يعنى سفهاء الجن / ويعنى بالسيد رئيسهم . [١٨٤]

يقول الله عز وجل ﴿ فَزَادُوهُم رَهَقًا ﴾ يريد أنهم يزدادون بهذا التعوُّذ طُغياناً وإثماً فيقولون : سُدْنَا الجن والإنس .

ثم قال تعالى ﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَدًا ﴾ يقول : ظن الجن كما ظننتم أيها الإنس أن لا بعث يوم القيامة (١) ، أى كانوا لا يؤمنون بالبعث كما أنكم لا تؤمنون به .

وانقطع ههنا قول الله تعالى، وقالت الجن: ﴿ وَإِنَّا لَمَسْنَا السَّماءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً ﴾ (٢) .

و« إِنَّا » مكسورة نَسَقٌ على ماتقدم من قولهم ، يريدون: حُرِستْ بالنجوم من استماعنا وكنا قبل ذلك نقعد منها مقاعد للسمع .

وروَى عبد الرَّزَّاق عن معمَر أنه قال: قلت للزهرى : أكان يُرمى بالنجوم فى الجاهلية؟ فقال : نعم .

---

(١) راجع تفسير الطبرى ٢٩/ ٦٨ .

(٢) قال الطبرى فى تفسيره ٢٩/ ٦٩ « يقول عز وجل مخبرا عن قيل هؤلاء النفر : وأنا طلبنا السماء وأردناها فوجدناها ملئت حرسا شديدا ، يعنى حفظة ، وشهبا ، وهى جمع شهاب ، وهى النجوم التى كانت ترجم بها الشياطين ... عن سعيد بن جبير قال : كانت الجن تستمع فلما رجموا قالوا : إن هذا الذى حدث فى السماء لشىء حدث فى الأرض ، فذهبوا يطلبون حتى رأوا النبى صلى الله عليه وسلم خارجا من سوق عكاظ يصلى بأصحابه الفجر ، فذهبوا إلى قومهم منذرين » .

قلت: أفرأيت قوله: ﴿ وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴾ فقال: غُلِظَتْ وشُدِّدَ أَمْرُهَا حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم.

وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن الزُّهْرِي(١)، عن على بن حُسَين، عن ابن عباس أنه قال: بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس فى نفر من الأنصار إذ رُمِىَ بنجمٍ فاستنار، فقال: ما كنتم تقولون فى مثل هذا فى الجاهلية؟ فقالوا: كنا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم. فى حديث فيه طول اختصرناه وذكرنا هذا منه لِيَدُلَّ على أن الرجم قد كان قبل مَبْعَثِه ولكنه لم يكن مثله الآن فى شدة الحراسة قبل مبعثه، وكانت تسترق فى بعض الأحوال، فلما بُعِثَ مُنِعَتْ من ذلك أصلاً.

[١٨٤] وعلى هذا وجدنا الشعراء القدماء، قال بِشْرُ بن أبي خَازِمٍ الأَسَدى / وهو جاهلى:

والعَيْرُ يُرْهِقُها الغُبَارُ وجَحْشُهَا ... يَنْقَضُّ خَلْفَهما انْقِضَاضَ الكَوْكَبِ(٢)

وقال أَوْسُ بن حَجَر، وهو جاهلى:

---

(١) ذكر مسلم فى صحيحه حديثا انفرد به عن البخارى، فى باب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان وهو بسنده عن ابن شهاب الزهرى قال: «حدثنى على بن حسين أن عبد الله بن عباس قال: أخبرنى رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم، من الأنصار، أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله، رمى بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله: ماذا كنتم تقولون فى الجاهلية إذا رمى بمثل هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول: ولد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه، إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا. ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال: قال: فيستخبر بعض أهل السموات بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم ويرمون به، فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون».

(٢) البيت لبشر فى المعانى الكبير ٢/٧٣٩ «شبه الحمار والجحش بالكوكب المنقض فى سرعته وبياضه» وهو فى الحيوان ٦/٢٧٣ وفيه: «يرهقها الحمار» وقال الجاحظ فى ص ٢٧٩ «وقد طعنت الرواة فى هذا الشعر الذى أضفتموه إلى بشر بن أبى خازم من قوله: «والعير يرهقها — البيت — فزعموا أنه ليس من عادتهم أن يصفوا عدو الحمار بانقضاض الكوكب ولا بدن الحمار ببدن الكوكب وقالوا: فى شعر بشر مصنوع كثير، مما قد احتملته كثير من الرواة على أنه من صحيح شعره».

وانْقَضَّ كالدُّرِّىِّ يَتْبَعُه   نَقْعٌ يَثُورُ تَخالُهُ طُنُبًا(١)

وقال عَوْف بن الخَرِع ، وهو جاهلى :

يَرُدُّ علينا العَيْرَ مِنْ دُونِ أنفِهِ   أو الثَّوْرَ كالدُّرِّىِّ يتبعه الدَّمُ(٢)

وفى أيدى الناس كتب من كتب الأعاجم وسيرهم: تنبئ عن انقضاض النجوم فى كلّ عصر وكلّ زمان(٣) .

ثم قالت الجن : ﴿ وَإِنَّا لا نَدْرِى أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فى الْأَرْضِ ﴾ حين اشتدت حراسة السماء من استراق السمع ﴿ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهم رَشَداً ﴾ أى خيراً .

ثم قالت الجن : ﴿ وَإِنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ ﴾ بعد استماع القرآن ، ﴿ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ ﴾ أى : مِنَّا بررةٌ أتقياء، ومنا دون البررة وهم مسلمون ﴿ وَكُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً ﴾ أى: أصنافا، وكلّ فرقة قِدّة ، وهى مثل قطعة فى التقدير وفى المعنى ، فكأنّهم قالوا : نحن أصناف وقطعٌ .

ثم قالت الجن : ﴿ وَإِنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ﴾ أى : الكافرون ، الآية ، وانقطع كلام الجن .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً ﴾(٤) أى : لو آمنوا جميعاً لوسّعنا عليهم فى الدنيا . وضَرَبَ الماء الغَدَقَ، وهو الكثير، لذلك مثلا ؛ لأنّ الخير والرّزق كلّه بالمطر يكون ، فأقيم مُقامه إذ كان سَبَبَه على ما أعلمتك فى المجاز .

---

(١) البيت لأوس فى المعانى الكبير ٢/٧٣٨ وبعده :

يخفى وأحيانا يلوح كما   رفع المشير بكفه لهبا

وهو له فى الحيوان ٦/٢٧٤ واللسان ١/٦٧ وفيه: « فانقض كالدرىّ يتبعه نقع يثوب » والدرىّ : الكوكب المنقض يدرأ على الشيطان . وقوله : تخاله طنبا ، يريد تخاله فسطاطا مضروبا » وقال الجاحظ بعقب هذا البيت : « وهذا الشعر ليس يرويه لأوس إلا من لا يفصل بين شعر أوس بن حجر وشرع ابن أوس » .

(٢) البيت لعوف فى الحيوان ٦/٢٧٥ والمعانى الكبير ٢/٧٣٩ وفيه « دون إلفه » .

(٣) راجع ماقاله الجاحظ عن هذا فى الحيوان ٦/٢٨٠ .

(٤) راجع تفسير الطبرى ٢٩/٧١-٧٢ .

﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ . أى لنختبرهم فنعلم كيف شكرهم .

وفيه قول آخر ، يقول : ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا ﴾ جميعاً على طريقة الكفر : لَوَسَّعنا عليهم وجعلنا ذلك فتنة لهم / و « أن » منصوبةٌ مَنْسُوقَةٌ على ماتقدّم من قوله سبحانه . [١٨٦]

ثم قال ﴿ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَدًا ﴾[١] أى يدخله عذاباً شاقاً .

يقال : سلكْتُ الخيط فى الحبّة وأسْلكْتُه : إذا أدخلته ، ومنه سُمِّى الخَيْطُ سِلْكاً ، تقول : سَلَكْتُه سَلْكاً ، فتفتح أوّل المصدر . وتقول للخيط : هذا السِّلْكُ ، فتكسر أوّل الاسم ، مثل القَطْف والقِطْف[٢] .

ومن الصَّعَدِ قيل : تَصَعَّدَنى هذا الأمر ، أى شقّ علىّ ، والصَّعُودُ : العَقَبَةُ الشّاقة ، ومنه قوله : ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾[٣] ثم قال سبحانه : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾[٤] بنصب أنّ نَسَقٌ على ماتقدّم من قوله : يريد أنّ السجودَ لله ، ولا يكون لغيره ؛ جمع مَسْجَدٍ كما تقول : ضَربتُ فى البلاد مَضْرَباً بعيداً ، وهذا مَضْرَبٌ بعيد .

ثم قال سبحانه : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ ﴾ بنصب أنّ نَسَقٌ على ماتقدّم من قوله سبحانه ، يريد لما قام النبى عليه السلام ﴿ يَدْعُوهُ ﴾ أى يدعو الله ﴿ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً ﴾ يعنى الجنّ كادوا يَلْبَدُونَ به ويتَرَاكَبُون ، رَغْبَةً فيما سمعوا منه وشَهْوَةً له[٥] .

ثم قال الله سبحانه لنبيه عليه السلام : ﴿ قُلْ إِنِّى لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَداً * قُلْ

---

(١) تفسير الطبرى ٢٩/٧٣ .

(٢) القطف ــ بفتح القاف ــ فعلك بالثمرة إذا قطعتها ، القطف ــ بكسرها ــ نفس الثمرة .

(٣) سورة المدثر ١٧ .

(٤) قال الطبرى فى تفسيره ٢٩/٧٣ « يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن ، وأن المساجد لله فلا تدعوا أيها الناس مع الله أحداً ولا تشركوا به فيها شيئاً ولكن أفردوا له التوحيد وأخلصوا له العبادة » .

(٥) هذا تأويل من تأويلات سردها الطبرى ٢٩/٧٤ــ٧٥ ثم قال : « وأولى الأقوال بالصواب فى ذلك قول من قال : ذلك خبر من الله عن أن رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، لما قام يدعوه كادت

إِنِّى لَنْ يُجِيرَنِى مِنَ اللهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً * إِلاَّ بَلاَغاً مِنَ اللهِ وَرِسَالاَتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا * حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِراً وَأَقَلُّ عَدَداً * قُلْ : إِنْ أَدْرِى أَقَرِيبٌ مَاتُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّى أَمَداً * عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾ أى ارتضاه للنُّبُوَّة والرِّسالة ؛ فإنه يُطْلِعُه على مايشاء من غيبه .

ثم قال: ﴿ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ أى يجعل بين يديه وخلفه رصدًا من الملائكة، يحوطون الوحْى من أن تَسْتَرِقَهُ الشياطين فَتُلْقِيَهُ إلى الكَهَنَةِ حتى تخبرَ به الكهنةُ إخبارَ الأنبياء ، فلا يكون بينهم وبين الأنبياء فَرْقٌ ، ولا يكون للأنبياء دلالة .

ثم قال: ﴿ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ ﴾ أى ليبلغوا رسالات ربِّهم[1] .

والعلم ههنا مثله فى قوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ

[١٨٧] جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾[2] /يريد: أم حسبتم أن تدخلوا الجنةولما تجاهدوا وتصبروا ، فيعلم الله ذلك ظاهرا موجودًا يَجِبُ به ثوابكم ، على مابينا فى غير هذ الموضع[3] .

العرب تكون عليه جميعا فى إطفاء نور الله . وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالصواب لأن قوله : « وأنه لما قام عبد الله يدعوه » عقيب قوله : « وأن المساجد لله » وذلك من خبر الله ، فكذلك قوله : « وأنه لما قام عبد الله يدعوه » وأخرى أنه تعالى ذكره أتبع ذلك قوله : « فلا تدعوا مع الله أحداً » فمعلوم أن الذى يتبع ذلك الخبر عما لقى المأمور بأن لايدعو معالله أحداً ، فى ذلك ، لاالخبر عن كثرة إجابة المدعوين وسرعتهم إلى الإجابة » .

(١) قال الطبرى ٢٩/٧٨ « وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب قول من قال : ليعلم الرسول أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم ؛ وذلك أن قوله : « ليعلم » من سبب قوله : « فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً » وذلك خبر عن الرسول ، فمعلوم بذلك أن قوله : « ليعلم » من سببه إذ كان ذلك خبرا عنه » .

(٢) سورة آل عمران ١٤٢ .

(٣) راجع ص ٢٤٠

﴿ فى سورة البقرة ﴾

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾(١) . هذا فى يوم القيامة . يريد أنه إذا بُعث النّاس مِن قبورهم خرجوا مُسْرِعين . يقول الله سبحانه : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾(٢) أى يسرعون ؛ إلّا أَكَلَةَ الرِّبا فإنّهم يقومون ويسقطون كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان ويسقط ؛ لأنّهم أكلُوا الرّبا فى الدنيا فأَرْبَاه اللهُ فى بطونهم يوم القيامة حتى أَثْقَلَهُم ، فهم ينهضون ويسقطون، ويريدون الإسراع فلا يقدرون .

(١) سورة البقرة ٢٧٥ وتفسير الطبرى ٣/٦٧—٦٨ .

(٢) سورة المعارج ٤٣ وفى تفسير الطبرى ٢٩/٥٥ « وقوله : « يوم يخرجون » بيان وتوجيه عن اليوم الأول الذى فى قوله : « يومهم الذى يوعدون » وتأويل الكلام : حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدونه يوم يخرجون من الأجداث ، وهى القبور ، واحدها جدث ، كأنهم إلى نصب يوفضون يقول كأنهم إلى علم قد نصب لهم يستبقون .. والإيفاض الإسراع » .

﴿ فى سورة الأحزاب ﴾

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ، وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً * لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾(١) .

إنَّ الله جلّ ذكره لما اسْتَخْلَفَ آدم على ذُرِّيته ، وسلّطه على جميع ما فى الأرض من الأنعام والطير والوحش ـ عهد إليه عهداً أمره فيه ونهاه ، وحرّم عليه وأحلّ له ، فقبِلَه ولم يزل عاملا به إلى أن حضرَتْه الوفاةُ ، فلما حضرته صلى الله عليه ، سأل اللهَ أن يُعْلِمَه من يَستخلفُ بعدَه ويقلّده من الأمانة ما قلّده ، فأمره أن يعرض ذلك على السموات بالشَّرْطِ الذى أَخَذ عليه من الثّواب إنْ أطاع ، ومن العقاب إن عصى ، فأَبَيْنَ أنْ يَقْبلْنَه شَفَقاً من عقاب الله .

ثم أَمَرَه أن يعرض ذلك على الأرض والجبال ؛ فكلّها أباه .

[١٨٨] ثم أمره أن يعرضه على ولده ، فعرضه / عليه فقبله بالشَّرْط ، ولم يَتَهَيَّب منه ما تَهَيَّبَتْه السماء والأرض والجبال .

﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً ﴾ لنفسه ﴿ جَهُولاً ﴾ بعاقبةِ ما تقلَّد لربِّه .

ثم قال : ﴿ لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ ﴾ ، أى عرضنا ذلك عليه ليتقلَّدَه ، فإذا تقلَّدَه ظهر نفاقُ المنافق وشِرْكُ المشرك ، فعذّبه الله به ؛ وظهر إيمان المؤمن فتاب الله عليه . ﴿ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً ﴾ للمؤمنين ﴿ رَحِيماً ﴾ .

هذا قولٌ على مذهب بعض المفسرين . وفيه قول آخر :

قالوا : الأمانة : الفرائض ، عرضت على السموات والأرض والجبال بما فيها من الثواب والعقاب فأَبَيْنَ أن يحملنها ، وعُرِضَت على الإنسان بما فيها من الثواب والعقاب فحملها .

والمعنيان فى التفسيرين مُتقاربان(٢) .

---

(١) سورة الأحزاب ٧٢ـ٧٣ وتفسير الطبرى ٢٢/٣٨ـ٤٢ .

(٢) قال الطبرى فى تفسيره ٢٢/٤١ « وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب . ماقاله الذين قالوا : إنه عنى بالأمانة فى هذا الموضع جميع معانى الأمانات فى الدين وأمانات الناس ، وذلك أن الله لم يخص بقوله : « عرضنا الأمانة » بعض معانى الأمانات لما وصفنا » .

﴿ فى سورة الفرقان ﴾

﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾(١) .

فى هـذه الآية مضمر وله أشكلت ، أى ما يَعْبَأُ بعذابكم ربِّى لولا ما تدعونه من دونه من الشريك والولد(٢) . ويُوضّح ذلك قوله : ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ ، أى يكون العذاب لمن كذّب ودعا من دُونِه إلهاً ـ لازما . ومثله من المضمر قول الشاعر :

مَنْ شَاءَ دَلَّى النَّفْسَ فى هُوَّةٍ ضَنْكٍ؛ ولـكِنْ مَنْ لَهُ بالمَضِيقْ ؟(٣)

أراد : ولـكن من له بالخروج من المضيق؟ .

وقال الله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾(٤) ، أى من كان يريد عِلم العِزَّة: لمن هى؟ فإنها لله تعالى .

---

(١) سورة الفرقان ٧٧ وفى تفسير الطبرى ٣٥/١٩ « وقوله : « قل مايعبأ بكم ربى » يقول جل ثناؤه لنبيه : قل يامحمد لهؤلاء الذين أرسلت إليهم : أى شىء يعدكم وأى شىء يصنع بكم ربى ... وقوله : « لولا دعاؤكم » يقـول : لولا عبادة من يعبده منـكم وطاعة من يطيعه منـكم. وقوله : « فقد كذبتم » يقول تعالى ذكره لمشركى قريش قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقد كذبتم أيها القوم رسولـكم الذى أرسل إليكم، وخالفتم أمر ربكم الذى أمر بالتمسك به، لو تمسكتم به كان يعبأ بكم ربى ، فسوف يكون تـكذيبكم رسول ربكم وخلافـكم أمر بارئـكم ـ عذابا لـكم ملازما ، قتلا بالسيوف ، وهلا كا لـكم مفنيا، يلحق بعضكم بعضا .. ففعل الله ذلك بهم ، وصدقهم وعده ، وقتلهم يوم بدر بأيدى أوليائه ، وألحق بعضهم ببعض ، فـكان ذلك العذاب اللزام » .

(٢) قال الطبرى ٣٦/١٩ « وقد كان بعض من لاعلم له بأقوال أهل العلم يقول فى تأويل ذلك : قل : مايعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم ماتدعون من دونه من الآلهـة والأنداد . وهذا قول لامعنى للتشاغل به ؛ لخروجه عن أقوال أهل العلم من أهل التأويل » .

(٣) فى اللسان ٧٧/١٢ « والمضيق : ماضاق من الأمور ، قال : من شايد لى النفس ـ البيت ـ أى بالخروج من المضيق » وقد ذكره فى ٢٩١/١٨ شاهدا على أن دلى الشىء فى المهواة : أرسله ، وروايته كما هنا .

(٤) سورة فاطر ١٠ .

باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة

﴿ القضـاء ﴾

[١٨٩] أصل قضى: حتم[١]، كقول الله عز وجل: ﴿ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ ﴾[٢] أى حتمه عليها.

ثم يصير الحتمُ بمعان، كقوله: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾[٣]، أى أمر؛ لأنّه لما أمر حتم بالأمر.

وكقوله: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾[٤]، أى أعلمناهم؛ لأنّه لمّا خبَّرهم أنهم سيفسدون فى الأرض، حتم بوقوع الخبر.

وقوله: ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾[٥]، أى صنعهن.

وقوله: ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾[٦]، أى فاصنع ما أنت صانع.

ومثله قوله: ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ ﴾[٧]، أى اعملوا ما أنتم عاملون ولا تَنظرون. قال أبو ذُؤَيب:

وعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا ... دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ[٨]

أى صنعهما داود وتُبَّع.

---

(١) اللسان ٤٧/٢٠.

(٢) سورة الزمر ٤٢.

(٣) سورة الإسراء ٢٣.

(٤) سورة الإسراء ٤.

(٥) سورة فصلت ١٢.

(٦) سورة طه ٧٢.

(٧) سورة يونس ٧١.

(٨) ديوانه ص ١٩ واللسان ٣٧٩/٤، ٧٧/١٠ والمعانى الكبير ١٠٣٩/٢ مسروتان: درعان قضاهما: فرغ منهما داود النبى عليه السلام «أو صنع السوابغ» والصنع: الحاذق بالعمل ثم رد تبعا على صنع. وفى الموضع الأول من اللسان: «سمع أن داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام، كان سخر له الحديد فكان يصنع منه ماأراد، وسمع أن تبعا عملها، وكان تبع أمر بعملها ولم يصنعها بيده لأنه كان أعظم شأنا من أن يصنع بيده. والتبابعة: ملوك اليمن، واحدهم تبع، سموا بذلك لأنه يتبع بعضهم بعضا، كلماهلك واحد قام مقامه آخر تابعا له على مثل سيرته».

وقال الآخر فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

قَضَيْتَ أُموراً ثمّ غادرْتَ بَعْدَها بَوَائِجَ فى أَكْمَامِها لَمْ تُفَتَّقِ (١)

أى عملت أعمالا ؛ لأَنَّ كلّ من عمل عملا وفرغ منه فقد ختمه وقطعه . ومنه قيل للحاكم : قاض ؛ لأنّه يقطع على الناس الأمور ويَحْتِمِ . وقيل : قُضِيَ قَضَاؤُكَ ، أى فُرِغَ من أمرك . وقالوا للميت : قد قَضَى ، أى فرغ .

وهذه كلها فروع ترجع إلى أصل واحد .

(١) نسبه أبو تمام فى حماسته ٣/١٠٧ للشماخ بن ضرار ، وتابعه على ذلك الحصرى فى زهر الآداب ٤/١١٥ وقال التبريزى فى شرح الحماسة : « قال أبو رياش : الذى عندى أنه لمزرد أخيه ، وقال أبو محمد الأعرابى : هو لجزء بن ضرار أخيه » والبيت للشماخ فى اللسان ٣/٤٠ وهو غير موجود فى ديوانه ، ونسبه الجاحظ فى البيان والتبيين ٣/٣٦٤ لمزرد بن ضرار وفى الأغانى ٨/١٠٢ من شعر الجن الذى ناحت به على عمر قبل أن يقتل بثلاث ، فلما قتل نحله الناس للشماخ بن ضرار أو لجزء بن ضرار . وهو غير منسوب فى تفسير الطبرى ١/٤٠٤ . والبوائج : جمع بائجة وهى الداهية .

﴿ الهدى ﴾

أصل هدى[١] : أرشد ، كقوله : ﴿ عَسَى رَبِّى أَنْ يَهْدِيَنِى سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[٢] .

وقوله : ﴿ اهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾[٣] ، أى أرشدنا .

ثم يصير الإرشاد بمعان، كقوله : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾[٤] ، أى بيّنّا لهم .

وقوله : ﴿ أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا ﴾[٥]، أى أَوَ لَمْ يُبَيِّن لهم .

وقوله : ﴿ أَوَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ ﴾[٦] ، أى أَلَمْ يُبَيِّن لهم.

فالإرشاد فى جميع هذه بالبيان .

[١٩٠] ومنها إرشادٌ بالدعاء ، كقوله : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[٧] ، أى نبىٌّ يدعوهم .

وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾[٨] ، أى يدعون ، ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[٩] ، أى تدعو .

ومنها إرشاد بالإلهام ، كقوله : ﴿ الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾[١٠] ، أى صورته من الإناث، ثم هدى أى ألهمه إتيانَ الأنثى، ويقال: طلبَ المرعى وتوقّى المهالك.

وقوله عز وجل: ﴿ وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى ﴾[١١]، أى هدى الذكر بالإلهام لإتيان الأنثى.

ومنها إرشاد بالإمضاء ، كقوله : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾[١٢] ، أى لا يُمْضِيه ولا ينفذه ، ويقال : لا يصلحه .

وبعض هذا قريب من بعض .

---

(١) اللسان ٢٠/٢٢٨ وانظر الإتقان ١/٢٤١ ففيه : « يأتى الهدى على سبعة عشر وجها . . » .

(٢) سورة القصص ٢٢ .

(٣) سورة ص ٢٢ .

(٤) سورة فصلت ١٧ .

(٥) سورة السجدة ٢٦ .

(٦) سورة الأعراف ١٠٠ .

(٧) سورة الرعد ٧ .

(٨) سورة الأنبياء ٧٣ .

(٩) سورة الشورى ٥٢ .

(١٠) سورة طه ٥٠ .

(١١) سورة الأعلى ٣ .

(١٢) سورة يوسف ٥٢ .

﴿ الأمّة ﴾

أصل الأمة(١) : الصِّنْفُ من الناس والجماعة ، كقوله عز وجل : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾(٢) ، أى صنفا واحداً فى الضلال ﴿ فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ ﴾ .

وكقوله عز وجل : ﴿ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾(٣) . أى : أصناف ، وكل صنف من الدواب والطير مثل بنى آدم فى المعرفة بالله ، وطلب الغذاء ، وتوقِّى المهالك ، والتماس الذَّرْء ، مع أشباه لهذا كثيرة .

ثم تصير الأُمَّة : الحِينَ ، كقوله عز وجل : ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾(٤) .

وكقوله : ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ ﴾(٥) . أى : سنين معدودة . كأنّ الأمّة من الناس القَرْنُ يَنْقَرِضُونَ فى حين ، فَتُقَامُ الأمّةُ مُقام الحِين .

ثم تصير الأُمَّةُ : الإمام والرَّبانى ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً ﴾(٦) أى : إماماً يَقتدِى به الناس ؛ لأنه ومن اتبعه أمّة ، فسُمِّى أُمَّةً لأنه سبب الاجتماع .

وقد يجوز ان يكون سُمِّى أُمَّةً : لأنه اجتمع عنده من خلال الخير ما يكون مثله فى أمةٍ .

ومن هذا يقال : فلان أمةٌ وَحْدَه ، أى : هو يقوم مقام أمة .

وقد تكون / الأمةُ : جماعةَ العلماء ، كقوله : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى [١٩١]
الْخَيْرِ ﴾(٧) . أى : يعلمون .

---

(١) اللسان ١٤/٢٨٨ .

(٢) سورة البقرة ٢١٣ .

(٣) سورة الأنعام ٣٨ .

(٤) سورة يوسف ٤٥ .

(٥) سورة هود ٨ .

(٦) سورة النحل ١٢٠ .

(٧) سورة آل عمران ١٠٤ .

والأُمَّة: الدِّين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾[1] أى : على دين . قال النابغة :

حَلَفْتُ فلم أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبةً ... وهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ[2] :وهو طَائِعُ ؟

أى : ذو دين . والأصل أنه يقال للقوم يجتمعون على دين واحد : أمة ، فتقامُ الأمةُ مُقام الدين ، ولهذا قيل للمسلمين : أمّة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنهم على أمر واحد ، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[3] . أى : مجتمعة على دين وشريعة .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾[4] ، أى : مجتمعة على الإسلام .

---

(١) سورة الزخرف ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) فى اللسان ١٤/٢٩٢ « ويروى : « ذو إمة » فمن قال : « ذو أمة » فمعناه : ذو دين ، ومن قال : « ذو إمة » فمعناه ذو نعمة أسديت إليه » .

(٣) سورة المؤمنون ٥٢ .

(٤) سورة النحل ٩٣ .

﴿ العهد ﴾

الأمان : عهد[١] ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ ﴾[٢] .

واليمين : عهد ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾[٣] .

والوصية: عهد ، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ ﴾[٤] .

والحِفاظُ : عهد ، قال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ حُسْنَ العهدِ مِنَ الإيمان »[٥] .

والزَّمان : عهد . يقال : كان ذلك بعهد فلان .

والعهد : الميثاق . ومنه قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام : ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ : وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ : لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[٦] أي : لا ينال ما وعدتُك ـ : من الإمامة . ـ الظالمين من ذريتك . والوَعْد من الله : ميثاق .

---

(١) اللسان ٤/٣٠٥ .

(٢) سورة التوبة ٤ .

(٣) سورة النحل ٩١ .

(٤) سورة يس ٦٠ .

(٥) في اللسان ٤/٣٠٦ « والعهد : الحفاظ ورعاية الحرمة ، وفي الحديث : ان عجوزا دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأل بها وأحفى ، وقال : إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان » .

(٦) سورة البقرة ١٢٤ .

﴿ الإلّ ﴾

الإلّ[١] هو: الله تعالى. قال مجاهد فى قوله سبحانه: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾[٢]، يعنى الله عز وجل. ومنه جبرَ إلّ[٣] فى قراءة من قرأه بالتشديد.

ويقال للرحم: إلٌّ، كما اشتق لها الرَّحِمُ من الرَّحمن. وقال حسّان:

لَعَمْرُكَ إنّ إلّكَ فى قُرَيشٍ ... كَإلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ[٤]

أى: رَحِمُكَ فيهم، وقُرْباكَ منهم[٥].

ومن ذهب بالإلّ فى قوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا﴾ إلى الرَّحِم، فهو [١٩٢] وجه حسن. كما قال الشاعر:

دَعَوا رَحِماً فِينَا ولا يَرْقُبُونَهَا ... وصَدَّتْ بأيديها النِّساءُ عَنِ الدَّمِ[٦]

---

(١) راجع اللسان ١٣/٢٦ والأمالى ١/٤١-٤٢ وتفسير الطبرى ١٠/٥٩-٦١.

(٢) سورة التوبة ١٠.

(٣) فى الأضداد لابن الأنبارى ص ٣٤٦ «وقولهم: جبرئيل معناه: عبد الله، فالجبر: العبد، والإيل والإلّ: الربوبية. وكان ابن يعمر يقرأ «جبر إل» بتشديد اللام ...» وانظر اللسان ٥/١٨٣-١٨٤.

(٤) البيت له فى اللسان ١٣/٢٦ والأمالى ١/٤١ وروايتهما: «من قريش» والحيوان ٤/٣٦٠ وتفسير الطبرى ١٠/٦٠ والمعانى الكبير ١/٣٣٦ وهو غير منسوب فى الأضداد لابن الأنبارى ص ٣٤٦ ومقاييس اللغة ١/٢١ والسقب: ولد الناقة، كما فى اللسان ١/٤٥١ والرأل: ولد النعام، كما فى اللسان ١٣/٢٧٧ وقد علق الجاحظ على البيت بقوله: «وقد عاب عليه هذا البيت ناس، وظنوا أنه أراد التبعيد فذكر شيئين قد يتشابهان من وجوه، وحسان لم يرد هذا، وإنما أراد ضعف نسبه فى قريش، وأنه حين وجد أدنى سبب انتحل ذلك السبب».

(٥) قال ابن قتيبة فى كتاب المعانى الكبير: «أراد أنك ضعيف النسب فى قريش، وأنك حين وجدت أدنى سبب ادعيت إليهم، وإن ذلك السبب فى ضعفه كشبه الرأل بالسقب».

(٦) أنشده ابن قتيبة غير منسوب فى كتاب المعانى الكبير ٢/٩٤٩ وقال فى شرحه: «أى كانوا يناشدونهم برحم بينهم، وهم لايرعونها حين حاربوهم، فظفروا بهم، واستقبلت النساء الطالبين فقلن بأيديهن: كفوا حسبهم».

يريد : أن المشركين لم يكونوا يَرْقُبُون فى قراباتهم من المسلمين رَحِماً ، وقد قال الله تعالى لنبيه عليه السلام : ﴿ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ فِى القُرْبَى ﴾[1] . قال ابن عباس: يريد لاأسألكم على ما أتيتكم به من الهدى أجراً إلا أن تَوَدُّونى فى القرابة منكم، وكانت لرسول الله صلى الله عليه ولاداتٌ كثيرةٌ فى بُطُون قريش . قال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾[2] . وقال ابن عباس: قالت قريش: يسألنا أن نَوَدَّه فى القرابة وهو يشتم آلهتنا ويعيبها؟! فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ﴾[3] .

ويقال للعهد : إلّ ؛ لأنّه بالله يكون .

---

(١) سورة الشورى ٢٣ .

(٢) سورة التوبة ١٢٨ .

(٣) سورة سبا ٤٧ .

﴿ القنوت ﴾

القنوت[١] : القيام . وسئل صلى الله عليه وسلم : أىّ الصلاة أفضل ؟ فقال : طول القنوت[٢] ، أى طول القيام .

وقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً ﴾[٣] ، أى أمّن هو مُصلٍّ ، فسمى الصلاة قنوتا : لأنها بالقيام تكون .

وَرُوِىَ عنه عليه السلام أنه قال : « مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل القَانِت الصائم »[٤] ، يعنى المصلّى الصّائم .

ثم قيل للدعاء : قنوت ؛ لأنّه إنما يدعُو به قائماً فى الصلاة قبل الركوع أو بعده .

وقيل : الإمساكُ عن الكلام فى الصلاة قُنُوتٌ ؛ لأن الإمساك عن الكلام يكون فى القيام ، لا يجوز لأحد أن يأتى فيه بشىء غير القرآن .

قال زَيْد بن أَرْقَم : كنا نتكلم فى الصلاة حتى نزلت : ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾[٥] ، فَنُهِينا عن الكلام وأُمِرْنا بالسكوت . ويقال : إن قانتين فى هذا الموضع : مطيعين .

والقنوت : الإقرار بالعُبُودِيّة ، كقوله : ﴿ وَلَهُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾[٦] ، أى مُقرُّون بعبوديته .

والقنوت : الطاعة ، / كقوله: ﴿ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ ﴾[٧] ، أى المطيعين والمطيعات. [١٨٣]
وقوله : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ ﴾[٨] ، أى مطيعاً لله .

ولا أرى أصل هذا الحرف إلا الطاعة ؛ لأنّ جميع هذه الخلال — من الصلاة ، والقيام فيها ، والدعاء وغير ذلك . — يكون عنها .

---

(١) اللسان ٢ / ٣٧٨ .
(٢) الحديث فى اللسان ٢ / ٣٧٨ .
(٣) سورة الزمر ٩ .
(٤) فى اللسان ٢ / ٣٧٨ .
(٥) سورة البقرة ٢٣٢ .
(٦) سورة الروم ٢٦ .
(٧) سورة الأحزاب ٣٥ .
(٨) سورة النحل ١٢٠ .

﴿ الدِّين ﴾

الدِّين[١] : الجزاء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾[٢] ، أى يوم الجزاء والقصاص . ومنه يقال : دِنْتُهُ بما صَنَعَ ، أى جزيته بما صنع ، وكما تَدِينُ تُدَانُ[٣] .

والدِّين : المُلْكُ والسّلطان ، ومنه قول الشاعر :

لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوٍّ فى بنى أَسَدٍ   فى دِينِ عَمْرٍو وَحَالَتْ دُونَنَا فَدَكُ[٤]

أى فى سلطانه . ويقال من هذا : دِنْتُ القومَ أَدِينُهم ، أى قهرتهم وأذللتهم ، فدانوا أى ذلّوا وخضعوا . والدّين لله إنما هو من هذا . ومنه قول القُطَامِىّ :

* كانَتْ نَوَارُ تدِينُكَ الأَدْيَانَا[٥] *

أى تُذَلّك[٦] . ومنه قول الله تعالى: ﴿ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ ﴾[٧]، أى لايطيعونه.

والدِّين : الحساب؛ من قوله تعالى : ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾[٨] . ومنه قوله عز وجل : ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴾[٩] ، أى حسابهم .

---

(١) اللسان ١٧/٢٧ والأمالى ٢/٢٩٥ .

(٢) سورة الفاتحة ٤ .

(٣) فى اللسان ١٧/٢٧ « وفى المثل كما تدين تدان ، أى كما تجازى تجازى ، أى تجازى بفعلك وبحسب ماعملت . وقيل : كما تفعل يفعل بك » .

(٤) البيت لزهير كما فى ديوانه ص ٨٣ والكامل ١/١٩٢ والأمالى ٢/٢٩٥ من قصيدة يخاطب بها الحارث بن ورقاء الصيداوى ، من بنى سد، وكان قد أغار على بنى عبد الله بن عطفان فغنم واستاق إبل زهير وراعيه يساراً ، وبعده :

ليأتينك منى منطق قذع   باق كما دنس القبطية الودك

جو : موضع فى ديار بنى أسد ، وعمرو : هو عمرو بن هند بن المنذر بن ماء السماء . وفدك : قرية بالحجاز . والقذع : القبيح . باق : أى يجرى على أفواه الرواة ويبقى مع الدهر . والقبطية : ثياب بيض رقاق من كتان تصنع بمصر . والودك : الدسم .

(٥) فى ديوانه ص ١٥ « كانت جنوب » وصدره كما فى الديوان والأمالى ٢/٢٩٥ « رمت المقاتل من فؤادك بعد ما » .

(٦) قال القالى : « معناه : تستعبدك بحبها » .

(٧) سورة التوبة ٢٩ .

(٨) سورة التوبة ٣٦ .

(٩) سورة النور ٢٥ .

﴿ المَوْلَى ﴾

المولى[١] : المُعْتِقُ ، والمولى : المُعْتَقُ ، والمَوْلَى : عَصَبَةُ الرَّجُل ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿ وَإِنِّى خِفْتُ المَوَالِىَ مِنْ وَرَائِى ﴾[٢] . أراد : القرابات . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ أمرِ مَوْلاهَا فَنِكَاحُها بَاطِل » ، أى : بغير أمر وليها.

وقد يقال لمن تولاَّه الرجلُ وإن لم يكن قرابةً : مَوْلًى ، قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ ﴾[٣] أى : ولىُّ المؤمنين ، وأن الكافرين لا ولى لهم. [١٩٤]

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ لا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَوْلًى شَيْئاً ﴾[٤] أى : ولىٌّ عن وَلِيِّه شيئاً ، إمَّا بالقرابة أو بالتَّوَلِّى .

والحليف أيضا : المَوْلَى . قال النابغة الجعدى :

مَوَالِىَ حِلْفٍ لا مَوَالى قَرَابَةٍ ولَكِنْ قَطِيناً يَسْأَلُونَ الأَتَاوِيَا[٥]

وقال الله عز وجل : ﴿ النَّبِىُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾[٦] يريد : إذا دعاهم إلى أمر ، ودَعَتْهم أنفسهم إلى خلاف ذلك الأمر — : كانت طاعته أولى بهم من طاعتهم لأنفسهم.

---

(١) اللسان ٢٠/٢٨٩ .

(٢) سورة مريم ٥ .

(٣) سورة محمد ١١ .

(٤) سورة الدخان ٤١ .

(٥) البيت له فى اللسان ٢٠/٢٩٠ « يقول : هم حلفاء لا أبناء عم » .

(٦) سورة الأحزاب ٦ .

﴿ الضلال ﴾

الضّلال : الحيرة والعُدُول عن الحق ، والطريق[١] . يقال : ضَلّ عن الحق، كما يقال : ضل عن الطريق . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى ﴾[٢] .

والضلال : النسيان . والنَّاسِي للشيء عادِلٌ عنه وعن ذكره ، قال الله تعالى : ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾[٣] . أى : النّاسين . وقال : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى ﴾[٤] أى : إن نسيتْ واحدة ذكَّرتْ الأخرى .

والضلال : الهلَكة والبطلان، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِى الْأَرْضِ ﴾[٥] أى : بطلنا ولَحِقْنا بالتراب . ويقال : أَضَلَّ القومُ ميّتهم ، أى : قَبَرُوه . قال النابغة :

* وآبَ مُضِلُّوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ[٦] *

أى : قابِرُوه .

---

(١) اللسان ١٣/٤١٥ .

(٢) سورة الضحى ٧ .

(٣) سورة الشعراء ٢٠ .

(٤) سورة البقرة ٢٨٢ وفى اللسان ١٣/ ٤١٧ « وذكر الخليل وسيبويه أن المعنى : استشهدوا امرأتين لأن تذكر إحداهما الأخرى ومن أجل أن تذكرها . قال سيبويه : فإن قال إنسان : فلم جاز « أن تضل » وإنما أعد هذا للإذكار ؟ فالجواب عنه : أن الإذكار لما كان سببه الإضلال ، جاز أن يذكر « أن تضل » ؛ لأن الإضلال هو السبب الذى به وجب الإذكار . قال : ومثله : أعددت هذا أن يميل الحائط فأدعمه . وإنما أعددته للدعم لا للميل ، ولكن الميل ذكر لأنه سبب الدعم ، كما ذكر الإضلال لأنه سبب الإذكار ، فهذا هو البين إن شاء الله » .

(٥) سورة السجدة ١٠ وفى اللسان ١٣/٤١٩ « وضل الرجل : مات وصار ترابا فضل فلم يتبين شىء من خلقه وفى التنزيل العزيز « أئذا ضللنا فى الأرض » معناه : أئذا متنا وصرنا ترابا وعظاما فضللنا فى الأرض فلم يتبين شىء من خلقنا » .

(٦) ديوانه ص ٨٤ وفى المعانى الكبير ٢/١٢٠٠ « وآب مصلوه » بالصاد ، وقال ابن قتيبة فى شرحه : « قال الأصمعى : قدم الأولون بخبر موته ولم يصدقوا ، وجاء المصلون ، وهم الذين جاؤا بعدهم ، من خبر موته بعين جلية ، والمصلى : الثانى من السوابق . ويروى : وآب مضلوه : أى قابروه » وانظر ص ٩٨ .

﴿الإمام﴾

الإمام[١] : أصله ماائْتَمَمْتَ به. قال الله تعالى لإبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾[٢] أى: يُؤْتَمُّ بك، ويُقتدى بسنّتك .

ثم يجعل الكتاب إماماً يؤتم بما أحصاه ، قال الله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[٣] أى : بكتابهم الذى جُمِعَت فيه أعمالهم فى الدنيا .

[١٩٥] وقال: / ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[٤] يعنى : كتاباً، أو يعنى :اللّوح المَحْفُوظ .

وقد يُجعل الطريق إماماً ؛ لأنَّ المسافر يأتم به ويستدل . قال الله تعالى : ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾[٥] أى : بطريق واضح .

---

(١) اللسان ١٤/٢٨٩ .
(٢) سورة البقرة ١٢٤ .
(٣) سورة الإسراء ٧١ .
(٤) سورة يس ١٢ .
(٥) سورة الحجر ٧٩ واللسان ١٤/٢٩١ .

(الصلاة)

الصلاة[١] : الدعاء . قال الله تعالى : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾[٢] . أى: ادع لهم ؛ إنّ ذلك مما يُسَكنهم و تطمئن إليه قلوبهم .

وقال: ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ﴾[٣] يعنى:دعاءه . وقال الأعشى يذكر الخمر والخمّار :

وقابَلَها الرِّيحُ فى دَنِّهَا ... وَصَلَّى على دَنِّهَا وَارْتَسَمْ[٤]

أى:دعا لها بالسلامة من الفساد والتغيّر .

والصَّلاةُ من الله: الرحمة والمغفرة . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾[٥] وقال : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾[٦] . وقال : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾[٧] أى: مغفرة. وقال النبى صلى الله عليه وسلم : «اللهم صلّ على آلِ أبى أوفى »[٨] يريد : ارحمهم واغفر لهم .

والصلاة : الدين . قال تعالى حكاية عن قوم شعيب : ﴿ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾[٩]؛ ويقال : قراءتُك .

---

(١) اللسان ١٩/١٩٨ .

(٢) سورة التوبة ١٠٣ .

(٣) سورة التوبة ٩٩ .

(٤) ديوانه ص ٢٩ وقبله :

وصهباء طاف يهوديها ... وأبرزها وعليها ختم

واللسان ١٧/١٦،١٥/١٣٣ « وارتسم الرجل : كبر ودعا ، والارتسام: التكبير والتعوذ ».

(٥) سورة الأحزاب ٥٦ واللسان ١٩/١٩٨ .

(٦) سورة الأحزاب ٤٣ .

(٧) سورة البقرة ١٥٧ .

(٨) فى اللسان ١٩/١٩٨ « وفى حديث ابن أبى أوفى : أنه قال : أعطانى أبى صدقة ماله ، فأتيت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اللهم صل على آل أبى أوفى . قال الأزهرى : هذه الصلاة عندى الرحمة » .

(٩) سورة هود ٨٧ .

﴿ الكتاب ﴾

أصل الكتاب(١) : ما كتبَهُ اللهُ فى اللَّوح: مما هو كائن .

ثم تتفرع منه معانٍ ترجع إلى هذا الأصل؛ كقوله: ﴿ كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أنَا وَرُسُلِى ﴾(٢) أى: قضى الله ذلك وفرغ منه.

وقوله : ﴿ لَنْ يُصِيبَنَا إلاَّ ما كَتَبَ اللهُ لنَا ﴾(٣) أى: ماقضى الله لنا.

وقوله : ﴿ لَبرزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾(٤) أى : قُضِىَ؛ لأنَّ هذا قد فُرِغَ منه حين كُتِبَ .

[١٩٦] ويكونُ / كُتِبَ بمعنى فُرِضَ، كقوله : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ ﴾(٥) أى : فرض. و ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الموْتُ ﴾(٦) ، ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا القِتَالَ ﴾(٧). أى: فرضت. ويكون كَتَبَ بمعنى جَعَلَ كقوله ﴿ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ ﴾(٨) وقوله : ﴿ فاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾(٩) . وقال ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾(١٠) .

وتكون كَتَبَ بمعنى أمَرَ ، كقوله : ﴿ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِى كَتَبَ اللهُ لَكُمْ ﴾(١١) ، أى : أمركم أن تدخلوها .

ويقال : كتب ههنا أيضا : جَعَلَ . يريد ادخلوا الأرض التى كتبها الله لولد ابراهيم عليه السلام ، أى : جعلها لهم .

---

(١) اللسان ٢/١٩٢ .
(٢) سورة المجادلة ٢١ .
(٣) سورة التوبة ٥١ .
(٤) سورة آل عمران ١٥٤ .
(٥) سورة البقرة ٨٧ .
(٦) سورة البقرة ١٨٠ .
(٧) سورة النساء ٧٧ .
(٨) سورة المجادلة ٢٢ .
(٩) سورة آل عمران ٥٣ ، وسورة المائدة ٨٣ .
(١٠) سورة الأعراف ١٥٦ .
(١١) سورة =ائدة ٢١ .

﴿ السَّبَبُ والحَبْل ﴾

السّبب أصله: الحبل[١] . ثم قيل لكل شيء وصَلْتَ به إلى موضع ، أو حاجة تريدها: سبَبٌ . تقول: فلان سَبِبِي إليك ، أي وصلتي إليك . و : ما بيني وبينك سبب ، أي آصِرَةَ رَحِمٍ ، أو عاطفة مَوَدَّةٍ . ومنه قيل للطريق : سَبَبٌ ؛ لأنّك بسلوكه تصل إلى الموضع الذي تريده ، قال عز وجل : ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَباً ﴾[٢] أي: طريقاً ، وأسباب السماء : أبوابها ، لأن الوصول إلى السماء يكون بدخولها . قال الله عز وجل حكاية عن فرعون : ﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمٰوَاتِ ﴾[٣] . وقال زهير :

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ ... وَلَوْ نَالَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ[٤]

يعني : أبوابها .

وكذلك الحَبْلُ[٥] ، قال الله عز وجل : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ ﴾[٦] أي : بعهد الله أو بكتابه ، يريد: تمسكوا به ، لأنه وُصْلَةٌ لكم إليه وإلى جنّته .

ويقال للأمان أيضا : حبل ؛ لأنّ الخائف مستتر مَقْمُوعٌ ، والآمن مُنْبَسِطٌ بالأمان مُتَصَرِّف ، فهو له حبل إلى كل موضع / يريده . [١٩٧]

قال الله تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ﴾[٧] أي: بأمان . وقال الأعشى :

---

(١) اللسان ١/٤٤١ .

(٢) سورة الكهف ٨٥ .

(٣) سورة غافر ٣٦ ، ٣٧ .

(٤) البيت من معلقته ، فى شرح القصائد العشر ص ١٢٠ وديوانه ص ٣٠ « أسباب السماء نواحيها ووجوهها . أى من اتقى الموت لقيه » .

(٥) اللسان ١٤٢ .

(٦) سورة آل عمران ١٠٣ .

(٧) سورة آل عمران ١١٢ .

وَإِذَا تُجَوِّزُهَا حِبَالُ قَبِيلَةٍ ... أَخَذَتْ مِنَ الأُخْرَى إِلَيْكَ حِبَالَهَا[1]

وأما قول امرئ القيس :

إِنِّى بِحَبْلِكِ وَاصِلٌ حَبْلِى ... وَبِرِيشِ نَبْلِكِ رَائِشٌ نَبْلِى[2]

فإنه يريد : إِنِّى وَاصِلٌ بينى وبينك.

وأصل هذا يكون فى البعيرين : يكونان مُفْتَرِقَين وعلى كل واحدمنهما حَبْلٌ، فَيُقْرَنانِ بأَنْ يوصَل حبل هذا بحبل هذا . وقال أبو زُبَيْد يذكر رجلا سرى ليلةً كلها :

نَاطَ أَمْرَ الضِّعَافِ فَاجْتَعَلَ اللَّيْـ ... ـلَ كَحَبْلِ العَادِيَّةِ المَمْدُودِ[3]

يريد: أن مسيره اتصل الليل كلّه، فكان كحبل ممدود .

---

(١) البيت له فى اللسان ١٤٣/١٣ وديوانه ص ٢٤ من قصيدة يمدح بها قيس بن معديكرب وقبله فى حديثه عن ناقته :

فتركتها بعد المراح رذية ... وأمنت عند ركوبها إعجالها
فتناولت قيسا بحر بلاده ... فأتته بعد تنوفة فأنا لهـا

وقال المرصفى فى رغبة الآمل ٥٢/٤ « تجوزها : تسوغها قطع الطريق المخوف . والحبال : العهود والمواثيق . يريد أنه سلك طرقا مخوفة لايمر بواحدة منها إلا أخذ من أهلها عهدا وميثاقا حتى لايتعرض إليه أحد يقتله أو ينهب ماله » وقال تلميذه محمود محمد شاكر فى شرحه : « كان الراكب أو الركب ، إذا أراد اجتياز أرض قبيلة أخذ منهم العهد أن يجيروه حتى يجوز أرضهم ، فيحمونه حتى لايعتدى عليه أحد فينهب ماله ، فذلك معنى قوله : « فإذا تجوزها حبال قبيلة » يعنى عهود القبيلة التى تحميه حتى يجوز أرضها وحماها يقول : إذا جازت أرض قبيلة بما أخذت من عهدها ، « أخذت من الأخرى إليك حبالها » أى أخذت عهود قبيلة أخرى ، لتجوز أرضها وحماها إليك . يمدحه بأنه مرهوب مطاع فى القبائل ، حسب قاصده أن يذكر للقبائل اسمه ، حتى يعطوه الأمان ويجيزوه أرضهم ، لايناله مكروه » .

(٢) ديوانه ١١٥ واللسان ١٤٣/١٣ وفى اللسان ١٩٨/٨ « راش سهمه يريشه ريشا : إذا ركب عليه الريش ، ورشت السهم : ألزقت عليه الريش » .

(٣) فى اللسان ١١٧/١٣ « وقال أبو زبيد يرثى اللجلاج ابن أخته : ناط ـ البيت ـ أى جعل يسير الليل كله مستقيما كاستقامة حبل البئر إلى الماء . والعادية : البئر القديمة » وهو من قصيدة طويلة فى جمهرة أشعار ص١٤١ وفيها : « واحتفل الليل » ناط : علق ورفع . والعادية : الطريق . والحبل : أثر الناس » ! .

﴿الظلم﴾

أصل الظلم فى كلام العرب : وضعُ الشىءِ فى غير موضعه(١) .

ويقال : من أشبه أباه فما ظلم(٢) ، أى: فما وضعَ الشَّبَه غيرَ موضعه .

وظُلْمُ السِّقاء : هو أن يشرب قبل إدْرا كِه(٣) .

وظلم الجَزُور : أن يُعْتَبَط ، أى ينحر ، من غير عِلَّة .

وأرض مَظْلُومة : أى حُفِرت وليست موضع حَفرٍ .

ويقال : الزم الطريقَ ولا تظلمْه ، أى : لاتعدل عنه(٤) .

ثم قد يصير الظلم بمعنى الشِّرْك ؛ لأنَّ من جعل لله شريكا : فقد وضع الرُّبوبيّة غيرَ موضعها يقول الله سبحانه : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٥) ، وقال : ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾(٦)، أى: بشرك .

ويكون الظلم: النّقصان؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(٧) أى مانقصونا . وقال : ﴿آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾(٨)/ أى لم تنقص منه شيئا ، [١٩٨] ومنه يقال : ظلمتك حقَّك، أى: نقصتك . ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾(٩) ، و﴿لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾(١٠) .

ويكون الظلم: الجَحْدَ، قال الله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾(١١) أى: جَحَدُوا أنَّها من الله تعالى. وقال : ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾(١٢)، أى يجحدون.

---

(١) اللسان ١٥/٢٦٦ .

(٢) المثل فى لسان العرب ١٥/٢٦٦ وتفسيره هنا هو تفسير الأصمعى ، وهو فى جمهرة الأمثال ص ١٨٥ ومجمع الأمثال ٢/٢٥٦ .

(٣) فى اللسان ١٥/٢٦٩ « يقال : ظلمت السقاء ، وظلمت اللبن : إذا شربته أوسقيته قبل إدرا كه وإخراج زبدته » .

(٤) فى اللسان ١٥/٢٦٦ « وفى حديث ابن زمل : لزموا الطريق فلم يظلموه : أى لم يعدلوا عنه »

(٥) سورة لقمان ١٣ .

(٦) سورة الأنعام ٨٢ .

(٧) سورة البقرة ٥٧ .

(٨) سورة الكهف ٣٣ .

(٩) سورة مريم ٦٠ .

(١٠) سورة يس ٥٤ .

(١١) سورة الإسراء ٥٩ .

(١٢) سورة الأعراف ٩ .

﴿ البَلاء ﴾

أصل البـلاء : الاختبار[١] ، قال الله جل وعلا : ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا ﴾[٢] ، أى : اختبروهم . وقال : ﴿ إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾[٣] ، يعنى : ما أُمِرَ به إبراهيمُ من ذبح ابنه صلوات الله عليهما . وقال : ﴿ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾[٤] ، أى اختبرناهم .

ثم يقال للخير : بلاء ، وللشر : بلاء ؛ لأنّ الاختبار الذى هو بلاء وابتلاء يكون بهما . قال الله تعـالى : ﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[٥] ، أى نختبركم بالشرّ : لنعلم كيف صَبْرُكم؟ وبالخير : لنعلم كيف شُكْرُكم؟ ﴿ فِتْنَةً ﴾ ، أى اختباراً . ومنه يقال : اللهم لاتَبْلُنَا إلا بالتى هى أحسن ، أى لا تختبرنا إلا بالخير، ولا تختبرنا بالشر .

يقال من الاختبار : بَلَوْته أَبْلُوهُ بَلْوًا ، والاسم بَلاء ، ومن الخير: أَبْلَيْتُه أبليه إِبْلاء ومنه يقال: يُبْلِى ويُولِى . قال زهير :

* فَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ البلاءِ الذى يَبْلُو[٦] *

أى : خير البلاء الذى يختبر به عباده .

ومن الشر : بَلاه الله يَبْلُوه بَلاء . قال الله عز وجل : ﴿ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[٧] ، أى : نعمة عظيمة . ﴿ وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴾[٨] ، أى : نِعَم بَيِّنة عظام .

---

(١) اللسان ٩٠/٢٠ .

(٢) سورة النساء ٦ .

(٣) سورة الصافات ١٠٦ .

(٤) سورة الأعراف ١٦٨ .

(٥) سورة الأنبياء ٣٥ .

(٦) صدره كما فى ديوانه ص ١٠٩ « رأى الله بالإحسان مافعلا بكم » يقول : رأى الله فعلهما حسنا وتحقيق لفظه : رأى الله فعلهما بالإحسان ، أى مع الإحسان إليكم ، وإنما قال : خير البلاء ؛ لأن الله تعالى يبتلى بالخير والشر ، فيقول : أبلاهما الله خير مايبلو به عباده . وقوله : « فأبلاهما » معناه : الدعاء لهما ، وقوله : « رأى الله بالإحسان » يحتمل أن يكون خبرا » ويروى : « جزى الله بالإحسان » وهى رواية اللسان ٩٠/١٨ .

(٧) سورة البقرة ٤٩ .

(٨) سورة الدخان ٣٣ .

﴿ الرِّجْزُ والرِّجْسُ ﴾

الرِّجْزُ : العذاب[١] . قال الله تعالى حكاية عن قوم فرعون: ﴿ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ﴾[٢] / أى: العذاب . [١٩٩]

ثم قد يُسمَّى كَيْدُ الشيطان : رِجْزًا ؛ لأنه سبب العذاب . قال الله تعالى : ﴿ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ﴾[٣] .

والرجس : النَّتَن[٤] . ثم قد يُسمَّى الكفرُ والنفاقُ: رجْساً ؛ لأنه نَتَن . قال الله تعالى: ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾[٥]، أى: كفراً إلى كفرهم ، أو نفاقاً إلى نفاقهم . وقال الله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[٦] . وقال الله عز وجل : ﴿ وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾[٧]، يعنى: الأوثان، سماها رِجزاً ـ والرِّجز: العذاب. ـ لأنها تُؤَدِّى إليه .

---

(١) اللسان ٧/٢١٩ .

(٢) سورة الأعراف ١٣٤ .

(٣) سورة الأنفال ١١ .

(٤) اللسان ٧/٣٩٨ .

(٥) سورة التوبة ١٢٥ .

(٦) سورة يونس ١٠٠ .

(٧) سورة المدثر ٥ .

﴿ الفِتْنَة ﴾

الفتنة : الاختبار[١] ، يقال : فَتَنْتُ الذهبَ فى النّار : إذا أدخلتَهُ إليها لتعلم جودتَه من رداءَتِه . وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾[٢] أى: اختبرناهم . وقال لموسى عليه السلام: ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾[٣] . ومنه قوله: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾[٤] أى : جوابُهم ؛ لأنهم حين سئلوا اختُبر ما عندهم بالسؤال ، فلم يكن الجواب عن ذلك الاختبار إلا هذا القول .

والفتنة: التعذيب. قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾[٥] أى : عذّبوهم بالنار. وقال عز وجل : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾[٦] أى : يعذبون . ﴿ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ ﴾[٧] أى يقال لهم : ذوقوا فِتْنَتَكم ، يراد: هذا العذاب بذاك . وقال عز وجل : ﴿ فَإِذَا أُوذِىَ فِى اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ ﴾[٨] أى: جعل عذاب الناس وأذاهم كعذاب الله .

والفتنة: الصدّ والاستزلال . قال الله عز وجل : ﴿ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ ﴾[٩] ، أى : يَصُدُّوكَ ويَسْتَزِلُّوكَ[١٠] . وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾[١١] ، وقال : ﴿ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴾[١٢] أى : صادين .

---

(١) اللسان ١٧/١٩٣ .

(٢) سورة العنكبوت ٣ .

(٣) سورة طه ٤٠ .

(٤) سورة الأنعام ٢٣ .

(٥) سورة البروج ١٠ واللسان ، ١٧/١٩٧ .

(٦) سورة الذاريات ١٣ .

(٧) سورة الذاريات ١٤ .

(٨) سورة العنكبوت ١٠ .

(٩) سورة المائدة ٤٩ .

(١٠) فى اللسان ١٣/٣٢٥ «وزل فى رأيه ودينه يزل زلا وزللا ، وأزله هو ، واستزله غيره... »

(١١) سورة الإسراء ٧٣ .

(١٢) سورة الصافات ١٦٢ ، واللسان ١٧/١٩٦ .

/ والفتنة : الإشراك والكفر والإثم ، كقوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾(١) ، أى : شرك . وقال : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾(٢) يعنى : الشرك . وقال : ﴿ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾(٣) أى : فى الإثم . وقال : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾(٤) ، أى : كفر وإثم . وقال : ﴿ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾(٥) أى : كفرتم وآثمتموها . [٢٠٠]

والفتنة : العِبْرَةُ ، كقوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(٦) وفى موضع آخر : ﴿ لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾(٧) أى : يعتبرون أمرهم بأمرنا ؛ فإذا رأونا فى ضُرٍّ وبلاء ، ورأوا أنفسهم فى غبطة ورخاء : ظنوا أنهم على حق ، ونحن على باطل .

وكذلك قوله : ﴿ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ﴾(٨) .

---

(١) سورة البقرة ١٩٣ وسورة الأنفال ٣٩ .

(٢) سورة البقرة ١٩١ .

(٣) سورة التوبة ٤٩ .

(٤) سورة النور ٦٣ .

(٥) سورة الحديد ١٤ .

(٦) سورة يونس ٨٥ .

(٧) سورة الممتحنة ٥ .

(٨) سورة الأنعام ٥٣ .

﴿ الفرض ﴾

الفرض: وجوب الشىء[١] . ويقال : فرضت عليك كذا ، أى: أوجبته. قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ ﴾ [٢] أى : أوجبه على نفسه . وقال: ﴿ فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾[٣] أى : ألزمتم أنفسكم . وقال: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ ﴾ [٤] أى: ألزمناهم ومنه قوله فى آية الصدقات بعد أن عدّد أهلها ﴿ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ ﴾[٥] وقيل للصلاة المكتوبة: فريضة . وقيل لسهام الميراث : فريضة. وقال : ﴿ قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾ [٦] أى: أوجب لكم أن تُكفِّروا إذا حلفتم .

وبعض المفسرين يجعلها بمعنى: بَيَّنَ لكم كيف تكفرون عنها . قال: ومثلها : ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ﴾ [٧] أى : بيّنّاها .

وقد يجوز فى اللغة أن يكون فرضناها : أوجبنا العمل بما فيها .

وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾[٨] .

قال المفسرون فيه : أنزل عليك القرآن . وقد يجوز فى اللغة أن يكون أوجب عليك العمل بما فيه .

وقال: ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ ﴾[٩] .

[٢٠١] /قال المفسرون : فيما أحل الله له. وقد يجوز فى اللغة أن يكون: ما أوجب له من النكاح، يعنى: نكاحَ أكثرَ من أربعٍ .

---

(١) اللسان ٩/ ٦٦ .
(٢) سورة البقرة ١٩٧ .
(٣) سورة البقرة ٢٣٧ .
(٤) سورة الأحزاب ٥٠ .
(٥) سورة النساء ١١ .
(٦) سورة التحريم ٢ .
(٧) سورة النور ١ .
(٨) سورة القصص ٨٥ .
(٩) سورة الأحزاب ٣٨ .

﴿ الخِيانَة ﴾

الخيانة : أن يؤتمنَ الرجلُ على شىء، فلا يُؤدىَ الأمانة فيه .

يقال لكل خائن : سارق ، وليس كل سارق خائنا .

والقَطْع يجب على السارق ، ولا يجب على الخائن ، لأنه مؤتمن . قال النَّمِر بن توْلَب :

وَإِنَّ بَنِى رَبيعَةَ بعْدَ وَهْبٍ كَرَاعِى البيْتِ يَحْفَظُهُ فَخَانَا[٢]

ويقال لناقص العهد : خائن ؛ لأنه أُمِنَ بالعهد وسُكِنَ إليه : فغدَرَ وَنَكَثَ . قال الله تعالى : ﴿ وَإِمَّا تخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾[٣] . أى : نقضاً للعهد .

وكذلك قوله : ﴿ وَلاَ تزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ ﴾ أى : غدر ونكثٍ .

ويقال لعاصى المسلمين : خائن ؛ لأنه مؤتمن على دينه . قال : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ﴾[٥] يريد : المعاصىَ . وقال الله تعالى : ﴿ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾[٦] أى : تخونونها بالمعصية .

---

(١) اللسان ١٦/٣٠٢ .

(٢) نسبه له ابن قتيبة فى المعانى الكبير ٥٩٢/١ وأدب الكاتب ص ٣٧ وقال ابن السيد فى الاقتضاب ص٣٠٣ : « وقوله : « بعد وهب » يريد بعد خيانة وهب ، وليس يريد بعد هلاك وهب ، ولو كان كذلك لكان قد مدح وهبا ، وليس يمدحه ، إنما يذمه . والمعنى : إن وهبا كان أوثقهم وأجدرهم بالأمانة ، فإذا قد خان وهب فهم أجدر بالخيانة . والدليل على أنه يذم وهبا قوله قبل هذا البيت :

يريد خيانتى وهب وأرجو من الله البراءة والأمانا
فإن الله يعلمنى ووهبا ويعلم أن سنلقاه كلانا

ويروى : « يحفظه » بضم الياء ، أى يؤتمن عليه ، يقال : حفظ الرجل الشىء وأحفظته إياه . وهذا بين لا إشكال فيه . وصف بالحفظ والخيانة . والجواب عن هذا من وجهين : أحدهما : أن الفاء فى كلام العرب إنما وضعت لتدل على أن ما بعدها يقع عقيب ما قبلها ، فمعناه يحفظه أولا ثم يعقب الحفظ بالخيانة . والثانى أن يكون معنى يحفظه : يدعى أنه يحفظه وهو يخون ؛ لأن العرب تنسب الفعل إلى من يدعى ، كما تنسبه إلى من هو له بالحقيقة ... » وانظر شرح أدب الكاتب للجواليقى ص ١٤٥ .

(٣) سورة الأنفال ٥٨ .

(٤) سورة المائدة ١٣ .

(٥) سورة الأنفال ٢٧ .

(٦) سورة البقرة ١٨٧

﴿ الإسلام ﴾

الإسلام: هو الدخول فى السِّلْم، أى: فى الانقياد والمتابعة[١] . قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾[٢] أى: انقاد لكم وتابعكم. والاستسلام مثله. يقال: سلَّمَ فلانٌ لأَمْرِكَ واستسلم وأَسْلَم، أى دخل فى السِّلْم. كما تقول: أَشْتَى الرجلُ: إذا دخل فى الشتاء، وأربع: دخل فى الربيع، وأقْحَطَ: دخل فى القحط.

فمن الإسلام متابعةٌ وانقيادٌ باللِّسان دون القلب. ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾[٣] أى: انقدنا من خوف السيف. وكذلك قوله: ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾[٤]، أى: انقاد له وأقرّ به المؤمن والكافر.

[٢٠٢] ومن الإسلام: مُتَابَعَةٌ وانقيادٌ باللسان والقلب، ومنه قوله حكاية / عن إبراهيم: ﴿ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٥] . وقوله: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾[٦]، أى: انقدت لله بلسانى وعَقْدِى. والوجه زيادة. كما قال: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[٧]، يُريد: إلا هو. وقوله: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ ﴾[٨]، أى لله.

قال زَيْد بن عَمْرو بن نُفَيْل[٩] فى الجاهلية:

أَسْلَمْتُ وَجْهِى لِمَنْ أَسْلَمَتْ ... لَهُ الْمُزْنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلَالًا[١٠]

أى: انقادت له المُزْنُ.

---

(١) اللسان ١٥/٢٨٦ .

(٢) سورة النساء ٩٤ .

(٣ سورة الحجرات ١٤ .

(٤) سورة آل عمران ٨٣ .

(٥) سورة البقرة ١٣١ .

(٦) سورة آل عمران ٢٠ .

(٧) سورة القصص ٨٨ .

(٨) سورة الإنسان ٩ .

(٩) راجع أخباره فى الأغانى ٣/١٥–١٧ والمعارف ص ٢٧ .

(١٠) البيت له فى تفسير الطبرى ١/٣٩٣ والمعارف ص ٢٧ ومجمع البيان ١/١٨٧ والأغانى ٣/١٧ وبعده فيه:

وأسلمت وجهى لمن أسلمت ... له الأرض تحمل صخرا ثقالا

دحاها فلما استوت شدها ... سواء وأرسى عليها الجبالا

﴿ الإيمان ﴾

الإيمان : هو التصديق(١). قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا ﴾ أى : بمصدّق لنا ﴿ وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾(٢) وقال : ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِىَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ﴾(٣) ، أى: تصدِّقوا . والعبد مؤمن بالله ، أى مُصدِّق . والله مؤمن: مصدّقٌ ما وعَدَه ، أو قابلٌ إيمانه . ويقال فى الكلام : ما أُومِنُ بشىءٍ مما تقول ، أى ما أُصدِّق به .

فمن الإيمان: تصديق باللسان دون القلب كإيمان المنافقين، يقول الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ﴾(٤) ، أى: آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم . كما كان من الإسلام انقياد باللسان دون القلب .

ومن الإيمان: تصديق باللسان والقلب ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾(٥) ، كما كان من الإسلام انقياد باللسان والقلب .

ومن الإيمان: تصديق ببعض وتكذيب ببعض، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾(٦) ، يعنى مشركى العرب ، إن سألتهم مَنْ خَلَقَهم قالوا : الله ، وهم مع ذلك يجعلون له شركاء . وأهل الكتاب يؤمنون ببعض الرُّسل والكتب ، ويكفرون ببعض. قال الله تعالى : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾(٧) ، يعنى: ببعض الرسل والكتب ، إذ لم يؤمنوا بهم كلِّهم .

وأما قوله عز وجل/ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ ﴾ ؛ [٢٠٣]
ثم قال : ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾(٨) ـ فإن هؤلاء قوم آمنوا بألسنتهم ـ فقال تعالى : ﴿ مَنْ آمَنَ ﴾ منهم بقلبه ﴿ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ ، كأنه قال : إن المنافقين والذين هادُوا .

---

(١) اللسان ١٦/١٦٢ .
(٢) سورة يوسف ١٧ .
(٣) سورة غافر ١٢ .
(٤) سورة المنافقون ٣ .
(٥) سورة البينة ٧ .
(٦) سورة يوسف ١٠٦ .
(٧) سورة غافر ٨٥ .
(٨) سورة البقرة ٦٢

﴿ الضرّ ﴾

الضَرّ : بفتح الضاد ضد النفع[١]، قال الله عز وجل : ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾[٢] وقال : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفعاً وَلَا ضَرًّا ﴾[٣] أى : لا أملك جرّ نفعٍ ، ولا دَفْعَ ضرّ .

والضُّرُّ : الشدة والبلاء، كقوله: ﴿ إِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ ﴾[٤] ، ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِى الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾[٥] .

فمن الشدّة : قَحْطُ المطر ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ ﴾[٦] أى : مطراً من بعد قحط وجَدْبٍ .

ومنه: الهول، كقوله : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِى الْبَحْرِ ﴾[٧] .

ومنه: المرض، كقول أيوبَ عليه السلام: ﴿ إِنِّى مَسَّنِىَ الضُّرُّ ﴾[٨] ، ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ﴾[٩] .

ومنه النقص ، كقوله تعالى : ﴿ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴾[١٠] .

---

(١) اللسان ٦/١٥٣ وأدب الكاتب ص ٣٠٦ .
(٢) سورة الشعراء ٧٣ .
(٣) سورة الأعراف ١٨٨ .
(٤) سورة الأنعام ١٧ .
(٥) سورة البقرة ١٧٧ .
(٦) سورة يونس ٢١ .
(٧) سورة الإسراء ٦٧ .
(٨) سورة الأنبياء ٨٣ .
(٩) سورة الزمر ٤٩ .
(١٠) سورة محمد ٣٢ .

﴿ الحَرَج ﴾

الحرج : أصله الضيق[١] ، ومن الضيق : الشك ، كقول الله تعالى : ﴿ فَلَا يَكُنْ فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ﴾[٢] ، أى شك ؛ لأنّ الشّاكّ فى الشىء يضيق صدراً به .

ومن الحرج : الإثم ، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ ﴾[٣] ، أى إثم . ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ ﴾[٤] ، أى إثم .

وأما الضيقُ بعينه فقوله : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[٥] ، أى ضيق . و﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً ﴾[٦] وحَرِجاً ؛ ومنه الحَرَجَةُ وهى الشجر المُلْتَفّ .

---

(١) اللسان ٣/٥٦ .

(٢) سورة الأعراف ٢ .

(٣) سورة النور ٦١ .

(٤) سورة التوبة ٩١ .

(٥) سورة الحج ٧٨ .

(٦) سورة الأنعام ١٢٥ .

﴿ الرُّوح ﴾

الرُّوح والرِّيح والرَّوْح : من أصل واحد[١] اكْتَنَفَتْهُ معانٍ تقاربت ، فبُنِيَ لكلّ معنى اسمٌ من ذلك الأصل ، وخُولِفَ بينها فى حركة البِنْيَة .

والنّار والنُّور من أصل واحد ، كما قالوا المَيْل والمَيَل وهما جميعاً من مَالَ ، فجعلوا الميل — بفتح الياء — فيما كان خِلْقَةً فقالوا : فى عنقه مَيَل وفى الشجرة مَيَل / ، وجعلوا المَيْل [٢٠٤] — بسكون الياء — فيما كان فِعْلًا فقالوا : مَالَ عن الحق مَيْلًا[٢] ، وفيه مَيْل علىَّ ، أى تحامل.

وقالوا : اللَّسَنُ واللَّسْنُ واللِّسْنُ ، وهـذا كله من اللسان ، فاللَّسَنُ جودة اللِّسان ، واللَّسْنُ : العَذْل واللوم ، ويقال : لَسَنْتُ فلاناً لَسْناً : أى عذلته ، وأخذته بلسانى . واللِّسْنُ : اللّغةُ . يقال : لكلّ قوم لِسن .

وقالوا : حَمْلُ الشجرة — بفتح الحاء — وحَمْل المرأة — بفتح الحاء — . وقالوا لما كان على الظهر : حِمْل[٣] ، والأصل واحد .

فى أشباهٍ لهذا كثيرة. وقد ذكرنا منها طرفاً فى صدر الكتاب[٤] .

* * *

وأما الرُّوح : فرُوحُ الأجسام الذى يقبضه الله عند الممات[٥] .

والرُّوحُ : جبريل عليه السلام . قال الله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾[٦] ، يعنى جبريل . وقال : ﴿ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾[٧] ، أى بجبريل .

والرُّوح — فيما ذكر المفسرون — : مَلَكٌ عظيم من ملائكة الله يقوم وحده فيكون صَفًّا

---

(١) مقاييس اللغه ٢/٤٥٤ .

(٢) أدب الكاتب ص ٣٠٣ .

(٣) أدب الكاتب ص ٣٠٣ ومقاييس اللغة ٢/١٠٦ .

(٤) راجع ص ١٢–١٣ .

(٥) اللسان ٣/٢٨٩ .

(٦) سورة الشعراء ١٩٣ .

(٧) سورة البقرة ٢٥٣ .

وتقوم الملائكة صفًّا ، قال: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ﴾(١) ، وقال عز وجل: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾(٢)، ويقال للملائكة: الرُّوحانيُّون؛ لأنّهم أرواح ، نُسِبُوا إلى الرُّوح ـ بالألف والنون ؛ لأنّها نِسْبَةُ الخِلْقَة(٣) ـ ، كما يقال : رَقَبانِيٌّ وشَعَرانِيٌّ.

والرُّوحُ : النَّفْخُ ، سُمِّي رُوحاً لأنّه ريح تخرج عن الرُّوح . قال ذو الرمة وذكر ناراً قدحها :

فَلمَّا بَدَتْ كَفَّنْتُهَا وهي طِفْلَةٌ — بطَلْسَاءَ لم تَكْمُلْ ذِراعاً ولا شِبْرَا(٤)

وقُلْتُ له ارْفَعْهَا إليكَ وأَحْيِهَا — بِرُوحِكَ واقْتَتْهُ لَهَا قِيتَةً قَدْرَا(٥)

وظَاهِرْ لهَا مِنْ يَابِسِ الشَّخْتِ واسْتَعِنْ — عليها الصَّبَا واجْعَلْ يَدَيْكَ لَهَا سِتْرَا(٦)

قوله : وأحيها بروحك ، أى أحيها بنفخك .

والمسيح: رُوحُ اللهِ ؛ لأنّه نَفْخَةُ جبريل فى دِرْعِ مريم . ونُسِبَ الرُّوحُ إلى الله لأنّه بأمره كانَ . يقولُ اللهُ : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾(٧) ، يعنى نَفْخَةَ جبريل .

وقد يجوز أن يكون سُمِّيَ رُوحَ الله لأنّه بكلمته كان ، قال الله تعالى : كن ، فكان .

---

(١) سورة النبأ ٣٨ وانظر أقوال العلماء فى معنى الروح هنا فى تفسير الطبرى ٣٠/١٥ـ١٦ .

(٢) سورة الإسراء ٨٥ .

(٣) فى اللسان ٣/٣٩١ « وفى الحديث: الملائكة الروحانيون ، يروى بضم الراء وفتحها ، كأنه نسب إلى الروح أو الرَّوح ، وهو نسيم الريح ، والألف والنون من زيادات النسب . ويريد به أنهم أجسام لطيفة لا يدركها البصر » .

(٤) ديوانه ص ١٧٦ وفى اللسان ٧/٤٣١ « وقال فى قول ذى الرمة : « بطلساء لم تكمل ذراعا ولا شبرا » يعنى خرقة وسخة ضمنها النار حين اقتدح » .

(٥) فى اللسان ٣/٢٨٦ « بروحك واجعله لها » أى أحيها بنفخك ، واجعله لها ، الهاء للروح لأنه مذكر فى قوله : « واجعله » والهاء التى فى « لها » للنار لأنها مؤنثة . وفيه ١٨/٢٣٢ « ويقال : حايبت النار بالنفخ ، كقولك : أحييتها . قال الأصمعى : أنشد بعض العرب بيت ذى الرمة : « فقلت له ارفعها وحايها » وفيه ٢/٣٧٩ « ونفخ فى النار نفخا قوتا واقتاد لها ، كلاهما : رفق بها . واقتت لنارك قيتة : أى أطعمها . قال ذو الرمة : فقلت له : خذها إليك » ـ البيت ـ وإذا نفخ نافخ فى النار قيل له : انفخ نفخا قوتا واقتت لها نفخك قيتة ، يأمره بالرفق والنفخ القليل » .

(٦) فى اللسان ٢/٣٥٥ « ويقال للحطب الدقيق : شخت » .

(٧) سورة الأنبياء ٩١ .

وكلامُ الله: رُوحٌ؛ لأنّه حياة من الجهل وموتِ الكُفْرِ، قال: ﴿يُلقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾(١)، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾(٢).

ورحمةُ الله: رُوحٌ. قال الله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾(٣)، أي برحمة، كذلك قال المفسرون.

ومن قرأ ﴿فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ﴾(٤) بضم الراء، أراد فرحمةٌ ورزقٌ. والريحان: الرزق، قال النّمرُ بن تولَب:

سَلامُ الإلهِ ورَيْحَانُهُ ورَحمتُه وسَماءٌ دِرَرْ(٥)

فجمع بين الرزق والرحمة، كما قال الله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾، وهذا شاهد لتفسير المفسرين.

قال أبو عبيدة: ﴿فَرُوحٌ﴾، أراد: حياةً وبقاءً لا موت فيه. ومن قرأ: ﴿فَرَوحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ بالفتح، أراد: الرّاحة وطيب النّسيم.

وقد تكون الرُّوحُ: الرحمة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ﴾(٦)، أي من رحمته، سَمّاها رَوحاً لأنّ الرَّوْحَ والرّاحة يكونان بها(٧).

---

(١) سورة غافر ١٥.

(٢) سورة الشورى ٥٢.

(٣) سورة المجادلة ٢٢ واللسان ٣/٢٨٥.

(٤) سورة الواقعة ٨٩ واللسان ٣/٢٨٥ وفي تفسير الطبري ٢٧/١٢١ « قرأته عامة قراء الأمصار فروح — بفتح الراء — بمعنى فله برد وريحان يقول: ورزق واسع في قول بعضهم، وفي قول آخرين: فله راحة وريحان وقرأ ذلك الحسن البصري: فروح — بضم الراء — بمعنى أن روحه تخرج في ريحانة. وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بالفتح؛ لإجماع الحجة من القراء عليه، بمعنى: فله الرحمة والمغفرة والرزق الطيب الهنى ».

(٥) في اللسان ٣/٨٥ « قال الأزهري: والعرب تقول: سبحان الله وريحانه. قال أهل اللغة: معناه: واسترزاقه، وهو عند سيبويه من الأسماء الموضوعة موضع المصادر، تقول: خرجت أبتغي ريحان الله قال النمر: سلام الإله — البيت — وبعده:

غمـام ينزل رزق العبـاد فأحيا البلاد وطاب الشجر

قال: ومعنى قوله: « وريحانه »: ورزقه. قال الأزهري قاله أبو عبيدة وغيره. قال: وقيل الريحان ههنا: هو الريحان الذي يشم ».

(٦) سورة يوسف ٨٧.

(٧) هذه العبارة في اللسان نقلا عن التهذيب للأزهري. وقد ولد الأزهري سنة اثنين وثمانين ومائتين، ومات سنة سبعين وثلاثمائة، كما في بغية الوعاة ص ٨.

(الوحى)

الوحى : كلُّ شىء دللتَ به من كلام أو كتاب أو إشارة أو رسالة[1] . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ ﴾[2] ، وقال : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَـٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾[3] ، فهذا إرسال جبريل بالقرآن .

وقال : ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[4] ، أى أشار إليهم وأومأ .

وقال بعض المفسرين : كتب إليهم .

قال أبو محمد :

والتفسير الأول أعجبُ إلىَّ ؛ لأنه قال فى موضع آخر : ﴿ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾[5] .

والرمز : تحريك الشفتين أو الحاجبين أو العينين ، ولا يكون كتابا .

والوحى: إلهام ، كقوله : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ﴾[6] ، و ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾[7] ، أى ألهمها .

والوحى : إعلام فى المنام ، كقوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ ﴾[8] .

والوحى : إعلام بالوَسْوَسَة من الشيطان ، قال : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى

---

(١) اللسان ٢٠/٢٥٧ .

(٢) سورة النساء ١٦٣ .

(٣) سورة الأنعام ١٩ .

(٤) سورة مريم ١١ .

(٥) سورة آل عمران ٤١ .

(٦) سورة المائدة ١١١ .

(٧) سورة النحل ٦٨ .

(٨) سورة الشورى ٥١ .

أَوْلِيَائِهِم ﴾[١] ، وقال : ﴿ شَيَاطِينَ الإِنْسِ والجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[٢] .

والوحى : أمر ، قال الله تعـالى : ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾[٣] ، أى أمرها . وقال الراجز[٤] :

* وَحَى لها القَرَارَ فاستَقَرَّتِ *

أى أمرها بالقرار : فقرّت ، يعنى الأرض . ويقال : سخّرها .

---

(١) سورة الانعام ١٢١ .

(٢) سورة الأنعام ١١٢ .

(٣) سورة الزلزلة ٥ .

(٤) الرجز للعجاج كما فى ديوانه ص ٥ واللسان ٢٠/٢٥٨ وبعده : « وشدها بالراسيات الثبت » وقيل : أراد : أوحى ، إلا أن من لغة هذا الراجز إسقاط الهمزة مع الحرف ، ويروى « أوحى » قال ابن برى : ووحى فى البيت بمعنى : كتب » .

﴿ الفرح ﴾

الفَرَحُ : المسرّة ، قال الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا ﴾[1] أى سُرُّوا .

والفرح : الرضا ؛ لأنه عن المسرة يكون ، قال الله تعالى : ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[2] أى راضون ، وقال : ﴿ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾[3] أى رضوا .

والفرح : البَطَرُ والأَشَرُ ، لأنّ ذلك عن إفراط السرور ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾[4] وقال: ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾[5] وقال: ﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى الْأَرْضِ ﴾[6] وقد تبدل « الحاء » فى هذا المعنى « هاء » فيقال: فَرِهٌ أى بَطِرٌ ، قال الله تعالى : ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴾[7] أى: أَشِرِينَ بَطِرِين ، والهاء تبدل من الحاء لقُرب مخرجيهما ، تقول : مدحته ومدهته ، بمعنى واحد .

---

(١) سورة يونس ٢٢ .

(٢) سورة المؤمنون ٥٣ والروم ٣٢

(٣) سورة غافر ٨٣ .

(٤) سورة القصص ٧٦ .

(٥) سورة هود ١٠ .

(٦) سورة غافر ٧٥ .

(٧) سورة الشعراء ١٤٩ .

(الفتح)

الفتح : أن يُفتَحَ المغلَق ، كقوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾(١)

والفتح : النّصر ، كقوله : ﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ ﴾(٢) وقوله : ﴿ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ﴾(٣) ؛ لأن النصر يَفْتح الله به أمراً مغلقاً .

والفتح: القضاء ؛ لأن القضاء فصل للأمور ، وفتح لما أشكل منها ، قال الله جل ذكره: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ ﴾(٤) يعني يوم القيامة ، لأنه يقضى الله فيه بين عباده . ويقال : أراد فتح مكة لا ينفع الذين كفروا إيمانهم من خوف السيف ، فلم ينفعهم ذلك وقتلهم خالد بن الوليد .

[٢٧] وقال عز وجـــل / : ﴿ ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ﴾ أى : يقضى ، ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾(٥) : أى خير القضاة .

وقال أعرابى لآخر ينازعه : بينى وبينك الفتاح ، يعنى الحاكم .

وقال ابن عباس فى قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾(٦) : كنت أقرؤها ولا أدرى ماهى ، حتى تزوجت بنت مِشْرَح(٧) فقالت: فتح الله بينى وبينك ، أى حكم الله بينى وبينك .

---

(١) سورة الزمر ٧٣ .

(٢) سورة النساء ١٤١ .

(٣) سورة المائدة ٥٢ .

(٤) سورة السجدة ٢٨ ، ٢٩ .

(٥) سورة سبأ ٢٦ .

(٦) سورة الفتح ١ وفى تفسير الطبرى ٤٢/٢٦ « يقول : إنا حكمنا لك يامحمد حكما يبين لمن سمعه أو بلغه ، على من خالفك وناصبك من كفار قومك ، وقضينا لك عليهم بالنصر والظفر ، لتشكر ربك وتحمده على نعمته بقضائه لك عليهم وفتحه مافتح لك . . »

(٧) اسمها زرعة بنت مشرح الكندية ، كما قال ابن قتيبة فى المعارف ص ٥٤ وفى جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٧ « زهرة بنت منشرح الكندية » . وفى ص ٤٠٢ « زرعة بنت مشرح » وكذلك فى نسب قريش ص ٢٨ ، ٢٩ ، وفى الإصابة ١٠٠/٨ « زرعة بنت محرش » بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الراء ، بعدها معجمة » .

﴿ الكريم ﴾

الكريم : الشريف الفاضل ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(١) أى: أفضلكم . وقال : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾(٢) أى: شرفناهم وفضّلناهم. وقال حكاية عن إبليس: ﴿ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ﴾(٣) أى: فضلت. وقال : ﴿ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ ﴾(٤) أى : فضّله . وقال : ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾(٥) أى : الشريف الفاضل . وقال : ﴿ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾(٦) أى : شريفاً . وقال : ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾(٧) أى شريف لشرف كاتبه ، ويقال : شريف بالختْم .

والكريم : الصَّفوح ، وذلك من الشرف والفضل ، قال الله عز وجل : ﴿ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾(٨) أى: صفوح . وقال: ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾(٩) أى: الصَّفوح .

والكريم: الكثير الكرم ، قال الله تعالى : ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾(١٠) أى : كثير .

والكريم : الحَسَن ، وذلك من الفضل . قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾(١١) أى : حَسَن . وكذلك قوله : ﴿ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾(١٢) أى : حسن يُبتهج به . وقال تعالى : ﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾(١٣)، أى حسناً. وهذا وإن اختلف فأصله الشرف.

---

(١) سورة الحجرات ١٣ .

(٢) سورة الإسراء ٧٠ .

(٣) سورة الإسراء ٦٢ .

(٤) سورة الفجر ١٥ .

(٥) سورة المؤمنون ١١٦ .

(٦) سورة النساء ٣١ .

(٧) سورة النمل ٢٩ .

(٨) سورة النمل ٤٠ .

(٩) سورة الانفطار ٦ .

(١٠) سورة الأنفال ٤ ، ٧٤ والحج ٥٠ والنور ٢٦ وسبأ ٤ .

(١١) سورة الشعراء ٧ .

(١٢) سورة الحج ٥ وق ٧ .

(١٣) سورة الإسراء ٢٣ .

﴿ المثل ﴾

المَثَل [1]: بمعنى الشَّبه، يقال: هذا مَثَل الشيء ومِثْله، كما يقال: شَبَه الشيء وشِبْهُه، قال الله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً ﴾ [2] أى شبه الذين كفروا شبه العنكبوت.

وقال: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أسفاراً ﴾ [3] أى: شبههم الحمار / [٢٠٨]

والمَثَل: العِبْرة، كقوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ ﴾ [4] أى: عبرة لمن بعدهم. وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [5] أى عبرة.

والمَثَلُ: الصُّورة والصِّفة، كقوله ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ ﴾ [6] أى صفة الجنة.

---

(١) اللسان ١٣٢/١٤ ومجمع الأمثال ٩/١.
(٢) سورة العنكبوت ٤١.
(٣) سورة الجمعة ٥.
(٤) سورة الزخرف ٥٦ واللسان ١٣٤/١٤.
(٧) سورة الزخرف ٥٩.
(٦) سورة محمد ١٥ واللسان ١٣٣/١٤.

(الضرب)

الضرب: باليد، كقوله تعالى : ﴿ فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾[١] وقوله : ﴿ وَاهْجُرُوهُن فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾[٢] .

والضَرْبُ : المسير، قال الله تعالى : ﴿ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾[٣] وقال تعالى : ﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ ﴾[٤] .

والضرب : التَّبيين والوصف ، قال الله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً ﴾[٥]، وقال : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلهِ الأَمْثَالَ ﴾[٦]، أى لا تصفوه بصفات غيره، ولا تشبهوه به .

---

(١) سورة محمد ٤ .

(٢) سورة النساء ٣٤ .

(٣) سورة النساء ٩٤ .

(٤) سورة المزمل ٢٠ .

(٥) سورة النحل ٧٥ .

(٦) سورة النحل ٧٤ وفى تفسير الطبرى ٩٩/١٤ « وقوله : « فلا تضربوا لله الأمثال » يقول : فلا تمثلوا لله الأمثال ، ولا تشبهوا له الأشباه فإنه لامثل له ولا شبه » .

﴿ الزّوج ﴾

الزوج : اثنان وواحد، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴾ (١) فجعل كل واحد منهما زوجاً .

وهو بمعنى: الصنف، قال: ﴿ خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ ﴾ (٢) يعنى : الأصناف. وقال : ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ﴾ (٣) أى : ثمانية أصناف . وقال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ (٤) أى من كل صِنف حسن .

والزَّوج : القَرِين ، قال الله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ (٥) ، وقال : ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ (٦) أى قرناءهم.

وقال : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ (٧) أى : قُرنت نفوس الكفار بعضها ببعض .

ومنه قوله : ﴿ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ (٨) أى : قرناهم .

والعرب تقول : زَوَّجت إبلى ، إذا قرنت بعضها ببعض .

---

(١) سورة النجم ٥٤ وانظر ص ٢٦٣

(٢) سورة يس ٣٦ .

(٣) سورة الأنعام ١٤٣ .

(٤) سورة الشعراء ٧ .

(٥) سورة النساء ١ .

(٦) سورة الصافات ٢٢ واللسان ٣/١١٧ .

(٧) سورة التكوير ٧ .

(٨) سورة الدخان ٥٤ واللسان ٣/١١٧ .

﴿ الرُّؤية ﴾

الرُّؤية : المعاينة، كقوله عز وجل : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ ﴾[(١)] .

وقال : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا ﴾[(٢)] أى : عاينت .

والرؤية : عِلْم ، كقوله ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ﴾[(٣)] أى : ألم يعلموا .

وقال : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾[(٤)] ، أى : أعلمنا .

وقال تعالى : ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾[(٥)] أى : يعلم .

وقال : ﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ ﴾[(٦)] أى : علمك الله .

وقال المفسرون فى قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ ﴾[(٧)] : ألم تُخْبَرُوا . وكذلك أكثر ما فى القرآن .

---

(١) سورة الزمر ٦٠ .

(٢) سورة الإنسان ٢٠ .

(٣) سورة الأنبياء ٣٠ .

(٤) سورة البقرة ١٢٨ .

(٥) سورة سبأ ٦ .

(٦) سورة النساء ١٠٥ .

(٧) سورة آل عمران ٢٣ .

(النِّسيان)

النسيان : ضد الحفظ ، كقوله : ﴿ إِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ ﴾(١) ، وقال : ﴿ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾(٢) .

والنسيان : الترك ، كقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ ﴾(٣) ، أى ترك .

وقوله : ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ ، أى بما تركتم الإيمان بلقاء هذا اليوم ﴿ إِنَّا نَسِينَاكُمْ ﴾(٤) ، أى تركناكم .

وقوله : ﴿ وَلا تَنْسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾(٥) ، أى لا تتركوا ذلك .

---

(١) سورة الكهف ٦٣ .

(٢) سورة الكهف ٧٣ .

(٣) سورة طه ١١٥ .

(٤) سورة السجدة ١٤ .

(٥) سورة البقرة ٢٣٧ .

﴿ الصاعقة والصعق ﴾

الصَّعَق : الموت ، قال الله تعالى : ﴿ فَصَعِقَ مَنْ فى السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فى الأَرْضِ ﴾(١) ، وقال تعالى : ﴿ فَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾(٢) ، أى ميّتاً ، ثم ردّ الله إليه حياته .

وقال الله تعـالى : ﴿ فَقَالُوا : أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً ، فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾(٣) ، أى الموت ، يدلك على ذلك قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِن بَعْدِ مَوْتِـكُم ﴾(٤) .

والصاعقة : العذاب ، كقوله : ﴿ أَنْذَرْتُـكُم صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾(٥) .

والصاعقة : نار من السحاب ، قال الله تعالى : ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ﴾(٦) .

وأراها سُمِّيت صاعقة: لأنها إذا أصابت قتلَتْ ، يقال : صَعَقَتْهُم ، أى: قتلتهم .

---

(١) سورة الزمر ٦٨ .

(٢) سورة الأعراف ١٤٣ .

(٣) سورة النساء ١٥٣ .

(٤) سورة البقرة ٥٦ .

(٥) سورة فصلت ١٣ .

(٦) سورة الرعد ١٣ .

﴿ الأخذ ﴾

الأخذ : أصله باليد ، ثم يستعار في مواضع :

فيكون بمعنى : القبول ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي ﴾ (١) أي : قبلتم عهدي ، وقال تعالى : ﴿ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ ﴾ (٢) أي فاقبلوه . وقال : ﴿ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾ (٣) أي يقبلها . وقال : ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ (٤) أي : لا يقبل . وقال تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ (٥) أي : اقبله .

[٢١٠] ويكون بمعنى : الحبس والأسر ، قال الله تعالى : ﴿ فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ﴾ (٦) / أي : احبسه . وقال تعالى : ﴿ اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ ﴾ أي : ائسروهم ﴿ وَاحْصُرُوهُمْ ﴾ (٧) أي : احبسوهم .

ويقال للأسير : أخيذ .

والأخذ : التعذيب ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى ﴾ (٨) أي : تعذيبه . وقال : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ﴾ (٩) أي عذبنا .

وقال : ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴾ (١٠) أي ليعذبوه ، أو ليقتلوه .

---

(١) سورة آل عمران ٨١ .

(٢) سورة المائدة ٤١ .

(٣) سورة التوبة ١٠٤ .

(٤) سورة البقرة ٤٨ .

(٥) سورة الأعراف ١٩٩ .

(٦) سورة يوسف ٧٨ .

(٧) سورة التوبة ٥ .

(٨) سورة هود ١٠٢ .

(٩) سورة العنكبوت ٤٠ .

(١٠) سورة غافر ٥ .

﴿ السلطان ﴾

السلطان : المُلك والقهر ؛ قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾(١) وقال : ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾(٢) .

والسلطان: الحُجَّة، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾(٣) أى حجة .

وقال : ﴿ مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ﴾(٤) أى : حجة فى كتاب الله .

وقال : ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴾(٥) أى : حجَّة .

وقال : ﴿ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾(٦) ، أى : حجة وعذر .

(١) سورة إبراهيم ٢٢ .
(٢) سورة سبأ ٢١ .
(٣) سورة غافر ٢٣ .
(٤) سورة آل عمران ١٥١ .
(٥) سورة الصافات ١٥٦ .
(٦) سورة النمل ٢١ .

﴿ البأس والبأساء ﴾

البأس والبأساء : الشدة ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾(١) .

والبأس: الشدة بالعذاب، قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾(٢) أى عذابنا .

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا ﴾(٣) وقال: ﴿ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللهِ ؟ ﴾(٤) أى : يمنعنا من عذاب الله .

والبأس : الشدّة بالقتال ، قال الله تعالى : ﴿ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾(٥) وقال تعالى : ﴿ نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾(٦) وقال: ﴿ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ﴾(٧) وقال : ﴿ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾(٨) .

---

(١) سورة الأنعام ٤٢ .
(٢) سورة غافر ٨٤ .
(٣) سورة الأنبياء ١٢ .
(٤) سورة غافر ٢٩ .
(٥) سورة النساء ٨٤ .
(٦) سورة النمل ٣٣ .
(٧) سورة الحشر ١٤ .
(٨) سورة البقرة ١٧٧ .

(الخَلْق)

الخَلْقُ : التَّخَرُّص [١] ، قال الله تعالى : ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الأَوَّلِينَ ﴾ [٢] . أى : خرصهم للكذب .

وقال تعالى : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً ﴾ [٣] ، أى تخرصون كذباً .

وقال تعالى : ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾ [٤] أى : افتعال للكذب [٥] .

والعرب تقول للخرافات : أَحادِيثُ الخَلْقِ [٦] .

والخَلْقُ : التَّصْوير ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ [٧] أى : تُصَوِّرُه . [٢١١]

والخَلْق : الإنْشاءُ والابتداء ، قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ

---

(١) اللسان ١١/٣٧٥ .

(٢) سورة الشعراء ١٣٧ وفى تفسير الطبرى ١٩/٦٠ « اختلفت القراء فى قراءة ذلك : فقرأته عامة قراء المدينة سوى أبى جعفر ، وعامة قراء الكوفة المتأخرين منهم : « إن هذا الاخلق الأولين » من قبلنا ــ بضم الخاء واللام ــ وقرأذلك أبو جعفر وأبو عمرو بن العلاء : « إن هذا إلا خلق الأولين » بفتح الخاء وتسكين اللام ، بمعنى : ماهذا الذى جئتنا به إلا كذب الأولين وأحاديثهم ... وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ : « إن هذا إلا خلق الأولين » بضم الخاء واللام ، بمعنى إن هذا إلا عادة الأولين ودينهم ، كما قال ابن عباس ، لأنهم إنما عوتبوا على البنيان الذى كانوا يتخذونه ، وبطشهم بالناس بطش الجبابرة ، وقلة شكرهم ربهم فيما أنعم عليهم ، فأجابوا نبيهم بأنهم يفعلون مايفعلون من ذلك احتذاء منهم سنة من قبلهم من الأمم ، واقتفاء منهم آثارهم ، فقالوا : ماهذا الذى نفعله إلا خلق الأولين ، يعنون عادة الأولين ... »

(٣) سورة العنكبوت ١٧ .

(٤) سورة ص ٧ واللسان ١١/٣٧٦ .

(٥) فى اللسان ١١/٣٧٦ « وفى حديث أبى طالب : إن هذا إلا اختلاق ، أى كذب ، وهوافتعال من الخلق والإبداع ، كأن الكاذب تخلق قوله » .

(٦) فى اللسان ١١/٣٧٦ « والعرب تقول : حدثنا فلان بأحاديث الخلق ، وهى الخرافات من الأحاديث المفتعلة » .

(٧) سورة المائدة ١١٠ .

وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾(١) .

وأصل الخَلْق : التقدير ، ومنه قيل : خَالِقَةُ الأَدِيم (٢) ، قال زهير :

ولأَنْتَ تَفْرِى ما خَلَقْتَ وبَعـــضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لا يَفْرِى (٣)

والخَلْقُ : الدِّين ، كقوله تعالى : ﴿ لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ﴾(٤) ، أى لدين الله .

وقال تعالى : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُم فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾(٥) ، أى دينه . ويقال : تغيير خلقه بالخصاء وبَتْكِ الآذان ، وأشباه ذلك .

---

(١) سورة الأعراف ١٨٩ .

(٢) فى اللسان ١١/٣٧٥ « والخلق : التقدير ، وخلق الأديم يخلقه خلقا : قدره لما يريد قبل القطع وقاسه ليقطع منه مزادة أو قربة أو خفا » .

(٣) ديوانه ص ٩٤ والأضداد لابن السكيت ص ٢٠٥ وشرح شواهد الشافية ص ٢٢٩ وسيبويه ٢/٢٨٩ ومقاييس اللغة ٢/٢١٤ والحيوان ٣/٣٨٣ واللسان ١١/٢٠ وتفسير الطبرى ٩/١٨ والبحر المحيط ١/٩٣ ، ٢/٤٦٥ وفى اللسان ١١/٣٧٥ « يقول : أنت إذا قدرت أمرا قطعته وأمضيته ، وغيرك يقدر مالا يقطعه ؛ لأنه ليس بماضى العزم ، وأنت مضاء على ماعزمت عليه » .

(٤) سورة الروم ٣٠ .

(٥) سورة النساء ١١٩ .

﴿ الرّجم ﴾

الرجم : أصله الرّمى[١] ، كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ ﴾[٢] ، أى مرامى .

ثم يستعار فيوضع موضع : القتل ؛ لأنهم كانوا يقتلون بالرّجم ، ورُوِى أنَّ ابن آدم قتل أخاه رجماً بالحجارة ، وقُتِل رجماً بالحجارة ، فلما كان أول القتل كذلك سُمِّى رجماً وإن لم يكن بالحجارة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَنَرْجُمَنَّكُمْ ﴾[٣] ، أى لنقتلنكم . وقال تعالى : ﴿ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴾[٤] ، أى تقتلون . وقال : ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ﴾[٥] ، أى قتلناك .

ويوضع موضع : الشتم ؛ لأن الشتم رمىٌ ، ولذلك يقال : قذف فلانٌ فلاناً : إذا شتمه . وأصل القذف : الرمى ، ومنه قول أبى إبراهيم له : ﴿ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾[٦] ، أى لأشتمنك .

ويوضع موضع : الظن ، ومنه قوله : ﴿ رَجْماً بِالغَيْبِ ﴾[٧] ، أى ظنًّا .

ويقال : رجم بالظنّ ؛ كأنه رمى به .

والرَّجْمُ : اللعن ، والطَّرْد لعن ، ومنه قيل : ذئبٌ لَعِين : أى طريد .

وإنما قيل للشيطان : رجيم ، أى طريد : لأنه يُطرد برجم الكواكب .

---

(١) اللسان ١٥/١١٧ .

(٢) سورة الملك ٥ .

(٣) سورة يس ١٨ « قالوا : إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم »

(٤) سورة الدخان ٢٠ .

(٥) سورة هود ٩١ .

(٦) سورة مريم ٤٦ « قال أراغب أنت عن آلهتى ياإبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا » .

(٧) سورة الكهف ٢٢ .

﴿ السعى ﴾

السَّعْى [١] : الإسراع فى المشى ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾ [٢] ، أى يسرع فى مشيه ، وهو العدو أيضا .

والسعى : المشى ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ ﴾ [٣] ، يعنى المشى . ويقال : المعاونة له على أمره / . [٢١٢]

وقال : ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ ﴾ [٤] أى امشوا . وقرأ بعض السلف : ﴿ فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللهِ ﴾ [٥] .

وقال : ﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً ﴾ [٦] ، أى مشياً ، كذلك قال بعض المفسرين .

والسعى : العمل ، قال الله تعالى : ﴿ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً ﴾ [٧] .

وقال : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا ﴾ ، أى عمل لها عملها .

وقال : ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِى آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ﴾ [٨] ، أى جدُّوا فى ذلك .

وقال : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ [٩] ، أى عملكم لشتى ، أى مختلف .

وأصل هذا كله : المشى والإسراع فيه .

---

(١) اللسان ١٩/١٠٧ .

(٢) سورة القصص ٢٠ .

(٣) سورة الصافات ١٠٢ .

(٤) سورة الجمعة ٩ .

(٥) قرأ ذلك عبد الله بن مسعود ، كما فى اللسان ١٩/١٠٧ وعمر بن الخطاب ، وابن مسعود ، وابن الزبير كما فى القراآت الشاذة لابن خالويه ص ١٥٦ .

(٦) سورة البقرة ٢٦٠ وتفسير الطبرى ٣/٤٠ .

(٧) سورة الإسراء ١٩ وبعد ذلك : « فأولئك كان سعيهم مشكورا » .

(٨) سورة الحج ٥١ وسبأ ٥ .

(٩) سورة الليل ٤ .

﴿ المحصنات ﴾

الإحْصَانُ هو : أن يحمى الشيء ويمنع منه(١) .

والمحصَنات من النساء : ذوات الأزواج ؛ لأن الأزواج أَحْصَنُوهُنَّ ، ومنعوا منهن ، قال الله تعالى ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَامَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾(٢) .

والمحصنات : الحَرَائِرُ وإن لم يكنَّ متزوجات ؛ لأن الحرّة تُحْصَنُ وتُحْصِنُ ، وليست كالأمة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾(٣) وقال: ﴿ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾(٣) يعنى الحرائر.

والمحصنات: العفائف، قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾(٤) يعنى العفائف .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾(٥) أى عفّت .

---

(١) اللسان ١٦/١٧٦ .

(٢) سورة النساء ٢٤ .

(٣) سورة النساء ٢٥ .

(٤) سورة النور ٤ .

(٥) سورة التحريم ١٢ .

﴿ المتاع ﴾

المتَاعُ : المُدَّة ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾(١)
وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾(٢) .

ومنه يقال : مَتَع النهار . ويقال : أمتع الله بك .

والمتاع : الآلات التي يُنتفع بها ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ ﴾(٣) .

والمتاع : المنفعة ، قال الله تعالى : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴾(٤) ، وقال تعالى : ﴿ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾(٥) وقال تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾(٦) . [٢١٣]

وقال: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ﴾(٧) أي ينفعكم ويقيكم من الحرّ والبرد ، يعني الخانات .

ومنه: مُتْعَةُ المُطَلَّقَة(٨) .

---

(١) سورة البقرة ٣٦ .

(٢) سورة الأنبياء ١١١ .

(٣) سورة الرعد ١٧ .

(٤) سورة الواقعة ٧٣ .

(٥) سورة النازعات ٣٣ وسورة عبس ٣٢ .

(٦) سورة المائدة ٩٦ .

(٧) سورة النور ٢٩ واللسان ١٠/٢٠٩ .

(٨) متعة المرأة : ماوصلت به بعد الطلاق ، راجع اللسان ١٠/٢٠٦–٢٠٧ .

﴿ الحساب ﴾

الحساب: الكثير، قال الله تعالى: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾(١) ، أى كثيرا .

ويقال: أَحْسَبْتُ فلاناً : أى أعطيته ما يُحْسِبُه ، أى يكفيه ، ومنه قول الهذلىّ :

* حِسَابٌ ورَجْل كالجراد يَسومُ *(٢)

والحساب : الجزاءُ ، قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾(٣) ، أى جزاءهم .

وقال تعالى : ﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾(٤) ؛ لأن الجزاء يكون بالحساب .

والحساب : المحاسبة ، قال الله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾(٥) .

---

(١) سورة النبأ ٣٦ .

(٢) فى اللسان ١/٣٠٣ « الحساب : الكثير ، وفى التنزيل « عطاء حسابا » أى كثيرا كافيا ، وكل من أرضى فقد أحسب ، وشىء حساب : أى كاف ، ويقال : أتانى حساب من الناس أى جماعة كثيرة ، وهى لغة هذيل ، وقال ساعدة بن جؤية الهذلى :

فلم ينتبه حتى أحاط بظهره حساب وسرب كالجراد يسوم

والبيت بهذه الرواية لساعدة فى ديون الهذليين ١/٢٢٩ وأساس البلاغة للزمخشرى ١/١٧٣ .

(٣) سورة الغاشية ٢٦ .

(٤) سورة الشعراء ١١٣ .

(٥) سورة الانشقاق ٨ .

(الأمر)

الأَمْرُ : القَضَاء ، قال الله تعالى : ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾(١) ، أي يقضى القضاء ، وقال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾(٢) ، أى القضاء .

والأمر : الدِّين ، قال الله تعالى : ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ﴾(٣) ، أى دينهم . وقال تعالى : ﴿ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ ﴾(٤) .

والأمر : القول ، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾(٥) ، يعنى قولهم .

والأمر : العذاب ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾(٦) ، أى وجب العذاب . وقال تعالى : ﴿ وَغِيضَ الماءُ ، وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾(٧) .

والأمر : القيامة ، قال الله تعالى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾(٨) . وقال تعالى : ﴿ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ ، وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ ﴾(٩) ، أى القيامة أو الموت.

والأمر : الوحى ، قال الله تعالى : ﴿ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾(١٠) .

والأمر : الذنب ، قال الله تعالى : ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾(١١) ، أى جزاء ذنبها .

وهذا كله وإن اختلف فأصله واحد .

ويكنى عن كل شىء : بالأمر ؛ لأن كل شىء يكونُ فإنما يكون بأمر الله ، فسميت الأشياء : أُموراً ؛ لأن الأمر سببها ، يقول الله تعالى : ﴿ أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾(١٢) .

---

(١) سورة السجدة ٥ .
(٢) سورة الأعراف ٥٤ .
(٣) سورة المؤمنون ٥٣ .
(٤) سورة التوبة ٤٨ .
(٥) سورة الكهف ٢١ .
(٦) سورة إبراهيم ٢٢ .
(٧) سورة هود ٤٤ .
(٨) سورة النحل ١ .
(٩) سورة الحديد ١٤ .
(١٠) سورة الطلاق ١٢ .
(١١) سورة الطلاق ٩ .
(١٢) سورة الشورى ٥٣ .

باب تفسير حروف المعاني وما شاكلها
من الأفعال التي لا تتصرف

﴿ كأين ﴾

كأيّن[١] هى بمعنى : كم . قال الله تعـالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ﴾[٢] ، أى وكم من قرية . [٢١٤]

وفيها لغتان : كَأَيِّن بالهمز وتشديد الياء ، وكائِن على تقدير قائل وبائع ، وقد قُرِئ بهما جميعاً فى القرآن ، والأكثر والأفصح تخفيفها ، قال الشاعر :

وكاين أَرَيْنَا الموتَ مِنْ ذى تَحِيَّةٍ إذا ما ازْدَرَانَا أَوْ أَصَرَّ لِمَأْثَمِ[٣]

وقال آخر :

وكائِن تَرَى مِنْ صامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ زِيَادَتُه أَوْ نَقْصُه فى التَّكَلُّمِ[٤]

﴿ كيف ﴾

كيف بمعنى : على أىّ حالٍ ، تقول : كيف أنت ؟ تريد بأىّ حال أنت .

وتقع بمعنى : التعجب ، فى مثـل قوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ﴾[٥] .

---

(١) نقل هذا أحمد بن فارس فى كتاب الصاحبى ص ١٣٢ ولم ينسبه إلى ابن قتيبة .

(٢) سورة الطلاق ٨ وفى تفسير الطبرى ٩٧/٢٨ « يقول تعالى ذكره : وكأين من أهل قرية طغوا عن أمر ربهم وخالفوه وعن أمر رسل ربهم فتمادوا فى طغيانهم وعتوهم ولجوا فى كفرهم ... قال ابن زيد : العتو ههنا : الكفر والمعصية ، عتوا : كفروا ، عتت : عن أمر ربها : تركته ولم تقبله . وقيل : إنهم كانوا قوما خالفوا أمر ربهم فى الطلاق فتوعد الله — بالخبر عنهم — هذه الأمة أن يفعل بهم فعله بهم إن خالفوا أمره فى ذلك » .

(٣) الصاحبى ص ١٣٢ .

(٤) البيت لزهير من معلقته فى شرح الزوزنى ص ٩٠ ونسبه الجاحظ فى البيان والتبيين ١٧٠/١ للأعور الشنى ، وذكر بعده بيتا آخر وهو :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وذكرهما ابن سنان الخفاجى فى سر الفصاحة ص ٢٩ من غير نسبة ، ثم أعاد ذكرهما فى ص ٥٩ ونسبهما لأبى الأعور السلمى .

(٥) سورة البقرة ٢٨ .

﴿ سِوى وسوى ﴾

سوى وسوى : بمعنى غير ، وهما جميعاً فى معنى بدل ، وهى مقصورة ، وقد جاءت ممدودة مفتوحة الأول، وهى فى معنى غير .

قال ذُو الرُّمَّة :

وماءٍ تَجَافَى الغَيْثُ عنـهُ فما بِهِ   سَوَاءَ الحَمَامِ الحُضْنِ الخُضرِ حاضِرُ[١]

يريد غيرَ الحَمَامِ .

وسَوَاء ـ مفتوحة الأول ممدودة ـ بمعنى : وسط . قال : ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فى سَوَاءِ الجَحِيمِ ﴾[٢] ، أى فى وسطه .

وقد جاءت أيضاً بمعنى : وسط ، مكسورة الأوّل مقصورةً ، قال الله تعالى : ﴿ مَكاناً سِوًى ﴾[٣] ، أى وَسَطاً .

﴿ أيّان ﴾

أيَّان : بمعنى متى ، ومتى بمعنى: أىّ حين . ونرى أصلها : أىّ أوان ، فحذفت الهمزة والواو وجعل الحرفان واحداً ، قال الله تعالى : ﴿ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[٤] ، أى متى يبعثون . و ﴿ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴾[٥] .

---

(١) ديوانه ص ٢٤٨ وفى هامش م « سوى : غير الحمام : جمع حمامة ، الحضن : جمع حاضنة . الخضر : جمع أخضر . يصف ماء ومفازة بعيدة عن الريف . وقيل : أراد ماء بئر لاماء مطر » .

(٢) سورة الصافات ٥٥ .

(٣) سورة طه ٥٨ .

(٤) سورة النحل ٢١ .

(٥) سورة القيامة ٦ .

(الآن)

الآن(١) : هوالوقت الذى أنت فيه ، وهو: حدُّ الزّمانين؛ حدّ الماضى من آخره ، وحدّ الزمان المستقبل من أوله .

قال الفراء : هو حرف بنى على الألف واللام ، ولم يُخلَعَا منه ، وتُرِكَ على مذهب الصِّفة لأنه صفة فى المعنى واللفظ ، كما رأيتهم فَعلُوا بالذى(٢) ، فتركوه على مذهب الأداة ، والألف واللام له لازمة غير مفارقةٍ /. [٢٠٥]

وأرى أصله : أَوَانٌ ، حذفت منه الألف وغُيِّرت واوه إلى الألف ، كما قالوا فى الرّاح : الرِّياح . وأنشد :

كأنَّ مَـكَاكِىَّ الجِوَاءِ غُدَيَّةً ... نَشَاوَى تَسَاقَوْا بالرِّياح المُفَـلْفَلِ(٣)

قال : فهى مَرّةً على تقدير فَعَلٍ ومرّة على تقدير فَعَال ، كما قالوا : زَمَن وزَمَان .

وإن شِئْتَ جعلتها من قولك : آنَ لك أن تفعل كذا وكذا، أدخلت عليها الألف واللام ثم تركتها على مذهب فَعَل(٤) منصوبة ، كما قالوا : « نَهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

---

(١) راجع اللسان ١٦/١٨٤–١٨٧ .

(٢) فى اللسان ١٦/١٨٥ « بالذى والذين فتركوهما » .

(٣) فى اللسان ١٦/١٨٦ « أنشد أبو القمقام » وروايته كما هنا ، ورواه فى ١٤/٤٨ من غير نسبة « صبحن سلافا من رحيق مفلفل » والبيت فى الصاحبى ص ١١٥ لأبى القمقام الأسدى ، والمـكاكى : جمع مكاء ، وهو طائر يألف الريف ، والجواء : جمع جو، وهو الهواء الذى بين السماء والأرض ويقال خمر مفلفل : ألقى فيه الفلفل فهو يحذى اللسان ، وشراب مفلفل أى يلذع لذع الفلفل . وقد رواه ابن قتيبة فى المعانى الـكبير من غير نسبة ١/٢٩٥ وقال فى شرحه : أراد بالرياح : الراح ، فزاد ياء . شبهها بنشاوى لـكثرة أصواتها وغنائها » ونسب فى اللسان ٣/٢٩٥ لامرىء القيس ، وهوله فى ديوانه ص ١٠٤ وشرح القصائد العشر ص ٥٤ .

(٤) فى اللسان ١٦/١٨٦ « على مذهب فعل فأتاها النصب من نصب فعل ، وهو وجه جيد ، كما قالوا : الخ » .

قِيلَ وقال وكثرة السُّؤال» فـكانتا كالاسمين وهما منصوبتان ، ولو خُفِضَتا(١) على النَّقل لهما من حدّ الأفعال إلى الأسماء فى النِّية ـ كَانَ صوابا .

وسمعت العرب تقول: مِنْ شُبَّ إلى دُبَّ ومن شُبٍّ إلى دُبٍّ، مخفوض منون يذهبون به مذهب الأسماء . والمعنى : مُذْ كَانَ صغيراً فشب إلى أن دَبّ كبيراً .

قال الله تعالى : ﴿ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾(٢)، ﴿ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾(٣)، أى أفى هذا الوقت وفى هذا الأوان تتوب وقد عصيت قبل ؟.

---

(١) فى اللسان : « ولو خفضتهما على أنهما أخرجتا من نية الفعل إلى نية الأسماء كان صوابا . قاله الأزهرى : سمعت العرب يقولون من شب الخ » .

(٢) سورة يونس ٩١ .

(٣) سورة يونس ٥١ .

﴿ أَنَّى ﴾

أنّى : يكون بمعنيين؛ يكون بمعنى: كيف، نحو قول الله تعالى : ﴿ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ ﴾(١) أى كيف يحييها ؟ وقوله : ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾(٢) أى كيف شئتم .

ويكون بمعنى: من أين ، نحو قوله : ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾(٣) وقوله : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ﴾(٤) .

والمعْنيان متقاربان يجوز أن يتأولَ فى كل واحد منهما الآخر .

وقال الكُمَيْت :

أَنَّى وَمِنْ أَيْنَ آبكَ الطَّرَبُ ... مِنْ حَيْثُ لاَ صَبْوَةٌ وَلاَ رِيَبُ(٥)

فجاء بالمعنيين جميعا .

---

(١) سورة البقرة ٢٥٩ .

(٢) سورة البقرة ٢٢٣ .

(٣) سورة التوبة ٣٠ .

(٤) سورة الأنعام ١٠١ .

(٥) مطلع قصيدة له فى الهاشميات ص٥٦ وهو له فى تفسير الطبرى ٢/٣٣٦ والبحر المحيط ٢/٤٤٣ ومجمع البيان ١/٣٢٠ وشرح شواهد الشافية ص٣١٠ والشطر الأول غير منسوب فى مقاييس اللغة ١/١٥٣ واللسان ٢٠/٣٢٢ وشرح الحماسة للمرزوقى ١/٥٣ وقال عبد القادر البغدادى فى شرحه : آبك : جاءك وغشيك ، وهو فعل ماض من الأوب ، والطرب : خفة من فرح أو حزن ، والمراد الأول . والصبوة : الصبى والشوق . والريب : جمع ريبة ، وهى الشبهة . يقول : كيف طربت مع كبر سنك من حيث لايوجد الطرب ومواضعه ؟ الصبوة للفرح ، والريب للحزن » .

﴿ وَيْكَأَنَّ ﴾

وَيْكَأَنَّ : قد اختُلف فيها : فقال الكسائى: معناها: ألم تر ، قال الله تعالى: ﴿ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾(١) وقال : ﴿ وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الكَافِرُونَ ﴾(١) ، [٢١٦] يريد : ألم تر .

وروى عبد الرّزاق ؛ عن معمر، عن قتادة(٢) ، أنه قال : ويْكَأَنَّ : أولا يعلمُ أن الله يبسط الرزق لمن يشاء . وهذا شاهد لقول الكسائى .

وذكر الخليل أنها مفصولة : وى ، ثم تبتدئ فتقول : كأنّ الله(٣) .

وقال ابن عباس فى رواية أبى صالح : هى : كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء، كأنه لا يفلح الكافرون . وقال : وَىْ صلةٌ فى الكلام . وهذا شاهد لقول الخليل .

***

ومما يدل على أنها كأنَّ : أنها قد تخفف أيضا كما تخفَّف كأن ، قال الشاعر :

وَيْكَأَنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْـ ... ـبَبْ وَمَنْ يَفْتَقِر يَعِش عَيْشَ ضُرِّ(٤)

وقال بعضهم : ويكأن : أى رحمةً لك ، بلغة حِمْيَر .

---

(١) سورة القصص ٨٢ .

(٢) فى تفسير الطبرى ٢٠/٧٧ « فأما قتادة فإنه روى عنه فى ذلك قولان ... أحدهما : ويكأنه : ألم ترأنه .. والقول الآخر : « ويكأن الله يبسط الرزق » أولم يعلم أن الله . ويكأنه : أولا يعلم أنه ... »

(٣) اللسان ٢٠/٣٠٠ وسيبويه ١/٢٩٠ .

(٤) البيت لزيد بن عمرو بن نفيل كما فى عيون الأخبار ١/٢٤٢ وسيبويه ١/٢٩٠ والبحر المحيط ٧/١٣٥ والخزانة ٣/٩٧ وفى اللسان ٢٠/٣٠١ ، ٣٨١ له أو لنبيه بن الحجاج السهمى . وهو غير منسوب فى الصاحبى ص ١٤٧ ومجالس ثعلب ١/٣٨٩ ومجمع البيان ١/١٩٦ .

﴿ كأن ﴾

كأنَّ : تشبيه ؛ وهى: أنَّ أُدخلت عليها كاف التشبيه الخافضة ، ألا ترى أنك تقول : شربتُ شراباً كعسل، وشربت شرابا كأنه عسل ؛ فيكونان سواء ؟!.

وقد يخفف كأنّ ويحذف الاسم فيكون كالكاف ، قال الشاعر يصف فرساً :

جَمُومُ الشَّدِّ شائِلَةُ الذُّنَابَى　　　وهَادِيها كأنْ جِذْعٌ سَحُوقُ(١)

أراد: كجذع. وقال آخر :

* كأنْ ظبيةٌ تَعْطُو إلى ناضِرِ السَّلَمْ(٢) *

---

(١) البيت للمفضل النكرى ، كما فى اللسان ٢٠/٢٣٢ وفيه ١٤/٣٧٢ « فرس جموم : إذا ذهب منه إحضار جاءه إحضار ، وكذلك الأنثى ، قال النمر بن تولب :

جموم الشد شائلة الذنابى　　　تخال بياض غرتها سراجا

قوله : شائلة الذنابى : يعنى أنها ترفع ذنبها فى العدو » وفيه ٢٠/٢٣٢ « وكل متقدم هاد والهادى العنق لتقدمه » والجذع : ساق النخلة وفيه ١٢/١٩ « ونخلة سحوق : طويلة . وأنشد ابن برى للمفضل النكرى : « كأن جذع سحوق ».

(٢) صدره كما فى الكامل ١/٥٠ « ويوما توافينا بوجه مقسم » . وهو غير منسوب فيه . ومعنى تعطو : تتناول والسلم : شجر كثير الشوك . وفى اللسان ١٥/٣٨٢ « ورجل مقسم الوجه أى جميل كله، كأن كل موضع منه أخذ قسما من الجمال . وفلان قسم الوجه ومقسم الوجه . وقال باعث بن صريم اليشكرى ، ويقال : هو كعب بن أرقم اليشكرى :

ويوما توافينا بوجـه مقسم　　　كأن ظبية تعطو إلى وارق السلم

ويوما تريد مالنا مع مالهـا　　　فإن لم ننلها لم تنمنا ولم تنم

تظل كأنا فى خصوم غرامـة　　　تسمع جيرانى التألى والقسم

فقلت لهـا : إن لاتناهى فإننى　　　أخو النكر حتى تقرعى السن من ندم

وانظر تفصيل الخلاف فى قائل هذا البيت فى الخزانة ٤/٣٦٥–٣٦٧ وهو فى سيبويه ١/٢٨١ ، ٤٨١

﴿ لات ﴾

لات ، قال سيبويه (١) : لات مشبَّهة بليس فى بعض المواضع ولم تُمكَّنْ تمكُّنَها ، ولم يستعملوها إلا مُضْمَرًا فيها ؛ لأنّها ليست كلَيْسَ فى المخاطبةِ والإخبارِ عن غائب ، ألا ترى أنك تقول : لَيْسَتْ ولَيْسُوا ، وعَبْدُ اللهِ لَيْسَ ذاهباً ، فتَبْنى عليها ، ولاتَ لا يكون فيها ذاك ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ (٢) ، أى ليس حينَ مَهْرَب .

قال : وبعضهم يقول : ﴿ وَلَاتَ حِينُ مَنَاصٍ ﴾ . فيَرفعُ ؛ لأنّها عنده بمنزلة ليس وهى قليلة ، والنصب بها الوجه (٣) . وقد خُفِضَ بها ، قال أبو زُبَيْدٍ الطّائى :

طَلَبُوا صُلْحَنا ولَاتَ أَوَانٍ   فأَجَبْنا أَنْ لَيْسَ حِينَ بقاءِ (٤)

/ وقال آخر : [٢١٧]

فلمَّا عَلِمْتُ أَنَّنى قد قَتَلْتُهُ   نَدِمْتُ عليه لاتَ ساعةَ مَنْدَمِ

وإنّما تكون لات مع الأحْيان وتعمل فيها ، فإذا جاوَزَتْها فليس لها عمل .

وقال بعض البغداديين (٥) : التاء تُزاد فى أول حين ، وفى أوّل أوان ، وفى أول الآن ، وإنما هى « لا » ثم تبتدئ فتقول : تَحِينَ وتَلَانَ . والدليل على هذا أنهم يقولون : تَحِينَ

---

(١) راجع نص كلام سيبويه فى الكتاب ١ / ٢٨ .

(٢) سورة ص ٣ .

(٣) فى اللسان ١٠ / ٣٥٧ « وقال الفراء : معنى « ولات حين مناص » : أى ليس بحين فرار ، وتنصب بها لأنها فى معنى ليس ، وأنشد : * تذكر حب ليلى لات حينا * قال : ومن العرب من يخفض بلات ، وأنشد * طلبوا صلحنا ولات أوان * قال شمر : أجمع علماء النحويين من الكوفيين والبصريين أن أصل هذه التاء التى فى « لات » هاء وصلت بـ « بلا » فقالوا : « لاة » لغير معنى حادث ، كما زادوا فى « ثم وثمه » ولزمت ، فلما وصلوها جعلوها تاء » .

(٤) البيت له فى خزانة الأدب ٢ / ١٥١ وشرح شواهد المغنى ص ٢١٩ والكشاف ٣ / ٣١٦ وهو غير منسوب فى اللسان ٢٠ / ٣٥٧ والأزمنة والأمكنة ١ / ٢٤٠ وتفسير الطبرى ٢٣ / ٧٧ ، ٧٨ وتفسير ابن كثير ٤ / ٢٦ والبحر المحيط ٧ / ٣٨٤ .

(٥) فى اللسان ١٦ / ١٨٧ « قال أبو عبيد : قال الأموى : قوله : تلآن : يريد الآن ، وهى لغة معروفة يزيدون التاء فى « الآن » وفى « حين » ويحذفون الهمزة الأولى ، يقال : تلآن وتحين . قال أبو وجزة :

العاطفون تحين مامن عاطف   والمطعمون زمان مامن مطعم

وقال آخر : * وصلينا كما زعمت تلانا * قال : وكان الكسائى والأحمر وغيرهما يذهبون إلى أن الرواية « العاطفونه » فيقول : جعل الهاء صلة . وهو وسط الكلام ، وهذا ليس يوجد إلا على السكت قال : فحدثت به الأموى فأنكره . قال أبو عبيد : وهو عندى على ما قال الأموى » .

من غير أن يتقدمها لا . واحتج بقول الشاعر :

العَاطِفُونَ تَحِينَ مَا مِنْ عَاطِفٍ ... والمُطْعِمُونَ زمانَ مَامِنْ مُطْعِمِ (١)

وبقول الآخر :

* وَصِلِينا كما زَعَمْتِ تَلانا (٢) *

وجرُّ العرب بها يُفسدُ عليه هذا المذهب ؛ لأنّهم إذا جَرُّوا مابعدها جعلوها كالمضاف للزّيادة ، وإنما هى « لا » زيدت عليها الهاء ، كما قالوا : ثُمَّ وثُمَّه .

وقال ابن الأَعْرَابى فى قول الشاعر : « العَاطِفُونَ تَحِينَ مَا مِنْ عَاطِفٍ » : إنما هو : « العاطفونه » بالهاء ، ثم تبتدئُ فتقول : « حِينَ مَا مِنْ عَاطِفٍ » فإذا وصلته صارت الهاء تاءً . وكذلك قوله : « وصِلِينا كما زَعَمْتِه » ثم تبتدئُ فتقول : لاتا ، فإذا وصلته صارت الهاء تاءً ، وذهبت همزةُ الآن . قال : وسمعتُ الكلابىَّ ينهى رجلا عن عمل ، فقال : حسبكَ تَلَانَ ، أراد : حَسْبُكَهُ الآنَ ، فلمّا وَصَلَ صارت الهاء تاء .

وسنُبَيِّنُ : كيف الوقوفُ عليها (٣) وعلى أمثالها من التاءات الزوائد؟ فى كتاب « القراءات » إن شاء الله تعالى .

---

(١) لأبى وجزة ، كما فى اللسان ١٦/١٩١ ، ٢٠/٣٦١ وفيها : « العاطفونت حين مامن عاطف » وفى الطبرى ٢٣/٧٨ « العاطفونة حين » وهو غير منسوب فيه .

(٢) غير منسوب فى اللسان ١٦/١٨٧ وفى ص ٢٩١ وقبله فيها : * نولى قبل نأى دارى جمانا * وفى ص ٢٢٢ : « الأحمر : تلان فى معنى الآن : وأنشد لجميل بن معمر :

نولى قبل نأى دارى جمانا ... وصلينا كما زعمت تلانا
إن خير المواصلين صفاء ... من يوافى خليله حيث كانا

وفى تفسير الطبرى ٢٣/٧٨ غير منسوب :

تولى قبلى يوم سبى جمانا ... وصلينا كما زعمت تلانا

ثم قال الطبرى بعد ذلك « .. وأماما استشهد به [يعنى أبا عبيدة فيما أرى] من قول الشاعر : « كما زعمت تلانا » فإن ذلك منه غلط فى تأويل الكلمة ، وإنما أراد الشاعر بقوله : « وصلينا كما زعمت تلانا » وصلينا كما زعمت أنت الآن . فأسقط الهمزة من أنت ، فلقيت التاء من « زعمت » « النون » من « أنت » وهى ساكنة ، فسقطت من اللفظ ، وبقيت « التاء » من « أنت » ، ثم حذفت الهمزة من « الآن » فصارت الكلمة فى اللفظ كهيئة : « تلان » والتاء الثانية على الحقيقة منفصلة من « الآن » لأنها تاء « أنت » .

(٣) فى البحر المحيط ٧/٣٨٤ « والوقف عليها : [لات] بالتاء قول سيبويه والفراء وابن كيسان والزجاج . ووقف الكسائى والمبرد [لاه] بالهاء . وقوم على « لا » وزعموا أن التاء زيدت فى حين ، واختاره أبو عبيدة وذكر أنه رآه فى الإمام مخلوطا « تاوه » بحين . وكيف يصنع بقوله : ولات ساعة مندم ، ولات أوان » وانظر تفسير الطبرى ٢٣/٧٨ .

﴿ مهما ﴾

مهما : هى بمنزلة « ما » فى الجزاء . قال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا : مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾(١) ، أى ما تأتنا به من آية .

وقال الخليل فى مهما : هى « ما » أدخلت معها « ما » لغواً ، كما أدخلت مع متى لغواً، تقول : متى تأتنى آتِكَ ، ومتى ما تَأْتِنى آتِكَ . وكما/أدخلت مع « ما » أىّ لغواً ، كقوله : [٢١٨]
﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُو فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾(٢) ، أىْ أيًّا تَدْعُوا . قال : ولكنهم استقبحوا أن يكرروا لفظاً واحداً فيقولوا : «مَا ، مَا» فأبدلوا الهاء من الألف التى فى الأولى .

هذا قول الخليل .

وقال سيبويه : وقد يجوز أن تكون « مَهْ » ضم إليها « ما »(٣) .

---

(١) سورة الأعراف ١٣٢ وقال الطبرى فى تفسيره ٢١/١٩ « يقول تعالى ذكره : وقال آل فرعون لموسى : ياموسى ، مهما تأتنا به من علامة ودلالة لتلفتنا بها عما نحن عليه من دين فرعون ، فما نحن لك فى ذلك بمصدقين على أنك محق فيما تدعونا إليه وكان ابن زيد يقول فى معنى « مهما تأتنا به من آية » : « ما »

(٢) سورة الإسراء ١١٠ وفى تفسير الطبرى ١٢١/١٥ « يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يامحمد لمشركى قومك المنكرين دعاء الرحمن : ادعوا الله أيها القوم أو ادعوا الرحمن : أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى ، بأى أسمائه تدعون ربكم ، فإنما تدعون واحداً وله الأسماء الحسنى ، وإنما قيل ذلك له ، صلى الله عليه وسلم ، لأن المشركين — فيما ذكر — سمعوا النبى يدعو ربه : ياربنا الله ، وياربنا الرحمن ، فظنوا أنه يدعو إلهين ، فأنزل الله على نبيه هذه الآية احتجاجا لنبيه عليهم » قال أبو جعفر : ولدخول « ما » فى قوله : « أياما تدعوا » وجهان : أحدهما : أن تكون صلة ، كما قيل : « عما قليل ليصبحن نادمين » والآخر : أن تكون فى معنى « إن » كررت لما اختلف لفظاهما ، كما قيل : ماإن رأيت كالليلة ليلة » .

(٣) فى اللسان ٣٦٣/٢٠ « وزعم الخليل أن «مهما» : « ما » ضمت إليها «ما» لغوا ، وأبدلوا الألف هاء . وقال سيبويه : يجوز أن تكون كإذ ، ضم إليها ما » .

﴿ ما ومَنْ ﴾

ما ومن ؛ أصلهما واحدٌ ، فَجُعلت مَنْ للنّاس ، وما لغير الناس . تقول : مَنْ مرَّ بك من القوم ؟ وما مرَّ بك من الإبل ؟ .

وقال أبو عبيدة فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى ﴾ (١) : أى ومَنْ خلقَ الذَّكر والأُنثى ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَالسَّماءِ وَمَا بَناهَا وَالأرْضِ وَمَا طَحاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ (٢) : هى عنده فى هذه المواضع بمعنى مَنْ .

وقال أبو عمْرو : هى بمعنى الذى ، قال : وأهـل مكة يقولون إذا سمِعُوا صَوْتَ الرعد : سبحان ما سبَّحْتَ له (٣) .

وقال الفرَّاء : هو : وخَلْقِهِ الذَّكرَ والأنثى ، وذكر أنها فى قراءة عبدالله : ﴿ والذَّكَرَ وَالأُنْثَى ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الليل ٣ .

(٢) سورة الشمس ٦ .

(٣) تفسير الطبرى ١٤٠/٣٠ .

(٤) فى تفسير الطبرى ١٣٩/٣٠ « وقوله : « وما خلق الذكر والأنثى » يحتمل الوجهين اللذين وصفت فى قوله : « والسماء وما بناها والأرض وما طحاها » ، وهو أن يجعل « ما » بمعنى « من » فيكون ذلك قسما من الله جل ثناؤه بخالق الذكر والأنثى ، وهو ذلك الخالق . وأن تجعل « ما » مع مابعدها بمعنى المصدر ، ويكون قسما بخلقه الذكر والأنثى . وقد ذكر عن عبد الله بن مسعود وأبى الدرداء أنهما كانا يقرآن ذلك « والذكر والأنثى » ويأثره أبو الدرداء عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » وجاء فى البحر المحيط ٤٨٣/٨ « والثابت فى مصاحف الأمصار والمتواتر : « وما خلق الذكر والأنثى » وما ثبت فى الحديث من قراءة : « والذكر والأنثى » نقل آحاد مخالف للسواد ، فلا يعد قرآنا » .

(كاد)

كاد : بمعنى هَمَّ ولم يفعل . ولا يقال : يكاد أن يفعل ، إنما يقال : كاد يفعل ، قال الله تعالى : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾(١) . وقد جاءت في الشعر ، قال الشاعر :

* قَدْ كَادَ مِنْ طُولِ البِلَى أَنْ يَمْصَحا *(٢)

وأنشد الأصمعى :

كادتِ النَّفْسُ أنْ تَفِيظَ عَلَيْهِ　　إذْ ثوَى حَشْوَ رَيْطَةٍ وبُرُودِ(٣)

ولم يأت منها إلاَّ فَعَل يَفْعَلُ ، وتثنيتهما وجمعهما . ولم يُبْن منها شيء غير ذلك .

وقال بعضهم : قد جاءت كاد بمعنى فَعَل ، وأنشد قول الأعشى :

* وكادَ يَسْمُو إلى الجُرْفَيْنِ فارْتَفَعا(٤) *

أى : سما فارتفع . قال : ومثله قول ذى الرُّمَّة:

ولوأنَّ لُقمانَ الحكيمَ تعرَّضَتْ　　لَعَيْنَيْهِ مَىٌّ سافِراً كادَ يَبْرقُ(٥)

/ أى لو تعرضت له لَبَرَقَ ، أى : دهِش وتحيَّر . [٢١٩]

---

(١) سورة البقرة ٧١ .

(٢) قبله : « ربع عفا من بعد ماقد انمحى » وهو لرؤبة ، كما فى سيبويه ٤٧٨/١ واللسان ٣٨٧/٤ والخزانة ٩١/٤ والجمل للزجاجى ص ٢١٠ وهو غير منسوب فى الإنصاف ص ٢٣٤ والدرر اللوامع ١٠٥/١ وأدب الكاتب ص ٤١١ وقال ابن السيد فى الاقتضاب ص ٣٩٦ « هذا البيت يروى لرؤبة بن العجاج ، ولم أجده فى ديوان شعره . يصف منزلا بلى حتى كاد لايتبين له أثر . ويقال : مصح الشىء يمصح : إذا ذهب » .

(٣) البيت غير منسوب فى اللسان ٣٣٤/٩ والخزانة ٩٠/٤ ، ويقال : فاظت نفسه تفيظ : أى خرجت روحه .

(٤) صدره كما فى الصاحبى ص ١٧٦ * حتى تناول كلبا فى ديارهم * وهو غيرمنسوب فيه، وللأعشى فى مقاييس اللغة ٤٤٩/١ وفيه « يسمو إلى الجرباء » والجرباء : السماء . وفى ديوان الأعشى ص ٨٦ :

وما مجاور هيت إن عرضت لـه　　قد كان يسمو إلى الجرفين فارتفعا

(٥) اللسان ٢٩٦/١١ .

(بل)

بل : تأتى لتدارُكِ كلامٍ غلطتَ فيه ، تقول : رأيتُ زيداً بل عمرًا .

ويكون لترك شىء من الكلام وأخذٍ فى غيره ، وهى فى القرآن بهذا المعنى كثير ، قال الله تعالى : ﴿ صٓ وَالقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ ﴾ ثم قال : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ وشِقَاقٍ ﴾(١) فترك الكلام الأوّل وأَخَذَ بِبَلْ فى كلام ثان . ثم قال حكاية عن المشركين : ﴿ أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ ثم قال : ﴿ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِنْ ذِكْرِى ﴾ فترك الكلام وأخَذَ ببل فى كلام آخر فقال: ﴿ بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾(٢) فى أشباهٍ لهذا كثيرة فى القرآن ، قال الشاعر :

بَلْ هَلْ أُرِيكَ حُمُولَ الحَىِّ غادِيَةً ... كالنَّخلِ زَيَّنَهَا يَنْعٌ وإِفْضَاحُ(٣)

وقال آخر :

* بل مَنْ يَرى البَرْقَ يَشْرى بِتُّ أَرقُبُهُ *(٤)

وإذا وَلِيَت اسماً ــ وهى بهذا المعنى ــ : خُفِضَ بها وشُبِّهت بِرُبَّ وبالواو .

وتأتى مبتدأةً ، قال أبو النَّجْم :

* بل مَنْهَلٍ نَاءٍ مِنَ الغِياضِ *

---

(١) سورة ص ١ ، ٢ .

(٢) سورة ص ٨ .

(٣) البيت لأبى ذؤيب الهذلى ، كما فى ديوان الهذليين ص ٤٥ وروايته : « ياهل أريك » وقال شارحه : « أراد : ياهذا هل أريك . ويروى : « بل هل أريك » وينع : إدراك . والإفضاح : يقال : قد أفضح البسر : إذا ما اختلط فى خضرته بصفرة أو حمرة ، قال الأخفش : شبه الإبل وما عليها من الزينة بالصفرة والحمرة ، بالنخل الحامل . وفى اللسان ٣/٣٧٩ « وأفضح البسر : إذا بدت فيه الحمرة وأفضح النخل : احمر واصفر : قال أبو ذؤيب : « ياهل رأيت حمول الحى » ــ البيت ــ وسئل بعض الفقهاء عن فضيح البسر ، فقال : ليس بالفضيح ولكنه الفضوح، أراد أنه يسكر فيفضح شاربه إذا سكر منه . والفضيحة اسم من هذا لكل أمر سىء يشهر صاحبه بما يسوء » .

(٤) فى اللسان ١٩/١٥٧ « شرى البرق ــ بالكسر ــ شرى : لمع وتتابع لمعانه » .

وكذلك الواو إذا أتت مُبْتَدَأَة غير نَاسِقَةٍ للكلام على كلام ـ كانت بمعنى رُبَّ ، وهى كذلك فى الشعر ، كقوله :

* ومَهْمَهٍ مُغْبَرَّةٍ أَرْجَاؤُه *[1]

وقال آخر :

* ودَوِّيَّةٍ قَفْرٍ تمشّى نَعَامُهَا[2] *

وقال آخر :

* وهاجِرَةٍ نَصَبْتُ لها جَبِينى[3] *

يَدلُّون بهذه الواو الخافضةِ : على ترك الكلام الأول ، وائْتِنَافِ كلام آخر .

(١) لرؤبة ، كما سبق فى ص ٢٢٣ .

(٢) للشماخ ، كما فى اللسان ٣/١٠٨ والمعانى الكبير ١/٣٤٦ ، وفى ديوانه ص ١١ تمشى نعاجها
وصدره : كمشى النصارى فى خفاف اليرندج * والدوية : الفلاة المترامية الأطراف : تمشى : أصله تتمشى .
واليرندج والأرندج جلد أسود تعمل منه الأخفاف . قال ابن قتيبة فى شرحه : « شبه سواد أرجل النعام بسواد
خفاف الأرندج فى أرجل النصارى ؛ لأنهم كانوا يلبسونها ، والعرب كانت تلبس الأدم » .

(٣) قال المثقب العبدى من قصيدة له فى المفضليات ص ٢٨٩ :

فقلت لبعضهن وشد رحلى   لهاجرة نصبت لها جبينى

﴿ هل ﴾

هل[١] تكون للاستفهام ، ويدخلها من معنى التقرير والتّوبيخ ما يدخل الألِفَ التى [٢٢٠] يُسْتَفهم بها ، كقوله تعالى : ﴿ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ ؟ ﴾[٢] ، وهذا استفهام فيه تقرير وتوبيخ . وكذلك قوله تعالى : ﴿ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ؟ ﴾[٣] .

والمفسّرون يجعلونها فى بعض المواضع بمعنى: « قد » ، كقوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ ﴾[٤] ، أى قد أتى . وقوله : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾[٥] و: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾[٦] ، و: ﴿ هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ ﴾[٧] ، و: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾[٨] .

هذا كله عندهم بمعنى: قد .

ويجعلونها أيضاً بمعنى: « ما » فى قوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ؟ ﴾[٩] و: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فى ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾[١٠] ، و: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ ؟ ﴾[١١] ، و: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ؟ ﴾[١٢] ، و: ﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾[١٣] .

هذا كله عندهم بمعنى: « ما » ، وهو والأوّل عند أهل اللغة: تقرير .

---

(١) اللسان ١٤/٢٣١ .

(٢) سورة الروم ٢٨ .

(٣) سورة يونس ٣٤ .

(٤) سورة الإنسان ١ واللسان ١٤/٢٣٢ .

(٥) سورة الغاشية ١ .

(٦) سورة طه ٩ .

(٧) سورة ص ٢١ .

(٨) سورة الذاريات ٢٤ .

(٩) سورة الأنعام ١٥٨ .

(١٠) سورة البقرة ٢١٠ .

(١١) سورة الزخرف ٦٦ .

(١٢) سورة الأعراف ٥٣ .

(١٣) سورة النحل ٣٥ .

﴿ لَوْلا ولَوْما ﴾

لولا[١] تكون فى بعض الأحوال بمعنى: هَلّا ، وذلك إذا رأيْتها بغير جواب ، تقول : لولا فعلت كذا ، تريد هلّا فعلت كذا ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾[٢] ، ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ﴾[٣] ، ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾[٤] ، ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾[٥] ، أى فهلا . وقال : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ ﴾[٦] .

وقال الشاعر :

تَعُدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَنِى ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكَمِىَّ الْمُقَنَّعا[٧]

---

(١) اللسان ٢٩/٣٥٨ .

(٢) سورة هود ١١٦ .

(٣) سورة التوبة ١٢٢ .

(٤) سورة الأنعام ٤٣ .

(٥) سورة الواقعة ٨٦ .

(٦) سورة يونس ٩٨ وتفسير الطبرى ١١٧/١١ .

(٧) البيت لجرير فى الصاحبى ١٣٥ وشرح شواهد المغنى ص ٢٢٩ واللسان ٢٠/٣٦٠ ، ٦/١٦٠ وهو غير منسوب فى مجمع البيان ١٩٥/١ والكامل ١٦٣/١ وفى زيادات الأخفش عليه : « لجرير وقيل : للأشهب بن رميلة » وفى تفسير الطبرى ٤٠٧/١ للأشهب وكذلك مجاز القرآن ١١٦ــ ا ، وقد جاء فى اللسان ٦/١٦٠ : « ويقال للقوم إذا كانوا لايغنون غناء : بنوضوطرى ، ومنه قول جرير يخاطب الفرزدق حين افتخر بعقر أبيه غالب فى معاقرة سحيم بن وثيل الرياحى مائة ناقة بموضع يقال له : صوأر ، على مسيرة يوم من الكوفة ، ولذلك يقول جرير أيضا :

وقد سرنى أن لاتعد مجاشع من المجد إلا عقر نيب بصوأر

قال ابن الأثير : وسبب ذلك أن غالبا نحر بذلك الموضع ناقة وأمر أن يصنع منها طعام وجعل يهدى إلى قوم من بنى تميم جفانا ، وأهدى إلى سحيم جفنة فكفأها وقال : أمفتقر أنا إلى طعام غالب إذا نحر ناقة ؟ فنحر غالب ناقتين ، فنحر سحيم مثلها ، فنحر غالب ثلاثا ، فنحر سحيم مثلهن ، فعمد غالب فنحر مائة ناقة ، ونكل سحيم ، فافتخر الفرزدق فى شعره بكرم أبيه غالب فقال : تعدون عقر النيب ــ البيت ــ يريد : هلا الكمى، ويروى: «المدججا» ومعنى تعدون : تجعلون وتحسبون ، ولهذا عداه إلى مفعولين ... قال : =

أى: فهلّا تعدُّون الـكَمِىَّ .

***

و كذلك « لَوْمَا » ، قال : ﴿ لَوْمَا تَأْتِينَا بِالمَلَائِكَةِ ﴾(١) ، أى هَلّا تأتينا .

فإذا رأيتَ لِلوْلا جواباً فليست بهذا المعنى ، كقوله: ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فى بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾(٢) ، فهذه لَوْلَا التى تـكون لأمرٍ لايقع لوقوع غيره .

[٢٢١] وبعض المفسرين يجعل لَوْلَا فى قوله : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ ﴾ بمعنى لَمْ / أى : فلم تـكن قرية آمنت فنفعها إيمانُها عند نزول العذاب إلّا قومَ يُونُسَ .

و كذلك قوله : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ القُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ ، أى فلم يكن .

= وقديجوز أن يكون : تعدون فى بيت جرير من العد ، ويكون على إسقاط « من » الجار،وتقديره : تعدون عقر النيب من أفضل مجدكم . فلما أسقط الخافض تعدى الفعل فنصب » والنيب : جمع ناب ، والناب : الناقة المسنة ، سموها بذلك حين طال نابها وعظم ، وهو مما سمى فيه الـكل باسم الجزء ، كمافى اللسان ٢/١٧٤ وانظر الخزانة ١/٤٦٢ .

(١) سورة الحجر ٧ .

(٢) سورة الصافات ١٤٣ .

﴿ لمَّا ﴾

لمَّا[١] : تكون بمعنى « لم » في قوله : ﴿ بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾[٢] أى : بل لم يذوقوا عذاب .

وتكون بمعنى « إلاَّ » ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[٣] ، أى : إلاَّ متاعُ الحياة الدنيا ، ﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[٤] أى : إلاَّ عليها ، وهى لغة هذيل مع إن الخفيفة التي تكون بمعنى ما .

ومَن قرأ ﴿ وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَا مَتَاعُ ﴾ بالتخفيف ﴿ وَإِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ جعَل « ما » صلة ، وأراد : وإن كلُّ ذلك لَمتاع الحياة ، وإن كلُّ نفسٍ لَعليها حافظ .

فإذا رأيتَ لِلمَّا جواباً فهى لأمر يقع بوقوع غيره بمعنى حين ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾[٥] أى : حين آسفونا ، و ﴿ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾[٦] أى : حين جاء أمر ربك .

---

(١) اللسان ١٦/٢٦ .
(٢) سورة ص ٨ واللسان ١٦/٢٧ .
(٣) سورة الزخرف ٣٥ وتفسير الطبرى ٢٥/٤٣ .
(٤) سورة الطارق ٤ واللسان ١٦/٢٣ .
(٥) سورة الزخرف ٥٥ .
(٦) سورة هود ١٠١ .

﴿ أو ﴾

أو[١] : تأتى للشك ، تقول : رأيت عبد الله أو محمداً .

وتكون لتخيير بين شيئين، كقوله: ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾[٢] وقوله : ﴿ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾[٣] أنت فى جميع هذا مُخيَّرٌ أيَّهُ فعلت أجزأ عنك .

وربما كانت بمعنى واو النَّسَق، كقوله : ﴿ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً ، عُذْراً أَوْ نُذْراً ﴾[٤] يريد : عُذرا ونذرا . وقوله : ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾[٥] وقوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾[٦] ، أى لعلهم يتقون ويحدث لهم القرآن ذِكْرا .

هذا كلُّه عند المفسرين بمعنى واو النَّسَق .

وأما قوله : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾[٧] ، فإن بعضهم يذهب إلى
أنَّها بمعنى بل[٨] يزيدون ، على مذهب التَّدارك لكلام غلطتَ فيه / وكذلك قوله : ﴿ وَمَا [٢٢٢]
أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾[٩] . وقوله : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾[١٠] .

---

(١) اللسان ١٨/٥٧ .

(٢) سورة المائدة ٨٩ .

(٣) سورة البقرة ١٩٦ .

(٤) سورة المرسلات ٥ ، ٦ .

(٥) سورة طه ٤٤ .

(٦) سورة طه ١١٣ .

(٧) سورة الصافات ١٤٧ واللسان ١٨/٥٧ .

(٨) فى اللسان ١٨/٥٧ « قال ثعلب : قال الفراء : بل يزيدون . قال : كذلك جاء فى التفسير مع صحته فى العربية » وجاء فى تفسير الطبرى ٢٣/٦٦ « يقول تعالى ذكره : فأرسلنا يونس إلى مائة ألف من الناس أو يزيدون على مائة ألف . وذكر عن ابن عباس أنه قال : بل يزيدون ، كانوا مائة ألف وثلاثين ألفا » .

(٩) سورة النحل ٧٧ .

(١٠) سورة النجم ٩ .

وليس هذا كما تأوَّلوا ، وإنما هى بمعنى الواو فى جميع هذه المواضع : وأرسلناه إلى مائة ألف ويزيدون ، وما أمر الساعة إلا كلمح البصر وهو أقرب ، و: فكان قاب قوسين وأدنى

وقال ابن أحْمرَ :

قَرَى عَنكُما شَهْرَينِ أو نصفَ ثالثٍ … إلى ذا كُما قدْ غَيَّبَتْنى غِيابِيا[1]

وهذا البيت يوضح لك معنى الواو ، وأراد : قرى شهرين ونصفاً ، ولا يجوز أن يكون أراد قرى شهرين بل نصف شهر ثالث .

وقال آخر :

أثَعْلَبَةَ الفوارسِ أو رِياحا … عَدَلْتَ بِهم طُهَيَّةَ والخِشابا[2]

أراد : وعدلت هذَين بهذَين[3] .

(١) الإنصاف ٢٠٠ والأزمنة والأمكنة ٢/٣٠٧ وفى الصاحبي ١٠٠ « فذلكما شهرين » . وفى الخزانة ٤/٤٢٥ « فأما قوله:

ألا فالبثا شهرين أو نصف ثالث … إلى ذاك ما قد غيبتنى غيابيا

فهو من باب : جالس الحسن أو ابن سيرين . ألا ترى أنه إن لبث شهرين فقط أو شهرين وبعض ثالث فقد ائتمر » .

(٢) البيت لجرير كما فى ديوانه ص ٦٦ ومجاز القرآن ٢١١ والبحر المحيط ٨/٤٠ ومجمع البيان ١/١٤٠ واللسان ١/٣٤٣ ، ١٩/٢٤٢ وفى أمالى ابن الشجرى ١/٢٩٧ « مدح ثعلبة ورياحا ، وذم طهية والخشاب فلذلك وصف ثعلبة بالفوارس ، فالتقدير إذا : أحقرت ثعلبة ؟ » وسيبويه ١/٥٢،٤٨٩ وقال الأعلم فى شرحه : استشهد به لنصب ثعلبة بإضمار فعل دل عليه مابعده ، فكأنه قال : أظلمت ثعلبة ، عدلت بهم طهية ونحوه من التقدير . خاطب الفرزدق فاخرا عليه برهطه الأدنى إليه من تميم ؛ لأن ثعلبة ورياحا من بنى يربوع بن حنظلة ، وجرير بن كليب بن يربوع . وطهية والخشاب من بنى مالك بن حنظلة ، والفرزدق من بنى دارم بن مالك بن حنظلة ، فهم أدنى إليه ، وإنما قال : الفوارس ؛ لأن فرسان تميم معدودون فى بنى يربوع بن حنظلة » .

(٣) الخزانة ٤/٤٢٤ .

(أم)

أم (١) : تكون بمعنى أو ، كقوله تعالى : ﴿ أَأَمِنتُم مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذا هِيَ تَمُورُ ، أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً ﴾ (٢) ، وكقوله : ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً ، أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تارَةً أُخْرَى ﴾ (٣) .

هكذا قال المفسرون ، وهى كذلك عند أهل اللغة فى المعنى ، وإن كانوا قد يفرقون بينهما فى الأماكن .

وتكون أَمْ بمعنى ألف الاستفهام ، كقوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى ما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (٤) ، أراد : أيحسدون الناس؟ .

وقوله : ﴿ ما لَنا لا نَرَى رِجالاً كُنّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرارِ أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصارُ ﴾ (٥) ، أى زاغت عنهم الأبصار . وألف اتخذناهم موصولة .

وكقوله : ﴿ أَمْ لَهُ الْبَناتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾ (٦) ، أراد : أَلَهُ البنات / ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً [٢٢٣]
فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴾ ، أراد : أتسألهم أجراً ﴿ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ (٧) أراد : أعندهم الغيب .

وهذا فى القرآن كثير ، يدلّك عليه قوله : ﴿ الم تَنْزِيلُ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ ، أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ (٨) ، ولم يتقدم فى الكلام : أيقولون كذا وكذا فترد عليه أم تقولون ، وإنما أراد أيقولون : افتراه ، ثم قال : ﴿ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ .

---

(١) اللسان ١٤/٣٠٠ .

(٢) سورة الملك ١٦ ، ١٧ .

(٣) سورة الإسراء ٦٨ ، ٦٩ .

(٤) سورة المائدة ٥٤ .

(٥) سورة ص ٦٢ ، ٦٣ .

(٦) سورة الطور ٣٩ .

(٧) سورة الطور ٤٠ــ٤١ .

(٨) سورة السجدة ١ــ٣ .

﴿ لا ﴾

لا : تكون بمعنى لَمْ ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى ﴾[١] ، أى لم يصدق ولم يُصلِّ ، وقال الشاعر :

وأىُّ خَمِيسٍ لا أَفأْنا نِهابَهُ   وأَسْيافُنا يَقْطُرْنَ مِنْ كَبْشِهِ دَمَا؟![٢]

أى لَمْ نُفِئْ نِهَابَهُ . وقال آخر :

إنْ تَغْفِرِ اللهمّ تَغْفِرْ جَمَّا   وأىُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمَّا[٣]

أى لم يُلِمّ بالذنوب .

﴿ أَوْلى ﴾

أولى : تَهدُّدٌ ووعيدٌ ، قال الله تعالى : ﴿ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴾[٤] ، وقال : ﴿ فَأَوْلَى لَهُمْ ﴾[٥] . ثم ابتدأ فقال : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ﴾ .

وقال الشاعر لمنهزم :

أُلْفِيتَا عَيْناكَ عِنْدَ القَفَا   أَوْلَى فَأَوْلَى لكَ ذا وَاقِيَهْ[٦]

---

(١) سورة القيامة ٣١ وتفسير الطبرى ١٢٣/٢٩ .

(٢) البيت لطرفة فى ديوانه ص ٥ والكامل ٩٣/٢ « الخميس : الجيش ، أفأنا : رددنا ، والنهاب : الغنائم وهو غير منسوب فى الصاحبى ١٣٦ والبحر المحيط ٣٩/٨ وأمالى ابن الشجرى ٢٢٨/٢ .

(٣) البيت غير منسوب فى الصاحبى ١٣٦ والبحر المحيط ٣٩٠/٨ وتفسير الطبرى ٣٩/٢٧ ، ٤٠ وأمالى ابن الشجرى ١٢٧/١ واللسان ٣٥٦/٢٠ وفيه ٣٧١/١٤ لأبى خراش الهذلى ، ٢٣/١٦ لأمية ابن أبى الصلت أو لأبى خراش الهذلى وفى شرح شواهد المغنى لأبى خراش ، ثم قال السيوطى ص ٢١٣ : « وأخرج الترمذى وابن جرير والبزار وغيرهم من طريق زكريا بن أبى إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، وعن عطاء عن ابن عباس فى قوله تعالى : « إلا اللمم » قال : هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب . وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن تغفر اللهم تغفر جما   وأى عبد لك لا ألما

قال الترمذى : حديث حسن صحيح غريب » ورواية الطبرى لهذا الحديث فى تفسيره ٣٩/٢٧ والجم : الكثير .

(٤) سورة القيامة ٣٤ ، ٣٥ .

(٥) سورة محمد ٢٠ ، ٢١ .

(٦) البيت غير منسوب فى الصاحبى ١٤٨ وأمالى ابن الشجرى ١١٦/١ والمعانى الكبير ٨٩٩/٢ وهو فى نوادر أبى زيد ص ٦٢ من قصيدة لعمرو بن ملقط الجاهلى ، وكذلك هو فى شرح شواهد المغنى ص ١١٣ . قال السيوطى فى ص ١١٤ « ومعنى البيت : وصفه بالهرب فهو يلتفت إلى ورائه فى حال انهزامه فتلفى عيناه عند قفاه وأولى كلمة تهديد . قال الأصمعى : معناه : قاربه فأهلكه . وذا واقية : أى وقاية مصدر على فاعلة » .

(لاجرم)

لا جَرَمَ⁽¹⁾ : قال الفراء⁽²⁾ : هى بمنزلة لابُدّ ولا محالة ، ثم كثرت فى الكلام حتى صارت بمنزلة حَقًّا . وأصلها من جَرَمْتُ : أى كَسَبْتُ . وقال فى قول الشاعر :

ولقد طَعَنْتُ أبا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً جَرَمَتْ فَزَارَةَ بَعْدَها أنْ يَغْضَبُوا⁽³⁾

ـ : أى كسبَتْهُم الغضبَ أبداً .

قال : وليس قولُ من قال : حُقّ لفزارةَ الغضبُ ؛ بشىءٍ⁽⁴⁾ .

ويقال : فلانٌ جارِمُ أَهْلِه ، أى كاسِبُهم ، وجَرِيمَتُهم⁽⁵⁾ . ولا أَحْسَبُ الذّنبَ سُمّى جُرْماً إلّا مِن هذا : لأنّه كَسْب واقْتِراف .

---

(١) الفاخر للمفضل بن سلمة ص ١٩٩ ومجاز القرآن ١٢٠ـ١ واللسان ١٤/٣٦٠ـ٣٦١ وأدب الكاتب ص ٦٢ـ٦٣ .

(٢) فى اللسان ١٤/٣٦١ « قال الفراء : لاجرم كلمة كانت فى الأصل بمنزلة لابد ولا محالة ، فجرت على ذلك وكثرت حتى تحولت إلى معنى القسم وصارت بمنزلة حقا ، فلذلك يجاب عنها باللام كما يجاب بها عن القسم، ألا تراهم يقولون : لاجرم لآتينك . قال : وليس قول من قال : جرمت : حققت بشىء ؛ وإنما لبس عليه الشاعر أبو أسماء بقوله : * جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا * فرفعوا فزارة وقالوا : نجعل الفعل لفزارة كأنها بمنزلة حق لها أو حق لها أن تغضب . قال : وفزارة منصوب فى البيت ، المعنى : جرمتهم الطعنة الغضب أى كسبتهم . وقال أبو عبيدة : أحقت عليهم الغضب ، أى أحقت الطعنة فزارة أن يغضبوا وحقت أيضا من قولهم لاجرم لأفعلن كذا أى حقا »

(٣) البيت لأبى أسماء بن الضريبة أو لعطية بن عفيف كما فى اللسان ١٤/٣٦٠ـ٣٦١ والخزانة ٤/٣١٠ ومجاز القرآن ١٢٠ـ١ والاقتضاب ص ٣١٣ وللفزارى فى سيبويه ١/٤٦٩ وهو غير منسوب فى أدب الكاتب ص ٦٣ والفاخر ص ٢٠٠ والصاحبى ١٢١ ومقاييس اللغة ١/٤٤٦ وأمالى المرتضى ١/٧٤ وصواب البيت : ولقد طعنت أبا عيينة » بفتح التاء ؛ لأن الشاعر يخاطب كرزا العقيلى ويرثيه ، وكان قد طعن أبا عيينة وهو حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى يوم الحاجر ؛ ويدل على ذلك قوله قبل هذا البيت :

يا كرز إنك قد فتكت بفارس بطل إذا هاب الكماة وجببوا

قال ابن السيد : « وقوله : جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا أى كسبت فزارة الغضب عليك » .

(٤) قول الفراء هذا ذكره ابن قتيبة فى أدب الكاتب ص ٦٣ وعلق عليه ابن السيد بقوله ص ٣١٣ « وقول الفراء : « وليس قول من قال حق لفزارة الغضب بشىء » رد منه على سيبويه والخليل ؛ لأن معناه عندهما أحقت فزارة بالغضب ، فإن يغضبوا على تأويلهما مفعول سقط منه حرف الجر ، وهو على قول الفراء مفعول لاتقدير فيه لحرف الجر ، وكلا التأويلين صحيح » .

وقد أخطأ أحمد بن فارس فى نسبة قول الفراء إلى ابن قتيبة حيث يقول فى كتاب الصاحبى ص ١٢١ : قال ابن قتيبة : وليس قول من قال: حق لفزارة الغضب بشىء والأمر بخلاف ماقاله ؛ لأن الذى يحصل من الكلمة ماقلناه أنه بمعنى : حق فيكون على هذا : جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا ، المعنى أحقت الطعنة لفزارة الغضب » .

(٥) فى اللسان ١٤/٣٥٩ « قال الفراء : وسمعت العرب يقولون : فلان جريمة أهله ، أى كاسبهم وخرج يجرم أهله أى يكسبهم ... » .

﴿ إن الخفيفة ﴾

إن الخفيفة : تكون بمعنى « ما » ، كقوله تعالى : ﴿ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾[١] و ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾[٢] و ﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[٣] . [٢٢٤]

وقال المفسرون : وتكون بمعنى لقد ، كقوله : ﴿ إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾[٤] و ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[٥] و ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ ﴾[٦] و ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾[٧] .

***

وقالوا أيضاً : وتكون بمعنى إذ ، كقوله : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[٨] ، أى إذ كنتم . وقوله : ﴿ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[٩] . وقوله : ﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[١٠] .

وهى عند أهل اللغة إن بعَيْنِها ، لا يجعلونها فى هذه المواضع بمعنى إِذْ ، ويذهبون إلى أنّه أرادَ : من كان مؤمناً لم يَهِنْ ولم يَدْعُ إلى السَّلم ، ومن كان مؤمناً لم يَخْشَ إلّا الله ، ومَنْ كان مؤمناً ترك الرِّبا .

---

(١) سورة الملك ٢٠ .

(٢) سورة يس ٢٩ .

(٣) سورة الطارق ٤ .

(٤) سورة الإسراء ١٠٨ .

(٥) سورة الشعراء ٩٧ .

(٦) سورة الصافات ٥٦ .

(٧) سورة يونس ٢٩ .

(٨) سورة آل عمران ١٢٩ .

(٩) سورة التوبة ١٣ .

(١٠) سورة البقرة ٢٧٨ .

﴿ ها ﴾

ها : بمنزلة خُذْ وتَنَاوَلْ ، تقول : هَا يَارَجُلُ . وتأمر بها ، ولا تنهى .

ومنها قول الله تعـالى : ﴿ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾[١] ، ويقال للاثنين: هاؤُمَا اقرءا . وفيها لغات[٢] ، والأصل: هَاكُمْ اقْرَءُوا ، فحَذَفُوا الـكاف، وأبدلوا الهمزة ، وألقوا حَرَكَةَ الـكاف عليها .

﴿ هات ﴾

هاتِ[٣] : بمعنى أعْطِنى ، مكسورة التاء ، مثل رَامٍ وغاز وعاطِ فُلانًا . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَـكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٤] ، أى ائتوا به .

قال الفراء :

ولم أسمع هَاتِيَا فى الاثنين ، إنمـا يقال للواحد والجميع ، وللمرأة : هاتى ، وللنِّسَاء : هاتِينَ . وتقول : ما أُهَاتِيكَ ، بمنزلة مَا أُعَاطِيك . وليس من كلام العرب هاتَيْتُ . ولا يُنْهَى بها[٥] .

---

(١) سورة الحاقة ١٩ وفى اللسان ٢٠/٣٧٢: «جاء فى التفسير أن الرجل من المؤمنين يعطى كتابه بيمينه ، فإذا قرأه رأى فيه تبشيره بالجنة فيعطيه أصحابه فيقول : هاؤم اقرؤا كتابى ، أى خذوه واقرؤا ما فيه لتعلموا فوزى بالجنة . يدل على ذلك قوله : « إنى ظننت » أى علمت « أنى ملاق حسابيه فهو فى عيشة راضية» .

(٢) راجع هذه اللغات فى اللسان ٢٠/٣٧٢ .

(٣) اللسان ٢٠/٢٢٧ .

(٤) سورة البقرة ١١١ .

(٥) اللسان ٢٠/٢٢٧ .

﴿ تعال ﴾

تعال : تفاعل من علوت ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ تعالَوْا ندعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُم ﴾[١] . [٢٢٥]

ويقال للاثنين من الرجال والنساء : تَعَالَيَا ، وللنساء : تعالَيْنَ .

قال الفراء : أصلها عالِ إلَيْنَا ، وهو من العُلُوِّ .

ثم إنّ العرب لكثرة استعمالهم إيّاها صارت عندهم بمنزلة هَلُمَّ ، حتى استجازُوا أن يقولوا للرجل وهو فوق شَرَفٍ : تَعَالَ ، أى اهبط ، وإنّما أصلها : الصعود .

ولا يجوز أن يُنْهَى بها ، ولكن إذا قالَ : تعال ، قلت : قد تعالَيْتُ وإلى شىءٍ أتعالَى[٢] ؟

﴿ هَلُمَّ ﴾

هلم[٣] : بمعنى تعال ، وأهل الحجاز لا يُثَنُّونَها ولا يجمعونها . وأهل نجد يجعلونها من هالممت ، فيُثَنُّونَ ويَجمعُونَ ويُؤَنِّثُونَ . وتوصل باللام فيقال : هَلُمَّ لَكَ ، وهلمَّ لكما .

قال الخليل : أصلها « لُمَّ » زيدت الهاء فى أوّلها[٤] .

وخالفه الفراء فقال : أصلها « هَلْ » ضمَّ إليها « أُمَّ » والرَّفْعَةُ التى فى اللام من همزة « أُمَّ » لمَّا تُرِكَت انتقلت إلى ما قبلها .

وكذلك « اللهم » نرى أصلها : « يا اللهُ أُمَّنا بِخَيْرٍ » فكثرت فى الكلام فاختلطت ، وتُرِكت الهمزة .

---

(١) سورة آل عمران ٦١ .

(٢) اللسان ١٩/٣٢٤ .

(٣) اللسان ١٦/١٠١ .

(٤) فى اللسان ١٦/١٠١ « قال الجوهرى : هلم يارجل بفتح الميم بمعنى تعال ، قال الخليل : أصله «لم» من قولهم : « لم الله شعثه » أى جمعه ، كأنه أراد : لم نفسك إلينا أى اقرب ، وها للتنبيه ، وإنما حذفت ألفها لكثرة الاستعمال وجعلا اسما واحداً » .

﴿ كَلَّا ﴾

كلا : ردْعٌ وزجر[١] ، قال الله تعالى : ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ؟ كَلَّا ﴾[٢] .

وقال : ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً ، كَلَّا ﴾[٣] .

وقال : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ، كَلَّا ﴾[٤] يريد انتهِ عن أن تَعْجَلَ به .

وقال : ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ، كَلَّا ﴾[٥] ، أى لا يخلده ماله . ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ، كَلَّا ﴾[٦] ، أى ليس كما غُرِرْتَ به .

وقال : ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، كَلَّا ﴾[٧] . يريد : انتهُوا .

---

(١) فى اللسان ٢٠/٩٦ « وقال الأخفش : معنى كلا الردع والزجر . قال الأزهرى : وهذا مذهب سيبويه وإليه ذهب الزجاج فى جميع القرآن » .

(٢) سورة المعارج ٣٨ .

(٣) سورة المدثر ٥٢ .

(٤) سورة القيامة ١٩ .

(٥) سورة الهمزة ٣ ، ٤ .

(٦) سورة الانفطار ٨ ، ٩ .

(٧) سورة المطففين ١ ـ ٧ .

﴿ رُوَيْدًا ﴾

رُوَيْداً : بمعنى مَهْلاً[١] ، ورُوَيْدَكَ : بمعنى أَمْهِل، قال الله تعالى : ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾[٢] أى : أمهلهم قليلا .

وإذا لم / يتقدمها : أمهلهم ، كانت بمعنى مَهْلا . [٢٢٩]

ولا يتكلَّمُ بها إلاَّ مصغَّرة ومأمورا بها .

وجاءت فى الشعر بغير تصغير فى غير معنى الأمر ، قال الشاعر :

* كأنها مِثْلُ مَنْ يَمْشِي عَلَى رُوْدِ[٣] *

أى على مهل .

﴿ أَلَا ﴾

أَلا : تَنْبيه : وهى زيادة فى الكلام ، قال الله تعالى : ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ﴾[٤] . وقال : ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾[٥] .

وتقول : ألا إنَّ القوم خارجون . تريد بها : افهم اعْلَم أنَّ الأمر كذا وكذا .

---

(١) اللسان ٤/١٧١ .

(٢) سورة الطارق ١٧ .

(٣) كذا أنشده ابن قتيبة وتبعه ابن فارس فى الصاحبي ص ١٢٤ ومقاييس اللغة ٢/٤٥٨ والصواب ما فى اللسان ٤/١٧١ « قال الجموح الظفرى :

تكاد لا تثلم البطحاء وطأتها كأنها ثمل يمشى على رود » .

وفى أساس البلاغة ١/٣٧٩ « قال الهذلى : « تكاد لاتثلم البطحاء خطوتها الخ » .

(٤) سورة هود ٨

(٥) سورة هود ٥ .

﴿ الويل ﴾

الويل (١) : كلمة جامعة للشر كله . قال الأصمعى : وَيْلٌ تقبيح ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَكُمُ الوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ (٢) . تقول العرب : له الوَيْلُ ، والأَلِيل . والأليل الأنين .

وقد توضع فى موضع التَّحَسُّر والتّفجع ، كقوله : ﴿ يَاوَيْلَنَا ﴾ (٣) . و ﴿ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ ؟ ﴾ (٤) . وكذلك : وَيْحٌ ووَيْسٌ ، تصغير (٥) .

﴿ لعمرك ﴾

لَعَمْرُكَ (٦) ، ولَعَمْرُ الله : هو العُمْرُ . ويقال : أطال الله عُمْرَكَ ، وعَمْرَكَ ، وهو قسم بالبقاء .

﴿ إى ﴾

إى : بمعنى بلى ، قال الله تعالى ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ : أَحَقٌّ هُوَ ؟ قُلْ : إِى وَرَبِّى إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ (٧) ولا تأتى إلا قبل اليمين ، صِلةً لها .

---

(١) اللسان ١٤/٢٦٤ .

(٢) سورة الأنبياء ١٨ .

(٣) سورة الأنبياء ١٤ : « قالوا : ياويلنا إنا كنا ظالمين » .

(٤) سورة المائدة ٣١ .

(٥) فى اللسان ١٤/٢٦٦ « قال المازنى : حفظت عن الأصمعى : الويل : قبوح ، والويح : ترحم ، والويس : تصغيرها . أى هى دونهما . وقال أبوزيد : الويل هلكة ، والويح : قبوح ، والويس : ترحم . وقال سيبويه : الويل : لمن وقع فى هلكة ، والويح : زجر لمن أشرف على هلكة . ولم يذكر فى الويس شيئا » .

(٦) اللسان ٦/٢٧٩

(٧) سورة يونس ٥٣ .

﴿ لَدُن ﴾

لَدُن : بمعنى عِند ، قال تعالى : ﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّى عُذْراً ﴾(١) ، أى بلغت من عندى .

وقال : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ﴾(٢) أى من عندنا .

وقد تحذف منها النون ، كما تحذف من « لم يكن » قال الشاعر :

* مِنْ لَدُ لَحْيَيهِ إلى مُنْحُورِهِ(٣) *

أى من عند لَحْيَيه .

وفيها لغة أخرى أيضا : لدى ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾(٤) أى عند الباب(٥) .

---

(١) سورة الكهف ٧٦ .

(٢) سورة الأنبياء ١٧ .

(٣) الصاحبى ١٤٠ وسيبويه ٢/٣١١ واللسان ١٧/٣٦٩ وشرح شواهد الشافية ١٦١ وهو لغيلان بن حريث الربعى ، فى وصف جمل ، وقبله :

* يستوعب البوعين من جريره *

والبوع : لغة فى الباع . والجرير : الحبل . وقوله « لحييه : مثنى لحى — بفتح اللام وسكون الحاء المهملة — وهو العظم الذى ينبت عليه الأسنان . والمنحور — بضم الميم ، وبعد النون حاء مهملة — لغة فى النحر والمنحر ، ومعناه أعلى الصدر ، وهو الموضع الذى تقع عليه القلادة ، والموضع الذى ينحر فيه الهدى وغيره . يريد الشاعر : أن طول حبل هذا الجمل — الذى هو مقوده — من لحييه إلى موضع نحره مقدار باعين أى أنه طويل العنق » .

(٤) سورة يوسف ٢٥ .

(٥) نقله ابن فارس فى الصاحبى ١٤٠ .

باب دخول بعض حروف الصفات مكان بعض

﴿ فى مكان على[١] ﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فى جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾[٢] ، أى على جذوع النخل .

قال الشاعر :

وهُم صَلَبُوا العَبْدِىَّ فى جِذْعِ نَخْلَةٍ فلا عَطَسَتْ شيبانُ إلاَّ بأَجْدعا[٣]

/ وقال عَنْتَرة : [٢٢٧]

بَطَلٌ كأنَّ ثِيابَهُ فى سَرْحَةٍ يُحْذَى نِعَالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْأَمِ[٤]

أى على سرحة من طوله .

﴿ الباء مكان عن ﴾

قال الله تعالى : ﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾[٥] ، أى عنه .

---

(١) أدب الكاتب ص ٥٠٢ .

(٢) سورة طه ٧١ .

(٣) البيت غير منسوب فى أدب الكاتب ص٥٠٢ والاقتضاب ٤٣١ والبحر المحيط ٦/٢٦١ وتفسير الطبرى ١٦/١٤١ والصاحبى ١٢٨ والكامل ٢/٧١ وهو فى اللسان ٢٠/٢٧ لامرأة من العرب ، وفيه ٤/٢٦٧ لسويد بن أبى كاهل . قال ابن برى : قوله : بأجدعا : أى بأنف أجدع ، فحذف الموصوف وأقام صفته مكانه » وقال السيوطى فى شرح شواهد المغنى ص ٦٤ « هذا البيت من قصيدة لسويد بن أبى كاهل اليشكرى ... هكذا فى كتاب منتهى الطلب ، وعزاه صاحب الحماسة البصرية إلى قراد بن حنش الصاردى ... » .

(٤) البيت له من معلقته فى شرح القصائد العشر ص ١٩٩ والكامل ١/٥٥ والعمدة ١/٢٨٨ واللسان ٣/٣١٠ ، ٢٠/٢٧ وشرح شواهد المغنى ١٦٤ وأمالى المرتضى ٢/١٥ والمعانى الكبير ١/٤٨٨ وهو غير منسوب فى البحر المحيط ٢/٢٥٨ . والسرحة : ضرب من الشجر ، ويحذى : يلبس ، والسبت - بالكسر - كل جلد مدبوغ وفى اللسان ٢/٣٤٣ « مدحه بأربع خصال كرام : أحدها أنه جعله بطلا أى شجاعا ، الثانى : أنه جعله طويلا ، شبهه بالسرحة ، الثالث : أنه جعله شريفا للبسه نعال السبت . الرابع أنه جعله تام الخلق ناميا ؛ لأن التوأم يكون أنقص خلقا وقوة وعقلا وخلقا » .

(٥) سورة الفرقان ٥٩ .

قال عَلْقَمة بن عَبَدَة :

فإنْ تَسْأَلُونِى بالنِّسَاءِ فإنَّنى بَصِيرٌ بأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ[١]

أى عن النساء .

وقال ابن أَحْمَر :

تُسَائِلُ بِابْنِ أَحْمَرَ مَنْ رَآهُ أَعَارَتْ عَيْنُهُ أَمْ لَمْ تَعَارَا[٢]

عن مكان الباء

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾[٣] ، أى بالهوى .

والعرب تقول : رميتُ عن القوس ، أى رميت بالقوس[٤] .

اللام مكان على

قال الله تعالى: ﴿ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾[٥] ، أى لا تجهروا عليه بالقول .

---

(١) ديوانه ١١ وأدب الكاتب ص ٥٠٥ والأدواء : جمع داء .

(٢) البيت لعمرو بن أحمر الباهلى ، وقد رواه ابن قتيبة بهذه الرواية فى أدب الكاتب ص ٥٠٦ ورواه ابن دريد فى الجمهرة ٢/٣٨٩ : « وربت سائل عنى حفى » وابن السيد فى الاقتضاب ٤٣٤ وكذلك روى فى اللسان ٦/٢٩١ ورواه الجوهرى : « وسائلة بظهر الغيب عنى » وقال الجواليقى فى شرحه ص ٣٥٥ : « يقول : تسائل هذه المرأة عن ابن أحمر أصارت عينه عوراء أم لم تعور ؟ يقال : عارت العين وعرتها أنا وعورتها ، ويروى : « تعارا » بفتح التاء وكسرها ، وهى لغة فيما كان مثله ، وأراد : تعارن بالنون الخفيفة — التى للتأكيد ، فأبدل منها ألفا لينة للوقف » وقال ابن السيد : وبعد هذا البيت

فإن يفرح بما لاقيت قومى لثامهم فلم أكثر حوارا

والحوار : مصدر حاورته فى الأمر : إذا راجعته فيه . يقول : لم أكثر مراجعة من سر بذلك من قومى ، ولا عنفته فى سروره بما أصابنى وكان رماه رجل يقال له مخشى بسهم ففقأ عينه ... » وانظر شرح شواهد الشافية ص ٣٥٣ .

(٣) سورة النجم ٣ .

(٤) أدب الكاتب ص ٥٠٧ .

(٥) سورة الحجرات ٢ .

والعرب تقول : سقط فلانٌ لِفيه ، أى على فيه . قال الشاعر :

* فَخَرَّ صَرِيعاً لليَدَيْنِ وللفَمِ (١) *

وقال آخر :

* مُعَرَّسُ خَمْسٍ وُقِّعَتْ للجناجِنِ (٢) *

﴿ إلى مكان مع ﴾

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ﴾ (٣) ، أى مع أموالكم .

---

(١) أدب الكاتب ٥١٠ والبحر المحيط ٦/١٠ ، ٨٨ غير منسوب أيضا . وقال ابن السيد فى الاقتضاب ص٤٣٩ : « هذا البيت يروى للمكعبر الأسدى ، وقيل : إنه للمكعبر الضبى، ويقال : إنه لشريح ابن أوفى العبسى ، وقيل : إنه لعصام بن المقشعر العبسى . وذكر ابن شبة : أنه للأشعث بن قيس الكندى وصدره : « تناولت بالرمح الطويل ثيابه » وهذا الشعر قيل : فى محمد بن طلحة ، وقتل يوم صفين ، وكان على قال لأصحابه : اجعلوا شعاركم حاميم لا يبصرون ، وكان محمد بن طلحة من أصحاب معاوية ، فكان إذا حمل عليه رجل من أصحاب على ، يقول له محمد : أسألك بحاميم ، فيكف عنه ، إلى أن حمل عليه الأشعث ابن قيس ، فقال له محمد : أسألك بحاميم ، فلم يلتفت إلى قوله ، فقتله وقال :

وأشعث قوام بآيات ربه   قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
تناولت بالرمح الطويل ثيابه   فخر صريعا لليدين وللفم
يذكرنى حاميم والرمح شاجر   فهلا تلا حاميم قبل التقدم
على غير شىء غير أن ليس تابعا   عليا ومن لا يتبع الحق يندم

وانظر شرح شواهد المغنى للسيوطى ص ١٩١-١٩٢ .

(٢) ذكره ابن قتيبة فى أدب الكاتب ص ٥١٠ ولم ينسبه، وذكر صدره ، وهو : « كأن مخواها على ثفناتها » وقال بعقبه : « وقعت على الجناجن » ونسبه فى المعانى الكبير ١١٩٠/٢ للطرماح بن حكيم ، وهو فى ديوانه ص ١٦٧ ، وأمالى المرتضى ٢٥/٢ ، ٣/٤ وقال ابن السيد فى الاقتضاب ٤٣٩ « المخوى : مصدر خوى البعير تخوية ومخوى : إذا تجافى للبروك ، ويقال للموضع الذى يبرك فيه : مخوى أيضا . والثفنات : ما أصاب الأرض من البعير إذا برك . والمعرس : موضع التعريس، وهو النزول فى السحر ويكون مصدراً أيضا بمعنى التعريس . والجناجن : جمع جنجن وجنجن ، وهى عظام الصدر . وصف ناقة بركت . فشبه آثار ثفناتها فى الأرض، وهى قوائمها الأربع، وصدرها بآثار خمس من القطا وقعت على جناحيها فأثرت فى الأرض» .

(٣) سورة النساء ٢ .

ومثله: ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ؟ ﴾(١) ، أى مع الله .

والعرب تقول : الذَّوْدُ إلى الذَّوْدِ إبلٌ(٢) ، أى مع الذود .

قال ابن مُفرِّغ :

شَدَخَتْ غُرَّةُ السَّوابقِ فيهم — فى وجُوهٍ إلى اللِّمامِ الجِعادِ(٣)

أراد مع اللِّمام الجعادِ .

(اللام مكان إلى)

قال الله تعالى : ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾(٤) ، أى أوحى إليها .

وقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ﴾(٥) ، أى إلى هذا .

يدلك على ذلك قوله فى موضع آخر : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾(٦) ، وقولُه : ﴿ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾(٧) .

(على مكان مِنْ)

قال الله تعالى : ﴿ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾(٨) ، أى مع الناس .

---

(١) سورة آل عمران ٥٢

(٢) المثل فى اللسان ٤/١٤٨ ومجمع الأمثال ١/٢٨٨ يضرب فى اجتماع القليل إلى القليل حتى يؤدى إلى الكثير . والذود : القطيع من الإبل ، الثلاث إلى التسع .

(٣) البيت له فى أدب الكاتب ٥١٨ واللسان ١٦/٢٥ « مع اللمام » وهو فى ٣/٥٠٦ غير منسوب وقال ابن السيد فى الاقتضاب ص ٤٤٩ « هذا البيت لابن مفرغ الحميرى مدح به قوما ، وأراد أنهم مشهورون بالسبق إلى الفضل كشهرة الفرس الذى شدخت غرته حتى ملأت جبهته ، وأن لهم لمما جعاداً ، وهى الشعور التى تلم بالمنكب ، واحدتها لمة ، فإذا لم تجاوز شحمة الأذن فهى وفرة وأراد بالجعودة هنا غير المفرطة ، وأما الجعودة المفرطة فليست مما يستحب » وفى اللسان ٣/٥٠٦ : « قال أبو عبيدة : يقال لغرة الفرس إذا كانت مستديرة : وتيرة ، فإذا سالت وطالت فهى شادخة ، وقد شدخت شدوخا : اتسعت فى الوجه » .

(٤) سورة الزلزلة ٥ .

(٥) سورة الأعراف ٤٣ .

(٦) سورة النحل ٦٨ .

(٧) سورة النحل ١٢١ .

(٨) سورة المطففين ٢ .

وقال صَخْر الغَيّ :

مَتى ما تُنْكِرُوها تَعْرِفُوها على أَقْطَارِها عَلَقٌ نَفِيثُ(١)

[٢٢٨] / أى من أقطارها .

ومنه قوله تعالى : ﴿ مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ ﴾(٢) ، أى منهم .

﴿ مِنْ مكان الباء ﴾

قال الله تعالى : ﴿ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾(٣) أى بأمر الله .

وقال تعالى : ﴿ يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ ﴾(٤) ، أى بأمره .

وقال : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ والرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ ﴾(٥) ، أى بكل أمر .

﴿ الباء مكان مِنْ ﴾

تقول العرب : شربت بماء كذا وكذا ، أى من ماء كذا .

قال الله تعالى : ﴿ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾(٦) و﴿ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ ﴾(٧) ويكون بمعنى يشربها عباد الله ويشرب منها .

قال الهُذَلىّ وذَكَرَ السَّحَائِبَ :

شَرِبْنَ بماءِ البحرِ ثم ترفَّعتْ متى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ(٨)

أى شربن من ماء البحر .

---

(١) سبق فى ص ٢٩٥ .

(٢) سورة المائدة ١٠٧ .

(٣) سورة الرعد ١١ .

(٤) سورة غافر ١٥ .

(٥) سورة القدر ٤ ، ٥ .

(٦) سورة المطففين ٢٨ .

(٧) سورة الإنسان ٦ .

(٨) البيت لأبى ذؤيب الهذلى كما فى أدب الكاتب ص ٥١٧ واللسان ٧/٧ وشرح شواهد المغنى =

وقال عَنْتَرة :

شَرِبَتْ بماءِ الدُّحْرُضَيْنِ فَأَصْبَحَتْ   زَوْرَاءَ تَنْفِرُ عَنْ حِياضِ الدَّيْلَمِ [١]

وقال عز وجل : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ ﴾ [٢] ، أى مِنْ علم الله .

﴿ مِن مكان فى ﴾

قال الله تعالى : ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ ﴾ [٣] ، أى فى الأرض .

ص ١٠٩ والاقتضاب ص ٤٤٧ والجواليقى ٣٦٧ وديوان الهذليين ١/٥١ وفيه رواية أخرى وهى :

تروت بماء البحر ثم تنصبت   على حبشيات لهن نئيج

ويعنى بالحبشيات : السحائب السود . وقوله . نئيج : أى مر سريع . والبيت فى الصاحبى ١٤٥ غير منسوب وقال ابن السيد فى الاقتضاب ص ٤٤٧ « وصف سحابا ارتفعت من البحر ، وهذيل كلها تصف أن السحاب تستقى من البحر ثم تصعد فى الجو ... وفى قوله : « متى لجج » قولان : قيل : أراد من لجج ، كما قال صخر الغى : « متى أقطارها علق نفيث » أراد من أقطارها . وقيل : « متى » بمعنى وسط . وحكى أبو معاذ الهراء ، وهو من شيوخ الكوفيين ، جعلته فى متى كمى . والنئيج : المر السريع معه صوت » .

(١) البيت من معلقته فى شرح الزوزنى ١٤٤ وشرح القصائد العشر ص ١٨٦ واللسان ١٥/٩٥ وسر الفصاحة ٦٥ وأساس البلاغة ١/٢٨١ وأدب الكاتب ٥١٧ وفى أمالى المرتضى ٤/٣ « معناه : شربت الناقة من ماء الدحرضين » وقال ابن السيد : « والدحرضان ما آن ، يقال لأحدهما : وشيع وللآخر الدحرض ، فلما جمعهما غلب أحدهما على الآخر ، وإنما يغلبون فى مثل هذا الأشهر أو الأخف لفظا . هذا قول الأصمعى ، ويقال : وسيع ووشيع ، بالسين والشين . وقال أبو عمرو : هو بلد . وقال غيرهما : هو ماء لبنى سعد . وزوراء : مائلة منحرفة . وأراد بالديلم : الأعداء ، وأصل الديلم : جيل من العجم . فشبه بهم أعداءه . هذا قول الأصمعى وابن الأعرابى . وقال أبو عمرو : الديلم : الجماعة ، ويقال : الظلمة ويقال : أرض ، ويقال : هو ماء فى أقاصى البدو . وحكى يعقوب فى « المعانى » عن الأصمعى قال : الديلم : ضبة ، وذلك أنهم دلمان فى ألوانهم ، وذكر النفار عن حياضهم ؛ لأن بنى عبس لما راغموا قومهم مروا بضبة فأرادت ضبة أخذ أموالهم ، فنجوا ومالوا الى بنى عامر مستجيرين ، ثم ساروا على الدحرض ووسيع ورداعة ، حتى عاذوا بمالك ذى الرقيبة القشيرى . فحكى عنترة ما كان . قال : وهذه مياه بنى أنف الناقة من بهدلة ... » .

(٢) سورة هود ١٤ .

(٣) سورة فاطر ٤٠ .

﴿ مِن مكان على ﴾

قال الله تعالى : ﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ القَوْمِ ﴾[(١)] ، أى على القوم .

﴿ عن مكان مِن ﴾

قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ ﴾[(٢)] ، أى من عباده . وتقول: أخذت هذا عنك ، أى منك .

﴿ مِن مكان عن ﴾

تقول : لَهِيتُ مِن فلان ، أى عنه . و: حدثنى فلان من فلان ، أى عنه .

﴿ على بمعنى عند ﴾

قال الله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنْبٌ ﴾[(٣)] ، أى عندى .

﴿ الباء مكان اللام ﴾

قال الله تعالى : ﴿ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالحَقِّ ﴾[(٤)] أى للحق .

---

(١) سورة الأنبياء ٧٧ .

(٢) سورة الشورى ٢٥ .

(٣) سورة الشعراء ١٤ .

(٤) سورة الدخان ٣٩ وفى تفسير الطبرى ٧٧/٢٥ « وقوله : « ماخلقناهما إلا بالحق » : يقول : ماخلقنا السموات والأرض إلا بالحق الذى لايصلح التدبير إلا به ، وإنما يعنى بذلك ، تعالى ذكره ، التنبيه على صحة البعث والمجازاة » .

وجدتُ فى آخر كتاب المشكل تفسير بعض مافيه من الأحاديث والأمثال فألحقته به[1]

---

١ ـ قول النبى صلى الله عليه وسلم : النَّاسُ كَإِبلٍ مِائَةٍ لَيْسَ فِيهَا رَاحِلَةٌ[2] .

الإبل المائة : هى الرَّاعية ، وإنما يجتمع منها فى المرعى الواحد مائة ، فتقام المائة مُقام القطيع . يقال : لفلان إبل مائة . وهى أيضاً هُنَيْدَة[3] . وإذا كان الإبل مائة ليست فيها راحلة تشابهت فى المناظر ؛ لأن الراحلة تتميز منها بالتمام وحسن المنظر .

فأراد : أنهم سواء فى الأحكام وفى القصاص، ليس لشريف فضل على غيره.

وهذا مثل قوله عليه السلام : النَّاسُ سواء كأسنان المُشْط[4] .

والعرب تقول فى هذا المعنى : هم سواء كأسنان الحمار .

* * *

٢ ـ وقوله : إِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ ما يَقْتُلُ حَبَطاً أَوْ يُلِمُّ[5] .

فالحَبَطُ : أن تأكل الناقة فى المرعى فتكثر حتى تنتفخ بطنها . ولذلك قيل لقوم من العرب : الحَبِطَات ؛ لأن أباهم كان أكل صَمْغاً حتى حَبِطَ بطنه ، فسمى : الحَبِط . وهو الحارث بن تميم[6] .

---

(١) هذا ماقاله ناسخ الكتاب بعد فراغه من نسخه فى جمادى الأولى من شهور سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ، وهو ماأقوله بعد فراغى من طبعه فى ربيع الأول من شهور سنة ثلاث وسبعين بعد الألف .

(٢) ورد فى ص ٦٣ .

(٣) فى اللسان ٤/٤٤٩ « وهنيدة : اسم للمائة من الإبل خاصة ، قال جرير :

أعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ... مافى عطائهم من ولا سرف

(٤) البيان والتبيين ٢/١٩ .

(٥) ورد فى ص ٦٣ .

(٦) فى اللسان ٩/١٤١ « والحبط والحبط ـ بفتح الباء وكسرها ـ الحرث بن مازن بن مالك بن عمرو ابن تميم ، سمى بذلك لأنه كان فى سفر فأصابه مثل الحبط الذى يصيب الماشية ، فنسبوا إليه ، وقيل : إنما سمى بذلك لأن بطنه ورم من شىء أكله ، والحبطات والحبطات ـ بكسر الباء وفتحها ـ أبناؤه على جهة النسب ، والنسبة إليهم : حبطى ، وهم من تميم ، والقياس الكسر » .

وقوله : أوْ يُلِمُّ ؛ يعنى يقارب أن يَقْتُل .

وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاستكثار من الدنيا ومن غضارتها وحسنها إذا كان فى ذلك ما يهلك . فضرب استكثار البهيمة من العشب فى الربيع حتى يقتلها حَبَطاً مَثَلاً لذلك .

***

٣ ـ وقوله للضحَّاك بن سُفيان : إذَا أتيْتهُمْ فَارْبِضْ فى دَارِهِمْ ظَبْياً(١) .

يُرَادُ : أقم ولا تحدث شيئاً كأنك ظبىٌ قد استقر فى الكِنَاسِ .

٤ ـ وقوله : الكاسِيَاتُ العارِيَاتُ لا يَدْخُلْنَ الجنَّةَ(٢) .

[٢٣٠] يعنى النساء اللَّواتى يلبسن رِقَاقَ الثِّيَاب ، فهن / كاسيات إذا لبسن ، عاريات إذا كن لا يَسْتُرُهُنَّ .

***

٥ ـ وقوله فى كتاب صُلْح : وإنَّ بَيْنَنَا وبَيْنَهُمْ عَيْبَةً مَكْفُوفَةً(٣) .

يريد : صدراً نقياً من الغِلِّ والعداوة ، مُنْطَوِياً على الوفاء . والعرب تسمى الصُّدُور : العِيَاب . قال الشاعر :

وكادَتْ عِيَابُ الوُدِّ مِنَّا ومِنْكُمُ ... وإنْ قِيلَ أَبْنَاءُ العُمُومَةِ ـ تَصْفَرُ(٤)

تَصْفَرُ : تخلو من المحبة .

والمَكْفُوفَةُ : المُشْرَجَةُ . يقال: أَشْرَجَ صدرَه على كذا ؛ أى طَوَى . قال الشَّمَّاخ :

---

(١) ورد فى ص ٦٣ .

(٢) ورد فى ص ٦٣ .

(٣) ورد فى ص ٦٣ .

(٤) البيت غير منسوب فى اللسان ١١/٢١٤ « الود بينى وبينكم » ولبشر بن أبى خازم فى أساس البلاغة ٢/١٥١ وللكميت فى المعانى الكبير ١/٥٢٧ « الود منا ومنهم » وقبله :

لقد ما رأيت الناس أبناء علة ... وأرحامهم أكراش دمن تجرر

الكرش تمرغ فى التراب والسرجين ليطيب ريحها ، وعياب الود : الصدور . وتصفر : تخلو ، ويقال الكرش : البعير بعينه » .

وكادتْ غداةَ البَيْنِ يَنْطِقُ طَرْفُها　　بِمَا تحتَ مَكْنُونٍ مِن الصَّدْرِ مُشْرَجِ (١)

***

٦ — وقوله صلى الله عليه وسلم : أَجِدُ نَفَسَ رَبِّكُم مِن قِبَلِ اليَمَنِ (٢) .

يريد : أجد الفرجَ يأتينى من قِبَلِ اليمن — فأتاه الله من جهة الأنصار .

وكذلك قوله : لا تَسُبُّوا الرِّيحَ فإنها من نَفَس الرحمن (٣) .

يريد : أن الله يُنفِّس بها ، ويُفرِّج بها . وقد فرّج الله بها عنه ليلة الأحزاب ، قال الله جل اسمه : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا ﴾ (٤) .

وقال : اللهم نفِّس عنى الكرب ، ونفِّس عنى الأذى . كما قال : فرِّج عنى .

ومما يزيد ذلك وضوحاً قول عمر رضى الله عنه : الريح من رُوح الله فلا تسبُّوها .

***

٧ — وقول أبى بكر رضى الله عنه : نحن حَفْنَةٌ من حَفَنَاتِ الله (٥) .

يريد : نحن وإن كنا كثيراً فى العدد قليل عند الله ، كالحَفْنَة ، والحَفْنَة : ما حَفَنَهُ الرجلُ بيده فألقاه . يقال : حفن له من المال ، إذا أعطاه بكفِّه .

***

٨ — وقول عمر رضى الله عنه لِلعَرِيفِ الذى أتاه بالمَنبُوذِ : عَسَى الغُوَيْرُ أَبْؤُساً (٦) .

فقال بعضهم : هو تصغير غار . وهو مثل للعرب . ويقال : إن أول من قاله بَيْهَسُ الذى يلقب بالنَّعَامة فى حُمقِه ، وكان قد وجد قاتلى إخوته فى غار / فهجم عليهم فى ذلك الغار فقتلهم ، [٢٣١] فهو أحد من طلب بثأر فلحقه . وإنما عسى أن يكون الغوير أضمر لنا وأخفى أبؤسا ، وهو جمع بائس . ويقال : الغوير : ماء .

---

(١) ديوانه ص ٨ .

(٢) ورد فى ص ٦٤ .

(٣) اللسان ٨/١٢٢

(٤) سورة الأحزاب ٩ .

(٥) ورد فى ص ٦٤ .

(٦) ورد فى ص ٦٤ .

٩ ـ وقول عليّ كرم الله وجهه : مَنْ يَطُلْ هَنُ أبيه يَنْتَطِقْ به[١] .

يريد: منْ كَثُرَ إخوتُه عزَّ بهم فامْتَنَع. وضرب النِّطاق مثلا لذلك ؛ لأنه يَشُدُّ الظَّهْرَ. ومثله قول الشاعر :

فلو شاءَ ربِّى كان أيْرُ أبِيكُمُ طويلا كأيْرِ الحارث بن سَدُوسِ[٢]

والحارث بن سَدُوس من شَيْبان ، وكان له أحد وعشرون ذكراً .

***

١٠ ـ وقول عمر رضى الله عنـه : أيُّما رَجُلٍ بايَعَ عَنْ غَيْرِ مُشاوَرَةٍ ، فلا يُؤَمَّرُ واحدٌ منهما تَغِرَّةً أنْ يُقْتَلا[٣] .

يريد : إذا بايع الرجل رجلا عن غير مشاورة الناس ، يعنى مبايعة الإمْرَة ، فلا يُؤَمَّرُ واحد منهما ، لا المُبَايِعُ ولا المُبَايَعُ حتى يكون ذلك عن اجتماع مَلإٍ من النـاس ؛ لأنه لا يُؤْمَنُ أن يُقْتَلا جميعاً .

وتَغِرَّةً هاهنا : مصدر غرَّرْتُ به تَغِرَّةً وتَغْرِيراً ، مثل عَلّلْته تَعِلَّةً وتَعْلِيلًا . وهذا قول أبى عُبَيْدَة .

***

١١ ـ والعرب تقول : حَوْرٌ فى مَحارَةٍ[٤] .

والحَوْر : النُّقْصان . والمحارَةُ: المَنْقَصة ، وهذا كما يقول الناس : هذا نقصان فى نقصان وخسران فى خسران .

***

---

(١) ورد فى ص ٦٤ .

(٢) البيت غير منسوب فى جمهرة الأمثال ص ١٨٧ ومجمع الأمثال ٢/٢٠٦ واللسان ١٢/٢٣٣ .

(٣) ورد فى ص ٦٥ .

(٤) ورد فى ص ٦٥ .

١٢ ـ وقولهم : جَرْيُ المُذَكّيات غِلاءٌ(١) .

فالمُذَكِّياتُ : الخيل المَسَانّ . والغِلاء : أن تتغالى فى الجرى ، أى كأنها تتبارى فى ذلك، وليست كالصغيرة التى لا تتغالى . وقد يروى : «غِلابٌ» مكان «غِلاءٌ» .

***

١٣ ـ وقوله : عِيلَ مَا هُوَ عَائِلُه(٢) ، مثل .

ومعنى عِيلَ : أى أُثْقِلَ . يقال : عالَنى الشىءُ أى أثقلنى . كأنه قال : أُثقل ماهو مثقله. كأنه يُدعَى له ويُدعَى على الذى أثقله .

قال ابن مُقْبِل يصف فرساً :

خَدَى مِثْلَ خَدْىِ الفَالِجِىِّ يَنوشُنِى ... بخَبْطِ يَدَيْهِ عِيلَ ما هو عَائِلُه(٣)

***

١٥ ـ وقولهم : وإنّه لَشَرَّابٌ بِأَنْقُعٍ(٤) .

قاله الحجّاج لأهل العراق : إنكم يا أهل العراق شاربون بأَنْقُع(٥) . وأصله فى الطير ، وذلك أن الطائر إذا كان / حذرا منكرا لم يرِد المياهَ التى يردها الناس ـ لأن الأشراكَ تُنْصَب عِنْدَها . ـ ووَرَدَ النِّقَاعَ ، والمَنَاقعَ التى فى الفَلَوات . [٢٣٢]

***

(١) ورد فى ص ٦٥ .

(٢) ورد فى ص ٦٦ .

(٣) البيت له فى اللسان ٥١١/١٣ « ينوشنى بسدو يديه » والمعانى الكبير ٥٨/١ وقال ابن قتيبة فى شرحه : « خدى : من الخديان . ينوشنى : من النوش وهو التناول . يقول : يكاد يتناولنى بيديه من خبطه بهما ، وذلك من نزقه ومرحه . عيل ماهو عائله ، وإنما هو كقولك : عالنى الشىء أى أثقلنى ، ولم يرد بذلك مذهب الدعاء عليه ، وإنما هو كقولك للشىء يعجبك : قاتله الله ، أخزاه الله ، أى شدد هذا الشىء عليه وأثقله » .

(٤) ورد فى ص ٦٦ :

(٥) اللسان ٢٣٩/١٠ .

١٥ – وقولهم : عَاطٍ بِغَيْرِ أنواطٍ (١) .

العاطى: المُتناولُ . ويقال عَطَوْتُ: إذا تناولت ، أَعْطُو . ومنه قول الشاعر فى صفة الظبية :

* وتَعْطُو بِظِلْفَيْها إذا الغصنُ طالَها *

والأَنْوَاطُ : المعَاليقُ ، واحدها نَوْط . أراد أن هذا يصعب عليه ما يرومه كمن تناول بغير مِعْلاق .

***

١٦ – وقوله إلاَّ دَهٍ فلاَ دَهٍ (٢) .

يريدون : إن لم يكن هذا الأمر لم يكن غيره . وهو مثل قول رُؤْبة :

* وقُوَّلٌ إلاَّ دَهٍ فلا دهٍ * (٣)

ويروى أهل العربية أن الدال فيه مبدلة من ذال، كأنهم أرادوا: إن لم تكن هذه [لم تكن] أخرى

***

١٧ – وقولهم : النُّفَاضُ يُقطِّرُ الجَلَبَ (٤) .

النُّفَاضُ : الفقر ، يقال : أنفض القوم وأنفدوا : إذا ذهب ما عندهم .

وقولهم : يُقَطِّرُ الجَلَبَ ، يريدون : أنهم يَجْلبُونَ من البادية إلى المصر ، ليبيعوها من فقرهم .

***

١٨ – وقولهم : بِهِ داءُ ظَبى (٥) .

يريدون : أنه صحيح لا داء به، كما أن الظبى لا داء به .

***

---

(١) ورد فى ص ٦٦ .

(٢) ورد فى ص ٦٦ .

(٣) ديوان رؤبة ص ١٦٦ والعقد ٣/١٢٤ .واللسان ١٤/٩٢ .

(٤) ورد فى صفحة ٦٦ .

(٥) ورد فى صفحة ٦٧ .

١٩ ـ وقولهم : أَراكَ بَشَرٌ ما أَحارَ مِشْفَرُه(١) .

يريدون : بشرة البعير ـ ومشفره : سمته ـ تدلك على جودة أكله، وأحارَ : رَدَّ إلى جوفه.

***

٢٠ ـ وقولهم : أَفْلَتَ فلانٌ بِجُرَيعَةِ الذَّقن(٢) .

يريدون : أنه أفلت نفسه فيه ، كما قال الهذلىّ :

نجَا سالِمٌ والنَّفسُ منهُ بشدقِهِ ولَمْ يَنجُ إلاجَفْنَ سَيْفٍ ومِئْزَرا(٣)

***

٢١ ـ وقولهم : غُبارُ ذَيلِ المرأةِ الفاجِرَةِ يورِثُ السِّلَّ(٤) .

يريدون : من اتبع الفواجر ذهب ماله . ضرب السل فى البدن مثلا لذهاب المال .

***

٢٢ ـ وقولهم : كبارِحِ الأَرْوِىِّ(٥) .

يريدون أنه مَشْئُوم من وجهتيه ، وذلك أن الأُرْوِى يتشاءم بها من حيث أتت . وإذا برحت كان أعظم لشؤمها .

***

٢٣ ـ وقولهم : عَبْدٌ وخَلًى / فى يَدَيْهِ(٦) . [٢٣٣]

وهذا مثل يضرب للئيم البطر . والخلى : هو رطب الكلإ ، وإذا كثر عندهم الكلإ خَصِبُوا ، والعبد لئيم ، فإذا وقع فى الخِصْب بَطِرَ .

---

(١) ورد فى صفحة ٦٧ .

(٢) ورد فى صفحة ٦٧ .

(٣) البيت لحذيفة بن أنس الهذلى ، كما فى ديوان الهذليين ٣/٢٢ ، والنفس بشدقه، أى كادت تخرج فبلغت شدقه . يريد: ولم ينج إلا بجفن سيف ومئزر فلما حذف حرف الجر نصبه » وهو له فى اللسان ١٦/٣٤١ « وجفن السيف : غمده » .

(٤) ورد فى صفحة ٦٧ .

(٥) راجع صفحة ٦٧ .

(٦) ورد فى صفحة ٦٧ .

وهذا مثل قوله :

قَوْمٌ إذا نبتَ الرَّبيعُ لهُمْ نَبَتَتْ عَداوَتُهم معَ البَقْلِ (١)

وقال آخر :

يابْنَ هِشامٍ أَفْسَدَ النَّاسَ اللَّبَنْ فكُلُّهُم يَمْشِي بقَوْسٍ وقَرَنْ (٢) .

***

٢٤ — وقولهم : رَمَّدَتِ الضَّأْنُ فرَبِّقْ رَبِّقْ ؛ ورَمَّدَتِ المِعْزَى فرَنِّقْ رَنِّقْ (٣) .

التَّرْمِيدُ : نزول اللَّبن فى الضَّرْع .

وقولهم فى الضأن : أى هى الأَرْبَاقُ لأولادها .

والأَرْبَاقُ : عُرًى تجعل فى حبال وتُدخل فى أعناق الصغار لئلا تتبع الأمهات فى المرعى ، وهى الرِّبْق أيضا ، واحدها رِبْقَة . ومنه قيل : من فعل كذا و كذا فقد خلع رِبْقَة الإسلام من عنقه (٤) .

وإنما أراد أن الضأن تُرَمِّدُ ، أى تنزل اللبن فى ضروعها فى وقت وضع الحمل . والمعزى تُرَمِّدُ فى أول الحمل .

يقول: رنّق رنّق ؛ أى انتظر ، يقال: رَنَّقَ الطائرُ فى الهواء : إذا دار فى طيرانه ولم يجر . ورنَّقت السفينةُ : إذا دارت مكانها ولم تسر .

***

---

(١) البيت للحرث بن دوس الإيادى يخاطب المنذر بن ماء السماء ، كما فى المعانى الكبير ٢/٨٩٥ ، ٩٩٦ واللسان ١٣/٦٥ .

(٢) لرؤبة فى الصناعتين ٢٩١ ومن غير نسبة فى اللسان ١٣/٦٥ ، ١٧/٢١٨ والبيان والتبيين ٣/١٠٧ وإصلاح المنطق ٦٣ والمعانى الكبير ٢/٨٩٥ « يقول : لما جاء الربيع وأصابوا اللبن قووا وغزوا . والقرن الجعبة » وفى اللسان ١٧/٢١٨ « القرن — بالتحريك — الجعبة من جلود تكون مشقوقة ثم تخرز ، وإنما تشق لتصل الريح إلى الريش فلا يفسد » .

(٣) ورد فى صفحة ٦٨ .

(٤) اللسان ١١/٤٠٢ .

٢٥ ــ وقولهم : أَفْوَاهُهَا مَجَاسُّهَا(١) .

يريد : أنها إذا كانت كثيرة الأكل أغْنَتْكَ بذلك عن أن تجسها فتعرف: كيف هى؟ لأن كثرة الأكل تدل على السِّمَن .

***

٢٦ ــ وقولهم : نِجَارُها نارُها(٢) .

النار هاهنا : السِّمَةُ . ويقال لكل شىء وُسِمَ بالمِكْوَى: نار . قال الشاعر :

حتى سقَوْا آبَالَهُم بالنَّارِ والنارُ قَدْ تَشْفى من الأُوَارِ(٣)

والأُوَارُ : العَطَش . وسقيهم آبالهم بالنار / يريد أنهم قدموها على مواسمها فى الشرب. فقدموا الأعَزَّ منها فالأعَزَّ أرْبَاباً(٤) . [٢٣٤]

والنِّجَارُ : الطبيعة والجوهر ، فأراد أن سِمَاتِها تدلك على جواهرها .

تمّ كتاب مشكل القرآن وتفسير المشكل والأمثال التى فيه، بحمد الله ومنه وحسن توفيقه، سلخ جمادى الأولى من شهور سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة .

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

---

(١) ورد فى صفحة ٦٨ .

(٢) ورد فى صفحة ٦٨ .

(٣) فى اللسان ٧/ ١٠٢ .

(٤) فى اللسان « أى سقوا إبلهم بالسمة ، أى إذا نظروا فى سمة صاحبه عرف صاحبه فسقى وقدم على غيره لشرف أرباب تلك السمة ، وخلوا لها الماء » .

فهارس الكتاب

١ — فهرس الآيات

٢ — فهرس الأحاديث

٣ – فهرس الأمثال

---

٤ — فهرس الأعلام

٥ — فهرس القبائل والأمم والفرق

٦ – فهرس الأماكن والبلدان

٧ – فهرس الأيام

٨ — فهرس القوافى

(حرف الألف)

(حرف الباء)

(حرف الدال)

(حرف الراء)

(حرف الطاء)

(حرف العين)

(حرف الفاء)

(حرف القاف)

(حرف الميم)

(حرف النون)

(حرف الهاء)

(حرف الياء)

أنصاف الأبيات

شطر (ء)

شطر (ب)

٩ — فهرس الفروق الخطية

صفحة	سطر		
٤	٤	د	: ونحوه
٥	٥	«	: ارتدع من كان يهم بالقتل ، فكان فى القصاص له حياة
—	٨	«	: فكان
—	١٠	«	: الجنة حين قال
٦	٦	«	: ولم يشترط
—	١٠	«	: بهاتين القبيلتين . وهذا فى القرآن
٧	٦، ٧	م، د	: الخير
—	١٠	م، د	: من الجبل
٨	١٥	م	: أرض الخورنق
٩	٦	د	: من ذكرهم
١٠		م، د	: خلتا من العنوان
—	١٠	د	: اجتمعت عليه
—	١٥	«	: الأعجمين
١١	١١	«	: فى حروفنا
—	١٨	«	: ودل بحذف
١٢	١٣	«	: إذا سبه الناس
—	١٥	«	: المعنيين بتغيير
١٣	١	«	: ذلك قيل
—	١٤	«	: وللنهم مبطون . وللعرب الشعر
١٤	٤	«	: كما يخف
—	١١	ج	: هذا السطر منها
١٥	١٣	د	: ذهب حرف
—	١٤	«	: فقد ذهبت منه قوة من الحبل لما قال

صفحة	سطر		
—	١٦	«	: فنها الاستعارة
١٦	١٣	«	: أنت وهو
—	١٨	م	: لأديت
١٧	٥	د	: وعرضت
—	٧	«	: ولو كان ماجروا إليه
—	١٢	م، د	: سحر ومرة هو شعر ، ومرة هو قول
١٨	٢	د	: لإمام متبع
—	٣	«	: أو أقضى فيه
١٩	٣	م	: الحكاية عنهم د : باب الحكاية عنهم
—	٤	د	: فى الحرف
—	١٣	م	: مصحفه المعوذتين وأم الكتاب
٢٠	٧	د	: هى خطأ
—	١٢	د	: ليس فيها كلمة : قال
٢٣	١٦	«	: الليل وقالوا
٢٥	٣	م	: صنوف التعذيب
—	٥	د	: أراد بالقرآن والتبيان
—	١٥	م	: لئلا يطول
٢٧	٣	م	: فمن قرأ
—	٥ـ٦	د	: وتقع الكلمة على الرسالة بأسرها
—	٧	«	: وكذلك الكلمة ألا ترى
—	٨	«	: الكفر وقال : ولقد سبقت
٢٨	١	«	: وجه واحد ومذهب واحد
—	٣	م، د	: وجوه الاختلاف
٢٨	١٥	د	: فى الكلمة مما يعترضون بها فى الكتاب

صفحة	سطر		
٣٠	٤	م	: فى ذلك مايشاء
—	٦	م، د	: يلفظ بها ويسمها
—	١١	د	: ولو أراد هؤلاء أن يزول
—	١٥	«	: وصلاتهم وصيامهم وحجهم وصلاتهم وعتقهم
٣١	٤	«	: وليست واحدة
—	٧	«	: أى بعد نسيانه فأنزله الله جل وعز على نبيه صلى الله عليه بالمعنيين
—	١٣	«	: فى غرضين م : والمعنيان جميعا
٣٢	٢	م	: جميعا فى غرضين
—	٣	د	: يقال : هو الأترج
—	١٣	م، د	: وسوم طباعهم القرأة
—	١٥	د	: أن تعدده
٣٣	١	«	: وزيادة مصحف أبى
—	٣	«	: والرقية للعين
٣٤	١	«	: آخر السحور
—	٨	م، د	: يقول فيه
—	١١	م، د	: السبع من المثانى
٣٤	١١	د	: أو أقدم
٣٦		د	: باب الحجة فى اللحن
—	١	د	: غلط الكتاب وحديث عثمان فيما وقف عليه من اللحن فى المصحف فقد تكلم
—	١٠	د	: على أن القرأة
٣٧	٢	م	: سقط منها من قوله : وكان يقرأ إلى آخر السطر الثالث
—	٦	م، د	: وناجية بن مخ
—	٨	د	: أبو حاتم السجستانى
—	١٧	«	: يعنى الشك
٣٨	٣	«	: النبى برفع الملائكة

صفحة	سطر		
٢٨	٧	م، د	: إليك ويؤمنون
—	١١	د	: النازلون
—	١٣	م، د	: والقرأة
٣٩	٥	د	: وهذه وجه
—	٨	م	: والطوافين
—	١٩	د	: وأنشد بعض
٤٠	١٣	د	: خطأ من الكاتب
—	١٥	م، د	: فى كتاب المصحف
٤١	١	د	: يحذف فى المصحف
—	٥	«	: بلام وكتبوا
—	٦	«	: هى كسرة
—	١٤	«	: خلت من كلمة : وزلوا
٤٢	٨	«	: المذاهب كلها
—	١٩	«	: من الخنسة
٤٦		«	: باب الحجة فيما ذكروا أنه متناقض م: باب التناقض
—	١	م، د	: خلتا منه
—	٤	د	: «خمسون» وفيها وفى م: ففى هذا اليوم
—	١٣	«	: تختصمون والجواب
—	١٤	«	: لأنهم يحتكمون
٤٨	٦–٧	م	: العرب بمعنى واحد
—	١٢	د	: ولا يشبع والعرب تصفه
٥٠	٣	م	: الزقوم جنس من النار
—	١٤	د	: أى وفيهم من يستغفر يعنى

صفحة	سطر		
٥١	٨	د	: بشىء ولا أليق م : بشىء وأليق
—	١٠	م	: ماأباح لهم من ملك اليمين لم يستطع العدل
٥٢	١٤	«	: فأربعوا
—	١٥	«	: رجل واحد
٥٣	١٤	«	: لـكل صبار مؤمن
٥٤	٥	«	: فى السلاح ومنه
—	٧	«	: خلت من الشطر الأول
٥٥	٧	د	: لافى الجنة ولا فى النار
—	٢١	م	: سقط منها من قوله : أى لاتأكل إلى آخر السطر الأول من ص٥٦
٥٦	٣	«	: يرزقون أفهل ترى
—	١٤	د	: سبيت المرأة
—	١٦	م، د	: مال جثل د : سدى واهلات
٥٧	٢ـ٣	م	: مافى الجنة من أنهارها وسررها
—	١٧	«	: آخرون مخطخطة
—	١٨	م، د	: خلتا من قوله : أى حجر وطين
٥٨	٦	م	: من أكاة الوجبة
—	١٠	«	: معناها
—	١٢	«	: مآكلهم
٥٩	١٠	«	: الرائعة
—	١٧	«	: ذلك صفتهم
٦٠	١٢	د	: رجل بعثه واليا
—	١٤	م	: فأعلمنى
٦٢	«		: المتشابه د: باب الحجة فى المتشابه
—	١	«	: أراداالله

صفحة	سطر		
٦٢	٢	«	: العرب ومبانيها
—	٣	د	: والإطالة للتوكيد
—	١٣	م	: على حسب
—	١٤	«	: عالما ولامتعلما ولاخفيا ولاجليا
٦٦	٣	د	:وغلط بغير أنواط وإلاده والنفاض
٦٩	٦_٧	م، د	: وأسفده
—	٩	د	: عاورت صاحبي وهيأنا لموضعها
—	١٥	د	: قال أبو حاتم : الرواية البيقورا . الباء قبل الياء . قال أبو محمد : هو خطأ من الرواة ، هكذا رواه عسل ما
٧٠	٣	د	: عن الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء أنه قال
—	٧	«	: وأنا والولاء .. قال : وفسره
٧١	٧	د	: فى جوف الفرإ مهموز مقصور
—	١٤	«	: قال يوهم بعد أن
٧٢	٥	«	: ابن الأعرابى أراه كأنه
—	٦	م	: سقط منها قوله : والخذع الميل
—	١٣	«	: تعالى : لايعلمه إلا الله
٧٤	٣	م	: شجوه
٧٦	١	د	: قال : وأما المجاز
٧٨	١٤	م	: وإنما هو عبارة لتكوينهما فكانتا
٨٠	٧	م	: يقول للرائد أعشبت أى هذا عشب
—	١٢	د	: فجعل يشمه
—	١٤	«	: خلت منه
٨١	٣	م	: دلك بمعنى
—	٥	«	: أحداث د : وبعتك أزمنة حفت

صفحة	سطر		
٨١	١٠	د	: أراد أنه قد حفت فيها
—	١٢	د	: ابن الجرع
٨٤	٨	م، د	: قد أعطيت
—	١١	م	: لأنها تصوت
٨٥	٤	«	: يعقد بها
—	٨	«	: يحله فكلما
٨٧	٢	«	: قال عبيد بن ثور
—	٤	«	: وأجناس الطير
٨٨	١٠	م	: الأخطل ترى الثعلب
٨٩	٨	«	: البرزخ بعد المهات
—	١٣	د	: من آمن بالشياطين ... بتخبطه
٩٠	٣	م، د	: خلتنا من قوله : كما سمانا
—	١٠	د	: والنجى من الجن
٩٥	٥	«	: أبياتا فى إثبات القدرم : ينشد من الشعر فى إثبات القدر أبياتا ذكرتها
—	١٢ـ١٣	«	: سقطا منها
٩٦	٢	«	: وقال : قد كنت م : وقال قس بن ساعدة الإيادى ! ! !
٩٨	٣	«	: ليس فيها ومكانه فيها : أحمد الله فلا ند له بيديه الخير من شاء أضل
٩٨	١٣	م	: العرب فى القدر ومذهب د : وإن الله يعلم مافى السماء . ماتركت
—	١٤	د	: ولم تقل
٩٩	٦	ج	: والقرية لاتسأل م، د: «والقرية لاتقصم». والأولى إشارة إلى قوله تعالى: واسأل القرية . والثانية إلى قوله تعالى : وكم قصمنا من قرية .
١٠٠	٧	د	: شملى بسلمى
—	٩	م	: جعلوه كأنه

صفحة سطر

١٠٢ ١ د : العرب م: من الآخر أو مجاورا له

— ٦ م، د : ويقولون : مازلنا

١٠٣ ١٣ م : إلى المعاناة ... عن ساقيه

١٠٤ ١ م،د : الصمة يرثى رجلا

— ٢ م : على الجلى

— ٦ د : النقرة فى طرفها

١٠٥ ٢ د : وهو الفوقة

— ٨ م : خيرا إلا أن

— ١١ « : مكان التبيين

١٠٦ ١٣ د : بعدالفسق

— ١٤ م،د : خلتا منه

١٠٩ ١٣ د : الطريق يريد لم يجعل لى سبيلا حين أعنى بما عليه فكأنه سد
الطريق فكنى م : حين أعنى بما عليه ... الطريق ومضى فكنى

١١١ م : وردفى هامشها : ومنه التحيات لله ، يراد الملك لله ، وأصله أن الملك
كان يحيا بتحية الملك فيقولون : أبيت اللعن وأنعم صباحا ، فكنى
عن الملك بالتحية ، قال عمرو بن معد يكرب :

أسيرها إلى النعمان حتى ... أنيخ على تحيته بجندى

أى على ملكه . وقال الآخر :

ولكل ما نال الفتى ... قد نلته إلا التحية

يقول : لما أملك فأحيا بتحية الملوك

١١٣ ٧ـ٨ م : النصارى وردها على ملة إبراهيم

— ٩ د : تنظر ونكث

١١٤ ٤ م، د : ليس به من معد د : غريب

١١٦ ٩ م : تقول : هم غليظ

١١٧ ١٢ د : لايريدون بها دون

صفحة	سطر		
١١٧		م	: جاء في هامشها : «حاشية : قال أبو محمد : أصل الميسم : موسم فقلبت الواو ياء للكسرة قبلها ، فإذا اجتمعت انفتحت الميم وردت الواو إلى أصلها . كما قالوا : ميزان ؛ ثم قالوا : موازين ، وقالوا : مواسم ومياسم . فمن قال : مياسم بالياء ، جمعه على اللفظ وجعله فرقا بينه وبين مواسم العرب وهى أسواقهم» .
١٢٠	٥	م	: يحك على شجر
—	١٤	د	: وصفه بالحلف والصلم والإثم والجفاء والدعوة
١٢١	٣	د	: لحقته سمة
—	١٠	د	: لم يقطد !
١٢٢	٤	«	: سقط منها هذا السطر وما يليه إلى قوله : وأراد الله فى السطر الرابع من ص ١٢٣
١٢٤	٦	«	: سقط منها
—	١٦	«	: فى وصف فرس
١٢٥	٣	«	: يريد أنه راز القوس
—	٦	«	: مطمئنين ينتجعون
١٢٦	٥	د	: مستو يتبع بعضه بعضا
—	١٠	«	: لا يعلمون ولا يباعثهم
—	١٢	«	: ولا تجهم عليه
١٢٧	١٠	«	: وعمت والسامع
١٢٨	١	«	: شجوها
—	٨ـ١١	«	: خلت من هذه الأسطر
—	١٢	«	: سقط منها وما يليه إلى آخر الصفحة
١٣٠	٤	«	: يقاربون أن يعقلوا
—	١١	«	: تبلغ القلوب الحلوق

صفحة	سطر		
١٣٠	١٢	م	: من شدة الجزع والفزع
١٣١	٤	د	: سقط منها وما يليه إلى آخر السطر السابع من ص ١٣٥
١٣٥	١٢	د	: « « « « « « الثالث « « ١٣٦
١٣٦	٤	د	: ويقولون فى جميعه
١٣٦	٥	د	: سقط وما يليه إلى السطر الأخير فى ص ١٣٧
—	٧	م	: وطاب ألوان
—	٩	«	: الشراب نبيذا بأن يبال
١٣٧	١١	م	: أراد مكث
—	١٥	«	: مكان «السدر» فيها بياض
١٣٨	١٣	م، د	: على الوغم
١٣٩	٨	م	: ومنه قول الشعراء
١٤٠	٥	د	: سقط منها من قوله : وأصل هذا . إلى قوله : فقتلوا . فى السطر السابع
١٤٤	١٠	م	: ولهذا جعلوا
١٤٥	٤	«	: مفرغ الحميرى
١٤٧	٣ـ٥	د	: خلت من هذه الأسطر
—	٧	«	: يأسك من غيره قال الشاعر : ألم ييئسوا أنى ابن فارس م : قال الشاعر : حتى إذا
١٤٩	٤ـ١٠	«	: خلت من هذه الأسطر
—	١٢	د	: سقط منها هذا وما يليه إلى آخر صفحة ١٥١
—	١٣	م	: حالف الحيات
١٥٢	٥	د	: أى بعض الضياطرة
—	٦	«	: أى يمطون . وسقط منها ما بعد هذه الكلمة إلى آخر السطر الرابع من صفحة ١٥٣

صفحة	سطر		
١٥٤	٩	د	: سقط هذا منها وما يليه إلى آخر السطر الخامس من صفحة ١٥٦
١٥٦	٤	م	: « « « « « « الحادى عشر
—	٩ـ١١	د	: خلت من هذه الأسطر .
١٥٧	٥ـ٩	د	: « « « « «
١٥٩	٣	د	: سقط منها من أول : قال الأعشى إلى آخر السطر الثالث من ص ١٦٠
١٦١	٣	د	: خلت منها
١٦٢	١٣	م	: سقط منها من قوله : أى أجعلتم إلى قوله : كمن آمن فى السطر الرابع عشر
١٦٣	٥	د	: سقط منها وما يليه إلى آخر السطر السادس من ص ١٦٤
١٦٥	٤ـ٦	د	: سقطت منها
١٦٦	١٤	م	: إنى لأمرها
١٦٧	٢	م	: والمعنى ـ والله أعلم
—	٥	«	: والمعنى يقولون
—	٨	«	: وقال آخر
—	١٢	«	: ووصى ربك بالوالدين إحسانا
١٦٨	٥	«	: فحذف الريح
—	١٠	م، د	: مرسل ولا مبعوث
١٦٩	١٢	م	: فى الكلام مكانه
١٧٠	٧	م، د	: النحويين يجعل
١٧١	٩	د	: سقط منها وما يليه إلى آخر السطر الثانى من ص ١٧٢
١٧١	١٥	م	: سقط منها من قوله : فإذا لم تحمل . إلى قوله : أقوى لها . فى السطر السادس عشر
١٧٢	١٤	د	: سقط منها من قوله : قال الشاعر إلى آخر السطر الأول من ص ١٧٣

صفحة سطر

١٧٣ ٤ مَ،د : «أئذا متنا ، كأنه قال والله أعلم : ق والقرآن المجيد لتبعثن ، فقال الـكافرون هذا شيء عجيب أئذا متنا نبعث». ولـكن هذا غير موجود في جً ولا في ق.

— ٧ مَ : لعلم المخاطب ... من قولهم

١٧٤ ٥_٦ د : خلت منهما

١٧٥ ٥ « : سقط وما يليه منها إلى آخر السطر السادس من ص ١٧٦

— ٩ م : وضاق به

١٧٦ ٨ م، د : قبل ذلك الإنسان

١٧٧ ٤_٦ د : خلت منهما

١٧٨ ٤ م : سقط منها من قوله : فحذف إلى قوله : ومن الاختصار في السطر السابع

١٨٠ ١ د : تـكرار الأنبياء ... ثلاثة

— ١٤ م، د : بأمره وينتهوا بزاجره

١٨٢ ٩ د : وثبه

١٨٣ ٣ م : في أطرار الأرض. وفي هامشها: جمع طرة وهي الناحية.

— ٦_٧ د : خلت منهما

١٨٦ ٢ د : وكثرت عنده

— ٣ م : راجل أفتنـكر هذا ؟

١٨٨ ٨_١٠د : سقطت منها

١٩٠ ٨ د : يريد لئلا يعلم

١٩١ ٣ م : تسخر فزاد لا في أول الـكلام لأن في آخره جحدا

— ٣_٦ د : خلت من هذه الأسطر

— ٤ م : سقط منها وما يليه إلى قوله : وأما زيادة في السطر السابع

١٩٢ ٧ د : سقط منها من قوله : وقال الشاعر إلى آخر السطر الأول من ص ١٩٣

١٩٤ ٤_٥ د : خلت منهما

صفحة	سطر		
١٩٥	٢	د	: سقط منها من قوله : قال حميد إلى آخر السطر الرابع
١٩٦	١	«	: « « « : كقول الشاعر إلى آخر السطر الثانى
—	٨ـ٩	«	: سقطا منها
١٩٧	٨	«	: سقط منها وما يليه إلى آخر السطر الثانى من ص ١٩٨
—	١٠	م	: قال الراجز
١٩٩	٧	م	: وقال : إن كانت السكنية
٢٠٠	١	د	: ابن أبى طالب .. أبى سفيان
٢٠١	٨	م	: فى المسمى والمكنى
٢٠١	١٠	د	: سقط منها هذا وما يليه إلى آخر السطر الثانى من ص ٢٠٢
٢٠٢	٢	م	: فيها : «ثور» بدل «ثغر»
—	٤	د	: من المقسمين بالمسلمين . وفى م : وذهب قوم. وما أثبت من ج
—	١٥	م	: ببكر
—	١٦ـ١٧	د	: ساقط منها
٢٠٣	٦	م، د	: سبب نزولها
—	١٠	م	: بسخط
—	١٢	د	: «عتبة بن ربيعة والمغيرة وفلان». م : عتبة بن أبى ربيعة
—	١٨	د	: سقط من قوله : والشاعر إلى آخر السطر الثانى من ص ٢٠٤
٢٠٤	١٣	د	: سقط وما يليه إلى آخر السطر السادس من ص ٢٠٦
٢٠٧	١	د	: سقط من قوله : كما كنى إلى آخر السطر الثانى
—	٦	م، د	: النسيان تعريضا
٢٠٨	٢	م	: فسلوهم النطق
—	٧	م، د	: بعض السلف
—	٨ـ٩	د	: حاجزا بين الحلال والحرام

صفحة	سطر		
٢١٠	٢	د	: سقط منها من هذا السطر إلى آخر السطر الثانى من صفحة ٢١١ وورد فيها مكان المحذوف مايلى : قال أبو بكر : قال على بن أبى طالب فى تأويل هذه الآية : واسأل من أرسلنا ـ: إنها نزلت ليلة أسرى به ببيت المقدس ونشر له النبيون أنزل الله عليه : واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا . وهذه الآية مقدسية نزلت ببيت المقدس. وهذا الكلام الذى تفردت به د مقحم على الكتاب وليس منه فى شىء .
—	٦	م	: فيك الضجاج
٢١١	٢	«	: فى مدحه تفريط
—	١٢	م	: غير النبى صلى الله عليه كما قال : ياأيها الإنسان ماغرك
—	١٦	د	: سقط منها من قوله : ومثله إلى آخر السطر الأول من ص ٢١٢
٢١٢	٤	م	: جاء فيها بعد آخر هذا السطر مايلى : قال : فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك ، والنبى صلى الله عليه لم يشك ، وقد قال صلى الله عليه : لا أشك ولا أسأل . والله يعلم أن النبى صلى الله عليه لم يشك ، ولكن هذا مثل قول القائل: إن كنت عندى . والمعنى أنت عندى فكذلك إن كنت فى شك مما أنزلنا إليك ، أى لست أنت فى شك هذا قول الفراء . وهذا الكلام الذى انفردت به م لم يرد كذلك فى القرطين؛ ولعله تعليق فى هامش أصلها أدمجه ناسخه فيها .
٢١٤	٥	د	: سقط منها إلى قوله : كأنه قال فى السطر السابع
٢١٥	٧	م، د	: بشاعر فاهجه اللهم والعنه
٢١٧	٥	م	: ومسلمى زمانه
٢١٨	٥	«	: سقط منها من قوله : كقوله إلى قوله : واثنان فى السطر السادس
١٢٩	٨ـ٩	د	: سقطا منها
—	١١ـ١٢	«	: « «

صفحة	سطر		
٢٢٠	٢_٧	د	: سقطت هذه الأسطر منها
٢٢٠	٧	م	: النساء طالق
—	٩	د	: ونعل أسقاط. م: أهدام ونعل أسماط قال الشاعر
٢٢١	١٤	د	: سقط منها وما يليه إلى آخر السطر الثانى من ص ٢٢٢
٢٢٢	٨_٩	د	: سقطا منها
٢٢٣	٥	«	: سقط منها من قوله : قال الشاعر إلى آخر السطر الثامن
٢٢٤	٨	«	: « « « وأنشد لبعضهم إلى آخر السطر الثانى من ص ٢٢٥
٢٢٥	٧	«	: « « إلى آخر السطر الثانى من ص ٢٢٦
٢٢٦	٣	م، د	: من الأعوان
٢٢٩	١	د	: سقط منها من قوله : قال وعلة إلى آخر السطر الثالث
٢٣٠		«	: باب تأويل الحروف الخ. م : تأويل المشكل الذى ادعى على القرآن به الاستحالة وفساد النظم
٢٣٠	١	م	: اختلف الناس
—	٧	م	: عليم
٢٣٢	٣	م، د	: بالطور وبالعشر
—	٤	د	: يسميان
٢٣٤	٦	«	: سقط منها من قوله : كقول الشاعر إلى آخر السطر الثالث من ص ٢٣٥
٢٣٥	٦	«	: سقط منها من قوله : وقال ذو الرمة إلى آخر السطر الثامن . كما سقط من م قوله : يذكر حميرا
—	١٣	«	: سقط منها من قوله : ويقولون ولاك إلى آخر السطر الثالث من ص ٢٣٦
٢٣٦	٦	«	: سقط منها إلى آخر السطر التاسع
—	١٠	«	: سقط منها من قوله : كما قالوا إلى آخر ص ٢٣٧

صفحة	سطر		
٢٣٦	١٣	م	: سقط منها قوله : يذ كربقرا
٢٣٧	٣	م	: أراد نار الحباحب
٢٣٨	١٠	د	: الرحم نون هو الرحمن
—	١١	م	: وقد قال قوم
٢٤٠	٧	د	: قال : وما كان له عليهم من سلطان . يقول ما كان تسليطنا
—	١٥	«	: جهاده وخبره
٢٤١	٣	م	: وساحر وكذاب
—	٣	د	: من خوضهم
٢٤٣	١١	د	: سقط منها من قوله : منزلا إلى قوله : ليلة فى نفس السطر
٢٤٤	٣	م	: فإذا أصاب
٢٤٥	٩	«	: فيكونوا فيه
٢٤٦	٣	د	: سقط منها من قوله : قال الشاعر إلى آخر السطر الخامس
٢٤٩	٩	م	: خلت من قوله : وطفولة الولد
٢٥٢	١٦	د	: سقط منها من قوله : روى ذلك إلى آخر السطر السابع عشر
٢٥٥	١١	م	: لايقال فيه عثرة كافر
٢٥٨	٢	م	: ويقولون لنا
٢٦١	١٣	«	: وشجر وصنم
—	١٧	د	: ماقد أفضلنا
٢٦٢	٤	م	: فلندعوه
٢٦٥	١	«	: فالأرحام تشتمل على الذكور والإناث فكل
٢٦٦	٩	د	: يهز ويخرف
—	١٦	«	: فاكتبوا له مثل
٢٦٧	١٣	د	: المحارم والفواحش
—	١٥	د	: أحرار العرب

صفحة	سطر		
٢٦٨	١	د	: الأدلاج والأطواف
—	٢	«	: سقط منها من قوله : قال الشاعر إلى آخر الصفحة
٢٦٩	١٢	د	: طريق الإنسان
٢٧١	١	د	: سقط منها وما يليه إلى آخر ص ٢٨٥
—	٥	م	: الجهات يعنى
٢٧٣	٦	«	: ولا لأنفسهم إلا بها
٢٧٥	١٠	«	: بل أدرك
٢٧٦	٦	«	: أن يتعرف
٢٨٨	١	د	: سقط منها وما يليه إلى آخر ص ٣٠٨
٢٩١	٨	م	: حتى نحدثك ونكلمك
٢٩٣	١٥	م	: وبين القرية
٣٠٤	١١	م	: ونحوه قوله
٣٠٦	٨	م	: سقط منها قوله : بالخير لهلكوا
٣٠٩	٦	د	: سقط منها من قوله : قال الراعى إلى آخر السطر الثامن
٣٠٩	٨	م	: وخلاله
٣٠٩	١٥	د	: سقط منها وما يليه إلى أول السطر الحادى عشر من ص ٣١٣
٣١٢	٩	م	: خلت من قوله : يذكر قوسا
٣١٣	٤	م	: ولا تقول : حائط
—	١٣	م	: ولا يراودهن
—	١٨	م	: ولم يعلمها
٣١٤	١	د	: سقط منها وما يليه إلى آخر صفحة ٣٢٠ وجاء فيها بدل الساقط قوله : وعصى آدم ربه فغوى وليس فى غوى شىء الخ . وهذا موجود فى هذه الطبعة من السطر الثانى عشر فى ص ٣١٢ إلى آخر السطر الخامس من ص ٣١٣

صفحة	سطر		
٣١٤	١٠	م	: بالتقام
٣١٥	٦	«	: تساموا اللقاء
٣١٨	١	م	: وتشديد الذال
٣٢١	٧	د	: السجود التطامن
٣٢٢	٣	د	: لقرد السوء
٣٢٤	٥	م	: إذا أبطأ
٣٢٦	١٤	م	: سقط منها من قوله : يعنى إلى قوله : يقال فى السطر الخامس عشر
٣٢٨	٣	م	: أرض الجزية
٣٢٩	١١	م	: إلى مكة وينزل عليك القرآن ظاهراً
٣٣٣	١	م	: سقط منها من قوله : فإن شئت نصبت إلى قوله فإن شئت أن تكسرها فى السطر الثالث
٣٣٤	٣	م	: دون إلفه
٣٣٥	٣	م	: فتنة عليهم
٣٣٨	٩	م	: سقط منها
٣٣٩	٢	م	: سقط منها إلى قوله : أى يكون العذاب فى السطر الثالث
—	٣	د	: سقط منها من أول قوله : ويوضح ذلك إلى آخر السطر السادس
٣٤٢	٣	د	: ثم تصير القضاء بعمان
٣٤٤	٣	د	: الإرشاد بمعنين
—	٦	م	: هذه البيان
٣٤٥	٤	د	: والتماس الرزق
٣٤٦	٤	م	: دين واحد
—	٦	«	: وشرعة

صفحة	سطر		
٣٤٧	١	د	: العهد الإيمان .
٣٤٨	٧	د	: سقط منها من قوله : كما قال الشاعر . إلى قوله : وقد قال الله . فى السطر الأول من ص ٣٤٩ .
٣٤٩	٢	م	: سقط من قوله: قال. إلى قوله : إلا أن تودونى . فى السطر الثالث.
٣٥٠	٦	م	: المصلى الصائم .
—	١٦	د	: أصل القنوت .
٣٥١	٦	د	: سقط منها من قوله : ومنه قول القطامى . إلى قوله : ومنه قول الله فى السطر الثامن .
٣٥٢	٩	م	: حليف .
٣٥٥	٤	د	: سقط منها قوله : وقال الأعشى . إلى آخر السطر السادس .
٣٥٨	٢	د	: سقط وما يليه إلى آخر الصفحة .
٣٦٠	١٠	د	: « منها من قوله : قال زهير . إلى آخر السطر الثانى عشر .
٣٦٩	٣	م	: ومن الضيق الإثم .
٣٧٠	٢	م	: البناء .
—	٦	د	: اللسان واللسن اللثغة .
٣٧٢	١٣	م	: يكون بها .
٣٧٧	١٣	د	: فأصله كله .
٣٨٠	٣	د	: بمعنى الصفة .
٣٨٢	١	د	: الحفظ كقوله جل اسمه : ولقد عهدنا .
٣٨٣	٦	د	: والصاعقة نار :
٣٨٤	٤	د	: لايقبل منها فدية .
٣٨٩	٩	د	: قول أبيه لإبراهيم .
٣٩١	١	د	: هو أن يحصن .

صفحة سطر

٣٩١ ٢ د : ذوات الأزواج وإن لم يكن مزوجات . والمحصنات الحرائر ذوات الأزواج لأن الأزواج .

٣٩٢ ١٠ د : يعنى بيوت الخانات .

٣٩٧ ١٢ م : فيها بعد ذلك. «أى متى يوم القيامة»؟

٤٠٢ ٦ د : السلم : أراد كظبية .

٤٠٤ ٣ د : سقط منها من قوله : وبقول الآخر . إلى آخر الصفحة .

٤٠٥ ٤ د : ومتى تأتنى آتك . وكما أدخلت ما مع إن لغوا فتقول : متى تأتنى آتك ومتى ما تأتنى آتك . وكما أدخلت ما مع أى .

٤٠٧ ٧ د : بمعنى فعل ، قال ذو الرمة : ولو أن لقمان .

٤٠٨ ٨ د : حمول الجن .

— — م : وإفضاخ* والإفضاخ فى البسر أن يحمر أو يصفر مثل الزهو وأصله الشهرة ومنه الفضيخة . وقال آخر : بل .

٤٠٨ ٩-١٠ د : سقطا منها .

— ١٣ د : منهل يأتى .

٤١٠ ١٤ م : وهو عند .

٤١١ ٥ د : آمنت أى فهلا وكذلك لوما تأتينا .

٤١٢ ٣ م : رأيت جواباً .

— ٤ د : لأمر يقع .

٤١٣ ٧ د : سقط من أول قوله : جمل . إلى آخر السطر الثامن .

٤١٦ ١٥ م : سقط من أول قوله : ولم يتقدم . إلى قوله : ثم قال . فى السطر السادس عشر .

٤١٨ ١ د : قال ابن الأعرابى .

صفحة	سطر		
٤١٨	٢	م	: كسبت وقال الشاعر
—	٥	م	: ليس فيها كلمة : قال
٤٢٠	٩	د	: العرب هاتيك
٤٢١	١٠	د	: وتخالفت الفراء فقال
—	١١	م	: إلى ما بعدها
٤٢٣	٥	م	: من غير
٤٢٤	١	د	سقط منه إلى قوله : قال الأصمعى
٤٢٦	٤ـ٦	د	: خلت منهما
—	٤	م	: وقال عتبة !
—	٩	م	: أى اسأل عنه خبيراً
٤٢٧	٤ـ٥	د	: خلت منهما
٤٢٨	٣ـ٤	«	: « «
٤٣٠	١ـ٣	«	: سقطت منها
٤٣١	١ـ٢	«	: خلت منهما
٤٣٢	٦	د	: جاء فيها بعد ذلك مايلى : تم كتاب المشكل والحمدلله أولا وآخرا ،

وصلى الله على محمد النبي سرمدا دائما وآله وسلم كثيرا ، وحسبنا الله حياتنا وبعد وفاتنا ونعم الوكيل والمعين ربنا ونعم النصير .

وكتب محمد بن أحمد بن يحيي رحمه الله فى شهر ربيع الآخر من سنة تسع وسبعين وثلمائة .

رحم الله كاتبه ومن نظر فيه من المسلمين ، آمين رب العالمين .

ويقول : سوف تبلى يدى ويبقى الكتاب . وقال :

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

صفحة	سطر		
٤٣٣	٨	م	: سقط عنها بعد ذلك مايلى : لاتستضيئوا بنار المشركين ، يريد لاتستشيروهم ، جعل السراج فى الظلمة مثلا للرأى فى الحيرة .
٤٣٤	١٣	م	: وإن قل
٤٣٥	٣	م	: الأنصار وهم من اليمن .
٤٣٦	٥	م	: وعشرون ذكورا
٤٣٧	٨	م	: جرى مثل جرى
٤٣٨	٤	م	: نواط
٤٣٩	١	م	: إياك نشر ما أحار ... يريدون نشرة

١٠ – فهرس تصويب الأخطاء المطبعية

صفحة	سطر	الصواب
٧	١٥	أبدأوا
١٣	٧	طَفِئت
١٧	٤	واللحن
١٩	٨	مُتْكاً
٢١	١٤	والنار تأكلهما
٢٢	٩	أوليس
٢٣	٩	كذبوا بآيات الله
٢٤	١٦	غشاها الله لباس الجوع
٣٠	٩	رُدَّت
—	١٠	لاتأمنَّا
٣٢	٣	مُتْكاً
—	١٠	بجميع هذه الوجوه
٣٥	٣	تُثْنَى
٣٨	٣	والبصريون يجيزونه
٣٨	٩	هِفّانَ
—	١٤	إذا قرأه
٣٩	١٨	لِيُجْزَى
٤٠	٣	فأَصَّدَّقَ أكُن
—	٤	فأصَّدَّقَ
٤٣	٢	مَاتَلْوتُهُ
٤٤	١	تَلُوا
٤٥	٢	إليه لكانت
٤٧	١٠	قاموا ينظرون ﴾
—	١١	ينقل رقم (٣) فوق آخر الآيةالتى فى السطرالعاشر
٥٠	١٣	الحقَّ
٥٣	١٤	فَذَكَرَه
٥٥	١٦	تَنْكِحُوا
٥٧	٢	قَوَارِيرًا قوَارِيرَ
٦٨	٩	أمية بن
٦٩	٦	أسْفَدَه
٧٠	٨	مُستويةً
٧٢	١٧	ولا الأخذع
٧٤	١٢	ثم قد يقال
٧٧	١١، ١٣	ينتقل
٧٩	٢٠	المشتكى
٨٠	٧	غَيْطلِ
٨٢	١١	والرمز
٨٤	٤	مِن مَّكانٍ
٨٤	٥	حسبي حسبي
٨٥	١	التَّميمة يفرَّق
—	١١	الملكَيْن ببابِلَ
٨٩	٤	تضاعف الأعداد
٩٠	٧	يَتَخَبَّطُهُ
٩٣	٢	فإنَّهُمْ

صفحة	سطر	الصواب
٩٥	٩	يُقَدَّرِ
٩٨	٢٢	تحى
٩٩	٥	يُريد
١٠٣	٢١	وزكا
١٠٥	١٢	قطُّ
١٠٨	٥	دمٍّ ... دمًّ
—	٧	للعفاف
١٠٩	٢	جَعَلَ
—	٦	يكْنُون
١١٠	٢	هُنَّ ... لَكُمْ
١١١	١٠	وتَضِقْ
—	—	تُغْلِظْ
١١٧	١٦	فاكتست
١١٨	١٤	قبيحةباقية
١١٩	١٢	لِكُحْلِك
١٢٠	٢١	جدّة
١٢٥	١	ولَهَا
١٢٦	٩	سَنَسْتَدْرِجُهُمْ
١٢٦	١٣	والنازل
١٣١	٧	بالصَّفَّاح
١٤١	٣	أَوْ أَمْسِك
١٥٢	٨	وَهَفَا
١٥٦	١٣	يُضْطَرُّ
١٦٤	٥	وكأس

صفحة	سطر	الصواب
١٦٥	٨	الوغى .. ورُمْحاَ
١٦٦	٤	مَدْفَعاً
١٦٧	١١	تَعْبُدُوا
١٦٨	٧	بمعجزٍ
١٦٩	١	لِيَسُوءُوا
—	١٠	ظَلَمَ
١٧٠	٧	لِئَلّا
١٧١	١	فرقوها بينكم
—	٣	فَرِيقاً
—	١٠	تُبَلِّغَنِّي
—	١٤	بِعُقُرٍ
—	٢٥	تحدى
١٧٢	٦	لَدُنْهُ
—	٧	عِوَج
١٧٢	١١	ورزقهم
—	١٣	أراد ألا
١٧٧	٤	الشَّجَرْ
١٧٨	١٠	أَنْزَلَ
١٨٣	٥	هو شطر لا بيت
١٨٤	١١	أُولِى
١٨٦	٥	مُدَّكِرِ
١٨٦	١٠	فِيهِماَ
١٨٧	١٠	قُلُوبهم

صفحة	سطر	الصواب
١٨٨	٣	بُرًّا
١٨٩	١	الصُّدُور
١٩٤	٨	تزاد
١٩٥	٧	عَمَلاً
١٩٦	١	تزاد
١٩٦	٦	ربُّك
—	٢٣	إما يزال
١٩٧	١١	بطونكمُ
١٩٩	١٢	اسماها
٢٠١	٧	اسم أبى لهب
٢٠٢	٤،٨	ياوَيْلَتَى
٢٠٣	١٢	وشيبة بن ربيعة
٢٠٣	١٤	لطال هذا
٢٠٦	٤	قَنَصٍ
٢١٠	٤	الْ * نَّاس
—	٧	المهذّبُ المحْضُ فى الْ * نِسبَة
٢١١	١٠	سلاَم
٢١٤	٩	وماذا يُؤَدِّى
٢٢٢	٩	والشَّعَر
—	١١	وأنت بما * عندك
٢٢٤	٦	أُفعلا
٢٢٩	٩	بَدِئ
٢٣٠	٥	كهيعص
٢٣١	١٠	دَلُّوا

صفحة	سطر	الصواب
٢٣٣	١	نَدًى
٢٤٥	٢	جِمَالَةٌ
—	١١	يظلُّكم
٢٥١	٢	رابياً
٢٥٢	٥	يُسَبِّحُ
—	١٠	واللهُ
٢٥٣	٢	وتلألئه
٢٥٨	٦	تأْكُلُوا
٢٦١	٢٣	أُمراً
٢٦٦	٧	علا يعلو فهو عال وهم عالون
٢٧٠	٩	القيامةِ
—	١٣	»
٢٧٢	٢	والأرض وما بينهما فليرتقوا
—	٥	أعندهم (بدون قوسين)
٢٨١	٩	وإن الذى
٢٨٣	١٥	نشأَتْ
—	١٦	ونشأَتْ
٢٨٦	٤	فى حال الكلال
٢٩٢	١	نظرتكمُ
٢٩٣	٣	إن أنتُمْ
٢٩٤	٧	يحذف القوسان
٢٩٥	٧	و ﴿ لشهادتنا ... ﴾
٢٩٧	١٢	كحكمكم
٣٠٠	٥	عُمْىٌ

صفحة	سطر	الصواب
٣٠١	٢	أُمَّةٌ
—	١٤	وفَلْكَةُ
٣٠٢	٢	رُءُوسُ
٣١١	١	كُلِّها
٣١٤	١٥	أغاظ
٣١٦	٨	قومه
٣١٧	٤	مَعْمَر
٣١٨	٥	أُخلفوا
٣٢١	٢	عن اليمين والشَّمائِلِ
٣٢٢	١٧	وإن تلقاك
٣٢٦	١٧	و ﴿ قال قرينه ﴾
—	١٨	ظَلَمُوا
٣٢٧	٤	سُلْطَانٍ
—	٥	قَوْماً
—	٨	بالْوَعِيدِ
٣٢٩	١	القَصصِ
—	٢	نَبِيًّا
٣٣٤	٩	و ﴿ كُنَّا ...
٣٣٥	١٦	إِنِّي
٣٤٤	١٣	﴿ وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي ...
٣٤٦	٦	﴿ وَإِنَّ ...
٣٤٨	٦،١	إلَّا
٣٥٢	٩	قِطيناً
٣٥٣	٢	ضَالًّا
٣٥٥	٧	وَمَلَائِكَتَهُ
٣٥٦	١١	اللهُ

صفحة	سطر	الصواب
٣٦١	٥	التِّبْنُ
٣٦٢	٣	﴿ وَفَتَنَّاكَ ... فِتْنَتُهُمْ
٣٦٦	٦	تُؤْمِنُوا
٣٦٦	٧	أَسْلَمَ
—	١٤	زُلَالًا
٣٦٨	١٩	اقتباس من سورة
٣٧٢	٢٥	فأحيى
٣٧٦	٩	يرفع القوسان وينقل رقم (٥) ويوضع فوق كلمة «بالحق»
٣٨٣	٢	﴿ وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً ﴾
٣٨٥	١	لِيَ ... سُلطانٍ
—	٣	الحُجَّةُ
—	٥	﴿ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ ﴾ عليكم ﴿ سُلْطَاناً ﴾
—	٧	بِسُلْطَانٍ
٣٩٢	٩	غَيْرَ
٣٩٦	٥	وكأَيِّن
٤٠١	١٠	وَيْكَأَنْ
٤٠٤	٦	وَثَمَّةَ
٤٠٥	٦	﴿ أَيًّامَا تَدْعُوا فَلَهُ ﴾
٤١٦	٢	السَّماءَ
٤١٩	٤	﴿ فَكَفَى ...
٤٢١	٢	﴿ فَقُلْ ...
٤٣٩	١٢	عندهم الكلأ
٤٤٠	٨	عُرًا
٤٤١	١١	اثنتين

١١ — فهرس المراجع

أدب الكاتب لابن قتيبة (الرحمانية ١٣٥٥ هـ)

الأصمعيات للأصمعى (لبيسك ١٩٠٢م)

أساس البلاغة للزمخشرى

(دار الكتب ١٣٤١)

الإتقان للسيوطى (حجازى ١٣٦٠ هـ)

الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى (بولاق ١٢٨٥ هـ)

أمالى المرتضى (السعادة ١٣٢٥ هـ)

أمالى ابن الشجرى ج ١ (الأمانة ١٩٣٠م)

أمالى ابن الشجرى ج٢ (حيدر أباد ١٣٤٩ هـ)

أمالى الزجاج (المحمودية ١٣٥٤ هـ)

أمالى اليزيدى (حيدر أباد ١٣٦٧ هـ)

إصلاح المنطق لابن السكيت

(المعارف ١٣٦٨ هـ)

الاقتضاب لابن السيد (بيروت ١٩٠١م)

الأمالى لأبى على القالى

(دار الكتب ١٣٤٤ هـ)

أمثال العرب للمفضل الضبي

(الجوائب ١٣٠٠ هـ)

الإنصاف لابن الأنبارى

(الاستقامة ١٣٤٦ هـ)

أبواب مختارة من كتاب يعقوب الأصفهانى

(السلفية ١٣٥٠ هـ)

الأزمنة والأمكنة للمرزوقى

(حيدر أباد ١٣٣٢ هـ)

إعجاز القرآن للباقلانى (السلفية ١٣٤٩ هـ)

الأشربة لابن قتيبة

(الترقى بدمشق ١٣٦٦ هـ)

الأضداد لابن الأنبارى (الحسينية ١٣٢٥ هـ)

الأضداد لابن السكيت

(الكاثوليكية ببيروت ١٩١٣م)

الأضداد للسجستانى

(الكاثوليكية ببيروت ١٩١٣م)

الإصابة لابن حجر (السعادة ١٣٢٣ هـ)

أحكام القرآن للشافعى (السعادة ١٣٧١ هـ)

البحر المحيط لأبى حيان النحوى

(السعادة ١٣٢٨ هـ)

البيان والتبيين للجاحظ

(لجنة التأليف ١٣٦٩ هـ)

بغية الوعاة للسيوطى (السعادة ١٣٢٦ هـ)

البصائر والذخائر لأبى حيان التوحيدى

(لجنة التأليف ١٣٧٣ هـ)

تأويل مختلف الحديث (كردستان ١٣٢٦ هـ)

تاريخ بغداد للخطيب البغدادى

(السعادة ١٣٤٩ هـ)

تهذيب التهذيب لابن حجر

(حيدر أباد ١٣٢٥ هـ)

تفسير الطبرى (بولاق ١٣٢٩ هـ)

تفسير ابن كثير (عيسى الحلبى ١٣٧٣ هـ)

تيسير الوصول للشيبانى (السلفية ١٣٤٦ هـ)

تهذيب الألفاظ لابن السكيت

(بيروت ١٨٩٥م)

تهذيب إصلاح المنطق (السعادة ١٣٢٥ هـ)

ثمار القلوب للثعالبى

(الظاهر بالقاهرة ١٣٢٦ هـ)

جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى

(بمباى ١٣٠٦ هـ)

الجمهرة لابن دريد (حيدر أباد ١٣٥١ هـ)

جمهرة أشعار العرب (بولاق ١٣٠٨ هـ)

جمهرة أنساب العرب لابن حزم

(المعارف ١٩٤٨م)

الجمل للزجاجى (الجزائر ١٩٢٦م)

الحيوان للجاحظ (مصطفى الحلبي ١٣٦٤هـ)
حياة الحيوان للدميرى (بولاق ١٢٨٤هـ)
حماسة البحترى (الكاثوليكية ١٩١٠ م)
حماسة ابن الشجرى (حيدرأباد ١٣٤٥هـ)
خزانة الأدب لعبد القادر البغدادى
(بولاق ١٢٩٩)
خلاصة تذهيب الكمال للخزرجي
(الخيرية ١٣٢٢هـ)
ديوان جرير (الصاوى بالقاهرة ١٣٥٣هـ)
ديوان الخرنق (بيروت ١٨٩٩م)
ديوان ذى الرمة (كمبردج ١٩١٩م)
ديوان امرئ القيس (الرحمانية ١٩٣٠م)
ديوان أمية بن أبى الصلت
(الوطنية ببيروت ١٣٥٢ هـ)
ديوان رؤبة (ليبسك ١٩٠٢م)
ديوان أبى العتاهية (بيروت ١٩١٤م)
ديوان العجاج (ليبسك ١٩٠٢م)
ديوان الأعشى (فينا ١٩٢٧م)
ديوان كعب بن زهير (دار الكتب ١٣٦٩)
ديوان الأخطل بيروت (١٨٩١م)
ديوان النابغة الذبيانى
(المصباح ببيروت ١٣٤٧هـ)
ديوان الفرزدق (الصاوى ١٣٥٤هـ)
ديوان الشماخ (السعادة ١٣٢٧هـ)
ديوان لبيد (فينا ١٨٨٠م)
ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى
(القاهرة ١٣٥٢هـ)
ديوان الهذليين (دار الكتب ١٣٦٩هـ)
ديوان أبى ذؤيب الهذلى (دار الكتب)
ديوان الحطيئة (التقدم ١٣٢٥هـ)
ديوان طرفة (قازان ١٩٠٩م)
ديوان قيس بن الخطيم (ليبسك ١٩١٤ م)
ديوان عنترة
ديوان الطرماح (ليدن ١٩٢٧م)
ديوان جران العود (دار الكتب ١٣٥٠هـ)
ديوان المسيب بن علس (بيانة ١٩٢٧ م)
ديوان جميل بثينة (الوطنية ببيروت ١٣٥٢هـ)
ديوان عبيد بن الأبرص (ليدن ١٩١٣م)
ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات
(فينا ١٩٠٢م)
ديوان علقمة الفحل
(المحمودية بالقاهرة ١٣٥٣هـ)
ديوان كثير عزة (الجزائر ١٩٢٨م)
ديوان زهير (دار الكتب ١٣٦٣هـ)
ديوان حسان (الرحمانية ١٣٤٧هـ)
ديوان القطامى (برلين ١٩٠٢م)
الدر اللوامع للشنقيطى (الخانجى ١٣٢٨هـ)
رغبة الآمل للمرصفى (النهضة ١٣٤٨ هـ)
زهر الآداب للحصرى (الرحمانية ١٩٢٥م)
سيبويه (بولاق ١٣١٧هـ)
سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزى
(المصرية . . .)
سر الفصاحة لابن سنان (الرحمانية ١٣٥٠هـ)
سمط اللآلى للميمنى (لجنة التأليف ١٣٥٤هـ)
شرح القصائد العشر للتبريزى
(السلفية ١٣٤٣هـ)
شرح شواهد المغنى (البهية ١٣٢٢هـ)
شرح شواهد الشافية للبغدادى
(حجازى ١٣٥٩ هـ)
شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد
(الحلبى ١٣٢٩هـ)

شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي
(القدسي ١٣٥٠ هـ)
الشعر والشعراء لابن قتيبة
(الحلبي ١٣٧٠هـ)
شرح المعلقات للزوزني (طبع الرافعي)
شرح حماسة أبي تمام للتبريزي
(حجازي ١٣٥٧هـ)
شرح حماسة أبي تمام للمرزوقي
(لجنة التأليف ١٣٧١هـ)
شرح الألفية لابن الناظم
(العلوية بالنجف ١٣٤٢هـ)
شرح أدب الكاتب للجواليقي
(القاهرة ١٣٥٠هـ)
الصاحبي لابن فارس (المؤيد ١٣٢٨هـ)
صفة جزيرة العرب (ليدن ١٨٨٤ م)
الصناعتين لأبي هلال العسكري
(الآستانة ١٣٢٠هـ)
طبقات القراء لابن الجزري
(السعادة ١٣٥١هـ)
الطرائف الأدبية (لجنة التأليف ١٩٣٧م)
طبقات الشعراء لابن سلام
(المعارف ١٩٥٢م)
عيون الأخبار لابن قتيبة
(دار الكتب ١٣٤٣هـ)
العمدة لابن رشيق (حجازي ١٣٥٣هـ)
العقد الفريد لابن عبد ربه
(لجنة التأليف ١٣٥٩هـ)
غرائب القرآن للنيسابوري (بهامش الطبري)
القراءات الشاذة لابن خالويه (الرحمانية ١٩٣٤م)
القرطين لابن مطرف الكناني
(الخانجي ١٣٥٥هـ)
القرطبي (دار الكتب ١٣٥٤هـ)
الفائق للزمخشري (الحلبي ١٣٦٦هـ)
فقه اللغة للثعالبي (الحلبي ١٣٥٧هـ)
الفاخر للمفضل بن سلمة (ليدن ١٩١٥م)
الكامل للمبرد (مصطفى محمد ١٣٥٥هـ)
الكنايات للثعالبي (السعادة ١٣٢٦هـ)
لسان العرب (بولاق ١٣٠٨هـ)
المؤتلف والمختلف للآمدي
(القاهرة ١٣٥٤هـ)
المجتنى لابن دريد (حيدر أباد ١٣٦٢هـ)
مجمع الأمثال للميداني (القاهرة ١٣٥٢هـ)
المعاني الكبير لابن قتيبة (حيدر أباد ١٣٦٨هـ)
المحلى لابن حزم (النهضة ١٣٤٧هـ)
معجم الشعراء للمرزباني
(القاهرة ١٣٥٤هـ)
مقاييس اللغة لابن فارس (الحلبي ١٣٦٦هـ)
مجاز القرآن لأبي عبيد (مخطوط)
مسند أحمد بن حنبل (المعارف ١٣٦٥هـ)
الموشح للمرزباني (السلفية ١٣٤٣هـ)
المعارف لابن قتيبة
(الإسلامية بالقاهرة ١٣٥٣هـ)
المفضليات (المعارف ١٩٥٢م)
مبادئ اللغة للإسكافي (السعادة ١٣٢٥هـ)
المخصص لابن سيدة (بولاق ١٣١٨هـ)
المختار من شعر بشار (الاعتماد ١٣٥٣هـ)
معجم البلدان لياقوت (السعادة ١٣٢٣هـ)
الموازنة بين الطائيين (حجازي ١٣٦٣هـ)
مجالس ثعلب (المعارف ١٣٦٩ هـ)
مجموعة المعاني (الجوائب ١٣٠١ هـ)
مجمع البيان للطبرسي
(العرفان بصيدا ١٣٥٤ هـ)
مختارات ابن الشجري (العامرة ١٣٠٦ هـ)

ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن للمبرد
(السلفية ١٣٥٠ هـ)
المقصور والممدود لابن ولاد
(السعادة ١٣٢٦ هـ)
الميسر والقداح لابن قتيبة (السلفية ١٣٤٣ هـ)
المزهر للسيوطى (الحلبى ١٣٦١ هـ)
النشر فى القراءات العشر (مصطفى محمد)
النقائض (ليدن ١٩٠٥ م)
نقائض جرير والأخطل (ليدن ١٩٠٥ م)
نوادر أبى زيد (الكاثوليكية ١٨٩٤ م)
نظام الغريب للربعى (أمين هندية .)
النكت فى إعجاز القرآن للرمانى
(دهلى ١٩٣٤ م)
نقد الشعر لقدامة (الجوائب ١٣٠٢ هـ)
النهاية لابن الأثير
نسب قريش (المعارف ١٣٧٣ هـ)
الوحشيات (مخطوط)
وفيات الأعيان لابن خلكان
(السعادة ١٣٦٧ هـ)
وقعة صفين لنصر بن مزاحم
(الحلبى ١٣٦٥ هـ)
الوساطة للجرجانى (الحلبى ١٣٦٤ هـ)
الهاشميات (شركة التمدن ١٣٣٠ هـ)

فهرس مواضيع الكتاب

